

**PAGES MISSING  
WITHIN THE  
BOOK ONLY**



OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. <sup>٤</sup> ١٩٢٦٤٥ Acc. No. 10926  
٢ ص

---

مفردات المحدثين، بنو الأول  
جمهورية خطاب العرب في عصر العروبة الأولى

---

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No.

892,40

Accession No.

10926

Author

ص-ح  
صفوت، المديني

Title

This book should be returned on or before the date  
last marked below.







# تجمل خط العرب

في عصور العرب في الزاهرة

للشيخ الأفندي

العصر الحادي عشر، عصر صدر الإسلام

تأليف

أحمد زكي صفوت

استاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٩٤

كل الحقوق محفوظة

إشرافه: محمد أمين عثمان



# تصدير

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على ما أوليتني من نعمك السابقة ، وآلائك الضافية ، وأصلى  
وأسلم على رسولك المجتبي ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبعد : فلأمرأ أن خطب العرب في عصور ازدهار اللغة مرآة يتجلى فيها  
ماحباهم الله من ذلاقة اللسان، وعذوبة البيان ، ومعرض يمثل فيه نتاج قرائحهم ،  
وثمرات ألبابهم ، في كثير من مناحي القول ، وإنها لتمدّ - بعد القرآن الكريم  
والحديث الشريف - مثالا ساميا للبلاغة العربية ، ونموذجا قويا يحتذيه المتأدب  
في تقويم قلمه المروج ، وشحذ لسانه الكليل ، وهي فوق ذلك ممين فيأض  
يستقى منه مؤرخ الأدب العربي ما يمين له من آراء ، ومادة غزيرة يستنبط منها  
ما يقفه عليه البحث من فكر .

وقد نظرت فوجدت تلك الخطب مبعثرة متشورة في كتب الأدب والتاريخ ،  
لا يؤلف بينها نظام ، ولا يضم أشتاتها كتاب ، فإذا ما شئت أن تعرف صورة  
الخطابة في عصر من العصور ، أو تترجم لخطيب من خطباء العربية ، ألفت  
الطريق أمامك وعرة شائكة ، وأتقت وقتا مديدا في التنقيب عن خطبه في

والعافية ، حتى أصدر ما اعتزمت إصداره بعد تمام هذا الكتاب إن شاء الله ،  
وهو كتاب :

## جمهرة رسائل العرب ، في عصور العربية الزاهرة

كي تكمل حلقة النثر العربي في تلك المصور ، إنه المستعان ، عليه توكلت  
وإليه أنيب

أحمد زكي صفوت

حرر بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ  
يوليو سنة ١٩٣٤ م



## فهرس

### مآخذ الخطب في هذا الجزء

- 
- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى  
الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : الرابع - السابع - الثامن - الحادى  
عشر - الرابع عشر - الخامس عشر :  
صبح الأعشى لأبى العباس القلقشندى : الجزء الأول - الثانى  
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : الثالث - الخامس - السابع  
عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى  
الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول - الثانى  
العقد الفريد : لابن عبد ربه : » » - الثانى - الثالث  
زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » »  
البيان والتبيين : للجاحظ : » » - الثانى - الثالث  
نهج البلاغة : للشريف الرضى : » »  
شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع  
أمالى السيد المرتضى : الجزء الأول - الثانى  
تجميع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : » - »  
جمهرة الأمثال : لأبى هلال العسكري : » - »  
خزانة الأدب : لمبد القادر البندادى : » »

تاريخ الأمم والملوك : لأبي جعفر بن : الجزء الثاني - الثالث - الرابع - الخامس -

جير الطبرى : السادس

تاريخ الكامل : لابن الأثير : الجزء الأول - الثاني - الثالث

مروج الذهب : للمسعودي : » » - الثاني

الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : » »

المختصر فى أخبار البشر : لأبى القداء : » »

معجم البلدان : لياقوت الحموى : » الثامن

سيرة النبي ﷺ : لابن هشام : » الأول - الثاني

السيرة الحلبية : لابن برهان الدين الحلبي : » »

إعجاز القرآن : لأبى بكر الباقلانى :

بلاغات النساء : لابن أبى طاهر طيفور :

شرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون :

لابن نباتة المصرى :

أنباء نجباء الأبناء : لابن ظفر المكي :

الحاسن والأضداد : للجاحظ :

الشعر والشعراء : لابن قتيبة :

شرح قصيدة ابن عبدون : لابن بدرون :

بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى : الجزء الأول - الثالث

الأوسى :

مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح :

## الباب الأول

# الخطبة الوصايا

في

العصر الحجلي

اصلاح مرثد الخير

يُنَى سُبَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَيُنَى مَيْثَمُ بْنُ مُثَوِّبٍ

كان مرثد الخير بن يَنْكَفَ قَيْلًا ، وكان حديدًا على عشيرته ، محبًا لصلاحهم ، وكان  
سُبَيْعُ بْنُ الْحَرْثِ <sup>(١)</sup> ومَيْثَمُ بْنُ مُثَوِّبٍ بن ذِي دُرَيْنٍ تنازعا الشرف ، حتى تشاحنا ،  
وخيف أن يقع بين حيهما شرٌّ ، فاتفقا جِدْمَا <sup>(٢)</sup> ، فبعث إليهما مرثد ، فأحضرهما  
ليصلح بينهما ، فقال لهما :

[١] أخو علي ، وعلي هو ذو جفن .

[٢] الجذم : الأصل ، وكذا الجذر

## ١ - مقال مرثد الخير

إِنَّ التَّخْبُطَ <sup>(١)</sup> وَأَمِطَاءَ الْحَبَاجِ <sup>(٢)</sup> ، وَاسْتِحْقَابَ <sup>(٣)</sup> اللُّجَاجِ ، سَيَقِفُكُمَا عَلَى شَفَا هَوِيٍّ ، فِي تَوَرُّدِهَا <sup>(٤)</sup> بَوَارُ الْأَصِيلَةِ <sup>(٥)</sup> ، وَانْقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ ، فَتَلَايَا أَمْرُكُمَا قَبْلَ أَنْ تَكُنَا <sup>(٦)</sup> النَّمْدَ ، وَانْحِلَالِ الْمَقْدِ ، وَتَشَقَّتِ الْأَلْفَةُ ، وَتَبَايَنَ السُّهُمَةِ <sup>(٧)</sup> ، وَأَنْتُمَا فِي فُتْحَةٍ رَافِعَةٍ <sup>(٨)</sup> ، وَقَدَمٍ وَاطِدَةٍ <sup>(٩)</sup> ، وَلِلْوَدَّةِ مَثْرِيَةٌ <sup>(١٠)</sup> ، وَالبُقْيَا مُثْرِيَةٌ <sup>(١١)</sup> ، فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْقَرَبِ : يَمُنْ عَصَى التَّصْيِغِ ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ ، وَأَصْنَى إِلَى التَّقَاطُعِ ، وَرَأَيْتُمْ مَا آلَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ سُوءِ سَعْيِهِمْ ، وَكَيْفَ كَانَ صَيُورُ <sup>(١٢)</sup> أُمُورِهِمْ ، فَتَلَاوُفُوا الْقَرْحَةَ <sup>(١٣)</sup> قَبْلَ تَقَاظُمِ الثَّأْيِ <sup>(١٤)</sup> ، وَاسْتِفْخَالَ <sup>(١٥)</sup> الدَّاءِ ، وَاجْهَازِ الدَّوَاءِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَفِكَتِ الدُّمَاءُ ، اسْتَحْكَمَتِ الشَّخَنَاءُ ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّخَنَاءُ ، تَقَضَّبَتِ <sup>(١٦)</sup> عَرِي الإِبْقَاءِ ، وَشَمِلَ <sup>(١٧)</sup> الْبَلَاءُ .

## ٢ - مقال سديع بن الحرث

فَقَالَ سَدِيعُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ عِدَاوَةَ بَنِي الْمَلَأَتِ <sup>(١)</sup> لَا تَبْرِيهَا إِلَّا سَاءَةُ <sup>(٢)</sup> ،

[١] التخبط : ركوب الرجل رأسه في الفرس خاصة ، أو السير على غير هدى . [٢] ركب فلان هجاء ( غير مصروف ) ، ووهاج مبنياً على الكسر : أي ركب رأسه . [٣] الاستحقاب : استفعال من الحفية أو من الحناب ، فأما الحفية ، فما يجعل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره ، والحناب : برص تشبه به المرأة وسطها ( والبرص يخط فيه لوان ) ، وهنا مثل : إما أن يكون أراد أنه أحترم بالهجاء أو جله في وعائه . [٤] التوردد : الإشراف على الماء وغيره ، دخله أو لم يدخله . [٥] الأمل . [٦] انقراض : ( والأشكال جمع نكت ، وهو ما غش من الجبال ليماد ثمانية ) . [٧] القربة : [٨] ناعمة من الرافعية . [٩] تابة . [١٠] مصلة . [١١] مكنة قد أمكنت من عرضها ، أي من جنبها وتلحيها ، يقال قد أعرض لك النبي فاربه ، أي أمكنتك من عرضه . [١٢] طابة . [١٣] الجرح . (١٤) كالسي والثرى : الإفساد والجراح والقتل ونحوه . [١٥] اشتداده ، وهو أن يصير مثل القصل . [١٦] تطلعت . [١٧] من بابي فرح ونصر . [١٨] الملة : الفترة ، وبنو الملات بنو أمهات شتى من رجل واحد ، ( والأخفاف : من أمهم واحدة والآباء شتى ) . [١٩] جمع آس ، وهو الطبيب .

وَلَا تَشْفِيهَا الرِّفَاةُ ، وَلَا تَسْتَقِلُّ<sup>(١)</sup> بِهَا الْكُفَاءُ ، وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ ، هُوَ الدَّاءُ  
الْبَاطِنُ ، وَقَدْ عَلِمَ بَنُو أَيْدِنَا هَؤُلَاءَ ، أَنَا لَهُمْ رِذْءٌ<sup>(٢)</sup> إِذَا رَهِيُوا ، وَغَيْثٌ إِذَا  
أَجْدَبُوا ، وَعَضُدٌ إِذَا حَارَبُوا ، وَمَفْرَعٌ إِذَا نُسِكُوا ، وَأَنَا وَإِيَاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :  
إِذَا مَا عَلَوْا قَالُوا أَبُونَا وَأَشْنَا وَلَيْسَ لَهُمْ مَالِينَ أُمَّ وَلَا أَبُ ،

### ٣ - مقال ميثم بن مشوب

قَالَ مِيثَمُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنْ مِنْ نَفْسٍ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الرُّعَامَةِ ، وَجَدَبَةٌ<sup>(٣)</sup>  
فِي الْمَقَامَةِ<sup>(٤)</sup> ، وَأَسْتَكْتَرَ لَهُ قَلِيلَ الْكَرَامَةِ ، كَانَ قَرِيفًا<sup>(٥)</sup> بِاللَّامَةِ ،  
وَمُؤَنَّبًا عَلَى تَرْكِ الْإِسْتِقَامَةِ ، وَإِنَّا وَافِقُهُ مَا نَسْتَدُّ لَهُمْ يَدٌ إِلَّا وَقَدْ نَاهَهُمْ مِنَّا  
كِفَاؤُهَا ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ حَسَنَةً إِلَّا وَقَدْ تَطَلَّعَ مِنَّا إِلَيْهِمْ جَزَاؤُهَا ، وَلَا  
يَتَفَيَّأُ لَهُمْ عَلَيْنَا ظِلٌّ نِعْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ قُوبِلُوا بِشَرَوَاهَا<sup>(٦)</sup> ، وَنَحْنُ بَنُو فَخْلٍ  
مُقَرَّمٌ<sup>(٧)</sup> ، لَمْ نَقْعُدْ بِنَا الْأَتِهَاتُ وَلَا بِهِمْ ، وَلَمْ نَتَزَعْ أَعْرَاقُ السُّوءِ وَلَا إِيَاهُمْ ،  
فَعَلَامَ مَطَّ<sup>(٨)</sup> الْخُدُودِ ، وَخَزَرُ الْمَيُونِ<sup>(٩)</sup> وَالْجَحِيفُ<sup>(١٠)</sup> وَالْتَصَمُرُ ، وَالْبَأْوُ  
وَالْتَكْبُرُ ؟ الْكَثْرَةُ عَدَدٌ ، أَمْ لِفَضْلِ جَلَدٍ ، أَمْ لَطُولِ مُعْتَقِدٍ<sup>(١١)</sup> ؟ وَإِنَّا  
وَإِيَاهُمْ لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

لَا إِبْنَ عَمِّكَ ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي ، وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَحْزُونِي<sup>(١٢)</sup>  
وَمَقَاطِعُ الْأُمُورِ ثَلَاثَةٌ : حَرْبٌ مُبِيرَةٌ<sup>(١٣)</sup> ، أَوْ سَلْمٌ قَرِيرَةٌ ، أَوْ مُدْأَجَةٌ وَغَفِيرَةٌ<sup>(١٤)</sup> .

[١] تَهَيَّأَ بِهَا وَتَحَمَّلَهَا . [٢] عَوْنٌ . [٣] طَابَهُ . [٤] الْمَجْلِسُ . [٥] خَلْقًا .  
[٦] مِثْلَهَا . [٧] الْفَرَمُ : السَّيِّدُ ، وَأَقْرَمُهُ : جِهَةٌ قَرِيفًا . [٨] مَدَّةٌ . [٩] الْخَزْرَانُ  
يَنْظُرُ الرَّجُلَ إِلَى أَحَدِ عَرَضِيهِ . يَقَالُ إِنَّهُ لَيَنْتَازِلُ : إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ بِزُخْرِ عَيْنِهِ وَلَمْ يَسْجُلْهُ بِنَظَرِهِ .  
[١٠] التَّكْبِيرُ ، وَكُنْفَا الْبَأْوِ . [١١] اعْتَقَدَ ضَيْعَةً وَمَلَا : اخْتَلَاهَا . [١٢] لَا : أَرَادَ اللَّهُ ، فَخَنَفَ  
الْإِلَهِ الْخَافِضَةُ اكْتِفَاءً بِأَتَى تِلْكَهَا ، وَالدَّيَّانُ الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ ، وَتَحْزُونِي : تَوَسَّسَنِي . [١٣] مُهْلِكَةٌ .  
[١٤] مَطَارَةٌ وَتَغْرَالٌ .

## ٤ - مقال مرثد الخير

قَالَ الْمَلِكُ : « لَا تُنْشِطُوا »<sup>(١)</sup> عُمَّلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُلْقُوا النُّونَ  
الْقَوَاعِدَ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا تُورَثُوا<sup>(٣)</sup> نِيرَانَ الْأَحْقَادِ ، فَمِنْهَا التَّلْفَةُ الْمُسْتَاوِلَةُ ،  
وَالْجَانْحَةُ<sup>(٤)</sup> وَالْأَلِيلَةُ<sup>(٥)</sup> ، وَعَفْوًا بِالْجَلْمِ ، أَبْلَادَ<sup>(٦)</sup> الْكَلَمِ ، وَأَنْبِئُوا إِلَى  
السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ الْأَفْصَدِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ تُقْبَلُ بِزَبْرِجٍ<sup>(٧)</sup> الْفُرُورِ ،  
وَتُدْبَرُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بَدَلَى نَصِيحَةٍ  
وَقُلْتُ أَعْلَمُ أَنَّ التَّدَابُرَ غَادَرْتُ  
فَلَا تَقْدَحَا زَنْدَ الْعُقُوقِ وَأَقْبِيَا  
وَلَا تَجْنِيَا حَرَبًا تَجْرُ عَلَيْكُمَا  
فَإِنَّ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيِّ عُرْضَةٌ  
حَذَارِ ، فَلَا تَسْتَنْبِئُوهَا ، فَإِنَّمَا  
فَقَالَا : لَا ، أَيُّهَا الْمَلِكُ . بَلْ تَقْبَلُ نُصْحَكَ ، وَتُطِيعُ أَمْرَكَ ، وَتُنْقِىَ النَّارَةَ<sup>(٨)</sup>  
وَتَحُلَّ الضَّمَانُ ، وَتَنْتَوِبَ إِلَى السَّلَامِ .

(الامال ١ : ١٢)

[١] نَشَطُ الْعَمَلَةِ عَقْدَمَا ، وَأَنْشَطَهَا حَالَهَا ، وَالْقَلَّ كَكْتَبَ جَمْعُ قَالٍ ، وَهُوَ الْجَبَلُ .  
[٢] مَوْثَلٌ ، وَأَسْلَهُ فِي الْإِيلِ ، يُقَالُ : لَمِثُ الثَّانَةِ إِذَا حَلَّتْ ، وَأَلْقَمَهَا الضَّلَّ ، ثُمَّ ضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلًا  
لِلْحَرْبِ إِذَا اجْتَدَتْ ، وَالْوَلَدُ جَمْعُ هَوَانٍ ، وَهُوَ الْتَيْبُ . يُقَالُ لِلْحَرْبِ هَوَانٌ إِذَا كَانَ قَدْ قُتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ :  
[٣] تَذَكَّرُوا . [٤] الْإِسْكَالُ . [٥] الْكَلَمُ . [٦] الْأَبْلَادُ : الْأَكْثَرُ ، جَمْعُ بَلَدٍ (كَالتَدْوِيَةِ  
جَمْعُ غَدَبٍ) . [٧] السَّحَابُ الَّذِي تَفْرِهُ الرِّيحُ . [٨] النَّارَةُ : [٩] تَقْوَاهُمْ : تَسِيمُهُمُ التَّفَوُّقَ  
(وَهُوَ مَا بَيْنَ الْمَلْبَتَيْنِ) وَالْقِتَافُ : السَّمُّ أَوْ سَمٌّ سَاعَةٌ (وَسَمٌّ ذَنَافٌ) وَالْقَتَمُ : الْمَخْلُوطُ .  
[١٠] هَوْمَلٌ ، أَيْ لَا تَخْرُجُوا نِيَّتِهَا ، وَهُوَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ لَا حَفَرَتْ : يَرِيدُ الْخَارِجَ وَالْحَرْبَ . وَمَكْتَبًا :  
مَقْطُوعًا . [١١] الْعِدَاوَةُ وَالشَّجَاءُ .

## ٥ - طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان يتفاخران عند بعض مقاول حمير

اجتمع طريف بن العاصي اللؤسي ، والحارث بن ذبيان ( وهو أحد المعمرين ) عند بعض مقاول <sup>(١)</sup> حمير ، فتفاخرا . فقال الملك للحارث : يا حارث ، ألا تخشون بالسبب الذي أخرجكم عن قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان ؟ فقال : أخبرك أيها الملك . خرج هجينان <sup>(٢)</sup> منا يزعيان غنما لهما ، فقتساولا <sup>(٣)</sup> بسيفينهما ، فأصاب صاحبهم عقب صاحبا ، فعاث <sup>(٤)</sup> فيه السيف ، فزرف ، <sup>(٥)</sup> فثات ، فسألونا أخذ دية صاحبا دية الهجين ، وهي نصف دية الصريح <sup>(٦)</sup> ، فأبى قوى ، وكان لنا ربالة <sup>(٧)</sup> عليهم ، فأبينا إلا دية الصريح ، وأبوا إلا دية الهجين ، فكان اسم هجيننا ذهين بن زبراء ، واسم صاحبهم عثش بن مهيضة ، وهي سوداء أيضا <sup>(٨)</sup> ، فتفاقم الأمر بين الحيين ، فقال رجل منا :

حُلُومِكُمْ يا قوم لَا تُعْزِبُنَّهَا      وَلَا تَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ بِالتَّدَابُرِ <sup>(٩)</sup>  
وَأَدُوا إِلَى الْأَقْوَامِ عَقْلَ ابْنِ عَمِّهِمْ      وَلَا تُرْهِقُوا سُبَّةً فِي الْعِشَائِرِ <sup>(١٠)</sup>  
فَإِنَّ ابْنَ زَبْرَاءَ الَّذِي قَادَ لَمْ يَكُنْ      بَدُونِ خُلَيْفٍ أَوْ أُسَيْدٍ بَنِ جَابِرٍ <sup>(١١)</sup>  
فَإِنْ لَمْ تُعَاطُوا الْحَقَّ فَالسَّيْفُ بَيْنَنَا      وَيَنْتَكُمُ ، وَالسَّيْفُ أَجُورُ جَائِرٍ

[١] جمع مقول ، والمقول والقيل هو الذي دون الملك الأعظم . [٢] الهجين : صري ولد من أمه ، أو من أبوه خير من أمه ( والمقرف : الذي أمه عريية ، وأبوه ليس بصرى ) .  
[٣] قتاربا . [٤] أسد . [٥] زرف الرجل إذا سال دمه حتى ينصف . [٦] الصريح الخالص النسب . [٧] زيادة . [٨] كذا في الأصل ، ولم يتقدم الحكم على شيء بالسواد ، فقل الأصل : « ذهين بن زبراء وهي سوداء » . [٩] لا تبعتها - وأعزب يهد وأبعد . [١٠] العقل : الدية ، يقال : عقلت فلانا إذا غرمت دينه ، وعقلت من فلان إذا غرمت عنه دية جناحه . وأرهقته عسرا : كذبه ذك . [١١] فاد يفرود : طاف ( وفاد يهيد : يبحر ) .

تظافروا<sup>(١)</sup> علينا حسداً ، فأجمع ذوو الحِجْجِ منا أن تلحق بأمنع بطن من الأزد ،  
لحقنا بالنَّعْرِ بن عثمان ، فوالله ماقت<sup>(٢)</sup> في أعضادنا ، فأبناعهم ، ولقد أثارتنا<sup>(٣)</sup>  
ساحبتنا وهم راعمون .

فوثب طريف بن العاصي من مجلسه ، فجلس بإزاء الحرث ، ثم قال :  
تالله ما سمعتُ كالْيَوْمِ قولاً أبعدَ من صواب ، ولا أقربَ من خطَل<sup>(٤)</sup> ،  
ولا أَجْلَبَ لَقْدَع<sup>(٥)</sup> ، من قول هذا ؛ والله أيها الملك ما قتلوا بهجيتهم بدَجاً<sup>(٦)</sup> ، ولا  
رَقْوا به دَرَجاً ، ولا أَطْطُوا<sup>(٧)</sup> به عَقْلاً ، ولا أَجْتَفَتْوا<sup>(٨)</sup> به خَشْلاً<sup>(٩)</sup> ، ولقد  
أخرجهم الخوف عن أصلهم ، وأجْلام عن علمهم ، حتى أَسْتَلَنُوا خَشَوْنَ الإِزْجَاجَ ،  
وَجَلَسُوا إِلَى أَضِيقِ الْوِلاجِ<sup>(١٠)</sup> : قُلَّا وَذُلَّا .

فقال الحرث : أَسْمِعْ يا طريف ، إني والله ما إخالك كافاً غَرَبَ<sup>(١١)</sup> لسانك ،  
ولا مُتْنِها<sup>(١٢)</sup> شيرة تَرْوَانِكَ ، حتى أسطوبك سَطَوَةً تَكُفَّ طِمَاحُكَ ، وترد  
جِهاحُكَ ، وتَكْبِتُ تَرْعُكَ<sup>(١٣)</sup> ، وتَقْمَعُ تَمْرَعُكَ .

فقال طريف : مهلاً يا حارث ، لا تَمْرِضْ لَطَحْمَةَ<sup>(١٤)</sup> اسْتِنَانِي ، وَذَرِبْ<sup>(١٥)</sup>  
سِنَانِي ، وَغَرِبْ شِبَابِي ، وَمِيسِمِ<sup>(١٦)</sup> سِبَابِي ، فَتَكُونَ كَالْأَظْلِ<sup>(١٧)</sup> الْمَوْطُوءِ ،  
وَالْعَجَبِ الْمَوْجُوءِ .<sup>(١٨)</sup>

[ ١ ] تظافروا . [ ٢ ] أومن وأشغف . [ ٣ ] أثارت : أدركت منه ثأري ( وأصله اثأري ) . [ ٤ ] خطأ .  
[ ٥ ] الكلام الفج ، أفزع له إذا أسمه كلاماً قبيحاً . [ ٦ ] البج : الخروف ، فارسي ، عرب .  
[ ٧ ] لغة في أعطوا . [ ٨ ] صرعوا . [ ٩ ] الحثل : شغل القتل ( القدم ) وهذه أمثال كلها ، يريد  
أنهم لم ينالوا ثأره . [ ١٠ ] الولا ج الباب ، وجه الوجه ، وهي أيضاً التوسعي والأثرة . [ ١١ ] غرب الشيء حله .  
[ ١٢ ] تبنيها عن الأمر فتبينه كفه وزجره فكف ، والشرة : الحدة ، والذوال : الزوب . [ ١٣ ] التفرغ  
إلى الفر . [ ١٤ ] طحة السيل دفنه ، واستن الفرس قس وعدا المرحة ونشاطه شوطاً أو شوطين ،  
والاستن الفرس جرى في نشاطه على سنته في جهة واحدة . [ ١٥ ] القرب الحدة ،  
وكذا القرب . [ ١٦ ] للكواة . [ ١٧ ] الأظل : أسفل خف البحر . [ ١٨ ] العجب : أصل القنب  
والموجوء المدقوق ( من وجأ القيس : دق عروق خميه بين حجرين ولم يخرجهما ، شيئاً بلصفاً ) .

فقال الحارث: إياي تخاطب بمنى هذا القول؟ فوالله لو وطئتكَ لَأَسْتَحْتَك<sup>(١)</sup>،  
ولو وَهَضْتَك<sup>(٢)</sup> لَأَوْهَطْتَك<sup>(٣)</sup>، ولو فَخَخْتَك<sup>(٤)</sup> لَأَقْدَتَك<sup>(٥)</sup>.

فقال طريف متملاً :

وَإِنْ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي قِيَرِ كُنْهِهِ لَسَكَ التَّبَلُّغُ نَوَى لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا  
أَمَّا وَالْأَصْنَامُ الْحُجُوبَةُ ، وَالْأَنْصَابُ<sup>(٦)</sup> الْمَنْصُوبَةُ ، لَنْ لَمْ تَرْبِغْ عَلَى ظَلَمِكَ<sup>(٧)</sup> ،  
وَتَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ ، لَأَدْعَنَّ حَزَنُكَ مَهْلًا ، وَغَمْرُكَ خَمْلًا<sup>(٨)</sup> ، وَصَفَاكَ<sup>(٩)</sup> وَحَلَا .  
فقال الحارث : أَمَا وَالله لو رُمْتَ ذَلِكَ لَمُرُغْتَ بِالْحَضِيضِ<sup>(١٠)</sup> ، وَأَغْصِصْتَ  
بِالْجَرِيضِ<sup>(١١)</sup> ، وَصَاقَتْ عَلَيْكَ الرَّحَابُ ، وَتَقَطَّعَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ ، وَلَأَلْفَيْتَ  
لَقَى<sup>(١٢)</sup> تَهَادَاهُ الرُّوَامِسُ<sup>(١٣)</sup> ، بِالْمَتْنَبِ الطَّامِسِ .<sup>(١٤)</sup>

فقال طريف : دُونَ مَا نَاجَتْكَ بِهِ نَفْسُكَ ، مُقَارَعَةً أَبْطَالٍ ، وَحِيَايُ  
أَهْوَالٍ ، وَخَفَزَةً<sup>(١٥)</sup> إِنْجَالٍ ، يُتَمَعُّ مَعَهُ تَطَامُنُ الْإِهْتِمَالِ .  
فقال الملك : إِيهَا<sup>(١٦)</sup> عَنُكَمَا ، فَمَا رَأَيْتَ كَالْيَوْمِ مَقَالَ رَجُلَيْنِ لَمْ يَقْصِبَا<sup>(١٧)</sup> ،  
وَلَمْ يَلْبِيا<sup>(١٨)</sup> ، وَلَمْ يَلْصُوا<sup>(١٩)</sup> ، وَلَمْ يَقْفُوا<sup>(٢٠)</sup> . (الأمل ١ : ٧٢)

[١] أساخه : جمعه يسبخ (أو يسوخ في الأرض) أي يتوس . [٢] كسرته .  
[٣] صرعتك صرعة لا تقوم منها . [٤] فقهه بسيفه : تناوله . [٥] الأنصاب : حجارة كانت  
حول الكعبة تصب فيمل عليها ويذبح لئلا يلهي الله تعالى ، وقيل الأنصاب حجارة نصبت وعبدت من دون الله  
جمع نصب ، وقيل النصب جمع نصب . [٦] ربح يربح : كف ، وطلع ظلمًا نمر في منتهى ، واربح على  
ظلمك أي إنك ضعيف فاته ما لا يظيقه وكف . [٧] النمر : الماء الكثير ، والفضل : الماء القليل  
(وكذا الضحاح) . [٨] صفاك : صفاة وهي الحجر الصلد للزخم أو الصفا بمعنى الصفو .  
[٩] أسفل الجبل . [١٠] الجريش : النعسة من الجرش ، وهو الرقي ينس به يقال جرش يجرشه  
يجرش أبطله بالجد على مهووزن ، وفي اللؤلؤ : حال الجريش دون القرين ، يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً  
حين لا ينفع . قاله جوش السكلاي حين منعه أبوه من الشعر فرض جزاً حتى أشرف ، فرق له وقال  
انطلق بما أحببت ، وقال ذلك . [١١] الاتي : للثقي الطروح . [١٢] الروامس : الرياح التي ترمس  
أي تدفن [١٣] المستوى من الأرض ، والنامس . الدارس (كالطاسم) . [١٤] الخنز : النفع .  
[١٥] إيهياً : كلمة زجر بمعنى حسبك (وليه) . أمر . كلمة استراحة واستطراق) . [١٦] لم يتسما .  
قصبه يقصبه إذا وقع فيه وأمله القطع . [١٧] ثلبه : طابه . [١٨] لعاده : قفقه . [١٩] قتاه :  
قفقه بآسر عظيم .

## ٦ - منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين

لَمَّا سَنَّ أَبُو بَرَاءٍ : عامر بن مالك بن جعفر بن مُلَاعِبِ الْأَسَيْتَةِ ، تَنَازَعَ فِي الرِّيَاسَةِ عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وَعَلَقْمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرٍ .

فَقَالَ عَلَقْمَةُ : كَانَتْ لِحَدِي الْأَحْوَصِ ، وَإِنَّمَا صَارَتْ لِمَلِكٍ بِسَبَبِهِ ، وَقَدْ قَعَدَ عَمَكَ عَنْهَا ، وَأَنَا اسْتَرْجَعْتُهَا ، فَأَنَا أَوْلَى بِهَا مِنْكَ ، فَتَشَرَّيْتُ<sup>(١)</sup> الشَّرَّ بَيْنَهُمَا ، وَسَارَا إِلَى الْمَنَافَرَةِ . فَقَالَ عَلَقْمَةُ : إِنْ شِئْتَ نَافِرْتُكَ ، فَقَالَ عامر قَدْ شِئْتُ .

وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَكْرِمُ مِنْكَ حَسَبًا<sup>(٢)</sup> ، وَأُثْبِتُ مِنْكَ نَسَبًا ، وَأَطُولُ مِنْكَ قَصَبًا<sup>(٣)</sup> .  
فَقَالَ عَلَقْمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَنَا خَيْرُ مِنْكَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَقَالَ عامر : وَاللَّهِ لَا أَنَا أَحَبُّ إِلَى نِسَائِكَ أَنْ أَصْبَحَ فِيهِنَّ مِنْكَ ، أَنَا أَنْحَرُ<sup>(٤)</sup> مِنْكَ لِلْقَاحِ<sup>(٥)</sup> ، وَخَيْرُ مِنْكَ فِي الصَّبَاحِ ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ فِي السَّنَةِ الشَّيَاحَ<sup>(٦)</sup> .

فَقَالَ عَلَقْمَةُ : أَنَا خَيْرُ مِنْكَ أَرَا ، وَأَحَدُ مِنْكَ بَصْرًا ، وَأَعَزُّ مِنْكَ نَعْرًا ، وَأَشْرَفُ مِنْكَ ذِكْرًا . فَقَالَ عامر : لَيْسَ لِيَنِ الْأَحْوَصُ فَضْلَ عَلَيَّ بَنِي مَالِكٍ فِي الْعَدَدِ ، وَبَصْرِي نَاقِصٌ ، وَبَصْرُكَ صَحِيحٌ ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكْتُ ، إِنِّي أَتَمَمْتُ مِنْكَ مُثْمَةً<sup>(٧)</sup> ، وَأَطُولُ مِنْكَ قِمَةً ، وَأَحْسَنُ مِنْكَ لِمَةً<sup>(٨)</sup> ، وَأَجْعُدُ مِنْكَ جُمَّةً<sup>(٩)</sup> ،

[١] استطار . [٢] الحسب : ما تدهه من مفاخر آبائك ، أو العرف الثابت في الآباء أو الكرم أو العرف في الفعل أو الفاعل المالح . [٣] القصب : عظام الديدن والرجلين ونحوها كثابة من طول قامت . [٤] الابل : واحدها قروح . [٥] الشياح : القعط . [٦] السمة : القرابة ، ويروي أنا أنحر منك أمة ، أي أكثر قوما . [٧] اللة : للشر المجاوز شحة الأذن .

[٨] مجتمع شر الرأس

وَأَسْرَعُ مِنْكَ رَحْمَةً ، وَأَبْغَدُ مِنْكَ حِمَّةً . فَقَالَ عِلْقَمَةُ : أَنْتَ رَجُلٌ جَسِيمٌ ، وَأَنَا رَجُلٌ قَصِيفٌ <sup>(١)</sup> ، وَأَنْتَ جَمِيلٌ ، وَأَنَا قَبِيحٌ ، وَلَكِنِّي أَنُفَارِكُ بَابَانِي وَأَنْعَمَانِي . فَقَالَ عَامِرٌ : آتَاؤُكَ أَعْمَامِي ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَنُفَارِكْ بِهِمْ ، وَلَكِنِّي أَنُفَارِكُ ، أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ عَقَبًا ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ جَدًّا . فَقَالَ عِلْقَمَةُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَكَ عَقَبًا ، وَقَدْ أَطْعَمْتُ طَبِيبًا ، وَلَكِنِّي أَنُفَارِكُ ، إِنِّي خَيْرٌ مِنْكَ ، وَأَوَّلِي بِالْخَيْرَاتِ مِنْكَ .

فَخَرَجَتْ أُمُّ عَامِرٍ - وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلَامَهُمَا - فَقَالَتْ : يَا عَامِرُ نَافِرُهُ ، أَيَكُمَا أَوَّلِي بِالْخَيْرَاتِ . قَالَ عَامِرٌ : إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرْكَبُ مِنْكَ فِي الْحِمَاةِ ، وَأَقْتُلُ مِنْكَ لِلْكِمَاةِ <sup>(٢)</sup> ، وَخَيْرٌ مِنْكَ لِلْمَوْتَى وَالْمَوَلَاةِ . فَقَالَ لَهُ عِلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَبَرٌّ ، وَإِنَّكَ لِفَاجِرٌ ، وَإِنِّي لَوْلَدٌ ، وَإِنَّكَ لِعَافِرٌ <sup>(٣)</sup> ، وَإِنِّي لَعَفٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَاهِرٌ ، وَإِنِّي لَوَفِيٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَانِدٌ ، فَصِيمٌ تُفَاخِرُنِي يَا عَامِرُ ؟ فَقَالَ عَامِرٌ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا نَزَلَ مِنْكَ لِلْقَفْرَةِ <sup>(٤)</sup> ، وَأَنْمَحْرُ مِنْكَ لِلْبَكْرَةِ <sup>(٥)</sup> ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ لِلْهَبْرَةِ <sup>(٦)</sup> ، وَأَطْعَمْتُ مِنْكَ لِلشَّعْرَةِ . فَقَالَ عِلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَكَلِيلُ الْبَصْرِ ، نَكِيدُ النَّظَرَ ، وَثَابُ عَلَى جَارَاتِكَ بِالسَّحَرِ .

فَقَالَ بَنُو خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَكَانُوا يَدُومُونَ مَعَ بَنِي الْأَحْوَصِ عَلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ - لَنْ تُطِيقَ عَامِرًا ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُ أَنُفَارِكُ بِخَيْرِنَا وَأَقْرَبِنَا إِلَى الْخَيْرَاتِ . فَقَالَ لَهُ عِلْقَمَةُ هَذَا الْقَوْلُ ، فَقَالَ عَامِرٌ : عَيْرٌ <sup>(٧)</sup> وَيَسٌ ، وَيَسٌ ، وَعَنْزٌ . فَذَهَبَتْ مِثْلًا . نَعَمْ ، عَلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ إِلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ يُعْطَاهَا الْحَكَمَ ، أَيُّهَا نَفَرٌ

[١] نحيف من القفف ، وهو النحافة . [٢] جمع كمي ، وهو للتجاع . [٣] رجل عافِر لم يولد له ولد . [٤] القفرة : القفرة . الحلاء من الأرض . [٥] البكرة : القنية من الإبل . [٦] الهبرة : قطعة مجتمعة من اللحم . هبرة قطعة طعام كبارا ، وهبرة من اللحم هبرة قطع فتلعة . [٧] العير : الحمار وغلب على الوحشي ، وهو أقوى من النيس ، أي مثلي وإياك كالنيس والنيس ، أو على الأقل كالنيس والنيس إذ النيس أقوى على التفاح من النيس ، وفي التل : « كان عزرا فاستنيس » أي صار نيسا . يهرب الذليل الضعيف صبيح حزينا غويا .

عليه صاحبة أخرجها ، ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهنًا من أبنائهم على يدي رجل يُقال له خزيمة بن عمرو بن الوحيد ، فسمى « الضمين » .

وخرج علقمة ومن معه من بني خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك ، وجعلا متافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، فلم يقل بينهما شيئًا ، وكره ذلك لخالهما وحال عشيرتهما ، وقال أنتما كركبتى البعير الأذرم <sup>(١)</sup> ، قالاً : فأينا اليمين ؟ قال كلا كما يمين ، وأبى أن يقضى بينهما . فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام فأبى أن يحكم بينهما . وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش . فأتيا عينة بن حصين بن حذيفة ، فأبى أن يقول بينهما شيئًا ، فأتيا غيلان بن سلمة الثقفي ، فردّهما إلى حرملة بن الأشعر المزي ، فردّهما إلى هريم بن قطبة بن سنان الفزاري ، فانطلقا حتى نزلا به ، وقد ساقا الإبل معهما حتى أشدت وأرْبَت ، لا يأتیان أحداً إلا هاب أن يقضى بينهما ، فقال هرم : لعمري لأحكمن بينكما ثم لأفصلن ، فأعطيتاني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتسلما لما قضيت بينكما ، وأمرهما بالانصراف ، ووعدهما ذلك اليوم من قابل ، فانصرفا ، حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه ، وأقام القوم عنده أياماً .

فأرسل هرم إلى عامر قائلاً سرّاً لا يعلم به علقمة ، فقال يا عامر : قد كنت أرى لك رايّاً ، وأن فيك خيراً ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتصرف عن صاحبك ، أتنافر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بأبائه ! فما الذى أمت به خير منه ؟ فقال عامر : نشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة ، فوافقه لئ

[١] دم العظم : وراه اللحم حتى لم ين له حجم ، وامرأة درماه لانتين كسوبا ومراقبا ، وكل ماغناه اللحم واللحم وخفى حبه فقد دم .

فقلت لَا أَفْلَحُ بعدها أبداً . هذه ناصيتي فأجزؤها واحتكم في مالي ، فإن كنت لا بد فاعلا ، فسوّ بيني وبينه ، قال : انصرف ، فسوف أرى رأيي . فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينقره <sup>(١)</sup> عليه ، ثم أرسل إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر ، فأثاه ، وقال له مثل ما قال لعامر ، فرد عليه علقمة بما رد به عامر ، وانصرف وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامراً . ثم إن هرما أرسل إلى بنيه وبني أبيه : إني قاتل غداً بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشرين جزائر ، فليخرجها عن علقمة ، ويطرد بعضكم عشرين جزائر ، ينحرفها عن عامر ، وفرقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة ، وأصبح هرم جالس مجلسه ، وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام هرم فقال : يا بني جعفر ، قد تحاكمتما عندي ، وأنتما كركبتني البعير الأدوم : تقمان إلى الأرض مما ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيد كريم ، وعهد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر ، فنحروها حيث أكرم هرم ، وفرقوا الناس ، ولم يفضل هرم أحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل ، وهما ابنا عم ، فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شراً .

(الأغاني ١٥ : ٥١ ، وصح الأعشى ١ : ٣٨٢ ، وشرح البيهقي ١٠٦ ، والسنة ١ : ٢٨)

## أشراف العرب بين يدي كسرى

قال كسرى <sup>(٢)</sup> لثمان بن النذر يوماً : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال من كانت له ثلاثة آباء متواليين رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكال الزابع ، فأليت من قبيلته فيه ، ويُنسب إليه ، قال فاطلب ذلك ، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة ابن بدر ، وآل حاجب بن زُرارة ، وآل ذي الجذنين ، وآل الأشعث بن قيس بن كِنْدَةَ ،

[١] أكرم عليه وعمره عليه : نفى له طبعه بالنسبة .

[٢] هو كسرى أنوشروان حكم من سنة ٥٣١ إلى ٥٧٨ ميلادية .

فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشارهم ، وأحمد لهم الحكم والعدل ، وقال : ليتكم كل منكم بآثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر الفزاري أوّل متكلم ، وكان ألسن القوم ، قال :

## ٧ - مقال حذيفة بن بدر الفزاري

« قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعزّ الأعظم ، ومأثرة<sup>(١)</sup> للصنيع الأكرم ، فقال من حوله : ولمّ ذلك يا أبا فزارة ؟ فقال : ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعزّ الذي لا يضام ، قيل صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فَزَارَةُ بَيْتُ الْعِزِّ ، وَالْعِزُّ فِيهِمْ      فَزَارَةُ قَيْسٍ ، حَسْبُ قَيْسٍ نِصَالُهَا  
لَهَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ وَالْحَسْبُ الَّذِي      بَنَاهُ لِقَيْسٍ فِي الْقَدِيمِ رِجَالُهَا  
فِيهِمَا قَدَأُمِيَا الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ      مَا تَرُّ قَيْسٍ تَجِدُهَا وَفَعَالُهَا  
وَهَلْ أَحَدٌ إِنْ هَزَّ يَوْمًا بِكَفِّهِ      إِلَى الشَّمْسِ فِي تَجْرِى النُّجُومِ يَنَالُهَا  
فَإِنْ يَصْلُحُوا يَصْلُحْ لِدَاكَ جَمِيعُهَا      وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ مِنَ النَّاسِ عَالُهَا

## ٨ - مقال الأشعث الكندي

ثم قام الأشعث الكندي - وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة ونعيم لقرايته من النعمان بن المنذر - فقال : قد علمت العرب أنا تقاتل عديدها الأكثر ، وزحفها الأكبر ، وإنا لنبيات الكرميات ، ومعدن المكرمات ، قالوا : ولمّ يا أبا كندة ؟ قال : لأننا ورثنا ملك كندة ، فاستظللنا بأقيانته<sup>(٢)</sup> ، وتقلدنا منسكبة الأعظم ، وتوسطننا بمجبوحة الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال :

إِذَا قَسَتْ آيَاتُ الرِّجَالِ يَدَيْنَا      وَجَدَتْ لَنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ يَفَاخِرُ

[١] المأثرة بالنسج والضم : للمكرمة المتواردة . [٢] جمع قه وهو ما كان شمساً فينسخه الظل .

فَنَ قَالَ كَلَّا ، أَوْ أَنَا بِمُحْطَةٍ يُتَأَفَّرُونَ فِيهَا فَتَحَنَّنْ مُخَاطِرُ  
تَعَالَوْا قِفُوا كَيْ يَلْعَبَ الْفُتَيَانُ لَهُ الْفَضْلُ فِيمَا أَوْرَثَهُ الْأَكْبَرُ

## ٩ - مقال بسطام الشيباني

ثم قام بسطام الشيباني ، فقال : قد علمت العرب أنا بناء بيتها الذي  
لا يزول ، ومغرم عزها الذي لا يحول ، قالوا ولم يا أخا شيبان ؟ قال لأننا  
أدركهم النار ، وأضربهم للملك الجبار ، وأقومهم للحكم ، وألذمهم للخيم ،  
ثم قام شاعرهم ، فقال :

لَعَمْرِي بَسْطَامُ أَحَقُّ بِفَضْلِهَا      وَأَوَّلُ بَيْتِ الْمَرْزُوقِ الْقِبَالِ  
فَسَائِلُ - أُبَيْتِ الْإِمْنِ - عَنْ عِزِّ قَوْمِهَا      إِذَا جَدَّ يَوْمَ الْفَخْرِ كُلُّ مُنَاقِلٍ <sup>(١)</sup>  
أَلَسْنَا أَعَزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَنُصْرَةً      وَأَضْرِبُهُمُ لِلْكَبْشِ بَيْنَ الْقِبَالِ <sup>(٢)</sup>  
وَقَائِعُ غُرٍّ كُلُّهَا رَبِيبَةٌ      تَذِلُّ لَهَا عِزًّا رِقَابُ الْمُحَافِلِ  
إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ يَنْكُرِ النَّاسُ فَضْلَهَا      وَعَازَ بِهَا مِنْ شَرِّهَا كُلِّ وَائِلٍ <sup>(٣)</sup>  
وَمَا نَا مُلُوكُ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ      إِذَا تَزَلَّتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الزَّلَازِلِ

## ١٠ - مقال حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التيمي ، فقال : قد علمت ممد أنا فرع <sup>(١)</sup> دَعَاةِيهَا ،  
وَقَادَةُ رَحْفِيهَا ، قالوا : ولم ذلك يا أخا بني تميم ، قال : لأننا أكثر الناس عديدا ،  
وأنجبهم طرا وليدا ، وأنا أعطام للعزير ، وأتمهلهم للثقل ، ثم قام  
شاعرهم ، فقال :

[١] أبيت اليم : تحية في الجاهلية ، أي أبيت أن تأتي أمرا تلم عليه . وللناقة في النطق : أن تحدث  
آخر ويمدك . [٢] الكبش : سيد القوم وقادهم . [٣] لاجيء ، من وآل إليه يمل وألا .  
[٤] نوع كل شيء : أعلام .

لقد علمت أبناء خنْدَف أننا لنا العزُّ قَدْماً في الخطوب الأوائل <sup>(١)</sup>  
 وأنا كِرَامُ أَهْلِ مَجْدٍ وَرَوْفٍ وَعِزٍّ قديم ليس بالمتضائل  
 فكم فيهم من سيد وابن سيدٍ أَغْرَ نَجِيبٍ ذِي فَعَالٍ وَنَائِلٍ <sup>(٢)</sup>  
 فسائل (أَيَنْتَ اللعن) عنا فانا دعائهم هذا الناس عند الجلائل <sup>(٣)</sup>

## ١١ - مقال قيس بن عاصم السعدي

ثم قام قيس بن عاصم السعدي، فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في  
 المكرمات دعائهم، وأثبتهم في النائبات مقاديرهم، قالوا : ولم ذاك يا أبا بني سعد ؟  
 قال : لأننا أذكركم للشار، وأمنعهم للجبار، وأنا لا ننكُل <sup>(١)</sup> إذا حَمَلْنَا ،  
 ولا نُرَام إذا حَلَلْنَا، ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمت قيسٌ وَخِنْدَفُ أننا وَجُلُّ تيمم والجميع الذي ترى <sup>(٢)</sup>  
 بأننا حمادٌ في الأمور وأنا لنا الشرف الضخم المركب في الندى  
 وأنا ليوثُ الناس في كل مآزق إذا جُزَّ بالبيض الجماجم والطلا <sup>(٣)</sup>  
 فمن ذا ليوم الفخر يَمْدِلُ عاصماً وقيساً إذا رَتَّ أُلُوفٌ إلى الملا  
 فبهيات قد أعيا الجميع فمألهم وقاموا يوم الفخر مسعاة من سمي  
 فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه، وأسنى حياهم،  
 وأعظم صلاتهم، وكرم مأبهم . (صبح الأمتى ١ : ٢٧٧)

[١] خندف : هو أم مبركة وطابحة وقمة أبناء الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

[٢] الفصل : اسم الفضل الحسن، والكرم . [٣] أي الأمور الجلائل جمع جليلة .

[٤] لا تنكس ولا نجين . [٥] قيس بن حيلان بن مضر . [٦] الطلا : جمع طليعة ،

وهي السق .

## وفود العرب على كسرى

قدم النعمان بن النضر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى - وأخذته عزة اللك - يا نعمان ، لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يقدم على من وفود الأمم ، فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألقمتها ، وعظم سلطانتها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ، وبرد سفيها ، وقيم جاهلها ، ورأيت الهند نخوا من ذلك في حكمتها وطبها ، نفع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ، وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفروسياتها ومهتها في آلة الحرب ، وصناعة الحديد ، وأن لها ملوكاً يجمعها ، والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في اللماش ، وقلة الرّيف <sup>(١)</sup> ، والتمار والحصون ، وما هو رأس عمارة الدنيا من اللماكن والملابس ، لهم ملوك تقيم قواصيمهم ، وتدبر أمرهم ، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوة ، ومع أن مما يدل على مهانتها وذلها ، وصغر مهتها يحثتهم <sup>(٢)</sup> التي هم بها مع الوحوش النافرة ، والطير الخائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولموها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الابل ، التي يباعها كثير من السباع ، لثقلها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وإن قرى أحدهم ضيفاً عدّها مكربة ، وإن أطعم أكلة عدّها غنية ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التتوخيّة التي أسس جدّى اجتماعها ، وشدّ مملكتها ، ومنعها من عدوّها ، فجري لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن لها مع ذلك آثاراً ولَبَوساً <sup>(٣)</sup> ، وقرى وحصونا ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس - يعني اليمن - ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من القلّة والقِلّة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن

[١] الرّيف : أرض فيها زرع وخبث و السمة في اللأكل والشرب . [٢] حل الكلال وبه يحل بالكبر والضم . [٣] اللّرع . .

تنزلوا فوق مراتب الناس ، قال النعمان : أصلح الله الملك . حَقَّ<sup>(١)</sup> لأمة للملك منها أن يسمو فضلها ، ويمظم خطيئها ، وتملو درجتها ، إلا أن عندى جواباً فى كل ما نطق به الملك ، فى غير ردِّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمتنى من غضبه نطقت به ، قال كسرى : قل فانت آمن .

## ١٢ - خطبة النعمان بن المنذر

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك ، فليست تتأزغ فى الفضل ، لموضعا الذى هى به : من عقولها وأحلامها ، وبسطة عملها ، ومحبوبة عزها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأم التى ذكرت ، فأى أمة تقرُّنُها بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى بماذا ؟ قال النعمان : بيزها ، ومنعتها ، وحسن وجوهها ، وبأسها ، وسخائها ، وحكمة ألسنتها ، وشدة عقولها ، وأتنتها ، ووفائها . فأما عزها ومنعتها ، فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يقطع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، إذ غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حسن وجوهها وألوانها ، فقد يُعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم : من الهند المنحرفة ، والصين المنخفضة ، والترك المشوَّهة ، والروم المقشَّرة .

وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها ، حتى إن أحدهم يُسأل عن وراء أیه دنيًا<sup>(٢)</sup> ، فلا ينسبه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب إلا يسمى آباءه أبا قابا ، حاطوا بذلك

[١] حق لك أن تعمل كذا وحقق أن عمله بمعنى . [٢] هو ابن عمى دنيًا بضم الهمزة وكسرهما مع النون ، ويكرها بلا تنوين : أى ملا .

أَخْسَابُهُمْ ، وَحَفِظُوا بِهِ أَنْسَابَهُمْ ، فَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ ، وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ نَسَبِهِ ، وَلَا يُدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ .

وَأَمَّا سَخَاوُهَا ، فَإِنْ أَدْنَاهُمْ رَجُلًا ، الَّذِي تَكُونُ عِنْدَهُ الْبِكْرَةُ وَالنَّابُ<sup>(١)</sup> ، عَلَيْهَا بَلَاغُهُ<sup>(٢)</sup> فِي حُمُولِهِ<sup>(٣)</sup> وَشَبَعِهِ وَرَبِّهِ ، فَيَطْرُقُهُ الطَّارِقُ ، الَّذِي يَكْتَنِي بِالْفِلْدَةِ<sup>(٤)</sup> ، وَيَحْتَذِي بِالشَّرْبَةِ ، فَيَسْقُرُهَا لَهُ ، وَيَرْضَى أَنْ يُخْرِجَ عَنْ دِيَارِهِ كُلَّهَا فِيمَا يَكْسِبُهُ حَسَنُ الْأَحْدُوثَةِ وَطِيبُ الذِّكْرِ .

وَأَمَّا حِكْمَةُ أَلْسِنَتِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَرَوْنَقِ كَلَامِهِمْ ، وَحَسَنَهُ وَوزَنَهُ وَقَوَافِيهِ ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمُ الْأَشْيَاءَ ، وَضَرْبِهِمُ لِلْأَمْثَالِ ، وَإِبْلَاغِهِمْ فِي الصِّفَاتِ ، مَا لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ أَلْسِنَةِ الْأَجْنَاسِ ، ثُمَّ خِيَلَهُمْ أَفْضَلُ الْخَيْلِ ، وَنَسَاوَهُمْ أَغْفَ النِّسَاءِ ، وَإِبَاكُهُمْ أَفْضَلُ اللَّبَاسِ ، وَمَعَادِنُهُمُ النَّمْبُ وَالْقَضَةُ ، وَحِجَارَةُ جِبَالِهِمُ الْجَزْعُ<sup>(٥)</sup> ، وَمَطَايَاهُمُ الَّتِي لَا يَبْلُغُ عَلَى مِثْلِهَا مَسْفَرٌ ، وَلَا يَقْطَعُ بِمِثْلِهَا بِلَدٌ قَفَرٌ .

وَأَمَّا دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا ، فَإِنَّهُمْ مَتَسَكُونُونَ بِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نَسَبِهِ بَسِينَهُ أَنْ لَهُمْ أَشْهَرًا حَرَمًا ، وَبِلَدًا مُحَرَّمًا ، وَبَيْتًا مَحْجُوجًا ، يَنْسُكُونَ فِيهِ مَنَاسِكَهُمْ ، وَيَذْبَحُونَ فِيهِ ذَبَائِحَهُمْ ، فَيَتَلَقَّى الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَخْذِ ثَارِهِ ، وَإِدْرَاكِ رَغْمِهِ<sup>(٦)</sup> مِنْهُ ، فَيَحْجُزُهُ كَرَمُهُ ، وَيَمْنَعُهُ دِينُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى .

[١] الناقة : للسهة . [٢] البلاغ : الكفاية . [٣] المول والأحوال جمع مول . [٤] القطعة من الشيء . [٥] الجزع ويكرس المرزلياني العيني ، فيه سواد ويبيض ، تقيه به العيون . [٦] القتل .

وأما وقاؤها ، فإن أحدم يَلْحَظُ اللحظة ، وَيُجِئُ الإِيماءَ ، فهي وَلَتْ<sup>(١)</sup> وعقدة ، لا يَحْمِلُهَا إِلَّا خُرُوجُ نَفْسِهِ ، وإن أحدم يرفع عوداً من الأرض فيكون رَهْناً بِدَيْنِهِ ، فَلَا يَمْلُكُ<sup>(٢)</sup> رَهْنُهُ ، وَلَا تُخْفَرُ<sup>(٣)</sup> ذِمَّتُهُ ، وإن أحدم ليلينه أن رجلاً استجار به ، وعسى أن يكون نائياً عن داره ، فيصلب ، فلا يرضى حتى يُفْتَيَ تلك القبيلة التي أصابته ، أو تَقَى قِيْلَتَهُ ، لما أَخْفَرَ من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المُحْدِثُ ، من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك يَشْدُونَ أولادهم ، فَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ من يفعلُه منهم بالإناث أُنْفَقَ من العار ، وَغَيْرُهُ من الأزواج .

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل - عَلَى ما وصفت منها - فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً لها ، فَمَعَدُوا إِلَى أَجْلِهَا وَأَفْضَلُهَا ، فكانت مراكبهم وطعامهم ، مع أنها أكثر البهائم شجوماً ، وأطيبها لحوماً ، وَأَرْثَمُهَا أَلْبَاناً ، وَأَقْلَمُهَا غَائِلَةً<sup>(٤)</sup> ، وَأَحْلَاهَا مَضْغَةً ، وإنه لا شيء من الثَّخْمَانِ يُعَالَجُ مَا يُعَالَجُ بِهِ لِحْمُهَا إِلَّا اسْتَبَانَ فَضْلُهَا عَلَيْهِ .

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً ، وتركهم الانقيادَ لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ من يفعلُه من الأمم إِذَا أُسِستَ من نفسها ضَعْفًا ، وتخوفت مُهْوَضَ عَدُوِّهَا إِلَيْهَا بِالزَّحْفِ ، وإنه إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَلِكَةِ الْعَظِيمَةِ أَهْلُ بَيْتٍ وَاحِدٍ ، يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ غَيْرِهِمْ ، فَيَلْتَقُونَ إِلَيْهِمْ أُمُورُهُمْ ،

[١] عهد . [٢] غلق الرهن : استنقه للرتين ، وذلك إِذَا لم يَنْطَلِقَ في الوقت للشروط .

[٣] خفَر به وأخْفَره : قضى عهده وغدده . [٤] شرأ :

وينقادون لهم بأزمتههم ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين ، مع أنفتهم من أداء الخراج والوطث<sup>(١)</sup> بالأسف .

وأما اليمن التي وصفها الملك ، فإنما أتى جد الملك إليها الذي<sup>(٢)</sup> أتاه ، عند غلبة الحبش له ، على ملك مَتيق ، وأمر مجتمع ، فأناه مسلوباً طريداً مستصرخاً ، ولولا ما وُتر به من يله من العرب ، لمال إلى مجال ، ولوجد من يبيد الطعان ، وينضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار .

فعجب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لاهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليك ، ثم كساه من كسوته ، وسرّحه إلى موضعه من الحيرة .

فلما قدم النعمان الحيرة ، وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، من تنقص العرب ، وتهجين<sup>(٣)</sup> أمرهم ، بعث إلى أكرم بن صَفيّ ، وحاجب بن زُرارة التميميين ، وإلى الحرث بن عبّاد ، وقيس بن مسعود البكرين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعقمة بن غلانة ، وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرون معديكرب الزبيدي ، والحارث بن ظالم المرّي ، فلما قدموا عليه في الخوّرق ، قال لهم : قد عرفتم هذه الأعاجم ، وقُرب جِوار العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات ، تخوّفت أن يكون لها غور ، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خوفاً ، كبعض طماطمته<sup>(٤)</sup> ، في تأديتهم الخراج إليه<sup>(٥)</sup> ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ، فاقصص عليهم مقالات

[١] الوطث : الضرب الشديد بالرجل على الأرض . [٢] هوسيف بن ذي يزن . [٣] تهجين واستهجان ، والمجبة من الكلام ما يبيبه . [٤] وجن طمطم وططمى « بكسر الطاءين » وططمطن « بضمها » : في لسانه نجبة . [٥] كان الفرس يفتون عرب الحيرة من دفع الأذوة مقابل أن يقروا بحماهم من كل غارة من نواحيهم .

كسرى ، وما ردّ عليه ، فقالوا: أيها الملك ، وفقك الله ! ما أحسن ما رددت ! وأبلغ ما حججته به ! فرنا بأمرك ، وادعنا إلى ماشئت . قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وعزّزت بكمائكم ، وما يتخوّف من ناحيتكم ، وليس شيء أحبّ إليّ مما سدّد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزّكم ، والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ، ايعلم أن العرب على غير ما ظنّ ، أو حدّثه نفسه ، ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه ، فإنه ملك عظيم الساطان ، كثير الأعوان ، مترّف ، متعجّب بنفسه ، ولا تنزلوا <sup>(١)</sup> له انخزال الخاضع الذليل ، وليكن أمر بين ذلك ، تظهر به وثاقة حلومكم ، وفضل منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أوّل من يبدأ منكم بالكلام أكرم بن صفي ، ثمّ تابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتم بها ، فإنما دعائي إلى التقدمة إليكم ، على بيل كل رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكون ذلك منكم ، فيجد في آدابكم مطعنا ، فإنه ملك مترّف ، وقادر مُسلّط ، ثمّ دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك ، كل رجل منهم حلة ، وعمّمة عمامة ، وخنّمة ياقوتة ، وأمر لكل رجل منهم بنجية مبرّية <sup>(٢)</sup> وفرس نجية ، وكتب معهم كتابا : « أما بعد : فإن الملك أتى إلى من أمر العرب ما قد علم ، وأجبت بما قد فهم ، مما أحييت أن يكون منه على علم ، ولا يتلجّج في نفسه أن أمة من الأمم انتى احتجرت دونه بملكيتها ، وحتّ ما يليها بفضل قوتها ، تبلغها في شيء من الأمور ، التي يعمّز بها ذوو الحزم والقوّة والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت أيها

[١] الانخزال : مشية في تناقل . [٢] النجيب : البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين ، والمهرة : ناقة إلى مائة بن حيدان ، حتى تنسب إليه الإبل النجبة .

الملك رهطاً من العرب ، لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ،  
فليسمع الملك ، وليتخضع عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، وليكرمني يا أكرامهم ،  
وتجيب سراحهم ، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائرم .

تفرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب  
النعمان ققرأه ، وأمر بإترائهم إلى أن يجلس لهم مجلسا يسع منهم ، فلما أن كان  
بعد ذلك بأيام ، أمر مرزبانته <sup>(١)</sup> ووجوه أهل مملكته ، فحضرُوا وجلسوا على  
كراسي ، عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء <sup>(٢)</sup> والراتب التي وصفهم النعمان  
بها في كتابه ، وأقام الترجان <sup>(٣)</sup> ليؤدى إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام .

### ١٣ - خطبة أكرم بن صيفي

فقام أكرم بن صيفي فقال :

« إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعا ،  
وخير الأزمنة أخسبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب  
مهوأة ، والشر حاجة <sup>(٤)</sup> ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطيء ، آفة  
الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور العسير ، حسن الظن ورطة ،  
وسوء الظن عسبة ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي ، من  
فسدت بطائنته كان كالفاس بالياء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من  
خافه البريء ، المرء يعجز <sup>(٥)</sup> للمخالة <sup>(٦)</sup> ، أفضل الأولاد البررة ، خير الأعوان

[١] جن مرزبان ، بفتح الميم وضم الزاي ، هو الرئيس من الفرس . [٢] التاج والتواي ،  
مصدر وال . [٣] ترجان : بفتح التاء وضم الجيم وبضمها وبفتحها . [٤] أي أصله الحاجة ،  
وهي تحملك الحصين وتماضيها . [٥] من يئز ضرب وسرع . [٦] افالة : الحيلة .

من لم يراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسدت سريره ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شرر مماغه ، الصمت حكم<sup>(١)</sup> وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدد نقر ، ومن تراخى تألف .  
فمجب كسرى من أكرم ، ثم قال : ويحك<sup>(٢)</sup> يا أكرم ما أخذك وأوتق كلامك ! لولا وضعك كلامك في غير موضعه . قال أكرم : الصدق ينيء عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكني . قال أكرم : رب قول أنفذ من صول .

#### ١٤ - خطبة حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال :

« وَرَى<sup>(٣)</sup> زَنَكَ ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سُلْطَانِكَ ، إِنَّ الْعَرَبَ أُمَّةٌ قَدْ غَلُظَتْ أَكْبَادَهَا ، وَاسْتَحْصَدَتْ<sup>(٤)</sup> مَرْتَمَهَا ، وَمُنِعَتْ دِرَّتَمَهَا<sup>(٥)</sup> ، وَهِيَ لَكَ وَامِقَةٌ مَا تَأَلَّفَتْهَا ، مُسْتَرْمَلَةٌ مَا لَا يَنْتَهَا ، سَامِعَةٌ مَا سَاعَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلَقَمُ مَرَارَةٌ ، وَالصَّابُ<sup>(٦)</sup> غَضَاضَةٌ<sup>(٧)</sup> ، وَالْعَسَلُ حَلَاوَةٌ ، وَالْمَاءُ الزُّلَالُ<sup>(٨)</sup> سَلَاسَةٌ<sup>(٩)</sup> ، نَحْنُ وَفُودُهَا إِلَيْكَ ، وَالسَّنْبَةُ لَدَيْكَ ، ذِمَّتُنَا مُحْفُوظَةٌ ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوعَةٌ ، وَعِشَائِرُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مَطْبِيعَةٌ ، إِنْ تَوَّبَ لَكَ حَامِدِينَ خَيْرًا ، فَلَكَ بِذَلِكَ عُمُومُ مُحَمَّدَنَا ، وَإِنْ نَذُمَ<sup>(١٠)</sup> لَمْ تُخْصَ بِالنِّمِ دُونَهَا . »

[١] الحكم : الحكمة ( وأقينه الحكم صبياً ) . [٢] ويح : كلمة رجة ، ( وويل : كلمة منقلب ) ، وتيلها بمعنى واحد . [٣] ورى الزند يفتح الزاء وكسرهما ورياً وريه فهو وار وورى : خرجت ناره . وأوريته وورىه واستورته ، والزند : السود الذي يقدح به النارجه زناد وأزند وأزاد . [٤] استحصد الجبل : استحكم ، ولزاد : طاعة الجبل ، والقوة : العقل . كتابة من قوتهم . [٥] العرة : الذين كانوا . [٦] صابرة : شجر من . [٧] هي احتمال المكروه . والله واللحظة . [٨] ماء زلال : سريح المر في الحلق بلود غيب صاف سهل سلس . [٩] سهولة . الطلس سهل العين المتقاد .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حجر التلأل بالوان صخرها ، قال حاجب :  
بل زئير الأسد بصوتها ، قال كسرى : وذلك .

## ١٥ - خطبة الحارث بن عباد

ثم قام الحارث بن عباد البكرى ، فقال :

دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سناها ، من طال وشاؤه <sup>(١)</sup> ،  
كثرت منته <sup>(٢)</sup> ، ومن ذهب ماله ، قل منته . تناقل الأقاويل يعرف اللب ،  
وهذا مقام سيوف <sup>(٣)</sup> بما ينطق به الركب ، وتعرف به كنهنا لنا العجم  
والرب ، ونحن جيرانك الأدون ، وأعوانك المينون ، خيولنا جمّة ، وجيوشنا  
نخمة ، إن استجدتنا فغير رُبُض <sup>(٤)</sup> ، وإن استطرقنا <sup>(٥)</sup> فغير جُفُض <sup>(٦)</sup> ، وإن  
طلبنا فغير غُمُض <sup>(٧)</sup> ، لا ننتي لنغر ، ولا تننكر لدر ، وماحنا طوال ،  
وأعمارنا قصار .

قال كسرى : أنفس عزيزة ، وأمة ضعيفة ، قال الحارث : أيها الملك وأني  
يكون لضعيف عزّة ، أو لضعيف مرّة ! قال كسرى : لو قصر عمرك ، لم تستول  
على لسانك نفسك . قال الحارث : أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على

[١] الرشاء : الجبل . [٢] النخ : نزع الماء من البئر . [٣] وجف الفرس والبعر عدا ،  
وأوجته : أعديه . يقال : أوجف فأجف ( فإ أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ) أي ما أمتم .  
[٤] يقال : رجل رُبُض من الخيل لا يبيض فيها ، وهو هنا جمع دِوُض بالفتح من رُبِضَتِ الشاة  
كبركت الناقة أي لا تبيض من بصرتك ولا تحجم . [٥] استطرقه خلا : طلبه منه ليضرب في إلهه هذا  
هو الأصل ، والمراد استمت بنا . [٦] أجمعت الناقة والمرأة ولدها أجمعته ناس الخلق ، والقط :  
جبهض ، وجهه يبيض ، أي أن خلا إذا ضرب النياق ( تكبها ) لم تأت بجبهض بل تنجج ، والمراد أنه  
إن استجد بهم أضر ذلك الاستجداد ولم يجب . [٧] من الغمض ، وهو النوم ، يقال ما غمضت ،  
ولا أغمضت ، ولا اغضضت ، فأوصف من الأول غامض ، والبالغة غموض ، والجمع غمض أي فلا نام  
عن بصرتك .

الكتيبة مُرَّرًا بِنَفْسِهِ عَلَى الْمَوْتِ ، فَهِيَ مَيَّةٌ اسْتَقْبَلَهَا ، وَحِينَئِذٍ اسْتَدْبَرَهَا ،  
وَالْعَرَبُ تَقْلَمُ أَنَّى أَبْثُ الْحَرْبَ قُدُّمًا <sup>(١)</sup> ، وَأَجْبَسَهَا وَهِيَ تَصَرَّفُ بِهَا ، حَتَّى إِذَا  
جَاشَتْ نَارُهَا ، وَسَعَرَتْ لَظَاهَا ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا ، جَعَلْتُ مَقَادَهَا رُمْحِي ،  
وَبَرَقَهَا سِنِي ، وَرَعَدَهَا زَيْبِي ، وَلَمْ أَقْصُرْ عَنْ خَوْضِ خَضْخَضِهَا <sup>(٢)</sup> ، حَتَّى  
أَنْقَمَسَ فِي غَمَرَاتِ لُجْبِهَا ، وَأَكُونُ فُلُكًا لِفِرْسَانِي إِلَى مُجْبُوحَةِ كِبَشِهَا <sup>(٣)</sup> ،  
فَاسْتَمَطَرَهَا دَمًا ، وَأَتْرَكَ هَمَّهَا جَزَرَ <sup>(٤)</sup> السَّبَاعِ وَكُلَّ نَسْرِ قَشَمٍ <sup>(٥)</sup> . ثُمَّ قَالَ  
كَسْرَى لِمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْعَرَبِ : أَمْ كَذَلِكَ هُوَ ؟ قَالُوا : فَهَالِهِ أَنْطَقَ مِنْ لِسَانِهِ .  
قَالَ كَسْرَى : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَفَدًّا أَحْشَدَ ، وَلَا شَهودًا أَوْفَدَ .

## ١٦ - خطبة عمرو بن الشريد

ثمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ الشَّرِيدِ السُّلَمِيُّ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا الْمَلِكُ ، نَعِمَ بِكَ ! وَدَامَ فِي السُّرُورِ حَالُكَ ! إِنْ عَاقَبَةُ الْكَلَامِ مُتَدَبِّرَةٌ ،  
وَأَشْكَالُ الْأُمُورِ مُتَعَبِّرَةٌ ، وَفِي كَثِيرٍ ثِقَلَةٌ ، وَفِي قَلِيلٍ بُلْغَةٌ ، وَفِي الْمُلُوكِ سُورَةٌ <sup>(١)</sup> الْعَزْزِ ،  
وَهَذَا مُنْطِقٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، شَرُفَ فِيهِ مَنْ شَرُفَ ، وَخَلَّ فِيهِ مَنْ خَلَّ ، لَمْ نَأْتِ لَضِيكَ ،  
وَلَمْ نَقْدِ لِسَخَطِكَ ، وَلَمْ تَعْرِضْ لِرِفْدِكَ <sup>(٢)</sup> إِنْ فِي أَمْوَالِنَا مُتَقَدَّرٌ <sup>(٣)</sup> ، وَعَلَى عِزِّنَا  
مُتَمَتَّدٌ ، إِنْ أَوْزَيْنَا <sup>(٤)</sup> نَارًا أَتَمَّ بِنَا ، وَإِنْ أَوْدَ <sup>(٥)</sup> دَهْرُنَا اعْتَدَلْنَا ، إِلَّا أَنَا مَعَ هَذَا  
لِجَوَارِكَ حَافِظُونَ ، وَلِمَنْ رَامَكَ كَاخُونٌ ، حَتَّى يُحْمَدَ الصَّدْرُ <sup>(٦)</sup> وَيُسْتَطَابَ الْخَبْرُ » .

[١] التمدد : المضي أمام ألام ، وهو يعنى التقدم : إذا مضى في الحرب . والتقدم : التقدم الشجاع . وفي الحديث « طوي لبد منير قدم في سبيل الله » . [٢] الخضاخض : تخط أسود ورفيق تها به الابل الجرب ( وله خضاخضها ) يضم الماء ، والخضاخض : المكان الكثير الماء . [٣] سيد القوم وقادهم . [٤] أى قطعا . [٥] من . [٦] سورة الجيد أثره وعظمته ، وسورة السلطان - سطوته ( والسورة المنزلة ) بالقلم . [٧] الرذ : المطاء . [٨] انشد البراهم قبضا . [٩] أوفدنا . [١٠] أعوج . [١١] الرجوع .

قال كسرى : ما يقوم قصدُ منطقِك بإفراطك ، ولا مدْحُكَ بذمِّك ، قال عمرو : كفى بقليلِ قصدي هاديا ، وبأيسرِ إفراطِي مُخْبِرا ، ولم يَلَمْ مَنْ غَرَبَتْ نفسه عما يعلم ، ورضى من القصد بما بلغ . قال كسرى : ما كل ما يعرف المرء ينطق به . اجلس .

## ١٧ - خطبة خالد بن جعفر الكلابي

ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال :

« أحضر الله الملك إسماعداً ، وأرشدته إرشاداً ، إنَّ لكل منطقَ فُرْصة ، ولكل حاجة غُصَّة ، وعيُّ المنطق أشد من عيِّ السُّكوت ، وعِثارُ القول أنكَأ<sup>(١)</sup> من عِثارِ الوعث<sup>(٢)</sup> . وما فُرْصة المنطق عندنا إلَّا بما نهوى ، وغُصَّة المنطق بما لانهوى غيرَ مستساغة<sup>(٣)</sup> ، وتركى ما أعلم من نفسي ، وتسلَّم من تمنى أنى له مطيق ، أحب إلَّيَّ من تكلفى ما أتخوف ويتخوف منى ، وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان ، وهو لك من خير الأعوان ، ونِعَمَ حاملِ المعروف والإحسان ، أنفسنا بالطاعة لك باخعة<sup>(٤)</sup> ، ورقابتنا بالنصيحة خاضعة ، وأيدينا لك بالوفاء رهينة . »

قال له كسرى : نطقت بعقل ، وسمرت بفضل ، وعلوت ببُئيل .

## ١٨ - خطبة علقمة بن علاثة العامري

ثم قام علقمة بن علاثة العامري فقال :

« تَهَجَّتْ<sup>(٥)</sup> لك سبيل الرشاد ، وخَصَّصَتْ لك رقاب العباد ، إن للأقاويل

[١] نكأ المسمو ونكاه نكاية : قتل وجرح ، وأنكأ : أى أشد نكاية وهماً . [٢] الوعث : المكان السهل الدسم تيب فيه الأقدام والطريق السمر . [٣] أساغ النعمة اجلعها ، وساغ الشراب : سهل مدخله الخلق . [٤] خاضعة ومقرة ، ينجح لخلق أثر به وخضع له . [٥] وضعت .

مناهج ، وللآراء مَوَالج<sup>(١)</sup> ، وللعويعن غنارج ، وخير القول أصدقه ، وأفضل  
الطلب أنجحهُ ، إنا وإن كَانَتِ المحبة أحضرتنا ، والوفادة قرَّبَتنا ، فليس من  
حضرِكَ منا بِأَفْضَلِ مِمَّنْ عَزَبَ عَنْكَ ، بل لَوْ قِسْتَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَهَلَيْتَ  
منهم ما علمنا ، لو جَدْتَ لَهُ فِي آبَائِهِ دُنْيَا ، أُنْدَادًا وَأَكْفَاءَ ، كُلُّهُمْ إِلَى الْفَضْلِ  
منسوب ، وبالشرف والسُّؤْدُود<sup>(٢)</sup> موصوف ، وبالرأى الفاضل والأدب النافذ<sup>(٣)</sup>  
معروف ، يَحْمِي حِمَاهُ ، وَيُرْوِي نَدَامَاهُ<sup>(٤)</sup> ، وَيَذُودُ أَعْدَاهُ ، لَا تَحْمَدُ<sup>(٥)</sup> نَارَهُ ،  
وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارَهُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَنْ يَبْلُغُ الْعَرَبَ يَتَرَفَّ فَضْلُهُمْ ، فَاصْطَنِعْ<sup>(٦)</sup>  
العرب ، فَإِنَّهَا الْجِبَالُ الرَّوَاسِي عِزًّا ، وَالْبُحُورُ الْوَاخِرُ طُمِيًّا<sup>(٧)</sup> ، وَالنَّجُومُ الزَّوَاهِرُ  
شَرَفًا ، وَالْحَصَى عِدْدًا ، فَإِنْ تَرَفَّ لَهُمْ فَضْلُهُمْ يَبْزُوكَ ، وَإِنْ تَسْتَصْرِخُهُمْ<sup>(٨)</sup>  
لَا يَخْذُلُوكَ .

قال كسرى - وخشي أن يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه - حَسْبَكَ  
أَبْلَغْتَ وَأَحْسَنْتَ !

## ١٩ - خطبة قيس بن مسعود الشيباني

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني ، فقال :

« أَطَابَ اللَّهُ بِكَ الْمَرَادُ ! وَجَنَّبَكَ الْمَصَائِبَ ! وَوَقَّكَ مَكْرُوهَ الشَّصَائِبِ<sup>(١)</sup> !

[١] مغلغل جمع مولى : كجلس ، ولج يلج ولجأ ولجأ . [٢] السود بفتح الهمال والسُّؤْدُود بضمها  
والسود والسيادة . [٣] الظاهر أمره . [٤] ندأى : جمع ندأ ، وهو النديم ، وجمع النديم ندماء ،  
وناديه : جالسه على الشراب ( ندمان بمعنى منادم مصروف ، لأن مؤنثه ندماء ، أما ندمان بمعنى نادم  
فلا يصرف لأن مؤنثه ندى

كُلُّ فَلَائِتٍ نَوُو أَتَاهُ غُلِيٌّ خَيْرٌ وَصَفِ النَّدِيمِ بِالنَّدَامِ )

[٥] خد : كضمير وسع . [٦] اخذ واصطف . [٧] طمى الماء يطمى طميا علا ، والنبت طال  
والجهر ابتلا ، ومعتك عك . [٨] تستعجب بهم . [٩] جمع شصبة ، وهي الشدة .

مَا أَحَقَّنَا - إِذْ أَتَيْتَكَ - بِإِسْمَاعِكَ مَا لَا يُحْنِقُ صَدْرَكَ ، وَلَا يَزْرَعُ لَنَا حِقْدًا فِي قَلْبِكَ ! لَمْ نَقْدَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِسَامَاتِهِ ، وَلَمْ نَنْتَسِبْ لِمَعَادِهِ ، وَلَكِنْ لَعَلَّكَ أَنْتَ وَرَعَيْتَكَ وَمَنْ حَضَرَكَ مِنْ وَفودِ الْأُمَمِ ، أَنَا فِي الْمَنْطِقِ غَيْرُ مُعْجَبِينَ ، وَفِي النَّاسِ غَيْرُ مُقَصِّرِينَ ، إِنْ جُورِينَا فَنُفِيرُ مَسْبُوقِينَ ، وَإِنْ سُومِينَا فَنُفِيرُ مَغْلُوبِينَ .

قَالَ كَسْرَى : غَيْرَ أَنْكُمْ إِذَا عَاهَدْتُمْ غَيْرَ وَافِينَ ( وَهُوَ يُعْرَضُ بِهِ فِي تَرْكِهِ الْوَفَاءَ بِضِمَانِهِ السَّوَادَ <sup>(١)</sup> ) قَالَ قَيْسٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا كُنْتُ فِي ذَلِكَ إِلَّا كَوَافٍ غُدِرَ بِهِ ، أَوْ كَخَافِرٍ أَخْفِرَ بِذِمَّتِهِ . قَالَ كَسْرَى : مَا يَكُونُ لَضَعِيفٍ ضِمَانٌ ، وَلَا لِدَلِيلٍ خِنَارَةٌ . قَالَ قَيْسٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَا أَنَا فِيهَا أَخْفِرُ مِنْ ذِمَّتِي أَحَقُّ بِالْإِزَامِي الْعَارِ مِنْكَ فِيمَا قَتَلَ مِنْ رَعَيْتِكَ ، وَأَتَتَّهِكَ مِنْ حَرَمَتِكَ ، قَالَ كَسْرَى : ذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ أَمْنِ الْخِنَاةِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَسْتَجِدُّ الْأَنْعَمَةَ ، نَالَهُ مِنَ الْخَطِيئَةِ مَا نَالَنِي ، وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ سَوَاءً ، كَيْفَ رَأَيْتَ حَاجِبَ بْنِ زُرَّارَةَ ، لَمْ يُحْكِمِ قَوَاهُ ، فَيُتْرِكُ ، وَيَتَمَهَّدُ فَيُؤْفَى ، وَيَعْدُ فَيُنْجَزُ ، قَالَ وَمَا أَحَقُّهُ بِذَلِكَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا لِي ، قَالَ كَسْرَى : الْقَوْمُ يُزُولُ <sup>(٣)</sup> فَأَفْضِلْهَا أَشَدَّهَا

## ٢٠ - خطبة عامر بن الطفيل العامري

ثم قام عامر بن الطفيل العامري فقال :

« كَثُرَ فَنُونُ الْمَنْطِقِ ، وَلَبَسَ الْقَوْلُ أَعْمَى مِنْ جَنْدِسِ <sup>(١)</sup> الظُّلَمَاءِ ، وَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الْفِعَالِ ، وَالْعِجْزُ فِي النُّجْدَةِ ، وَالسُّودَدُ مَطَاوِعَةُ الْقُدْرَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَمَا أَعْلَمَكَ بِقُدْرَتِنَا ، وَأَبْصَرَكَ بِفَضْلِنَا ، وَبِالْحَرَسِيِّ <sup>(٣)</sup> إِنْ أَدَاكَ <sup>(٤)</sup> الْأَيَّامُ ، وَتَابَتْ الْأَحْلَامُ

[١] أَيْ سَوَادِ الْعِرَاقِ . [٢] الْخِنَاةُ وَالْخَوْنَةُ : جَمْعُ خَائِنٍ . [٣] الْبَازِلُ : الْجَلْدُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ، وَالْجَلْدُ الْكَامِلُ فِي تَحْرِيرِهِ جَمْعُ بَزْلٍ وَبَزْلٌ . [٤] الْبَلُّ لِلظُّلَمِ وَالظُّلْمَةِ . [٥] أَيْ أَنَّ بَاقِيَ الدَّهْرِ هَيِّئَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَلْقَاهُ السُّودَدُ . [٦] خَلِيقٌ وَجَدِيرٌ . [٧] نَصْرَتَنَا .

أَنْ تَحْدِثَ لَنَا أُمُورًا لَهَا أَعْلَامٌ <sup>(١)</sup>. قَالَ كَسْرَى: وَمَا تِلْكَ الْأَعْلَامُ، قَالَ مُجْتَمَعٌ <sup>(٢)</sup> الْأَحْيَاءِ مِنْ رِيْعَةٍ وَمُضَرٍّ، عَلَى أُمْرِ يَذْكُرُ. قَالَ كَسْرَى: وَمَا الْأَمْرُ الَّذِي يَذْكُرُ؟ قَالَ مَالَى عِلْمٌ بِأَكْثَرِ مِمَّا خَبَرْتَنِي بِهِ خَبَرٌ، قَالَ كَسْرَى مَتَى تَكَاهَنْتَ بِابْنِ الطَّفِيلِ؟ قَالَ: لَسْتُ بِكَاهِنٍ، وَلَكِنِّي بِالرَّمْحِ طَاعِنٌ، قَالَ كَسْرَى: فَإِنْ أَتَاكَ آتٌ مِنْ جَهَةِ عَيْنِكَ الْمَوْرَاءِ، مَا أَنْتَ صَانِعٌ؟ قَالَ: مَا هَيَّيْتُ فِي فَقَائِي بِدُونِ هَيَّتِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا أَبْذَهَبَ عَيْنِي عَيْتٌ <sup>(٣)</sup>، وَلَكِن مَطَاوَعَةَ الْمَبْتِ.

## ٢١ - خطبة عمرو بن معديكرب الزبيدي

ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرْبِ الزُّبَيْدِيِّ، فَقَالَ:

«إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِهِ: قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، فَبِلَاغِ الْمَنْطِقِ الصَّوَابِ، وَمِلَاكِ الثَّجَمَةِ <sup>(٤)</sup> الْإِرْتِيَادِ، وَعَفْوِ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِكْرَاهِ الْفِكْرَةِ، وَتَوْقِيفِ الْحَبْرَةِ خَيْرٌ مِنْ اُعْتِسَافِ الْحَيْرَةِ، فَأَجْتَنِبْ <sup>(٥)</sup> طَاعَتَنَا بِلَفْظِكَ، وَآكُتْظِمْ بِأَدْرَتِنَا بِحُلْمِكَ، وَأَلِنْ لَنَا كَتَفَكَ يَسْلَسْ لَكَ قِيَادَنَا، فَإِنَّا أَنَا لَمْ يُوقَسْ <sup>(٦)</sup> صَفَاتُنَا قِرَاعُ مَنَاقِيرٍ <sup>(٧)</sup> مِنْ أَرَادَ لَنَا قَضَا <sup>(٨)</sup>، وَلَكِنْ مَتَعْنَا حَمَانًا مِنْ كُلِّ مَنْ رَامَ لَنَا هَضْمًا».

## ٢٢ خطبة الحارث بن ظالم المري

ثُمَّ قَامَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ الْمُرِيِّ، فَقَالَ:

«إِنْ مِنْ آفَةِ الْمَنْطِقِ الْكَذِبُ، وَمِنْ لُؤْمِ الْأَخْلَاقِ الْمَلَقُ، وَمِنْ خَطَلِ الرَّأْيِ خِيفَةُ الْمَلِكِ الْمُسَلِّطِ، فَإِنْ أَعْلَمْنَاكَ أَنْ مُوَاجَهَتَاكَ عَنْ أَثْلَافٍ، وَأَتَقِيَادَنَا

[١] أى مشهورة . [٢] اجتماع . [٣] الإفساد . [٤] التهمة : طلب الكلاء فى موضعه .

[٥] اجتنب . [٦] التوقى : اقتدار الجرب فى البدن ، والتوقىس : الإجرب ، أى لم يخدش صفاتنا ويؤثر فيها . [٧] جمع سقار ، وهو حديدة كالغلس ينخر بها . [٨] أصله الأكل بأطراف الأسنان .

لك من تصايف ، فما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالعهود ، وإحكام وثق العقود ، والأمر بيننا وبينك مستدل ، ما لم يأت من قبلك ميل أو زلل .

قال كسرى : من أنت ؟ قال الحرث بن ظالم ، قال إن في أسماء آبائك لدليلاً على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالنذر ، وأقرب من الوزر . قال الحرث : إن في الحق منقصة ، والسرور المتأفل<sup>(١)</sup> ، وإن يستوجب أحد الحلم الإمع القديمة ، فلتشبه أفعالك مجلسك ، قال كسرى : هذا في القوم .

ثم قال كسرى : قد فهمت ما نظقت به خطباؤكم ، وتفتن فيه متكلموكم ، ولولا أني أعلم أن الأدب لم يثقف أودكم ، ولم يحكم أمركم ، وأنه ليس لكم ملك يجمعكم ، فتتلقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة ، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم ، وغلب على طباعكم ، لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به ، وإنني لأكره أن أجبه وفودي ، أو أختق صدورهم ، والذي أحب من إصلاح مدبركم ، وتآلف شواذكم ، والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم ، وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب ، وصفحت عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا إلى ملككم ، فأحسنوا موازرتي ، والتزموا طاعته ، واردعوا سفهاءكم ، وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أدبهم ، فإن في ذلك صلاح العامة .

(القد الفريد ١ : ١٠١)



## وفود العرب

يعزون سلامة ذا فائش بآبن له مات

نشأ سلامة ذى فائش ابن كأك كل أبناء للآقول ، وكان مسروراً به ، يرشحه لموضعه ، فركب ذات يوم فرساً صعباً ، فكبأ به ، فوقه<sup>(١)</sup> ، فخرج عليه أبوه جزءاً شديداً ، وامتنع من الطعام ، واحتجب عن الناس ، واجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه ، فلما نصحاؤه فى إفراط جزءه ، فخرج إلى الناس قام خطبائهم يؤشونه<sup>(٢)</sup> ، وكان فى القوم الملبب بن عوف ، وجعاده بن أفلح ، قام لللب قال :

٢٣ - خطبة الملبب بن عوف

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتمطى لتأخذ ، وتجمع لتشتت ، وتُحلى لثير ، وترزع الأحزان فى القلوب ، بما تقبأ به من استرداد الموهوب ، وكل مصيبة تحطأئك جال<sup>(٣)</sup> ، مالم تُذن الأجل ، وتقطع الأمل ، وإن حادثاً ألم بك ، فاستبد<sup>(٤)</sup> بأفلك ، وصفح عن أكررك ، لمن أجل النعم عليك ، وقد تناهت إليك أنباء من رزى فصبر ، وأصيب فاعتفر ، إذ كان شوى<sup>(٥)</sup> فيما يرتقب ويحذر ، فاستشعر اليأس مما فات ، إذ كان ارتجاعه مُمتنعاً ، ومرامه مُستصعباً ، فليشئ ما ضربت الأمى ، وقزع أولو الأبواب إلى حسن العزاء .

٢٤ - خطبة جعاده بن أفلح

وقام جعاده فقال : « أيها الملك ، لا تُشعر قلبك الجزع على ما فات ، فيعقل

[١] وقى عنه : كرها . [٢] أساء تأسية عزاءه ، وأسل : أن يقول له أسوة بفلان

وفلان . [٣] الجلال العظيم والمخير وهو هنا بالحنى لثانى . [٤] البدة بالضم : التصيب ، واستبد به :

جعله نصيبه . [٥] الشوى : الحين اليسير ورفال للال .

ذهنك عن الاستعداد لما يأتي ، وتاضل عوارض الحزن بالأفقة عن مضاهاة <sup>(١)</sup>  
أفقال أهل ونهى <sup>(٢)</sup> العقول ، فإن المراء الحزماء الرجال ، والجزع ربات  
الحجال <sup>(٣)</sup> ، ولو كان الجزع يرذ فائتاً ، أو يُحجي تالفاً ، لكان فعلاً دينياً ،  
فكيف وهو بجانب لأخلاق ذوى الألباب ، فارغب بنفسك أيها الملك عما  
يتهاقت <sup>(٤)</sup> فيه الأردلون ، وصن قدرك عما يركبه المحسوسون ، وكن على ثقة أن  
طمعك فيما استبدت به الأيام ، ضلة كأحلام النيام . (الامال ٢ : ١٠١)

٢٥ - أكرم بن صيفى يعزى عمرو بن هند عن أخيه

وعزى أكرم بن صيفى عمرو بن هند ملك العرب عن أخيه فقال له :

« إن أهل هذه الدار سفر لا يحلون عقد الرجال إلا فى غيرها ، وقد أتاك

ما ليس بمرود عنك ، وارتحل عنك ما ليس برافع إليك ، وأقام معك من  
سيظعن عنك ويدعك ، واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام ، فأمس عظه ، وشاهد عدل ،  
تجمك بنفسه ، وأبقى لك وعليك حكته ؛ واليوم غنمة ، وصديق أتاك ولم تاته ،  
طالت عليك غيته ، وستسرع عنك رحلته ؛ وغد لا تدرى من أهله ، وسيأتيك  
إن وجدك ، فإحسن الشكر للنعم ، والتسليم للقادر ، وقد مضت لنا أصول  
نحن فروعها ، فإبقاء الفروع بعد أصولها ، واعلم أن أعظم من المصيبة سوء  
الخلف منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

(القد القرب ٢ : ٣٥ ، نهاية الأب ٥ : ١٦٤)

٢٦ - خطبة عبد المطلب بن هاشم

يبنى سيف بن ذى يزن بإسترداد ملكه من الحبشة

لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة ، أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها

[١] مناسكة . [٢] ضفد . [٣] والرجال جمع حبة (بفتحين) ، ومع القبة وموضع يزن  
بالتيود ، والنياب للعروس . [٤] التهاقت : التاج .

تهته وتعدده، ومنهم وفد قريش، وفيهم عبد المطلب بن هاشم، فاستأذنه في الكلام فأذن له، فقال :

« إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً رفيماً، صعباً منيعاً، باذخاً<sup>(١)</sup> شاعخاً، وأنتك منبتاً طابت أرومته<sup>(٢)</sup>، وعزت جرشومته<sup>(٣)</sup>، وثبت أصله، وبسق<sup>(٤)</sup> فرعه، في أكرم معدن، وأطيب موطن، فأنت - أييت اللمن - رأس العرب وريمها الذي به تُخَصَّب، وملكها الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومَعْقِلُهَا<sup>(٥)</sup> الذي إليه يلجأ العباد، سَلَفَك خير سلف، وأنت لنا بدمخ خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يَحْمِلَ من أنت سلفه، نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته، وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهك بكشف الكرب الذي قدحنا<sup>(٦)</sup>، فنحن وفد التهته، لا وفد المرزئة<sup>(٧)</sup> » .

(المقد الفريد ١ : ١٠٧ ، وأبناء نجاة الأبناء ص ١١)

## ٢٧ - خطبة هاشم بن عبد مناف

يبحث قريشاً على إكرام زوار بيت الله الحرام

كان هاشم بن عبد مناف يقوم أول نهار اليوم الأول من ذي الحجة فيُؤَسِّدُ ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها، فيخطب قريشاً، فيقول :

« يا معشر قريش، أنتم سادة العرب، أحسنها وجوهاً، وأعظمها أحلاماً، وأوسطها<sup>(٨)</sup> أنساباً، وأقربها أرحاماً، يا معشر قريش، أنتم جيران بيت الله، أكرمكم بولايته، وخصكم بجواره، دون بني إسماعيل، وحفظكم منكم أحسن ما حفظ » .

[١] غالباً من بدخ بذخ : كفرح . [٢] أرومة : بالضم والفتح أى أصل . [٣] أصله أيضاً . [٤] علا وطال . [٥] الملبأ . [٦] أظنا . [٧] رزاه ماله : يكيل وعلم أصاب منه شيئاً رزماً ، كارتزاه ماله ، ورزاه رزاه ومرزاة أصاب منه خيراً . أى لنا وافدين للعداء . [٨] خيرم : الوسط من كل شيء أعمله ( قال أوسطهم ..... وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ) .

جارٍ من جاره ، فأكرموا ضيفه ، وزوّار بيته ، فإنهم يأتونكم شعثاً <sup>(١)</sup> غُبراً من كل بلد ، فَوَرَبَّ هذه البَيْتَةِ <sup>(٢)</sup> ، لو كَانَ لى مال يحمل ذلك لكفيتكموه ، ألا وإني مخرج من طَيْبِ مالى وحلاله ، ما لم يُقَطَّعَ فيه رَحِمٌ ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فواضِعُهُ ، فمن شاءَ منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بِحُرْمَةِ هذا البيت ألا يُخْرِجَ رجل منكم من ماله ، لكرامة زوّار بيت الله ومعونتهم إلا طيباً ، لم يؤخذ ظالماً ، ولم يُقَطَّعَ فيه رحم ، ولم يقتصب » .

( شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٤٠٨ )

## ٢٨ - خطبة كعب بن لؤى

وخطب كعب بن لؤى (وهو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم) فقال :  
« اسمعوا وَاغُوا ، وَتَعَلَّمُوا تَعَلَّمُوا ، وَتَفَهَّمُوا تَفَهَّمُوا ، ليل ساجٍ <sup>(٣)</sup> ، ونهار صاجٍ <sup>(٤)</sup> ، والأرض بهاد ، والجبال أوتاد ، والأولون كالآخرين ، كل ذلك إلى بلاء ، فاصلوا أرحامكم ، وأصلحوا أحوالكم ، فهل رأيتم من هلك رَجَعَ ، أو ميتاً نُشِرَ ، الدار أمامكم ، والظن خلاف ما تقولون ، زينوا حَرَمَكُمْ وعظموه ، وتمسكوا به ولا تفارقوه ، فسيأتي له نبيٌ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، ثم قال :

نهارٌ وَلَيْلٌ وَأَخِلَافٌ حَوَادِثٍ	سَوَالٍ عَلَيْنَا حُلُومًا وَتَرِيرُهُا
يُثَوِّبَانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْوِبَا	وَبِالنِّعَمِ الضَّائِفِ عَلَيْنَا سَتُورُهُا <sup>(٥)</sup>
مُرُوفٌ وَأَنْبَاءٌ تَقْلَبُ أَهْلُهُا	لَهَا عُقْدٌ مَا يَسْتَحِيلُ مَرِيرُهُا
عَلَى غَفَلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ	فَيُخْبِرُ أَخْبَارًا صَدُوقًا خَيْرُهُا

[١] جمع أشت : وهو ملبد الشعر منفرده [٢] الكعبة : (والبنية بكر الباء وضمتها وسكون النون ما بينته) . [٣] الساجى الساكن والغائم . [٤] له ضاج من ضج القوم صاحوا وأجلجوا . [٥] التأوب الرجوع .

نم قال :

يَا لَيْتَنِي شَهِدْتُ خَوَاءَ دَعْوَتِهِ حِينَ الْمَسِيرَةِ بُنِيَ الْحَقُّ خِذْلَانَا <sup>(١)</sup>  
(صبح الأعشى ١ : ٢١١)

## ٢٩ - تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع عند أحد ملوك حمير

اجتمع عامر بن الظرب العدناني ، وحممة بن رافع الدوسي عند ملك من ملوك حمير ، فقال : نساء لا حتى أسمع ما تقولان . قال عامر لحممة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال : عند ذي الرثية <sup>(٢)</sup> العديم ، وذى الخلعة <sup>(٣)</sup> الكريم ، والمسر الغريم ، والمستضعف المضميم . قال من أحق الناس بالمت ؟ قال : الفقير المحتال ، والضعيف الصوال ، والعي القوال . قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال : الحريص الكاند <sup>(٤)</sup> ، والمستميد <sup>(٥)</sup> الحاسد ، والمُلحف الواجد . قال فمن أجدر الناس بالصنيعة ؟ قال : من إذا أعطى شكر ، وإذا مُنِعَ عذر ، وإذا موطِّلَ صبر ، وإذا قُدِّمَ الهدى ذكر . قال : من أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إن قُربَ منّ ، وإن بُعدَ مدح ، وإن ظلمَ صفح ، وإن ضويقَ صمغ ، قال : من ألام الناس ؟ قال : من إذا سأل خضع ، وإذا سُئِلَ منع ، وإذا ملك كنع <sup>(٦)</sup> ، ظاهره جسع <sup>(٧)</sup> ، وباطنه طبع <sup>(٨)</sup> . قال : فمن أحلم الناس ؟ قال : من عفا إذا قَدَرَ ، وأجل إذا اتصّر ، ولم تُطغِ عِزةَ الظفر . قال : فمن أخزم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأمور يديه ، وجعل العواقب نصبَ عينيه ، ونبذ التهيّب

[١] لحوى الكلام وغواؤه مناه ومنهجه . [٢] الرثية وجع الفاعل واليدن والرجلين (الرومزم) . [٣] الغة الحاجة . [٤] الكاند الذى يكفر النعمة والكثود الكفور : (إن الانسان له لكثود) . [٥] للتبديد والتفجير للسطى . [٦] تكتع جله إذا قبض على ملك بجيل . [٧] المنع : أسوأ الحرص . [٨] اللبس .

دَبَّرَ أُذُنِي<sup>(١)</sup> . قال : فن أخرج الناس ؟ قال : من ركب الخطار<sup>(٢)</sup> ، واعتسف<sup>(٣)</sup> العِشَارَ ، وأسرع في البِدَارِ ، قبل الاقْدَارِ . قال : فن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يَأْسَ على المجهود . قال فن أبلغ الناس ؟ قال : من جَلَّى المعنى المَرِيزَ<sup>(٤)</sup> باللفظ الوجيز ، وطَبَّقَ<sup>(٥)</sup> المَفْصِلَ قبل التحزير . قال : فن أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من تَحَلَّى بالمغاف ، ورضى بالكفاف ، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف . قال : فن أشقى الناس ؟ قال : من حسد على النعم ، وتسخط على القِسَمِ ، واستشعر الندم ، على فوت ما لم يُحْتَمَ . قال : من أغنى الناس ؟ قال : من استشعر اليأس ، وأبدى التَّجَمُّلَ للناس ، واستكثر قليل النعم ، ولم يَسْخَطْ على القسم . قال : فن أحكم الناس ؟ قال : من صَمَتَ قَادِرَ كَرٍّ ، ونظر فاعتبر ، ووَعِظَ فازدجر . قال : من أجهل الناس ؟ قال : من رأى الحُرْقَ مَعْتَمًا ، والتجاوز مَعْتَمًا .  
( الأمل : ٢ : ٢٨٠ )

### ٣٠ - خطبة قس بن ساعدة الإيادي

خطب قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي بِسُوقِ عُكَاظَ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : اسْمَعُوا وَعُوا ، مِنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، لَيْلٌ دَاجٍ<sup>(١)</sup> ، وَتَهَارَسَاجٍ ، وَسَمَاءُ ذَاتِ أَبْرَاجٍ ، وَنَجْمٌ تَزْهَرُ<sup>(٢)</sup> ، وَبِحَارٌ تَزْخَرُ<sup>(٣)</sup> ، وَجِبَالٌ تُرْسَاةٌ ، وَأَرْضٌ مُدْحَاةٌ<sup>(٤)</sup> ، وَأَنْهَارٌ تُجْرَاةٌ ، إِنْ فِي السَّمَاءِ لِحَبْرًا ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لَمِبْرًا ، مَا بَالُ النَّاسِ يَنْهَبُونَ وَلَا يَرِجْمُونَ ، أَرْضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا ؟ يَقْسِمُ قُسٌّ بِاللَّهِ قَسْمًا لَا إِيْمَ فِيهِ : إِنْ لَّهِ دِينًا هُوَ أَرْضِي لَهُ ، وَأَفْضَلُ

[١] جلت الشيء دبر أذني : إنالمت إليه . [٢] جمع خطر ، وهو الإصراف على الملاك .

[٣] الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية وركوب الأمر على غير معرفة . [٤] الصب .

[٥] الطيق : أن يصيب السيف للفاصل فيقتلها لا يجاوزها . [٦] مظلم . [٧] قضى . وتلاوا .

[٨] نحيق ، وترفع . [٩] مدحوة : أي مبسوطة ، وإنما قاله مدحوة لمرعاة البجع .

من دينكم الذى أتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكرًا . وَيُرْوَى أَنْ قَسَا أَنْشَاءُ  
بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ :

فِي النَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ  
لَمَّا رَأَيْتَ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَعَادِرُ  
وَرَأَيْتَ قَوِيَّ نَحْوَهَا تَمْضَى الْأَكْبَارَ وَالْأَصَاغِرُ  
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَى وَلَا مِنْ الْبَاقِينَ غَابِرٌ <sup>(١)</sup>  
أَيَقُنْتُ أَنِّي لَا حِمَا لَهْ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

(صبح الأعشى ١ : ٢١٢ ، إيجاز القرآن ١٢٤ ، البيان والنبين ١ : ١٦٨ ،  
الأغانى ١٤ : ٤٠ ، العقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، ومعجم الأمثال للبيدائى ١ : ٧٤ )

### ٣٦ - خطبة المأمون الحارثي

قَدْدَ الْمَأْمُونُ الْحَارِثِي فِي نَادَى قَوْمِهِ ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَالنَّجْمِ ، ثُمَّ أَفْكَرَ  
طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : «أَرَعُونِي أَسْمَاعَكُمْ ، وَأَصْنَعُوا إِلَيَّ قُلُوبَكُمْ ، يَتَلَمَّحُ الْوَعظُ مِنْكُمْ حَيْثُ  
أُرِيدُ ، طَمَحٌ <sup>(٢)</sup> بِالْأَهْوَاءِ الْأَشْرُ ، وَرَأَى <sup>(٣)</sup> عَلَى الْقُلُوبِ الْكَدْرُ ، وَطَنَخَطُخُ <sup>(٤)</sup> الْجَهْلُ  
النَّظَرُ ، إِنْ فِيمَا تَرَى لِمُسْتَبْرَأٍ لَمْ يَأْتِ بِأَرْضٍ مَوْضُوعَةٍ ، وَسَمَاءٍ مَرْفُوعَةٍ ، وَشَمْسٍ  
تَطْلُعُ وَتَغْرُبُ ، وَنَجْمٍ تَسْرَى فَتَغْرُبُ ، وَقَرْنُ تَطْلُمُهُ النَّحُورُ ، وَتَحْقُقُهُ أَدْبَارُ  
الشُّهُورِ ، وَعَاجِزٌ مُثَرِّ ، وَحَوْلٌ <sup>(٥)</sup> مُكْدٍ ، وَشَابٌ مُخْتَصِرٌ <sup>(٦)</sup> ، وَيَقْنُ قَدْ غَبَرَ ،  
وَيَزَاجِلُونَ لَا يَثُوبُونَ ، وَمَوْقُوفُونَ لَا يُقَرِّطُونَ <sup>(٧)</sup> ، وَمَطَرٌ يُرْسِلُ بِقَدَرٍ ، فَيُحْيِي  
الْبَشَرَ ، وَيُورِقُ الشَّجَرَ ، وَيُطْلِعُ الثَّمَرَ ، وَيَنْبِتُ الزَّهَرَ ، وَمَاءٌ يَنْفَجِرُ ، مِنَ الصَّخْرِ

[١] مقبم . [٢] ارتفع وعلا وذهب . [٣] ظب . [٤] أظلم . [٥] رجل حول :  
شديد الاحتيال ، وأكدى : لم ينجح ، وأمله من أكدى إذا حفر فصادف الكدية (ضم الكاف) وهي  
الصفاء العظيمة الشديدة . [٦] القى يموت حدثا ، وهو مأخوذ من الحفرة كأنه حصد أخضر ، واليقن  
القيح الكبير . [٧] يقدّمون .

الْأَبَرَّ<sup>(١)</sup> ، فيصعد المَدَرُ ، عن أَفنانِ الخُضَرِ ، فيُخَيِّ الأَنَامَ ، وَيُشْبِعُ السَّوَامَ ، وَيُشْبِي الأَنَامَ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَأَوْضَحُ الدَّلَائِلِ عَلَى الْمَدِيرِ الْقَدَرِ ، الْبَارِي الْمَصُورِ ، بِأَيِّهَا الْعَقُولُ النَّافِرَةُ ، وَالْقُلُوبُ النَّائِرَةُ<sup>(٢)</sup> ، أُنَّى تُؤَفِّكُونَ ، وَعَنْ أَى سَبِيلِ تَمَهُّونَ ، وَفِي أَى حَيَرَةٍ تَهيمُونَ ، وَإِلَى أَى غَايَةٍ تُؤَفِّضُونَ<sup>(٣)</sup> ، لَوْ كُشِفَتِ الْإِغْطِيَةُ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَتَجَلَّتِ النَّشَاوَةُ عَنِ الْعْيُونِ ، لَصَرَّحَ الشَّكُّ عَنِ الْيَقِينِ ، وَأَفَاقَ مِنْ نَشْوَةِ الْجَهَالَةِ ، مَنْ أَسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ . (الْأَمَالُ ١ : ٢٦٦)

### ٣٢ - خطبة هاني بن قبيصة الشيباني

قَالَ هَانِي بْنُ قَبِيصَةَ الشَّيْبَانِي يُحَرِّضُ قَوْمَهُ يَوْمَ ذِي قَارِ<sup>(١)</sup> :  
« يَا مَسْشَرَ بَكْرٍ ، هَالِكٌ مَمْدُورٌ ، خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ قُرُورٌ ، إِنْ الْحَذَرُ لَا يَنْجِي مِنَ الْقَدَرِ ، وَإِنْ الصَّبْرُ مِنْ أَسْبَابِ الظُّفْرِ ، الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّيْنَةُ ، اسْتِقْبَالُ الْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِدْبَارِهِ ، الطُّعْنُ فِي ثُغْرِ<sup>(٢)</sup> النُّحُورِ ، أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الْأَعْجَازِ وَالظُّهُورِ ، يَا آلَ بَكْرٍ ، قَاتِلُوا قَاتِلَ الْمَنِيَا مِنْ بُدٍ » . (الْأَمَالُ ١ : ٩٢)

### ٣٣ - خطبة عمرو بن كلثوم

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ لَا يَخْبِرُ عَنْ فَضْلِ الْمَرْءِ أَصْدَقُ مِنْ تَرْكِهِ تَرْكِيَّةَ نَفْسِهِ ، وَلَا يَمِيرُ عَنْهُ فِي تَرْكِيَّةِ أَصْحَابِهِ أَصْدَقُ مِنْ اعْتِمَادِهِ إِيَّاهُمْ بِرَغْبَتِهِ ، وَاتِّمَانِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى حُرْمَتِهِ . (الْبَيَانُ وَالتَّيِينَ ٢ : ٦٩)

[١] الملب . [٢] النائرة النافرة ، تلوت توراً بفتح التين ، وتوارا بفتحها وكرها فثرت .

[٣] تسرعون . [٤] كاذ من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهين أمر الأعاجم ، وهو يوم لبني

شيبان ، وكان أبرويز أغرام جيشاً ، فظفر بنو شيبان ، وهو أول يوم انصرفت فيه العرب من المعجم .

[٥] جمع ثرة بالضم : وهي ثرة للحر بين الترقوتين (والثرة بالفتح : كل حودة مفتحة) .

### ٣٤ - خطبة أبي طالب

في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة

خطب أبو طالب حين زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة فقال :  
« الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بلداً  
حراماً ، وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحكم على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن  
أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه : براً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ،  
وعبداً وثبلاً <sup>(١)</sup> ، وإن كان في المال قل <sup>(٢)</sup> ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية <sup>(٣)</sup>  
مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم  
من الصداق فعلي » .

(صحيح الأعمش ١ : ٢١٣ ، وإيجاز القرآن ١٢٦ ، وتهذيب الكمال ١ : ٤٤ ، والبردة الحلية ١ : ١٢٢)

### ٣٥ - حديث بعض مقاول حمير مع ابنه

وما دار بينه وبينهما من السائة حين كبرت منه

كان لرجل من مقاول حمير ابنان ، يقال لأحدهما عمرو ، وللآخر ربيعة ، وكانا  
قد برعا في الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره ، وأشقى <sup>(١)</sup> على  
الفناء ، دعاهما ليتلو <sup>(٢)</sup> عقولهما ، ويعرف مبلغ علمهما ، فلما حضرا . قال لعمرو  
- وكان الأكبر - أخبرني عن أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك . قال :  
« السيد الجواد ، القليل الانداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع  
العماد ، العظيم الزماد ، الكثير الحساد ، الباسل النواد <sup>(٣)</sup> ، الصادر الوراد »  
قال ما تقول ياربيعة ؟ قال : ما أحسن ما وصف ! وغيره أحب إلي منه ،

[١] ذكاء ونجابة . [٢] ع . [٣] ما يستار ، متعده وقد تحفف . [٤] أشقى عليه :

أنصرف . [٥] ليخبر . [٦] من نادته إذا دفع .

قال ومن يكون بعد هذا ؟ قال : « السيد الكريم ، المانع للحريم ، الفضل الحليم ، الثمّام<sup>(١)</sup> الزعيم ، الذى إن تمّ فعل ، وإن سئل بذل .

قال أخبرنى يا عمرو بأبفض الرجال إليك . قال : البرم<sup>(٢)</sup> اللثيم ، المستخذي<sup>(٣)</sup> للخصيم ، المبطان<sup>(٤)</sup> النهم ، العي أنيكيم ، الذى إن سئل منع ، وإن هدد خضع ، وإن طلب جشع<sup>(٥)</sup> . قال ما تقول يا ربيعة ؟ قال : غيره أبفض إلىّ منه . قال : ومن هو ؟ قال : النثوم الكذوب ، الفاحش الغضوب ، الرعيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام .

قال أخبرنى يا عمرو : أى النساء أحب إليك ؟ قال : المزر كولة<sup>(٦)</sup> اللفاء<sup>(٧)</sup> ، المنكورة<sup>(٨)</sup> الجيذاء ، التى يشفى السقيم كلامها ، ويبرى الوصب<sup>(٩)</sup> إليها ، التى إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استمتبتها<sup>(١٠)</sup> أعفبت ، الفاترة الطرف ، الطفلة<sup>(١١)</sup> الكف ، الميمة الرذف . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : نمت فأحسن ! وغيرها أحب إلىّ منها . قال : ومن هى ؟ قال : « الفتانة المينين ، الأسيلة<sup>(١٢)</sup> الخدين ، الكاعب<sup>(١٣)</sup> الثديين ، الرذاح<sup>(١٤)</sup> الوركين ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل<sup>(١٥)</sup> ، الرخيمة<sup>(١٦)</sup> الكلام ، الجماء<sup>(١٧)</sup> العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام<sup>(١٨)</sup> ،

[١] السيد (ويضم) . [٢] البرم : من لا يدخل مع القوم فى اليسر . [٣] المانع المستكين ، والحميم الخالص . [٤] من هم يهته ، أو الرغب لا ينهض من الأكل . [٥] المجمع : أسوأ المرس . [٦] الترجمة الأرداف . [٧] للغة الجسم . [٨] للطيرة الخلق من النساء والشعيرة الساقين ، والجيذاء من الجيد بالتحريك وهو طول الرقة ، أو دقها مع طول . [٩] للريش . [١٠] استنبت طلب إلىّ العتي ( الرنا ) وأعجب أعطاء العتي . [١١] النائمة . [١٢] الأسبل من الحدود الطويل للترسل . [١٣] كعب الثدي نهدي . [١٤] الثقيلة المجيزة الضخمة الوركين . [١٥] الزوج . [١٦] أنية الكلام . [١٧] التى ليس لها نظام حجم . [١٨] للراد موضع اللثام فهو على هدف مضاف .

قال : فأى النساء إليك أبفض يا عمرو ؟ قال : القَتَّاةُ <sup>(١)</sup> الكذوب ،  
الظاهرة السيوب ، الطَوَافَةُ <sup>(٢)</sup> المحبُوب <sup>(٣)</sup> ، العابسة القطُوب ، السَّيَّابَةُ <sup>(٤)</sup> الوُثُوب ،  
التي إن ائتمنها زوجها خاتمة ، وإن لان لها أهاتة ، وإن أرضاها أغضبتة ، وإن  
أطاعها عصته ، قال : ما تقول يارية ؟ قال : بشى والله المرأة ذكر ! وغيرها  
أبفض إلى منها . قال : وأيتهن التي هي أبفض إليك من هذه ؟ قال : السَّليطةُ <sup>(٥)</sup>  
اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها  
من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وَرَّته <sup>(٦)</sup> ، وإن ناطقها انتهرته . قال  
ريعة : وغيرها أبفض إلى منها . قال : ومن هي ؟ قال : التي شق صاحبها ، وَخَزَى  
خاطبها ، واقضض أقاربها . قال : ومن صاحبها ؟ قال : مثلها في خصالها كلها ،  
لا تصلح إلا له ، ولا يصلح إلا لها . قال : فصفه لى . قال : الكَفُورُ غير  
الشكور ، اللثيم الفَجُور ، العَبُوس الكالِج <sup>(٧)</sup> ، الحرون الجامح ، الراضى  
بالهوان ، المختال المنان ، الضعيف الجنان ، الجمُدُ <sup>(٨)</sup> البنان ، القنول غير الفعُول ،  
الملول غير الوُصول ، الذي لا يَرِغُ <sup>(٩)</sup> عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .  
قال أخبرنى يا عمرو : أى الخيل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران  
للتجالد ؟ قال : الجواد الأتيق ، الحصان العتيق ، الكَفَيْت <sup>(١٠)</sup> العريق ،  
الشديد الوثيق ، الذي يفوت إذا هرب ، وَيَلْتَقِ إِذَا طَلَب . قال : نعم الفرس  
والله نمت ! قال فما تقول يارية ؟ قال : غيره أحب إلى منه . قال : وما هو ؟  
قال : الحصان الجَوَاد ، السَّلس القَيَاد ، الشهم القَوَاد ، الصَّبُور إذا سرى ،  
السابق إذا جرى .

[١] التامة . [٢] الكثيرة الانتباه والمحبوب الرجح للثيرة للثيار . [٣] الطوية .

[٤] أعظمه وأفضجه . [٥] كالج : تكسر في عبوس . [٦] كناية عن البخل .

[٧] ورج : كورت كف . [٨] السرج .

قال : فأى الخيل أبض إليك يا عمرو؟ قال : الجَمُوحُ الطَّوْحُ ، النَّكُولُ<sup>(١)</sup> الأَنُوحُ<sup>(٢)</sup> ، الصَّنُولُ<sup>(٣)</sup> الضَّعِيفُ ، المَّلُولُ العَنِيفُ ، الذى إن جاريته سبقتة ، وإن طلبته أدركته . قال : ما تقول يارية؟ قال : غيره أبض إلى منه . قال : وما هو؟ قال : البطىء الثقيل ، الحَرُونُ الكَلِيلُ ، الذى إن ضربته قَصَصَ ، وإن دوت منه كَمَسَ<sup>(٤)</sup> ، يدركه الطالب ، ويغوته المهارب ، وَيَقْطَعُ بالصاحب . قال ربيعة : وغيره أبض إلى منه . قال : وما هو؟ قال : الجَمُوحُ الخَبُوطُ<sup>(٥)</sup> ، الرُّكُوزُ الخَرُوطُ<sup>(٦)</sup> ، الشَّمُوسُ الضَّرُوطُ<sup>(٧)</sup> ، القَطُوفُ<sup>(٨)</sup> فى الصمود والمهبوط ، الذى لا يُسَلِّمُ الصاحب ، ولا ينجو من الطالب .

قال : أخبرنى يا عمرو أى العيش أَلَدُّ؟ قال : عيش فى كرامة ، ونعيم وسلامة ، واغْتَبَاقُ<sup>(٩)</sup> مُدَامَةٍ . قال : ما تقول يارية؟ قال : نِعَمُ النِّيشِ وَاللَّهِ وَصَف ! وغيره أَحَبُّ إلى منه . قال : وما هو؟ قال : عيش فى أمن ونعيم ، وَعِزٍّ وَغْنَى عَمِيمٍ ، فى ظل نجاح ، وسلامة مساء وصباح ، وغيره أَحَبُّ إلى منه . قال : وما هو؟ قال : غِنَى دَائِمٍ ، وعيش سالم ، وظلٌّ ناعم .

قال : فما أَحَبُّ السيفِ إليك يا عمرو؟ قال : الصَّقِيلُ الحُسَامُ ، الباتر المَجْدَامُ<sup>(١٠)</sup> ، الماضى السَّطَامُ<sup>(١١)</sup> المُرْهَقُ<sup>(١٢)</sup> الصَّمْصَمُ<sup>(١٣)</sup> ، الذى إن هزرتَه لم يَكْبُ<sup>(١٤)</sup> ، وإذا ضربت به لم يَنْبُ<sup>(١٥)</sup> . قال : ما تقول يارية؟ قال :

[١] النكول : الذى يشكل عن فرسه . [٢] الكثير الرحير . [٣] كثير المثيل : وصيبل للفرس صبيبه . [٤] شمس الفرس ، منع ظهره : فهو شامس وشموس . [٥] الكثير المبط : وهو السير على غير مدى . [٦] الخروط الدابة الجرح تجذب رسلها من يد ممسكها ثم تفتى . [٧] الكثير الضراط . [٨] قطعت الدابة : ضاقت مشيا فهي قطوف . [٩] اغتبق : الحرب النبوق وهو ما يعرب بالشق والدابة الجرح كالدم . [١٠] من الجذم : وهو انقطع . [١١] الحد . [١٢] رنق السيف ، وأرعهه وقفه . [١٣] السيف لا يفتى كالصمامة . [١٤] لم يثر . [١٥] لم يكل عن الفرية .

نعم السيف نمت ! وغيره أحب إلى . قال وما هو ؟ قال : الحسام القاطع ،  
ذو الرنق اللامع ، الظمان الجامع ، الذي إن هزته هتك <sup>(١)</sup> ، وإذا ضربت به  
بتك <sup>(٢)</sup> . قال : فما أبفض السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الفطار <sup>(٣)</sup> الكهام <sup>(٤)</sup> ،  
الذي إن ضرب به لم يقطع ، وإن دُجج به لم ينفع <sup>(٥)</sup> . قال : فما تقول يارية ؟  
قال : بش السيف والله ذكر ! وغيره أبفض إلى منه . قال : وما هو ؟ قال :  
الطيس <sup>(٦)</sup> اللذان <sup>(٧)</sup> ، المعصد <sup>(٨)</sup> المهان .

قال : فأخبرني يا عمرو : أي الرماح أحب إليك عند الراس ، إذا أعسكر  
الباس ، وأشتجر الدقاس <sup>(٩)</sup> ؟ قال : أحبا إلى المارن <sup>(١٠)</sup> المتقف ، المقوم  
المخطف <sup>(١١)</sup> ، الذي إذا هزته لم ينطف ، وإذا طعنت به لم ينقص . قال :  
ما تقول يارية ؟ قال : « نعم الرمح نمت ! وغيره أحب إلى منه . قال وما هو ؟  
قال : الذابل <sup>(١٢)</sup> المسال ، المقوم النسال ، الماضي إذا هزته ، النافذ إذا همزته .  
قال : فأخبرني يا عمرو عن أبفض الرماح إليك . قال : الأعصل <sup>(١٣)</sup>  
عند الطمان ، المثم السنان ، الذي إذا هزته انطف ، وإذا طعنت به انقص .  
قال : ما تقول يارية ؟ قال : بش الرمح ذكر ! وغيره أبفض إلى منه . قال : وما هو ؟  
قال : الضعيف المهز <sup>(١٤)</sup> ، اليابس الكز <sup>(١٥)</sup> ، الذي إذا أكرهته انحطم ، وإذا  
طعنت به انقصم . قال انصرفا ، الآن طاب لي الموت » . ( الأمل : ١ : ١٥٧ )

[١] مرق . [٢] قطع . [٣] الذي لا يقطع ، وهو مع ذلك حديث الطبع . [٤] سيف  
كهام كليل . [٥] لم يبلغ النخاع . [٦] من الطبع أي الصدا . [٧] الذي لا يقطع .  
[٨] القصير الذي يتبين في قطع الشجر وغيرها . [٩] الطمان : دعه إذا طمته . [١٠] المارن :  
مالان من الرمح ، والمتقف : السوي بالخاف ، وهو ما تموى به الرماح . [١١] المخطف بهم فكون  
الضرب ، وإخطاف المعنى انطواؤه ، ومنه فرس مخطف المعنى أي ضلوه ، ورجل مخطف كفك ورجع  
مخطف أي دقيق . [١٢] قنا ذابل : أي دقيق لاسق بالبط ( بكسر الهمزة ، والبط : قتر الفتاة ) ،  
والسالم : الشديد الاضطراب إذا هزته وبالسالم بالسرير ، وهو عدو فيه اضطراب ، والسلمان قريب منه .  
[١٣] للتوى : للرج . [١٤] مهز كنه : دفعه . [١٥] الكزاة : العيس والاقباش كزوهو كز .

### ٣٦ - قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طي.

أتى أبو جَيْلٍ قيس بن خُفَّافَ البرُّجُمي حاتم طي<sup>(١)</sup>، في دماء حملها عن قومه ،  
فأسلموه<sup>(٢)</sup> فيها ، وعجز عنها ، فقالَ اللهُ لآتين من يحملها عني ، وكان شريفاً  
شاعراً ، فلما قدم عليه قالَ : « إنه وقت بين قومي دماء فتواكلوها ، وإني  
حملتها في مالي وأملي ، فَقَدَمْتُ مالي ، وكنت أُملي ، فَإِنْ تَحْمِلُهَا قُرب حق قد  
قضيته ، وهم قد كفيته ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك ، ولم أياس من  
غدك . ثم أنشأ يقول :

حملت دماء للبراجم جنة <sup>(٣)</sup>	فبتك لما أسلمتني البراجم <sup>(٣)</sup>
وقالوا (سفاها) لم حملت دماءنا	فقلت لهم يكفي الحمالة حاتم <sup>(٣)</sup>
مسي آتة فيها يقل لي مرجاً	وأهلاً وسهلاً أخطأتك الأشائم <sup>(٤)</sup>
فيحملها عني ، وإن شئت زادني	زيادة من حنت إليه المكارم
يعيش الندى ما عاش حاتم طي <sup>(٥)</sup>	فإن مات قامت للسقاء ماتم
ينادين مات الجود معك فلانرى	محياً له ما حام في الجود حاتم
وقال رجال أنهب العام ماله	فقلت لهم إني بذلك عالم <sup>(٥)</sup>
ولكنه يعطى من أموال طي <sup>(٦)</sup>	إذا جلف المال الحقوق للوازم <sup>(٦)</sup>
فيعطى التي فيها النقي وكأنه	لنصفيره تلك العطية جارم <sup>(٧)</sup>
بذلك أوصاه عدي وحشرج	وسعد وعبد الله تلك القمام <sup>(٨)</sup>

[١] خنلوه . [٢] البراجم من تميم . [٣] البقاء : البقاء . والحمالة : البقية يحملها قوم عن قوم . [٤] الأشائم : ضد الأيمن . [٥] أنهب المال : جبهه نهباً يثار عليه . [٦] أى جبرته وانتهه . [٧] جرم الرجل ( بفتح الجيم ) : أذنب كالجرم . [٨] جمع قمام وهو السبد .

فَقَالَ لَهُ حَاتِمٌ : إِنْ كُنْتُ لِأَحِبُّ أَنْ يَأْتِيَنِي مِثْلُكَ مِنْ قَوْمِكَ ، هَذَا مِرْبَاعِي <sup>(١)</sup>  
 مِنَ النَّارَةِ عَلَى بَنِي تَيْمٍ ، نَخَذَهُ وَافَرًّا ، فَإِنْ وَفَى بِالْحِمَاةِ ، وَإِلَّا أَكَلْتُهَا لَكَ ، وَهُوَ  
 مَائِثًا بِبِيرِ سَوَى بَيْنَهَا وَفِصَالِهَا ، مَعَ أَنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تُؤَيِّسَ قَوْمَكَ بِأَمْوَالِهِمْ ،  
 فَضَحَكَ أَبُو جُبَيْلٍ وَقَالَ : لَكُمْ مَا أَخَذْتُمْ مِنَّا ، وَلَنَا مَا أَخَذْنَا مِنْكُمْ ، وَأَيُّ بَيْرٍ  
 دَفَعْتَهُ إِلَيَّ ، لَيْسَ ذَنْبُهُ فِي يَدِ صَاحِبِهِ ، فَأَنْتَ مِنْهُ بَرِيءٌ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ وَزَادَهُ مَائَةَ  
 بَيْرٍ ، فَأَخَذَهَا وَانصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى قَوْمِهِ . فَقَالَ حَاتِمٌ فِي ذَلِكَ :

أَنَا ابْنُ الْبُرَيْجِيِّ أَبُو جُبَيْلٍ	لَمْ يَكُنْ فِي حِمَاةٍ طَوِيلٍ
فَقُلْتُ لَهُ خُذِ الْمِرْبَاعَ وَهَوًّا	فَلَا أَسْتَأْذِنُ بِالْقَلِيلِ <sup>(٢)</sup>
عَلَى حَالٍ ، وَلَا عَوَّدَتْ نَفْسِي	عَلَى عِلَاتِهَا عِلَلُ الْبَخِيلِ
نَخَذَهَا إِنَّهَا مَائِثًا بِبَيْرٍ	سَوَى النَّابِ الرَّذِيَّةِ وَالْفَصِيلِ <sup>(٣)</sup>
فَلَا مِنْ عَيْلِكَ بِهَا ، فَلَا أَسْأَلُ	رَأَيْتُ الْمَنْ يُزْرَى بِالْجَزِيلِ
فَأَبُ الْبُرَيْجِيِّ وَمَا عَلَيْهِ	مِنْ أَعْبَاءِ الْحِمَاةِ مِنْ قَتِيلِ
يَحْرُ الدَّيْلُ يَنْقُصُ مَذْرُوبُهُ	خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ حِمْلِ ثَقِيلِ <sup>(٤)</sup>

( ذيل الأملال ٢٢ ، والأغانى ٧ : ١٤٥ )



[١] المربع : ربع التينة ، وكان يختص به قائد النارة وفارسها . [٢] يقال : آتاك به وهو أى آتاك به غمراً سهلاً لا احتباس فيه . [٣] الناقة اللسنة ، والرذية : مؤث الرنى ، وهو الضعيف من كل شئ . ومن أمته المرض . [٤] اللقوان : أطراف الألية بلا واحد أو هو المفرد ، ومن الرأس ناحيته ، ويقال جاء بغض مفروبه . أى بلفيا متهددا .

## الوصايا

### ٣٧ - وصية أوس بن حارثة لابنه مالك

حاش الأوس بن حارثة دهرًا ، وليس له ولد إلا مالك ؛ وكان لأخيه الخزرج خمسة : عمرو ، وعوف ، وجثم ، والحارث ، وكعب . فلما حضره الموت . قال له قومه قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك ، فلم تزوج حتى حضرك الموت ، فقال الأوس : « لم يهلك هالك ، ترك مثل مالك ، وإن كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، فلعن الذي استخرج العذق <sup>(١)</sup> من الجريمة <sup>(٢)</sup> ، والنار من الوييمة <sup>(٣)</sup> ، أن يجعل لمالك نسلا ، ورجالا يسلا <sup>(٤)</sup> ، يمالك ، المنية ولا الدنية ، والعتاب قبل العتاب ، والتجلد لا التبذل ، وأعلم أن القبر خير من الفقر ، وشر شارب المشت <sup>(٥)</sup> ، وأقبح طاعم المقت <sup>(٦)</sup> ، وذهب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحرم ، ومن قل ذل ، ومن أير <sup>(٧)</sup> قل ، وخير بالنفى القناعة ، وشر الفقر الضراعة ، والهر يومان ، فيوم لك ، ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر ، فكللها سينحسر <sup>(٨)</sup> ، فإنما تمز <sup>(٩)</sup>

[١] العذق : النحلة يحملها والعنق ( بكسر العين ) القنومها . [٢] التواة . [٣] الوييمة : المبارزة ، ومثله : كسره ودقه . ووم القرش الأرض : دجها بموازره . ( ومن أيمان العرب لا والذي أخرج العذق من الجريمة . والنار من الوييمة ، وقولهم : لا والذي شقهن خما من واحدة ينون الأصابع ، وقولهم : لا والذي أخرج قاذبة من توب ينون فرخا من بيضة . لا والذي وجهي زمييته ( بالتحريك ) أى قصده وحذاءه . [٤] شجعانا : جمع يأسل . [٥] السقمى : اشتف ما في الإماء شربه كله . واشتف إذا شرب الشفافة ( بالضم ) ، وحى البقية تبقى في الإماء . [٦] الأخذ بيعة ، ومثله سعى التفاف وهو من يرق الدرام بين أصابعه . [٧] أمر كفرح أمرا ولمرة : كثر وتم فهو أمر ( وأمره الله وأمره كصره كثره : وإذا أردنا أن نهلك قربة أمرنا مترفيا . أى كثرتنا . [٨] ينكشف . [٩] انقلب . عزه يزوم كصره عزًا ، وعز يزوم كعرب عزًا وعزة صار عزيرًا .

من ترى ويمزك من لا ترى ، ولو كَانَ الموت يُشْتَرَى ، لَسَلِمَ منه أَهْلُ الدُّنْيَا ،  
ولكن النَّاسَ فِيهِ مُسْتَوُونَ ، الشَّرِيفُ الْأَبْلَجُ ، وَاللَّئِيمُ الْمُلْتَمِحُ <sup>(١)</sup> ، وَالْمَوْتُ  
الْمُفِيتُ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُقَالَ لَكَ هَيْبَتٌ <sup>(٢)</sup> ، وَكَيْفَ بِالسَّلَامَةِ ، لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ  
إِقَامَةٌ ، وَشَرٌّ مِنَ الْمَصِيبَةِ سَوَاءُ الْخَلْفِ ، وَكُلُّ مَجْمُوعٍ إِلَى تَلَفٍ ، حَيْثُكَ إِلَهَكَ .  
(الأمال ١ : ١٠٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

### ٣٨ - وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد

لَمَّا اخْتَصِرَ <sup>(٣)</sup> ذُو الْإِصْبَعِ دُعَا ابْنَهُ أُسَيْدًا ، فَقَالَ لَهُ : يَا بَنِي إِنْ أَبَاكَ قَدْ فَنَى  
وَهُوَ حَيٌّ ، وَعَلَّشَ حَتَّى سَمَّ الْعِيشَ ، وَإِنِّي مَوْصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَّغْتَ فِي  
قَوْمِكَ مَا بَلَغْتَهُ ، فَاحْفَظْ عَنِّي . أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يَجُوبُكَ ، وَتَوَاضِعْ لَهُمْ  
يَرْفَعُوكَ ، وَأَبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يَطِيعُوكَ ، وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ يَسُودُّوكَ ،  
وَأَكْرَمِ صِغَارَهُمْ كَمَا تَكْرَمُ كِبَارَهُمْ ، يُكْرِمُكَ كِبَارُهُمْ ، وَيَكْبَرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُمْ ،  
وَاسْمَحْ بِعَالِكَ ، وَأَحْمِ حَرِيمَكَ ، وَأَعَزِّزْ جَارَكَ ، وَأَعِزَّ مِنْ أَسْتَمَانَ بِكَ ، وَأَكْرَمِ  
ضَيْفَكَ ، وَأَسْرِعِ النِّهْضَةَ فِي الصَّرِيخِ <sup>(٤)</sup> ، فَإِنَّ لَكَ أَجَلَ لَا يَبْدُؤُوكَ ، وَصُنْ وَجْهَكَ  
عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا ، فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُؤْدُوكَ .  
(الآغاني ٢ : ٦)

### ٣٩ - وصية أكرم بن صيفى لبنيه ورهطه

وَصَّى أَكْرَمُ بْنُ صَيْفَى بَنِيهِ وَرَهْطَهُ ، فَقَالَ : « يَا بَنِي نَعِمَ لَا يَفُوتَنَّكُمْ  
وَعِظِي إِنْ فَاتَكُمْ الدَّهْرُ بِنَفْسِي ، إِنْ بَيْنَ خَيْرُومِي <sup>(٥)</sup> وَصَدْرِي لِكَلَامًا لَا أَجْدِيهِ  
مَوَاقِعَ إِلَّا أَسْمَاعَكُمْ ، وَلَا مَقَارَ إِلَّا قُلُوبَكُمْ ، فَتَلْقَوْهُ بِأَسْمَاعٍ مُصَنِّعَةٍ ، وَقُلُوبٍ وَاعِيَةٍ ،

[١] للتأني في العناء والهم . [٢] الأحق الضيف . [٣] حفره للموت . [٤] أى ف  
وقت الصرخ وهو نداء السكت . [٥] الميزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الحزام .

تَحْمَدُوا مَعْبَتَهُ ، الهوى يقظان ، والعقل راقد ، والشهوات مُطْلَقَةٌ ، والحزم معقول <sup>(١)</sup> والنفس مهملة ، والروية مُقَيَّدَةٌ ، ومن جهة التوائى وترك الروية ، يتلف الحزم ، ولن يمدِّم المشاور مُرْشِدًا ، والمستبدُّ برأيه موقوف على مَدَاحِصٍ <sup>(٢)</sup> الزلل ، ومن سمع مُعَمَّعٌ بِهِ ، ومصارع الرجال تحت بروق الطمع ، ولو اعتبرت مواقع المحن ما وُجِدَتْ إِلَّا فى مقاتل الكرام ، وعلى الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجَدَدَ <sup>(٣)</sup> أَمِنَ العثار ، ولن يَعْدَمَ الحسود أن يُتَعَبَّ قلبه ، وَيَشْمَلَ فكره ، وَيُورَثَ <sup>(٤)</sup> غيظه ، ولا تجاوز مَضَرَّتُهُ نَفْسَهُ .

يا بنى تميم : الصبر على جَزَعِ الحلم أعذب من جَنَى ثمر الندامة ، ومن جعل عِرْضَهُ دون ماله اسْتَهْدَفَ للذم ، وَكَلَّمَ اللسان أنكى من كَلَّمَ اللسان ، والكلمة مرهونة ما لم تَنْجُم من الفم ، فإذا تَجَمَّتْ فعلى أَسَدٍ مُحَرَّبٍ <sup>(٥)</sup> ، أو نار قَلَهَبٍ ، ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجوز ، ونفاذ الرأى فى الحرب ، أجدى من الطعن والضرب » .  
(شرح ابن أبى الحديد ٤ : ١٥٥ ، وشرح البون ١٥)

#### ٤٠ — نصيحة أكرم بن صيفى لقومه

ونصح قومه فقال : « أَقِلُّوا الخلاف على أُمْرَانِكُمْ ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، والمرء يعجز لا محالة ، يا قوم تثبتوا فإن أحزم الفريقين الرَّاكِبِينَ <sup>(٦)</sup> وربَّ نَجَلَةٍ تَهَبُّ رَبَّنَا <sup>(٧)</sup> ، وَاتَّزِدُوا للحرب ، وَادَّرِعُوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف » .  
(الأغانى ١٥ : ٧٠)

[١] مجبوس . [٢] جمع مدحضة ، وهى الزلة . [٣] الأرض المستوية . [٤] يؤخذ .  
[٥] التحبيب : التحريش والحديد ، والعرب والتحرب الأسد . [٦] الرزق . [٧] يثا .

## ٤١ - وصية عمرو بن كلثوم لابنه

أوصى عمرو بن كلثوم الثعلبي ، فقال : يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ بَلَنْتُ مِنَ الْعَمْرِ مَا لَمْ يَلْغُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَمْرِ مُقْتَبِلٍ ، وَأَنْ يَنْزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَالْأُمَهَاتِ وَالْأَوْلَادِ ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أُوصِيكُمْ بِهِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمْرًا إِلَّا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ ، إِنْ حَقَّ خَفَا ، وَإِنْ بَاطَلَ فَبَاطِلًا ، وَمَنْ سَبَّ سَبًّا ، فَكَفُّوا عَنِ الشَّتْمِ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لِأَعْرَاضِكُمْ ، وَصَلُوا أَرْحَامَكُمْ ، تَعَزُّوْا دَارَكُمْ ، وَأَكْرَمُوا جَارَكُمْ يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُمْ ، وَزَوَّجُوا بَنَاتِ الدِّمِ بَنِي الدِّمِ ، فَإِنْ تَعَدَّيْتُمْ بِهِنَ إِلَى الْغُرَبَاءِ ، فَلَا تَأْلُوا بِهِنَ الْإِكْفَاءَ ، وَأَبْدُوا يَوْتَ النِّسَاءِ مِنْ يَوْتِ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ ، وَأَعَفٌّ لِلذِّكْرِ ، وَمَتَى كَانَتْ الْمَعَايِنَةُ وَاللِّقَاءُ ، فَفِي ذَلِكَ دَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَنَارُ لِنَفْسِهِ ، كَمَا يَنَارُ لِنَفْسِهِ ، وَقُلْ مَنْ أُنْتَهَكَ حَرَمَهُ لِنَفْسِهِ إِلَّا أُنْتَهَيْتَ حَرَمَتَهُ ، وَأَمْنَعُوا الْقَرِيبَ مِنْ ظَلَمِ الْغَرِيبِ ، فَإِنَّكَ تَنْزِلُ عَلَى قَرِيبِكَ ، وَلَا يَحِلُّ بِكَ ذَلُّ غَرِيبِكَ ، وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي السَّمَاءِ فَلَا يَكُنْ حَقُّكَ لِقَاءَ ، قُرْبٍ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ ، وَوَدَّ خَيْرٌ مِنْ خَلْفٍ ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَعُوا ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجِزُوا ، فَإِنْ مَعَ الْإِكْثَارِ يَكُونُ الْإِهْذَارُ (١) ، وَوَيْتٌ عَاجِلُ خَيْرٍ مِنْ ضَنْئِ آجِلٍ ، وَمَا بِكَيْتٍ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا دَهَانِي بَعْدَهُ زَمَانٌ ، وَرَيْبَا شَجَانِي مَنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ عَنَانِي ، وَمَا عَجِبْتُ مِنْ أَحْدُوثةٍ إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا أُعْجُوبةً ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ الْقَوْمِ الْمَطُوفُ ، وَخَيْرُ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السَّيْفِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رُوْيَةَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا غُرِبَ لَمْ يُعْتَبَرْ (٢) ، وَمَنْ

الناس من لا يُزجى خيره ، ولا يخاف شره ، فَبَنُوهُ <sup>(١)</sup> خير من دَرَّه ،  
وعقوبه خير من يَرَّه ، ولا تُبَرِّحوا في حِكْم ، فانه من بَرَّح في حب ، آل ذلك إلى  
قيح بفض ، وكم قد زارني إنسان وزرته ، فاقطب الدهر بنا فَبُرَّته <sup>(٢)</sup> ، واعلموا  
أن الحكيم سليم ، وأن السيف كلیم ، إني لم أمت ولكن هرمت ، ودخلتني ذلة  
فسكت ، وضعف قلبي فَأَهْتَرْتُ <sup>(٣)</sup> ، سلمكم ربكم وحياكم .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥)

## ٤٢ — وصية الحرث بن كعب لبنیه

وأوصى الحرث بن كعب بنیه فقال :

« يا بني قد أتت على مائة وستون سنة ، ما صاغت يميني غادر ، ولا  
قَنَعْتُ لنفسي بِمُحَلَّة <sup>(١)</sup> فاجر ، ولا صَبَوْتُ بَابنة عم ولا كَنَّة <sup>(٢)</sup> ، ولا بُنَحْتُ  
لصديق بسر ، ولا طَرَحْتُ عن مؤمنة قناعا ، ولا بقى على دين عيسى بن مريم  
— وروى : على دين شعيب — من العرب غیری وغير تميم بن مرة ، وأسد بن  
خُزَيْمَة ، فوثقوا على شريعتي ، واحفظوا وصيتي ، وإلهم فاتقوا ، يَكْفِكُمْ ما أهمكم ،  
ويصلح لكم حالكم ، وإياكم وممصيته ، فَيُحِلْ بكم الدمار ، وَيُوحِشْ منكم الديار ،  
كونوا جميعا ولا تفرقوا ، فتكونوا شيعا ، وَبُرُّوا قبل <sup>(٣)</sup> أن تُبَرُّوا ، فوت في عز  
خير من حياة في ذل وعجز ، وكل ما هو كائن كائن ، وكل جمع إلى تباين ، والدهر

[١] بكأت النافذة بكأ قل لبنا . [٢] بلره : جريه . [٣] المثر بالضم ذهب العقل من كبر أو  
مرض أو حزن وقد اهتم فهو مثير بفتح التاء إذا ذ وتبل اهتم بالبناء للجهول . [٤] الحلة : المدافعة المختصة لاخل  
فيها تكون في غلاف وفي دطارة (والحلة أيضا الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع) . [٥] الكنة :  
امراء الابن أو الأخ جمه كئان . [٦] بزّه : سلبه ، وفي اللل من عز بزّه ، أى من غلب سلب .

صَرَفَانِ، صَرَفٌ بِلَاءٌ، وَصَرَفٌ رِخَاءٌ، وَالْيَوْمُ يَوْمَانِ، يَوْمٌ حَبْرَةٌ، وَيَوْمٌ عَبْرَةٌ،  
وَالنَّاسُ رَجُلَانِ، رَجُلٌ لَكَ، وَرَجُلٌ عَلَيْكَ، زَوْجَا النِّسَاءِ الْأَكْفَاءِ، وَإِلَّا  
فَانْظُرُوا بَيْنَ الْقَضَاءِ، وَلَيْكُنْ أَطْيَبُ طَيِّبِ الْمَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْوَرَهَاءَ<sup>(١)</sup>، فَإِنَّهَا  
أَدْوُ الدَّاءِ، وَإِنْ وَلِمَهَا إِلَى أَفْنٍ<sup>(٢)</sup> يَكُونُ، لَا رَاحَةَ لِقَاطِعِ الْقَرَابَةِ، وَإِذَا اخْتَلَفَ  
الْقَوْمُ أَمَكُنُوا عَدُوَّهُمْ، وَآفَةُ الْعَدُوِّ اخْتِلَافُ الْكَلِمَةِ، وَالتَّفَضُّلُ بِالْحَسَنَةِ، يَقِي  
السَّيْئَةَ، وَالْمَكَافَأَةُ بِالسَّيْئَةِ دُخُولُ فِيهَا، وَعَمَلُ السُّوءِ يَزِيلُ النِّعْمَاءَ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ تَوْرِثُ  
الْهَمَّ، وَاتِّهَاكُ الْحَرَمَةِ، يَزِيلُ النِّعْمَةَ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ يُعَقِّبُ النِّكَدَ، وَيُخْرِبُ  
الْبَلَدَ، وَيَمْتَحِقُ الْعُدَدُ، وَالْإِمْرَافُ فِي النَّصِيحَةِ، هُوَ الْقَضِيحَةُ، وَالْحَقْدُ يَمْنَعُ الرَّفْدَ،  
وَلِزُومُ الْخَطِيئَةِ، يَعْقِبُ الْبَلِيَّةَ، وَسُوءُ الدَّعَى، يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْمُنْعَمَةِ، وَالضَّمَانُ  
تَدْعُو إِلَى التَّبَايُنِ، يَأْتِي، إِنِّي قَدْ أَكَلْتُ مَعَ أَقْوَامٍ وَشَرِبْتُ، فَذَهَبُوا وَغَبَرَتْ،  
وَكَأَنِّي بِهِمْ قَدْ لَحِقْتُ، ثُمَّ قَالَ :

أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَقْبَنِيهِ	وَأَبْلَيْتُ بَعْدَ دَهْوٍ دَهْوًا
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ صَاحِبَتِهِمْ	فَبَادُوا وَأَصْبَحَتْ شَيْخًا كَبِيرًا
قَلِيلَ الطَّهَامِ، عَسِيرَ الْقِيَامِ	قَدْ تَرَكَ الدَّهْرَ خَطْوِي قَصِيرًا
أَيَّتْ أُرَاعِي نَجْمِ السَّمَاءِ	أَقْلَبُ أَمْرِي بَطُونًا ظَهْوًا

(شرح ابن أبي الحديد : ١٥٤)



[١] الخفاء : من وره كفرح : حق فهو أوره .

[٢] ضف الرأى والقل .

# الباب الثاني

## الخطبة والوصايا

### في

### عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم

٤٣ - أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إِنَّ الرَّأْيَ (١) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَأَهْلُهُ لَوْ كَذَبَتْ النَّاسُ جَمِيعًا مَا كَذَبَتْكُمْ ، وَلَوْ غَرَزْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا غَرَزْتُكُمْ ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً ، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَاللَّهُ لَتَوَتَّنَ كَمَا تَنَامُونَ ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ ، وَلَتَحَاسِبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ، وَبِالْبُوءِ سُوءًا ، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا ، أَوْ لَنَارٌ أَبَدًا » .

( البية الخلية ١ : ٢٤٢ ، والكس لابن الأثير ٢ : ٢٧ )

## ٤٤ خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صَدَق وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، أَلَا كُلُّ مَأْثُورَةٍ <sup>(١)</sup> أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى ، فَهُوَ تَحْتَ قَدَتَيَّ هَاتَيْنِ ، إِلَّا سِدَانَهُ <sup>(٢)</sup> الْبَيْتَ ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ ، أَلَا وَقَتْلُ الْخَطَا مِثْلُ الْعَمْدِ بِالسُّوْطِ وَالْمِصَا ، فِيهَا الدِّينُ مُعْلَظَةٌ ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلِيفَةً <sup>(٣)</sup> فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَنَعَظُمَهَا <sup>(٤)</sup> بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الْآيَةَ . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ (أَوْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ) مَا تَرَوْنَ أَتَى فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا خَيْرًا ، أَخُ كَرِيمٍ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، قَالَ : أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ .  
( تاريخ الطبري ٣ : ١٢٠ ، وإيجاز القرآن ص ١١٢ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٢١ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣ )

## ٤٥ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ وَجِبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُسَبِّحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَقَرٌ ، عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نَبْوُثُهُمْ أَجْدَثُهُمْ ، وَنَأْكُلُ مِنْ تَرَائِمِهِمْ ، كَأَنَّا نُحْلِدُونَ بَعْدَهُمْ ، وَنَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ ، وَأَمَّا كُلُّ جَائِحَةٍ <sup>(١)</sup> ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْنُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ ، طُوبَى لِمَنْ أَتَقَى مَالًا أَكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفَقْرِ وَالْحِكْمَةِ ، وَخَالَطَ أَهْلَ

[١] السكرة . [٢] خدمة الكعبة . [٣] الخلفة : المائل من الياق . [٤] نعظم : تكبر .

[٥] الجوح : الإهلاك والاستئصال كالاجتياح . [٦] مؤث أليوب ، والمثني والمير وشجرة في الجنة أو الجنة .

الذل والمسكنة، طوبى لمن زكّت وحسنت خليفته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن ألتقى الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسّعته السنة، ولم تستهوه البدعة . (سبح الأئمة ١ : ٢١٢)

#### ٤٦ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَبُّوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَتَادِرُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ قَبْلَ أَنْ تُشْفَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ، وَكَثْرَةِ الضَّدَقَةِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، تَرْزُقُوا وَتُؤَجِّرُوا وَتُنَصِّرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ أَقْرَضَ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةَ، فِي مَقَامِي هَذَا، فِي عَامِي هَذَا، فِي شَهْرِي هَذَا، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَيَاتِي وَمَنْ بَعْدَ مَوْتِي، فَمَنْ تَرَكَهَا وَلَهُ إِمَامٌ، فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ تَمَلُّهُ، وَلَا بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، أَلَا وَلَا حُجَّ لَهُ، أَلَا وَلَا صَوْمَ لَهُ، أَلَا وَلَا صَدَقَةَ لَهُ، أَلَا وَلَا يَرْءَ لَهُ، أَلَا وَلَا يَوْمُ أَعْرَابِيٍّ مُهَاجِرًا، أَلَا وَلَا يَوْمُ فَاجِرٍ مُؤْمِنًا، إِلَّا أَنْ يَقْهَرَهُ سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ . (إيجاز القرآن ص ١١٠)

#### ٤٧ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« إِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُ، وَأُسْتَعِينَهُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَتَقَسْنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَتَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِنَّهُ أَصْدَقُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ، أُحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ، وَأَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ، وَلَا تَقْسُوا عَلَيْهِ قُلُوبَكُمْ، اعْبُدُوا اللَّهَ

وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ <sup>(١)</sup> ، وَصَدَّقُوا صَالِحَ مَا تَعْمَلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

( إِنْجِيلُ الْفَرَّانِ ص ١١٠ )

## ٤٨ — خُطْبَةٌ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وَمِنْ خُطْبِهِ أَيْضًا أَنَّهُ خُطِبَ بَعْدَ الْعَصْرِ فَقَالَ :

« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ ، أَلَا لَا يَمْتَحِنَنَّ رَجُلًا خَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا عَلِمَهُ . . . وَلَمْ يَزَلْ يُخَاطِبُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا حُمْرَةٌ عَلَى أَطْرَافِ السَّمَاءِ فَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيهَا مَضَى إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيهَا مَضَى . »

( إِنْجِيلُ الْفَرَّانِ ص ١١٣ )

## ٤٩ — خُطْبَتُهُ بِالْخَيْفِ

وَخُطِبَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَتْنٍ فَقَالَ :

« نَضَرَ <sup>(٢)</sup> اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَطَّأَهَا ، ثُمَّ أَذَاهَا إِلَيَّ مِنْ لَمْ يَسْمَعَهَا ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، ثَلَاثٌ لَا يَنْبَغُ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَوَّلَى الْأَمْرِ ، وَلِزُورِ الْجَمَاعَةِ ، إِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَمَنْ كَانَ هُمُ الْآخِرَةَ جَمَعَ اللَّهُ شِمْلَهُ ، وَجَمَلَ غِيَاةَ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَ هُمُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللَّهُ أَمْرَهُ ، وَجَمَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ . »

( إِنْجِيلُ الْفَرَّانِ ص ١١٢ )

[١] الخاتمة : النضوى . [٢] من النضرة والنضارة ، وهي الحسن .

[٣] غلّ صميره يغلّ كعرب غلّ ، وهو المخذول والمغتنق .

## ٥٠ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس ، إن لكم مَآلِمَ <sup>(١)</sup> فاثموا إلى مَعَالِكُمْ ، وإن لكم نهايةً فاثموا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين خافتين ، أَجَلٍ قد مضى لا يدري ما الله فاعِلٌ فيه ، وَأَجَلٍ باقٍ لا يدري ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده ما بعد الموت من مُسْتَعْتَبٍ <sup>(٢)</sup> ، ولا بعد الدنيا من دارٍ إلا الجَنَّةُ أو النار .  
(تهذيب الكمال ١ : ٥٠ ، إيجاز القرآن ١١٠ ، البيان والتبيين ١ : ١٦٥ ، عيون الأخبار ٢ : ص ٢٣١ )

## ٥١ - أول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :  
« أما بعد أيها الناس فَقَدَّمُوا لأنفسكم ، تَعْلَمَنَّ والله لِيُصَمِّقَنَّ أَحَدُكُمْ ، ثم لِيَدَعَنَّ غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي قبْلُكَ ، وآتيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدَّمت لنفسك ؟ فلينظرن عينا وشمالاً ، فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قُدَّامَهُ فلا يرى غير جَهَنَّمَ ، فن استطاع أن يقي وجهه من النار ، ولو بِشِقِّ من تمره فليفعل ، ومن لم يجد قبْلكم طيبة ، فإن بها تُجْزَى الحَسَنَةُ عَشْرَ أمثالها إلى سبعمائة ضِعْفٍ <sup>(٣)</sup> ،  
والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته . (سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠ )

[ ١ ] جمع علم كغيب ، وهو الأمر يستدل به على الطريق ، والمراد حدود الشريعة للطهارة .  
[ ٢ ] استجبه أعطاه النبي ( وهي الرضا والصفح ) وطلب إليه النبي .  
[ ٣ ] ضيف الفاء منه وضغاه مثله ، أو الضيف المثل إلى ما زاد ، ويقال لك ضغفه يريدون مثليه .  
« ثلاثة أمثاله لأنه زيادة غير محصورة .

## ٥٢ — خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة

« الحمد لله أَمَحَدُهُ وَأَسْمِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَعِيذُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ  
وَأَعَادِي مِنْ يَكْفُرُهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا  
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ عَلَى قَهْرٍ مِنَ الرَّسْلِ ، وَقَلَّةٍ مِنَ  
الْعِلْمِ ، وَضَلَالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ ، وَدُنُوقٍ مِنَ السَّاعَةِ ، وَقُرْبٍ مِنَ  
الْأَجْلِ ، مَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ (١) ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى وَفَرَطَ ،  
وَصَلَّ صَلَاحًا بَعِيدًا . وَأَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ خَيْرَ مَا أَوْصَى بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ أَنْ  
يُحْصِنَهُ عَلَى الْآخِرَةِ ، وَأَنْ يَأْمُرَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمْ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ ،  
وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ تَنْسِيحَةً . وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا ، وَإِنْ تَقْوَى اللَّهَ لَمْ  
تَعْمَلْ بِهِ عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ مِنْ رَبِّهِ . عَوْنُ صِدْقٍ عَلَى مَا تَبْنُونَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ ،  
وَمَنْ يَصْلَحِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْمَلَانِيَةِ ، لَا يَنْوِي بِذَلِكَ إِلَّا  
وَجْهَ اللَّهِ . يَكُنْ لَهُ ذِكْرًا فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ : وَذُخْرًا فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقَرُ الْمَرْءُ  
إِلَى مَا قَدَّمَ ، وَمَا كَانَ مِنْ سِوَى ذَلِكَ يُوَدُّ أَنْ يَنْتَهِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيَحْذَرُكُمْ  
اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ . وَالَّذِي صَدَّقَ قَوْلَهُ ، وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ لَا خُلْفَ  
لِذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : « مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَتِي ، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .  
فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَأَجَلِهِ ، فِي السِّرِّ وَالْمَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ  
سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ، وَإِنْ تَقْوَى اللَّهَ  
يُوقِ مَقْتَهُ ، وَيُوقِ عَقُوبَتَهُ ، وَيُوقِ سَخَطَهُ ، وَإِنْ تَقْوَى اللَّهَ يُبَيِّضِ الْوُجُوهَ ،  
وَيَرْضَى الرَّبُّ ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ ، خَلَوْا بِحُظَّكُمْ وَلَا تُفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ ، قَدْ

عليكم الله كتابه ، وَتَهَجَّ لَكُمْ سَبِيلُهُ ، لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ،  
فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ  
اجْتَبَاكُمْ وَمِمَّا كَرِهَ الْمُسْلِمِينَ ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَتَنَّةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَتَنَّةٍ ،  
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ ، وَأَعْمَلُوا مَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ  
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ ،  
وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ  
إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ . (تاريخ الطبري ٢ : ٢٥٥)

### ٥٣ - خطبته في حجة الوداع

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ  
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ  
لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،  
أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَسْتَفْتِحُ <sup>(١)</sup> بِالَّذِي هُوَ خَيْرُ ،  
أَمَّا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مَنِي أَيْنَ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لِمَ لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَاثِي  
هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، إِلَى أَنْ تَلْقَوْا  
رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بِلَدِكُمْ هَذَا . أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟  
اللَّهُمَّ أَشْهَد ! فَن كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أُثِمَتْ عَلَيْهَا ، وَإِنْ رِبَا  
الْجَاهِلِيَةِ مَوْضُوعٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ رِبَا أَبْدَأَ بِهِ رَبَا عَمَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَإِنْ  
دِمَاءُ الْجَاهِلِيَةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ دَمٍ نَبْدَأُ بِهِ دَمَ عَامِرِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ الْحَرْثِ  
ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ <sup>(٢)</sup> ، وَإِنْ مَآثِرُ الْجَاهِلِيَةِ مَوْضُوعَةٌ غَيْرُ السِّدَّانَةِ وَالسَّقَايَةِ ، وَالْعَمْدُ

[١] الاستفتاح : الافتتاح والاستمرار . [٢] وكان مسترضاً في بني ليث فقتله بنو هذيل .

قَوَد<sup>(١)</sup> ، وشبه العمد ما قُتِلَ بالمصا والحجر وفيه مائة بدير ، فمن زَادَ ، فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس : إن الشيطان قد يش أن يُعبد في أرضكم هذه ، ولكنه<sup>(٢)</sup> قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تُخَفَّرُونَ من أعمالكم ، أيها الناس : إنما النبي<sup>(٣)</sup> زِيَادَةٌ في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونَهُ علماً ويحرمونه علماً ليواطئوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حُرُمٌ ، ثلاثة متواليات ، واحد فرد ، ذوالقعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب<sup>(٤)</sup> الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن ألا يُوطئنَ فرشكم غيركم ، ولا يُدْخِلْنَ أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ،

[١] القود : القصاص ، أي من قتل عمداً يقتل . [٢] في رواية الكامل لابن الأثير : «إن الشيطان قد يش أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك ، وقد رضى بما تخفرون من أعمالكم » . [٣] أي تأخير حرمة شهر إلى آخر ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام ، وهم عابرون أطوه ، وحرّموا مكانه شهراً آخر فيطون المحرم ، ويحرمون صغراً ، فإن احتاجوا أحلوه وحرّموا ريباً الأول ، وهكذا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها ، وكانوا يتنبهون في التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الملوحة ، وأول من أحدث ذلك جندبة بن عوف الكلابي كان يقوم على جبل في الموسم فينادي : إن ألفتكم قد أملت لكم المحرم فأطوه ، ثم ينادي في القابل : إن ألفتكم قد حرمت عليكم المحرم . لحرموه . زيادة في الكفر ، أي كفر آخر ضموه إلى كفرهم . ليواطئوا أي يوافقوا عِدَّةَ الأشهر الأربعة المحرمة ، وكانوا ربما زادوا في عدد الشهور بأن يحطوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليقس لهم الوقت ويحطوا أربعة أشهر من السنة حراماً أيضاً ، ولما نس على البدل المعلن في الكتاب والسنة ، وكان وقت حجبهم يختلف من أجل ذلك ، وكان في السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بالأس في ذي القعدة ، وفي حجة الوداع في ذي الحجة ، وهو الذي كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء ، ولما قال عليه الصلاة والسلام « إن الزمان قد استدار . . . الخ » - راجع تفسير الأتوسي ج ٢ ص ٢٠٠ [٤] قالوا في ثنية رجب وشعبان ورجب فتليب .

وَلَا يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلَنْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا هُنَّ <sup>(١)</sup> وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكُسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ <sup>(٢)</sup> لَا يَمْلِكُنَّ لِاتِّهَانِكُمْ فِي شَيْءٍ ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ مِنَ اللَّهِ ، وَأَسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيءٍ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد ! فَلَا تَرْجُئُنَّ بَعْدِي كَفَارًا يُضْرَبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَفْضِلُوا بَعْدَهُ ، كِتَابَ اللَّهِ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أيها الناس : إِنْ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لِأَدَمَ ، وَأَدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِي فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ أَتْمِدْ ! قَالُوا نَعَمْ . قَالَ فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ .

أيها الناس : إِنْ اللَّهَ قَدْ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ ، وَلَا يَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا يَجُوزُ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَالْوَلَدُ لِلْفَرَاشِ وَلِلْمَآهِرِ الْحَبَرُ <sup>(٣)</sup> ، مَنْ أَدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ <sup>(٤)</sup> ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(اليان والنبين ٢ : ١٥ ، الفد الفريد ٢ : ١٣٠ ، بحار القرآن ١١١ ، شرح ابن أبي الحديد ٤١ : ١ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٨ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١٤٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣٩٠ )

[١] العنن : الحبس والتضييق . [٢] جمع غائبة من عنة ، أي خضع وقذل ، والناقي : الأسير . [٣] والماهر : أي الزاني ، أي لاحق له في النسب ولا حظ له في الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش ، أي لصاحب أم أولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقوله الآخر : له التراب ، أي لآشئ له .

[٤] الصرف : التوبة والعدل الفدية ، وقيل الصرف القيمة والعدل الثقل ، وأصله في الفدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفاً ولا عدلاً ، أي لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتلهم رجلاً واحداً ، أي طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جبل بعد في كل شيء حتى صار مثلاً فيمن لم يؤخذ منه الفدى يجب عليه وألزم أكثر منه .

## ٥٤ .. خطبته في مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته مَوْعُوكًا قد عَصَبَ رأسه ، فقال خذ يدي يا فضل ، فأخذت يده حتى جلس على المنبر ، ثم قال ناد في الناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال :

« أما بعد : أيها الناس فإنني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وإنه قد دنا مني خُفُوقٌ <sup>(١)</sup> من بين أظهركم ، فمن كنتُ جلدتُ له ظَهْرًا ، فهذا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ <sup>(٢)</sup> منه ، ومن كنت شمتتُ له عِرْصًا ، فهذا عِرْصِي فَلْيَسْتَقِدْ منه ، ومن أخذت له مالًا فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يَخْشَ الشَّجَنَاءَ مِنْ قِبَلِي ، فإنها ليست من شأني ، أَلَا وَإِنْ أَحْبَبْتُكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ ، أَوْ حَلَانِي فَلَقِيتُ رَبِّي وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ ، وقد أرى أن هذا غير مُعْنٍ عني حتى أقومَ فيكم مرارًا » .

ثم نزل فصلَّى الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقاتته الأولى ، فداعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عِرْصَهَا ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان عنده شيء فَلْيُوْذِهِ وَلَا يَقلْ فُضُوحُ الدنيا ، أَلَا وَإِنْ فَضُوحُ الدنيا أَهْوَى مِنْ فَضُوحِ الآخِرَةِ » ثم صلى على أصحاب أحدٍ وَاسْتَفَرَّ لَهُمْ ، ثم قال : « إن عبدًا خيرهُ الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكي أبو بكر ، وقال : فدينارك بأنفسنا وآبائنا .

(تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤) .

[١] خلق النجم يخفق خفوقًا غاب والطائر طار والليل أكثره . [٢] تليقسي (من القود) وهو القصاص ، أعاد القاتل بالتبيل قتله به ، واستعاد المالك سألَهُ أَنْ يَجِدَ القاتِلَ بالتبيل .

## خطب يوم السقيفة

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا نؤتي هذا الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عبادَةَ ، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه ، إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي ، ولكن نلّق مني قولي فأسمعهموه ، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله : فيرفع صوته ، فيسمع أصحابه :

### ٥٥ — خطبة سعد بن عبادَةَ

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يا معشر الأنصار ، لكم سابقة في الدين ، وفضيلة في الإسلام ، ليست لقبيلة من العرب ، إن محمداً عليه الصلاة والسلام لبث بضعة عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخلق الأنداد والأوتان ، فآمن به من قومه إلا رجال قليل ، وما كانوا يقدرُونَ على أن ينعوا رسول الله ﷺ ، ولا أن يميزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً فغضبوا به ، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ، وخصّكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكتمتم أشد الناس على عدوه من غيركم ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ، وأعطى البعيدُ المقاتلة صاغراً ذاكراً<sup>(١)</sup> ، حتى أئمن<sup>(٢)</sup> الله عز وجلّ لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسياقكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ، وبكم قريّ عيني ، استبديا بهذا الأمر دون الناس ، فإنه لكم دون الناس »

[١] صاغراً ذليلاً : من دخر كنع وفرح دخورا ودخرا بالحريك .

[٢] 'أئمن' مغلطاً : أومن ، والمراد أخضع .

فأجابوه بأجمعهم أن قد وُفِّتَ في الرأي، وأصبتَ في القول، وإن نَعُدُّو  
ما رأيتَ، نُؤثِّيكَ هذا الأمر، وأتى عمرَ الخبِرُ، فأقبلَ إلى أبي بكرٍ فقال :  
« أما علمتَ أن الأنصارَ قد اجتمعوا في سقيفةِ بني ساعدة ، يريدون أن يولوا  
هذا الأمرَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ؟ وَأَحْسَنُهُمْ مَقَالَةً من يقول : مِثْلُ أَمِيرٍ وَمِنْ قُرَيْشٍ  
أَمِيرٌ » فضيا مصرعين نحوهم ، فلقيا أبا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فَمَاشَوْا إِلَيْهِمْ ثَلَاثَهُمْ ،  
فجاءواهم مجتمعون . فقال عمر : أتيناكم وقد كنتَ زَوَيْتَ <sup>(١)</sup> كلاماً أردتَ أن  
أقومَ به فيهم ، فلما أن دَفَعْتَ إِلَيْهِمْ ذَهَبَ لَأَبْدِيَّ المنطق . فقال لي أبو بكرٍ :  
رَوَيْدًا حَتَّى أَتَكَلِّمَ ، ثُمَّ انْطَقَ بَعْدُ بِمَا أَحْيَيْتَ ، فَنَطَقَ . فقال عمر : فما شئ ،  
كنتَ أردتَ أن أقوله إلَّا وقد أتى به أوزادُ عليه .

## ٥٦ - خطبة أبي بكر رضي الله عنه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا رَسُولًا إِلَى خَلْقِهِ ، وَشَهِيدًا عَلَى أُمَّتِهِ ، لِيَعْبُدُوا اللَّهَ  
وَيُؤَحِّدُوهُ ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً شَتَّى ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَهُمْ عِنْدَهُ شَافِعَةٌ ،  
وَلَهُمْ نَافَعَةٌ ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ حَجَرٍ مَنْحُوتٍ ، وَخَشَبٍ مَنْجُورٍ <sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ قَرَأَ :  
« وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا  
عِنْدَ اللَّهِ ، وَنَاوَلُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لَيَقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى » فَمَظَّمْ عَلَى الْعَرَبِ أَنْ  
يَتْرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ ، يَخْصُ اللَّهَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ قَوْمِهِ بِتَصَدِيقِهِ ، وَالْإِيمَانَ  
بِهِ ، وَالْمُؤَاسَاةَ لَهُ ، وَالصَّبْرَ مَعَهُ ، عَلَى شِدَّةِ أَذَى قَوْمِهِمْ لَهُمْ ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُمْ :

[١] زَوَاهِ يَزُوهُ جَمْعُهُ ، وَالْمُرَادُ أَعْدَتُهُ . وَرَوَايَةُ الْقَدِّ الْقَرِيدِ ( ٢ : ٢٠٤ ) زَوَرَتْ كَلَامًا فِي شَيْءٍ  
وَزَوَّرَ الشَّيْءَ ، حَسَنَهُ وَقَوَّمَهُ ، وَالْمُرَادُ أَيْضًا حَيَاتُهَا وَأَعْدَتُهَا . [٢] النَجَرُ : نَحْتُ الْخَشَبِ .

وكلُّ الناس لهم مخالفٌ زارٍ<sup>(١)</sup> عليهم ، فلم يَسْتَوْحِشُوا لِقَلةِ عددهم ، وَشَفَّ<sup>(٢)</sup> الناس لهم ، وَإِجْمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِمْ ، فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ، وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ ، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَا يَنَازِعُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ظَالِمٌ ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَا يَنْكُرُ فَضْلَهُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَا سَابِقَتَهُمُ الْعَظِيمَةَ فِي الْإِسْلَامِ ، رَضِيَكُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِلدِّينِ وَرَسُولِهِ ، وَجَمَلَ إِلَيْكُمْ هِجْرَتَهُ وَفِيكُمْ جَلَّةُ أَرْوَاجِهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَيَسِ بَعْدَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ عِنْدَنَا بِمَنْزِلَتِكُمْ ، فَحَنُّ الْأَمْراءِ ، وَأَنْتُمْ الْوُزراءِ ، لَا تُقَاتُونَ بِشُورَةٍ وَلَا تُقْضَى دُونَكُمْ الْأُمُورُ .

« هذه رواية الطبري لتلك الخطبة ، وأوردها غيره بنص آخر ، وما كه »

## ٥٧ - نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وَأَوْسَطُهُمْ دَاراً ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهاً ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمْسَتْهُمْ رَحِمًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ ، وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ » فَحَنُّ الْمُهَاجِرُونَ وَأَنْتُمْ الْأَنْصَارُ . إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُنَا فِي النَّيِّ<sup>(٣)</sup> . وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، أَوْيَتُمْ وَوَأَسَيْتُمْ ، فَنَزَاكَمُ اللَّهُ خَيْرًا ، فَحَنُّ الْأَمْراءِ ، وَأَنْتُمْ الْوُزراءِ ، لَا تَدِينُ الرَّبُّ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَا تَنْفَسُوا<sup>(٤)</sup> عَلَى إِخْوَانِكُمْ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . »

(العقد الفريد ٢ : ١٣٠ - ٢٠٤ ، جون الأخبار ٢ : ص ٢٣٣ ، البيان والبيان ٣ : ١٤٧)

[١] زرى عليه زرية طابه . [٢] شف له كفرح أغضه وتكره فهو شف .  
[٣] النية والحراج . [٤] غس عليه بخير (كفرح) حده ، وغس عليه التيء غاسمة لم يره أهله .

## ٥٨ - خطبة الحباب بن المنذر

ثم قام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال :

« يا معشر الأنصار : املكوا عليكم أمركم ، فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم ، وإن يجترئ مجترئ على خلافكم ، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العز والثروة ، وأولو المدد والمنعة والتجربة ، وذوو البأس والنجدة ، وإعما ينظر الناس إلى ما تصنعون ، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم ، وينتقض عليكم أمركم ، فإن أبي هؤلاء إلا ما سمعتم ، فإنا أمير ومنهم أمير . »

## ٥٩ - خطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فقال عمر : « هيهات لا يجتمع اثنان في قرن <sup>(١)</sup> ، والله لا ترضى العرب أن يؤثروكم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم ، وتولى أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة ، والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل ، أو متجانف <sup>(٢)</sup> لائمه ، أو متورط في هلكة ؟ »

## ٦٠ - خطبة أخرى للحباب بن المنذر

فقام الحباب بن المنذر ، فقال :

« يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتهموه ، فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ،

فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ، ممن لم يكن يدين ؛ أنا جُذِلَها  
المُحَكَّكُ ، وَعَذِيقُهَا الْمُرْجَبُ <sup>(١)</sup> ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جَذَعَةً <sup>(٢)</sup> .

فقال عمر : إذن يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة :  
يا معشر الأنصار : إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدّل وغير .

### ٦٦ - خطبة بشير بن سعد

فقام بشير بن سعد - أبو النعمان بن بشير - فقال :

« يا معشر الأنصار ، إنا والله لئن كنّا أولى فضيلة في جهاد المشركين ،  
وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والكدرح لأنفسنا ،  
فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبغى به من الدنيا عَرَضًا ، فإن  
الله وليّ المنّة علينا بذلك ، ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلم من قرش ، وقومته  
أحقّ به وأولى ، وإيم الله لا يرائي الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ، فأتقوا الله ولا  
تخالقوهم ولا تنازعوهم » .

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأثبما شتم فبايعوا ، فقالا  
لا والله لا تتولى هذا الأمر عليك ، فإنك أفضل المهاجرين ، وثاني اثنين إذ هما  
في الفار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فمن ذا  
ينبغي له أن يتقدّمك ، أو يتولى هذا الأمر عليك ، أبسط يدك نبايعك ، وقام  
الناس إليه فبايعوه .  
( تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٧ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٠٨ )

[١] الجذيل : صمير الجمل ( بالكسر ) ، وهو أصل الذجرة ، وعوذ نصيب للإبل الجري لحطب به وتترس ،  
والمحك الذي تحك به ، والمذيق صمير المذيق ( بالفتح ) ، وهو النخلة ، والمرجبان الذي جبل له رمية ، وهي  
دعامة تبني حولها من المجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت نحوّوا عليها أن تنقر من الرياح  
المواصف ، والصمير هنا يراد به التكبير والتخفيف ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يستغنى برأيه وعقله  
[٢] الجفعة : الثابة الغنية ، يريد المحروب والنازل .

## خطب أبي بكر الصديق

رضي الله عنه

٦٢ - خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى<sup>(١)</sup> بثوب ، فكشف عنه الثوب ، وقال :

« يَا أَيُّهَا أَنْتَ وَأُمِّي ! طِبْتَ حَيًّا ، وَطِبْتَ مَيِّتًا ! وَاقْطَعْ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقُطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ النَّبَوَّةِ ، فَطُغِمْتَ عَنِ الصِّفَةِ ، وَجَلَلْتَ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَخَصَصْتَ حَتَّى صَرْتَ مَسْلَاةً<sup>(٢)</sup> ، وَنَعَمْتَ حَتَّى صِرْنَا فِيكَ سَوَاءً<sup>(٣)</sup> ، وَلَوْلَا أَنْ مَوْتِكَ كَانَ اخْتِيَارًا مِنْكَ<sup>(٤)</sup> ، لَجُذْنَا لِمَوْتِكَ بِالنَّفُوسِ ، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ ، لَأَفْجَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّثُونِ<sup>(٥)</sup> ، فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ تَقْيُّهُ عَنَّا ، فَكَمَدْتُ وَإِدْنَا<sup>(٦)</sup> ، يَتَخَالَفَانِ وَلَا يَبْزَحَانِ . اللَّهُمَّ فَأَبْلِغْهُ عَنَّا السَّلَامَ ، أَذْكَرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَلِنَكُنْ مِنْ بَالِكَ ، فَالْوَلَا مَا خَلَقْتَ مِنَ السَّكِينَةِ لَمْ تُقِمْ لِمَا خَلَقْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ، اللَّهُمَّ أَبْلَغْ نَبِيَّكَ عَنَّا ، وَاحْفَظْهُ فِينَا ! »

ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمراهم ، وعظيم سكراتهم ، فخطب خطبة قال فيها :

« أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا

[١] تجسية لليت : قطيعة . [٢] خسر الشيء ، من باب قد خسروا فهو خاسر : خلاف عم ، مثل اختص ( وكلا الصلحين يستصل حمدا ولا مآ ) ، وللعن لك يا رسول الله قد صرث بموتك مسلة للناس ، فألك مع ما اخصصت به من مناقب النبوة قد نزل بك اللوت ، فلهباد فيك أسوة حسنة .

[٣] أي همت مصيبتك جميع المسلمين فصرنا نحن وقرابك سواء في الحزن عليك والتفجع لفقدك .

[٤] يتيسر إلى قوله عليه السلام : « لَمْ يَجِشْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مُقَدِّمَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يَخِيرُ » فإت فائنة : فسمته وقد شخص بصره ، وهو يحول : « فِي الرِّفْقِ الْأَعْلَى » فقلت أنه خير ، فقلت أنه لا يجنارنا

إذن ، وقلت هو الذي كان يعدتنا وهو صحيح . [٥] جمع شأن ، وهو مجرى الدعاء إلى العين .

[٦] دفع الرهين كغرف ، وأدفع : نزل ، والنمس : دنت لغروب وامقرت .

عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المين ... في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره ، فلا تدعوه جزماً ، وإن الله قد اختار لنبه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه : وسنة نبه ، فنأخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر . يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط <sup>(١)</sup> ، ولا يسفلنكم الشيطان بموت نبيكم ، ولا يفتننكم عن دينكم ، فعاجلوه بالذي تُعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم .  
(زهر الآداب ١ : ٣٥)

### ٦٣ - خطبته بعد البيعة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتوني على حق فأعينوني ، وإن رأيتوني على باطل فسدّدوني ، أطيعوني ما أطيع الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

(المقد الفريد ٢ : ١٣٠ ، وإيجاز القرآن من ١١٥ ، وحيون الأخبار ٢ : ٢٣٤ ، وتهذيب الكليني ١ : ٦٠ ، تلويح الطبري ٣ : ٢٠٣ ، ابن أبي الحديد ٢ : ٨٠ ، وم ٤ : ١٦٧ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٤٣٠)

### ٦٤ - خطبة أخرى له بعد البيعة

وقال الطبري : نادى منادى أبي بكر من بعد الند من متوفى رسول الله

صلى الله عليه وسلم لَيْتُمْ بَعَثَ أَسَامَةَ : أَلَا لَا يَقِينُ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِ أَسَامَةَ إِلَّا خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَقَامَ فِي النَّاسِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَإِنِّي لَا أَدْرِي لِمَ لَكُمْ سَتَكَلَّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُ . إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْآفَاتِ ، وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَسْتَقَمْتُ فِتَابُونِي ، وَإِنْ زَيْغْتُ فَقَوِّمُونِي ، وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بِمُظْلِمَةٍ <sup>(١)</sup> حَرِيَّةٍ سَوِيَّةٍ فَادُونَهَا ، أَلَا وَإِنْ لِي شَيْطَانًا <sup>(٢)</sup> يَتَرَبَّيُّ ، فَإِذَا غَضِبْتُ فَاجْتَنِبُونِي ، لَا أُؤَثِّرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأُبْشَارِكُمْ <sup>(٣)</sup> ، أَلَا وَإِنْكُمْ تَقْدُونَ وَتَرْوَحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ ، فَإِنْ أَسْتَعِظْتُمْ إِلَّا يَمُضِ هَذَا الْأَجَلُ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ قَافِلُونَ ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَسَابِقُوا فِي سَهْلِ آجَالِكُمْ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسَلِّمَ آجَالُكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ ، فَإِنْ قَوْمًا نُسُوا آجَالَهُمْ ، وَجَاحُوا أَعْمَالَهُمْ لغيرِهِمْ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَلَهُمْ ، الْجِدُّ الْجِدُّ ، وَالْوَسْمُ <sup>(٤)</sup> الْوَسْمُ ، وَالنَّجَاءُ <sup>(٥)</sup> النَّجَاءُ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ طَالِبًا حَيْثُ <sup>(٦)</sup> ، أَجَلًا مَرَّةً سَرِيعَ ، أَحْذَرُوا الْمَوْتَ ، وَأَعْتَبَرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ ، وَلَا تَقْبِطُوا <sup>(٧)</sup> الْأَحْيَاءَ إِلَّا بِمَا تَقْبِطُونَ بِهِ الْأَمْوَاتَ » .

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٦٧)

[١] الظلامة . [٢] قال ابن الحديد : وأراد بالشیطان الغضب ، ولم يرد أن له شیطاناً من مردة الجن يترقبه إذا غضب ، ولو كان له شیطان من الجن يتأذنه وينوبه لكان في صداد المصروعين من الجن . [٣] وبادعي أحد علي أبي بكر هذا لامن أولياته ولامن أمماته . [٤] أبتار جمع بشر ، وهو جمع برة وهي ظلمة الوجه . [٥] النجاة والإسراع ، وهي وتوسى : أسرع ، ووجهه : عجل . [٦] الإسراع أيضاً . [٧] عبطه : نجي مثل حله من غير أن يريد زوال نعمته عنه .

## ٦٥ - خطبة أخرى

قال الطبري : وقام أيضاً حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ، فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتم الله من أعمالكم فطاعة أتيتوها ، وحظ ظفرتم به ، وضرائب أدبتموها ، وسكف قدمتموها ، من أيام فانية لأخرى باقية ، حين فقركم وحاجتكم ، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والفتنة في مواطن الحروب ؟ قد تضعض بهم الدهر ، وصاروا رمياً ، قد تركت عليهم القالات<sup>(١)</sup> الخبيثات ، وإنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، وأين الملوك الذين أناروا الأرض وعمروها ؟ قد يمدوا ، ونسي ذكرهم ، وصاروا كالأشياء ، الأولاء الله قد أبق عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلقاً من بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، وإن أغترنا كنا مثلهم ، أين الوضاء<sup>(٢)</sup> الحسنة وجوههم ، المعجبون بشبابهم ؟ صاروا تراباً ، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم ، ففك مساكنهم خاوية ، وهم في ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد ، أو تسمع لهم ركزاً<sup>(٣)</sup> ؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا ، خفلوا عليه ، وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت ، ألا إن الله لا شريك له

[١] القولات : في الخير ، والقال والقبل والقالة : في الصبر . [٢] الوضاء جمع وضي . وهو الحزن والتظيف . وهو أيضاً وضاء بضم الواو وتشديد الضاد ، وجه وضاءون . [٣] الصوت الحقي .

نيس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه به سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لا يُدرك إلا بطاعته ، أما وإنه لا خيرَ بخيرِ بعده النارُ ، ولا شرَّ بِشرٍ بعده الجنةُ .

( تاريخ الطبري ٣ : ٢١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ ص ١٦٧ )

## ٦٦ - خطبة له

ومن خطبه : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال :  
« إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ، فرغ الناس رءوسهم ، فقال :  
مالكُم يا مشر الناس ؟ إنكم لطمعون عجولون ، إن من الملوك من إذا ملك زهدهُ  
الله فيما في يده ، ورغبةُ فيما في يدي غيره ، واتمصة شطرَ أجله ، وأشرب قلبه  
الإشفاق ، فهو يَحْسُدُ على القليل ، وَيَسْخَطُ <sup>(١)</sup> الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع  
عنه لغة البهاء ، لا يستعمل العبرة . ولا يسكنُ إلى الثقة ، فهو كاللهم القمي <sup>(٢)</sup> ،  
والسراب الخادع ، جَذَلِ الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وَجِبَتْ <sup>(٣)</sup> نفسه ،  
ونظَبَ عمره ، وضحا ظله <sup>(٤)</sup> ، حاسبه الله فأشدَّ حسابه ، وأقلَّ عفوهُ . ألا إن  
الفقرَاء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه  
صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق عَجْة ، وسرَّوَن  
بندى مُلكاً عَصُوصاً <sup>(٥)</sup> ، وأمة شَعَاعاً <sup>(٦)</sup> ، ودَمًا مُفَاحاً <sup>(٧)</sup> فإن كانت للباطل  
تَرْوَةٌ <sup>(٨)</sup> ، ولأهل الحق جَوَلَةٌ ، يفضوها الأثرُ ، وتغوت السنن ، فالزموا المساجد ،

[١] تسخط عطاه : استغله ولم يقم منه موقفاً . [٢] الزائف . [٣] مات ووجبت الشمس غابت ، والين غارت . [٤] مات أيضاً . [٥] الضوض : ما يسن طيه ، ومك عضوض فيه عصف وظلم . [٦] متفرقة . [٧] أفاحه : أراقه . [٨] وثبة .

واستشيروا القرآن ، والزمو الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلادخرشنة<sup>(١)</sup> إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أديانها .

( عيون الأخبار م ٢ من ٢٢٣ ، والبيان والبيان ٢ : ٢١ ، والقدر القريب ٢ : ١٣١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢١٣ ، وزهر الآداب ١ : ٢٩ ) .

## ٦٧ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« الحمد لله ، أحمدده ، وأستعينه ، وأستغفره ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأستهدى الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ، من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حي لا يموت ، يُعزُّ من يشاء ، ويذلُّ من يشاء بيده الخير ، وهو على كل شئ قدير ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الذين كله ، ولو كره المشركون ، إلى الناس كافة ، رحمة لهم ، وحجة عليهم ، والناس حينئذ على شرِّ حال في ظلمات الجاهلية ، دينهم بدعة ، ودعوتهم فرية ، فأعزَّ الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألَّفَ بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكتم على شفا حُفرة من النار فأقتدكم منها ، كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، فأطيعوا الله ورسوله ، فإنه قال عز وجل : « مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » .

أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر ، وعلى كل حال ، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ، فإنه ليس فيما دون الصدق من

الحديث خير، مَنْ يَكْذِبْ يَفْجُرْ ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرَ ، وَمَاغُرُ  
 مِنْ خَلْقٍ مِنَ التَّرَابِ ، وَإِلَى التَّرَابِ يَمُودُ ؟ هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ ، وَغَدًا مَيِّتٌ ، فَاعْمَلُوا  
 وَعُدُّوا أَتَقَسَّمُ فِي الْمَوْتِ ، وَمَا أَشْكَلُ عَلَيْكُمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ إِلَى اللَّهِ ، وَقَدَّمُوا  
 لَأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تَجِدُوهُ مُحَضَّرًا ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ  
 مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا  
 بَعِيدًا ، وَيَحْذَرُ كُلُّ اللَّهِ نَفْسَهُ ، وَأَقْبَهُ رَهْوفُ الْعِيَادِ » . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَرَاقِبُوهُ ،  
 وَأَعْتَبُوا بِمَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ ، وَالْجَزَاءُ بِأَعْمَالِكُمْ :  
 صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ، إِلَّا مَا غَفَرَ اللَّهُ ، إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، فَأَتَقَسَّمُ أَنْفُسَكُمْ ، وَالْمُسْتَعَانَ  
 اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
 آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، أَفْضَلَ  
 مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، وَزَكَّنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَأَلْحَقْنَا بِهِ ، وَأَحْشُرْنَا فِي  
 زُجْرَتِهِ ، وَأَوْرِدْنَا حَوْصَتَهُ ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ .

(الحدود الفريدة ٢ : ١٣١)

## ٦٨ - خطبة له

وَيَخُطِبُ أَيْضًا ، خَمْدَ اللَّهِ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :  
 « أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ تُثْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَأَنْ تَحْلِلُوا الرِّغْبَةَ  
 بِالرَّهْبَةِ ، وَتَجْمَعُوا الْإِلْحَافَ بِالْمَسْأَلَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَتْنَى عَلَى زَكْرِيَا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ :  
 « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ » .  
 ثُمَّ أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ قَدِ ارْتَهَنَ بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَائِقَكُمْ ،  
 وَعَوَّضَكُمْ بِالْقَلِيلِ الْغَانِي الْكَثِيرَ الْبَاقِي ، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَقْنَى بِعِجَابِهِ ،

ولا يُطْفَأُ نوره ، فَتَقُوا بِقوله ، وَاتَّصَحُوا<sup>(١)</sup> كتابه ، واستبصروا فيه ليوم  
الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ، وَوَكَّلَ بكم الكرام الكاتبين يسجلون ما تعملون<sup>(٢)</sup> .

(القد الفريد ٢ : ١٣١ ، وعيون الأخبار ٢ ص ٢٢٢)

## ٦٩ — خطبة له في نذب الناس لفتح الشام

وخطب يندب الناس لفتح الشام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، وقال :  
« أَلَا إِنَّ لِكُلِّ أَمْرِ جَوَامِعَ ، فَمَنْ بَلَغَهَا فَهِيَ حَسْبُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ اللَّهُ كِفَاهَهُ  
اللَّهُ ، عَلَيْهِمُ بِالْجِدِّ وَالْقَصْدِ ، فَإِنَّ الْقَصْدَ أَبْلَغُ ، أَلَا إِنَّهُ لَا دِينَ لِأَحَدٍ إِلَّا بِإِيمَانٍ لَهُ ،  
وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ ، وَلَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ  
الثَّوَابِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَمَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَجِبَ أَنْ يُخَصَّ بِهِ ، هِيَ  
التِّجَارَةُ الَّتِي دَلَّ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَنَجَّى بِهَا مِنَ الْخِزْيِ ، وَالْحَقُّ بِهَا الْكِرَامَةُ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »  
( تاريخ الطبري ٤ : ٢٠ )

## ٧٠ — خطبة له في الانصار

. ووصل إليه مال من البحرين ، فساوى فيه بين الناس ، ففضبت الأنصار ،  
وقالوا لَهُ فَضَّلْنَا ، فقال أبو بكر صدقتم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا ،  
وإن صبرتم كان ذلك لله عز وجل ، فقالوا : والله ما عملنا إلا لله تعالى وانصرفوا ،  
فرقى أبو بكر النبي ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :  
« يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا إِنَّا آوَيْنَاكُمْ فِي ظِلِّائِنَا ، وَشَاطَرْنَاكُمْ  
فِي أَمْوَالِنَا ، وَنَصَرْنَاكُمْ بِأَنفُسِنَا ، قَتَلْنَاكُمْ ، وَإِنْ لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُحْصِيهِ الْعَدَدُ ،

[١] اصبح فلان : قبل النصيحة ، يقال : اتصحنى فلان بك فاصبح . [٢] ورد عقب ذلك « ثم  
اعلموا عباد الله أنكم تتدون وتزودون في أجل قد غيب عنكم عليه . . . الخ » مما أورده ابن جرير  
الطبري في الخطبة التي أسلفنا ذكرها ص ٦٨

وإن طال به الأمد، فنحن وأنتم كما قال طفيل التموي :

جزى الله عنا جفراً حين أزلت بنا نعلنا في الواطين فزلت  
أبوا أن يملونا، ولو أن أمتنا تلاقى الذي يلقون منا ملكت  
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات وأظلت

(زمير الأدب ١ : ٢٩)

## وصاياہ

### ٧١ — وصيته لأسامة بن زيد

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيره إلى أبيه<sup>(١)</sup>، فقال :

« يا أيها الناس : قفوا أوصيكم بمشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا<sup>(٢)</sup>  
ولا تغدروا<sup>(٣)</sup> ، ولا تملوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ،  
ولا تقمروا<sup>(٤)</sup> نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تدبحوا شاهة  
ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كلة<sup>(٥)</sup> ، وسوف تمرئون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في  
الصوامع ، فدعهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم ياتونكم بآنية  
فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء ، فاذكروا اسم الله عليها ،  
وتلقون أقواماً قد فخصوا أوساط رءوسهم ، وتركوا حولها مثل العصائب ،  
فاخفقوهم<sup>(٦)</sup> بالسيف خففاً ، اندفعوا باسم الله<sup>(٧)</sup> . »

( تاريخ الطبري ٣ : ٢١٢ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٦٢ )

[١] موضع قرب مؤنة بمشارك النمل قتل فيه والده زيد بن حلوثة . [٢] غل يغل كنصر : خن  
كأغل ، وغل صدره يغل كنصر غليلاً وغلا حد . [٣] غدوه وغدوه كنصر وضرب وسيم .  
[٤] ضر النخلة : كنصر فاحترت فلبها من أصلها فسقطت . [٥] للأكلة ما أكل .  
[٦] خفقه ضربه بشيء عريض . [٧] وأورد البغدادي هذه الوصية وذكر أنها وصية من  
أبي بكر لزيد بن أبي سفيان — راجع البغدادي ١ ص ٤٠

## ٧٢ - وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عقبة

وشيع عمرو بن العاص والوليد بن عقبة مَبْعَثَهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَأَوْصَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِوَصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ :

« اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ، فَإِنْ تَقَوَّى اللَّهُ خَيْرَ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ ، إِنَّكَ فِي سَبِيلٍ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا يَسْمَعُ فِيهِ إِلَّا ذِهَانٌ<sup>(١)</sup> وَالتَّفَرُّطُ وَالْعَفْلَةُ عَمَّا فِيهِ قِوَامُ دِينِكُمْ ، وَعِصْمَةُ أَرْكَامِكُمْ فَلَا تَنْ ، وَلَا تَقْتُرْ » .  
( تاريخ الطبري ٤ : ٢٩ )

## ٧٣ - وصيته لخالد بن الوليد

وقال لخالد بن الوليد : « سرَّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَإِذَا دَخَلْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ ، فَكُنْ سَيِّدًا مِنَ الْحَمَلَةِ ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ عَلَيْكَ الْجَوْلَةَ ، وَأَسْتَظْهَرُ بِالزَّادِ ، وَسِرُّ بِالْأَدْلَاءِ ، وَلَا تَقَاتِلْ بِمَجْرُوحٍ ، فَإِنْ بَعَضَهُ لَيْسَ مِنْهُ ، وَاحْتَرَسَ مِنَ الْبَيَّاتِ ، فَإِنْ فِي الْعَرَبِ غَيْرَةٌ ، وَأَقْلَلْ مِنَ الْكَلَامِ ، فَإِنَّ مَالَكَ مَاوُعَى عَنْكَ : وَاقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَلَانِيَتَهُمْ ، وَكَلِّمْهُمْ إِلَى اللَّهِ فِي سِرِّبَرْتِهِمْ ، وَأَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ » .  
( القصد الفريد ١ : ٤٠ )

## ٧٤ - وصيته ليزيد بن أبي سفيان

ووصى يزيد بن أبي سفيان حين وَجَّهَهُ لِفَتْحِ الشَّامِ :  
« إِنِّي قَدْ وَلَيْتُكَ لِأَبُلُوكَ وَأَجْرَبُكَ وَأَخْرَجْتُكَ ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ ، فَصَلِّكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ

مثل الذي يَرَى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدُّم تولياً له ، وأقرب الناس من الله أشدُّم تقرباً إليه بعمله ، وقد وليتكَ عمل خالد <sup>(١)</sup> فأياك وعيَّة <sup>(٢)</sup> الجاهلية ، فإن الله يُغْنِيهَا وَيُغْنِي أَهْلَهَا ، وإذا قَدِمْتَ عَلَى جَنْدِكَ فَأَحْسِنْ مُحِبَّتَهُمْ ، وابدأهم بالخير ، وعِذِّمُوا بِهِ ، وإذا وعظتهم فأوجِزْ ، فإن كثير الكلام يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضاً ، وأصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَاتِهَا بِإِتِمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا ، وإذا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمِهِمْ وَأَقْلِلْ لُبَّهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَمِنْ جَاهِلُونِ بِهِ ، وَلَا تُزَيِّهِمْ <sup>(٣)</sup> فَيَزُوا خَلْقَكَ ، وَيَعْلَمُوا عِلْمَكَ ، وَأَثَرُكُمْ فِي ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ ، وَامْنَعْ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ مُحَادَثَتِهِمْ ، وَكُنْ أَنْتَ الْمُتَوَلَّى لِكَلَامِهِمْ ، وَلَا تَجْعَلْ سِرَّكَ لِمَا لَيْتَكَ ، فَيُخْلَطُ أَمْرُكَ ، وَإِذَا اسْتَشِرْتَ فَاصْذُقِ الْحَدِيثَ تُصَدِّقِ الْمَشُورَةَ ، وَلَا تَخْزُنْ عَنِ الْمَشِيرِ خَبْرَكَ ، فَتَوَلَّى مِنْ قِبَلِ تَقْسِيكَ ، وَاسْتُرْ بِاللَّيْلِ فِي أَصْحَابِكَ تَأْتِكَ الْأَخْبَارُ ، وَتَتَكَشَّفُ عِنْدَكَ الْأَسْتَارُ ، وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ وَبَدِّدْ فِي عَسْكَرِكَ ، وَأَكْثِرْ مَفْجَأَتِهِمْ فِي مُحَارَمِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمِ مِنْهُمْ بِكَ ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَبِهِ ، فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبَتَهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ ، وَعَقَّبْ <sup>(٤)</sup> يَنْتَهِمُ بِاللَّيْلِ ، وَاجْعَلِ النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْأُخْرَى ، فَإِنَّمَا أَيْسَرُهَا لِقَرَبِهَا مِنَ النَّهَارِ ، وَلَا تَخَفْ مِنْ عَقُوبَةِ الْمُسْتَحَقِّ ، وَلَا تَلْجَأَنَّ فِيهَا ، وَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهَا ، وَلَا تَخْذَلْ لَهَا مُدَقِّمًا <sup>(٥)</sup> ، وَلَا تَغْفُلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ ، وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ ، وَلَا

[١] هو خالد بن سعيد بن العاص ، وكان أبو بكر سيده إلى الشام أولاً ثم عزله . [٢] العيَّة : الكبر والنفخ ، وفق الحديث : (إن الله قد وضع عنكم عية الجاهلية) يعني الكبر . [٣] من الرأى وهو الإبطاء . [٤] عقبه تعقياً : جاء عقبه . [٥] لا تخذ : من خفا تخذوكم كسر وخفى يخفى كرضى إذ استرضى ، وللدفع : الحارب أو أشد الغزى هؤلاء ، أى ولا تنصّب ، ولا تعين أمام تنفيذ العقوبة وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

يُكْشِفُ النَّاسَ عَنْ أَسْرَارِهِمْ ، وَاكْتَفِ بِمَلَانِيهِمْ ، وَلَا تَجَالِسِ الْعِيَّانِينَ  
وَجَالِسِ أَهْلَ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ ، وَاصْدُقِ الْأَقْدَاءَ ، وَلَا تَجْبُنْ فَيَجْبُنَ النَّاسُ ، وَاجْتَنِبِ  
الْعُلُولَ <sup>(١)</sup> ، فَإِنَّهُ يَقْرُبُ الْفَقْرَ ، وَيُدْفَعُ النُّصْرَ ، وَتَسْتَجِدُونَ أَقْوَامًا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ  
فِي الصَّوَامِعِ فَدَعَهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ . (تَرْجِيحُ الْكَمَالِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ١٦٦)

## ٧٥ - وَصِيَّتُهُ لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ مَوْتِهِ

« إِنِّي مُسْتَخْلَفُكَ مِنْ بَعْدِي ، وَمَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَمَلًا بِاللَّيْلِ  
لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ ، وَعَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى  
الْفَرِيضَةُ ، فَإِنَّمَا تَقُلْتُ مَوَازِينَ مِنْ ثَقُلْتَ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي  
الدُّنْيَا وَثِقَلِهِ عَلَيْهِمْ ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا  
خَفْتُ مَوَازِينَ مِنْ خَفْتُ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخَفْتِهِ عَلَيْهِمْ ،  
وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا ، إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ  
فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ إِنِّي أَخَافُ  
أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ  
حَسَنَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ إِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ آيَةَ  
الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا وَرَاجِعًا ، وَلَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ،  
وَلَا يُبْلَغُ يَدُهُ إِلَى التَّهْتِكَةِ ، فَإِذَا حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ  
مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ آتِيكَ ، وَإِنْ ضَيِّعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ  
الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمُعْجِزِ اللَّهِ .

(البيان والنبين ٢ : ٢٢ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٨-٧ ، والقد الفريد ١ : ٢٩٨)

## ٧٦ — كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها

وقال عبد الرحمن بن عوف :

دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، في علته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد عليّ من وجعي ، إني وليت أموركم خيركم في نفسي ، فكلكم وريم أنفقه أن يكون له الأمر من دونه ، والله اتَّخِذُنْ نَصَائِدَ<sup>(١)</sup> الدِّيَاجِ وستوز الحريز ، وتناملنَّ النومَ على الصوف الأذري<sup>(٢)</sup> » ، كما يَأْلَمُ أحدكم النوم على حَسَكِ السَّعْدَانِ<sup>(٣)</sup> ، والذي نفسى بيده ، لأنَّ يقدِّم أحدكم فضرِبَ عنقه في غير حدٍّ خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ، يا هادي الطريق جُرْتُ إنما هو والله الفجر أو البُجْرُ<sup>(٤)</sup> .

فقلت خفف عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يَمِيضُكَ<sup>(٥)</sup> إلى ما بك ، فوالله ما زلتَ صالحاً مصلحاً ، لا تأمى على شيء فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخلّيت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً .

( تهذيب الكامل ٦: ١ ، ونبجاز القرآن ١١٦ ، والنفد الفرد ٢: ٢٠٨ ، وتاريخ الطبري ٥٢: ٤ )

[١] جمع نسيئة ، وهي الوسادة وما يتخذ من المتاع . [٢] لبة إلى أذربيجان .

[٣] بنت كبير المسك تأكله الإبل فتسمن عليه وينذوها غناء لا يوجد في غيره ، وفي التل : مرعى ولاكله لسان . [٤] امر والأمر العظيم . يقول : إن انتظرت حتى يغى لك البحر والطريق أصبحت تصدك ، وإن خبطت الغنم . وركبت الشواء حباً بك على الكروء ، وضرب ذلك مثلاً لمرات الذي وتغير ما أكلها . [٥] ما من السقم : كرهه بعد الجور .

## خطب عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

### ٧٧ - خطبته حين ولي الخلافة

لما استخلف عمر رضي الله عنه صعد المنبر فقال : « إني قاتل كليات فأمتنوا عليهن » فكان أول منطق نطق به حين استخلف ، قال :  
« إنما مثل العرب مثل حمل أُنْفٍ <sup>(١)</sup> اتبع قائده ، فليُنظر قائده حيث يقوده وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق » .

( تاريخ الطبري ٤ : ٥٤ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٠٨ )

### ٧٨ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة في عيون الأخبار : لما ولي عمر صعد المنبر فقال :  
« ما كان الله ليبراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر ، ثم نزل عن مجلسه مرَّقه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « اقرءوا القرآن تُعزفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، إنه لم يُلغ حقٌ ذي حقٍّ أن يطاع في ممصية الله ، ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والى اليتيم ، إن أُستغنيت عفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تُقرَّم <sup>(٢)</sup> البهجة <sup>(٣)</sup> الأعراية ، القضم لا الخضم <sup>(٤)</sup> .

( عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٤ ، والنفذ الفريد ٢ : ١٣٢ )

[١] أنف البعير : اشتكى أنه من البرة فهو أنف وآنف ، وفي الحديث : « المؤمن كالجلل الأنف إن قيد انقاد ، وإن استنخ على صخرة استنخ » وذلك لوجع آتدي به فهو ذلول متقاد .  
[٢] حرَّم الميَّ أكل أكلا ضعيفاً ، وذلك في أول أكله . [٣] البهجة أولاد الضأن والمزول البقر .  
[٤] القضم : الأكل بآطراف الأسنان والقضم الأكل بآتدي الأضراس .

## ٧٩ — خطبة له

وذكر الطبري أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر ، ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استضلاعاً<sup>(١)</sup> بما ينوب من مهم أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، ولكني عمرٌمٌ مخزناً انتظاراً مواقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ، ووضعها أين أضعها ، وبالسيف فيكم كيف أسير ، فربني الاستعان ، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأيدته .

( تاريخ الطبري ٥ : ٢٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ ص ١٢٤ )

## ٨٠ — خطبة له

ثم خطب فقال :

« إني الله عز وجل قد ولّاني أمركم ، وقد علمت أتعجب ما يحضرتمكم لكم ، وإني أسأل الله أن يمينني عليه ، وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره ، وأن يلهيني العدل في قسمكم كالذي أمرني به ، وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف ، إلا ما أمان الله عز وجل ، وإن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلق شيئاً إن شاء الله ، إنما العظمة لله عز وجل ، وليس للعباد منها شيء ، فلا يقول أحد منكم إن عمر تغير منذ ولي ، أعقل الحق من نفسي ، وأتقدم وأبين لكم أرى ، فأيا رجل كانت له حاجة ، أو ظلم مظلمة . أو عتب علينا في خلق فليؤدني ، فإنما أنا رجل منكم ، فليعلم بتقوى الله في سرهم وعلايتهم وحرمانهم وأعراضهم ، وأعطوا الحق من

[١] التي في كتب اللغة « اضطلاع » يقال هو منطلق بهذا الأمر ، أي قوى عليه .

أُنْقَسِمَ ، وَلَا يَحْمِلُ بَعْضُكُمْ بِمَضًا عَلَى أَنْ تَحَاكُوا إِلَيَّ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ هَوَادَةٌ ، وَأَنَا حَيِّبٌ إِلَى صَلَاحِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَى عَتِّكُمْ ، وَأَنْتُمْ أَنْاسٌ عَامَّتُكُمْ حَضَرٌ فِي بِلَادِ اللَّهِ ، وَأَهْلُ بِلَادٍ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا صَرْعَ ، إِلَّا مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ ، وَإِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَعَدَكُمْ كَرَامَةً كَثِيرَةً ، وَأَنَا مُسْتَوِلٌ عَنْ أَمَانَتِي وَمَا أَنَا فِيهِ ، وَمُطَّلَعٌ عَلَى مَا يَحْضُرُنِي بِنَفْسِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَا أَكِلُهُ إِلَى أَحَدٍ ، وَلَا أَسْتَطِيعُ مَا بَعْدَ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَمْنَاءِ وَأَهْلِ النَّصِيحِ مِنْكُمْ لِلْعَامَةِ ، وَلَسْتُ أَجْعَلَ أَمَانَتِي إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (تاريخ الطبري ٢٦٠:٥ ، وشرح ابن أبي المديم ١٧٤:٣)

## ٨١ - خطبة أخرى

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ : وَخَطَبَ إِذْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ : صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَحَمْدُ اللَّهِ ، وَأَمْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي دَاعٍ فَأَتَمُّوا ، اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ قَلْبِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ ، بِمَوَاقِفَةِ الْحَقِّ ، ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ ، وَارْزُقْنِي الْعِلْفَةَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ ، وَأَهْلِ الدُّعَارَةِ <sup>(١)</sup> وَالنِّفَاقِ ، مِنْ غَيْرِ ظِلْمٍ مِنِّي لِهَمٍّ ، وَلَا اِعْتِدَاءٍ عَلَيْهِمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي شَاجِحٌ ، فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ ، قَصْدًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا وِيَاءٍ وَلَا مُتَمَعَةٍ ، وَاجْعَلْنِي أَبْنَى بَذَلِكَ وَجْهِكَ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفَضَ الْجَنَاحِ ، وَلَيْنَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ النِّفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ ، فَاهْلِهِنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَذِكْرُ الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ ، اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عَنِ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ ، فَارْزُقْنِي النِّشَاطَ فِيهَا ، وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا ، بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَزْنَتِكَ

وتوفيقك ، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، والحياء منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك غنى ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات ، اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شىء قدير .  
( القد الفريد ٢ : ١٢٢ )

## ٨٢ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى ﷺ :  
« أيها الناس ، إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تذر كون ، وأتمم مؤجلون فى دار غرور ، كتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحى ، فمن أمر شيئاً أخذ بسريره ، ومن أعلن شيئاً أخذ بملانيته ، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم ، والله أعلم بالسرائر ، فإنه من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريره حسنة لم نصده ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً ، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق ، فأفقهوا خيراً لأنفسكم ، ومن يؤق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . أيها الناس أطيبوا مشواكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القبايطى »<sup>(١)</sup>  
فإنه إن لم يشف فإنه يصف . أيها الناس : إني لو ددت أن أنجو كفافاً لالى ولا على ، وإني لأرجو أن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وأن لا يبق أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلا أنه حقه ونصيبه من مال الله

[١] القبايطى ( بضم الأول وتنديد الآخر ، أو القبايطى بفتح الأول وتحفيف الآخر ) ثياب كتان يمشى رفاق كانت تمل فى مصر جمع قبطية ( بضم القاف نسبة إلى القبط على غير قياس وقد تكسر ) وشف الثوب يشف رقى حكى ما تحته ، وقوله : فإنه يصف أى ما تحته من أجزاء البدن ويحمدها لرحته وطراوته .

وإن لم يُعمل إليه نفسه ، ولم يُنصب إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، ولقليل في رفق خيرٌ من كثير في عنف ، والقتل حتف من الخوف ، يصيب البرَّ والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم بيراً فليُعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعضاً ، فإنَّ وجده حديد الفؤاد فليُشتره .

( تاريخ الطبري ٥ : ٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ١٢٥ )

### ٨٣ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر ، واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا من غير مسألة منكم له ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، خلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً ، لنفسه وعبادته ، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه ، فجعل لكم عاقبة خلقه ، ولم يجعلكم لشيء غيره ، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ، وحللكم في البرِّ والبحر ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ، ثم جعل لكم سمعاً وبصراً ، ومن نعم الله عليكم نعم عمَّ بها نبي آدم ، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ، ثم صارت تلك النعم خواصها وعواثها في دولكم وزمانكم وطبقتكم ، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا ألقى قيم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتبعهم شكرها ، وقدحهم حقها إلا بكون الله مع الإيمان بالله ورسوله ، فأتمم مستخلفون في الأرض ، فأهرون لأهلها ، قد نصر الله دينكم ، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان ، أمة مستعبدة للإسلام وأهله ، يتجرون لكم ، تستصفون<sup>(١)</sup> معايشهم وكذايحهم ورشع جباههم ، عليهم المثوبة

ولكم المنفعة ، وأمة تنتظر وقائع الله وَسَطَوَاتِهِ في كل يوم و ليلة ، قد ملأ الله قلوبهم رعباً ، فليس لهم معقلٌ يلجئون إليه ، ولا مَهْرَبٌ يتقون به ، قد دَهَمَتْهُمْ جنود الله عز وجل ، ونزلت بساحتهم مع رفاغة<sup>(١)</sup> العيش ، واستفاضة المال ، وتتابع البعوث ، وسدَّ الثغور بإذن الله في العافية الجليلة العامة ، التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذكَانَ الإسلام ، والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد ، فما عسى أن يبلغ مع هذا شكرُ الشَّاكرين ، وَذِكْرُ الْذَّاكرين ، واجتهادُ المجتهدين ، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ، ولا يقدر قدرها ، ولا يستطيع أداء حقها ، إِلَّا بِمَوْنِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَطَنِهِ ، فنسأل الله الذي لا إله إِلَّا هو ، الذي بلانا هذا ، أن يرزقنا العمل بطاعته ، والمصارعة إلى مرضاته ، فاذكروا عباد الله بلاء الله عندهم ، واستنموا نعمة الله عليكم ، وفي مجالسكم مثنى وَفَرَادَى ، فإن الله عز وجل قال موسى : « أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ » وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : « وَادِّكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ » فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شُعْبَةٍ من الحق تؤمنون به ، وتستريحون لها ، مع المعرفة بالله ودينه ، وترجون بها الخير فيما بعد الموت ، لكان ذلك ، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة ، وأعظم الناس بالله جهالة ، فلو كان هذا الذي ابتلاكُم به لم يكن معه حظ في دنياكم ، غير أنه ثقة لكم في آخرتكم ، التي إليها المآدِ وَالْمُنْقَابُ ، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه ، كنتم أحرأه أن تَشِحُوا على نصيبكم منه ، وَأَنْ تُظْهِرُوهُ على

[١] رفع عينه ككرم رفاغة : الله ، والرفاغة والرفاغة : سعة العيش والمحب والمنة .

غيره ، فَبَلَّهٗ <sup>(١)</sup> ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا ، وكرامة الآخرة ، أولن شاء أن يجمع له ذلك منكم ، فأذكركم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم ، إلا ما عرفتم حق الله فَعَمِلْتُمْ له ، وَقَسَرْتُمْ أنفسكم على طاعته ، وجمتم مع السرور بالنعم خوفاً لزوالها ولا تنقلها ، ووجلاً من تحويلها ، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها ، وإن الشكر أمن اللّغير ، ونماء للنعمة ، واستجلاب لازيادة ، وهذا لله على من أمركم وتوكلكم واجب . ( تاريخ الطبري ٥ : ٢٧ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ من ١٢٥ )

## ٨٤ - خطبة له

وخطب أيضاً ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأت أئمة بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض ، فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني . فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً ، إني بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطيهن ، ثم المهاجرين الأولين ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابي ، ثم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والايمن من قبلهم ، ثم من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومن رجل إلا منأخ راحلته ، إني قد بقيت فيكم بعد صاحبي ، فابتليت بكم ، وابتليت بي ، وإني لن يحضرني من أموركم شيء فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة ، فلئن أحسنوا لأحسنن إليهم ، ولئن أساءوا لأنككن بهم . ( القد القريد ٢ : ١٣٢ )

[١] ب : اسم فعل بمعنى دع وترك ، فإي بدها منصوب ، ومصدر بمعنى ترك ، فإي بدها مجرور بالإنشئة ، واسم مرادف لكيف فإي بدها مرفوع بالإنشاء .

## ٨٥ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« الحمد لله الذي أعزَّنَّا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ورحمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ، ههنا به من الضلالة ، وجمعنا به من الشتات ، وآلف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومكَّن لنا في البلاد ، وجمعنا به إخواناً متحابين ، فاحمدوا الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فإن الله قد صدقكم الوعد ، بالنصر على من خالفكم ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، وكفر النعمة ، فقلما كفر قوم بنعمة ، ولم ينزعوا إلى التوبة ، إلا سلبوا عِزَّهم ، وسُلِّطَ عليهم عدوُّهم ، أيها الناس : إن الله قد أعزَّد دعوة هذه الأمة ، وجمع كلمتها ، وأظهر فَلَجَها <sup>(١)</sup> ونصرها وشرفها فاحمدوه عباد الله على نعمه ، ونشكروه على آلائه ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين »  
( النقد الجديد ٢ : ١٣٢ )

## ٨٦ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« أيها الناس : إنه أتى على حين ، وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده ، ألا وإنه قد خِيلَ إلى أن أقواماً يقرءون القرآن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فإنما كنا نعرفكم إذ الوحي ينزل ، وإذ النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، فقد رُفِعَ الوحي ، وذهب النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنما أعرفكم بما أقول لكم ، ألا فن أظهرنا خيرةً ظَنَنَّا به خيراً ، وأثينا به عليه ، ومن أظهر لنا شرًّا ظَنَنَّا به شرًّا ، وأبغضناه

عليه ، أَقْدَعُوا <sup>(٣)</sup> هذه النفوس عن شهواتها ، فإنها طُلَعَة <sup>(٤)</sup> وإنكم إِلَّا تَقْدَعُوهَا  
تَنْزِعْ بكم إلى شَرِّ غَايَةٍ ، إن هذا الحق ثَقِيلٌ مَرِيءٌ <sup>(٥)</sup> ، وإن الباطل خفيف  
وَيَسِيرٌ <sup>(٦)</sup> ، وَتَرَكُ الخَطِيئَةَ خَيْرٌ مِنْ مَعَالِجَةِ التَّوْبَةِ ، وَرَبُّ نَظَرَةٍ زَرَعَتْ شَهْوَةً ،  
وَشَهْوَةً سَاعَةً أَوْرَثَتْ حَزَنًا طَوِيلًا .

وفي رواية صاحب المقد : « أَلَا وَإِنِّي إِنَّمَا أَبْعَثُ عَمَالِي لِيَعْلَمُوا دِينَكُمْ  
وَسُنَّتَكُمْ ، وَلَا أَبْشَهُمْ لِيُضْرَبُوا ظُهُورَكُمْ ، وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ ، أَلَا مِنْ رَأْيِهِ شَيْءٌ  
مِنْ ذَلِكَ فَلْيَرْفَعُهُ إِلَى ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا قُصَصُكُمْ مِنْهُ ، فَقَامَ عَمْرُو بْنُ  
الْعَاصِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتَ عَامِلًا مِنْ عَمَالِكَ ، فَأَدَّبَ رَجُلًا  
مِنْ رَعِيَّتِكَ فَضْرِبَهُ ، أَتَقَصُّهُ مِنْهُ ؟ قَالَ نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسُ عَمْرِئِهِ لَا قُصَصُهُ مِنْهُ ،  
فَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصُصُ مِنْ نَفْسِهِ <sup>(٧)</sup> » .

( البيان والبيان ٣ : ٧١ ، وصحح الأعمش ١ : ٢١٤ ، والمقد الفريد ٢ : ١٣٢ )

## ٨٧ - خطبته عام الرمادة

مُخْطَبُ عام الرمادة <sup>(٨)</sup> بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ  
إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا تَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَبِقِيَّةِ آبَائِهِ وَكِبَارِ رَجَالِهِ ، فَإِنَّكَ تَقُولُ :  
( وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ) « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ

[١] قدعه كمنه : كفه . [٢] نفس طاعة : تكثر الطلوع إلى الشيء . [٣] حيد العاقبة .

[٤] وخيم العاقبة . [٥] انظر خطبته صلى الله عليه وسلم رقم ٥٤ ص ٦٠ [٦] في السنة الثامنة  
عشرة أصابت الناس مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها فكانت تنسى إذا رحمت ترائباً كالرماد ، فسمى ذلك العام

عام الرمادة ( الطهري ٤ : ٢٢٣ )

كَتَزْ لَهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » فَحَفِظْتُهُمَا لِصَلَاحِ أُيُهِمَا ، فَاحْفَظْ اللَّهُمَّ  
 نَبِيكَ فِي عَمِّهِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّاعِي لَا تُهْمِلُ  
 الضَّالَّةَ ، وَلَا تَدْعُ الْكَسِيرَةَ بِمَضْمِنَةٍ ، اللَّهُمَّ قَدْ ضَرَعَ الصَّغِيرُ وَرَقَّ الْكَبِيرُ ،  
 وَارْقَمْتَ الشُّكُورَى ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ الْمَرَّ وَأَخْفَى ، اللَّهُمَّ أَغْنِهِمْ بِنِعْمَتِكَ ، قَبْلَ أَنْ  
 يَقْنَطُوا فَيَهْلِكُوا ، فَإِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ »  
 فَأَبْرَحُوا حَتَّى عَلَقُوا الْحِذَاءَ ، وَقَلَصُوا الْمَآزِرَ ، وَطَفِقَ النَّاسُ بِالْعَبَاسِ يَقُولُونَ :  
 « هُنَيْئًا لَكَ يَا سَاقِي الْحَرَمِينَ » . (القد الفريد : ١٣٢)

## نَدْبُ النَّاسِ لِقِتَالِ فَارِسَ

كَانَ لِلثَّنِيِّ بْنِ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيِّ أَمِيرَ جَيْشِ الْعِرَاقِ قَدَمٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْمَدِينَةِ يَسْتَمِدُّهُ  
 فَأَلْفَاهُ مَرِيضًا ، وَوَعَى أَبُو بَكْرٍ عَمْرَ بِالْيَادَةِ إِلَى إِسْأَالِ الْجِيُوشِ مَعَهُ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا عَمِلَ بِهِ  
 عَمْرٌ ، أَنْ نَدَّبَ النَّاسَ مَعَ الثَّنِيِّ إِلَى أَهْلِ فَارِسَ ، قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، مِنْ اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا  
 أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ وَجْهُ فَارِسَ مِنْ أَكْرَهِ الْوُجُوهِ إِلَيْهِمْ ، وَأَقْلَمَهَا عَلَيْهِمْ لَشِدَّةَ سُلْطَانِهِمْ ، وَشَوْكَتِهِمْ ،  
 وَعِزِّهِمْ ، وَقَهْرِهِمْ الْأَمَمِ - وَجَلَّ يَنْدُبُهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَا يَنْتَدِبُ أَحَدٌ إِلَى فَارِسَ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ  
 الرَّابِعَ عَادَ فَندَبَ النَّاسَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَكَانَ أَوَّلُ مُتَدَبِّبِ أَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ التَّقِيِّ -  
 وَالِدِ الْخُتَارِ - وَتَتَابَعَ النَّاسَ ، وَتَكَلَّمَ الثَّنِيُّ بْنُ حَارِثَةَ فَقَالَ :

## ٨٨ - خُطْبَةُ الثَّنِيِّ بْنِ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيِّ

« أَيُّهَا النَّاسُ : لَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكُمْ هَذَا الرَّجُلُ ، فَإِنَّا قَدْ تَبَجَّجْنَا » رِيفُ  
 فَارِسَ ، وَغَلَبْنَاكُمْ عَلَى خَيْرِ شَيْءٍ السَّوَادِ ، وَشَاطَرْنَاكُمْ وَتَلَّنَا مِنْهُمْ ، وَاجْتَرَأْنَا مِنْ قِبَلِنَا  
 عَلَيْهِمْ ، وَلَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا بَعْدُهَا » .

## ٨٩ - خطبة عمر رضى الله عنه

وقام عمر في الناس فقال :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة <sup>(١)</sup> ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ، أين الطراء <sup>(٢)</sup> المهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » والله مظهر دينه ، ومُعِز ناصيره ، ومُوَلِّي أهله موارث الأمم ، أين عباد الله الصالحون . . ؟ فلما اجتمع له البعث أَمَرَ عليهم أولهم اتداباً <sup>(٣)</sup> وهو أبو عبيد وقال له : « اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث <sup>(٤)</sup> الذي يعرف الفرصة والكف » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٦٠ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢١١)

## ٩٠ - خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص

وشيع جيش سعد بن أبي وقاص ، حين وجهه لحرب العراق ، فقام في الناس خطيباً فقال :

« إن الله تملأ إنعما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم الأقوال ، يُعْغِي بها القلوب ، فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يُحْيِيها الله ، من علم شيئاً فلينتفع به ، وإن للعدل أماراتٍ وتبشير ، فأما الأمارات : فالجلاء ، والسقاء ، والحين ، واللين . وأما التبشير : فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمراً باباً ، وَيَسِّرْ لكل باباً مفتاحاً . فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ،

[١] طلب الكلاء في موضعه . [٢] جمع طاري من طرا عليهم كفتح أنام من مكان أو خرج طعيم منه فجاءه . [٣] نذب القوم إلى الأسر : طام وخشم ، وانتدبوا إليه أسرعوا . [٤] الرزين .

والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق، ولا تُصانِع في ذلك أحداً، واكتف بما يكفيه من الكفاف، فإن من لم يكفه الكفاف، لم يُفنه شيء، إني بينكم وبين الله، وليس بيني وبينه أحد، وإن الله قد أُرْمِيَ دفع السماء عنه، فأنهوا شكاكم إلينا، فن لم يستطع، فإني من يُكفَّنُها، نأخذ له الحق غير مُتَمَتِّع .

( تاريخ الطبري ٤ : ٨٥ )

## ٩١ - خطبته وقد بلغه أن قوماً يفضلونه على أبي بكر

وبلغه أن قوماً يفضلونه على أبي بكر الصديق، فوثب مُغَضِّباً حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال : « أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر، إنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب، ومنعت شاتها وبعيرها، فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله : إن رسول الله كان يقاتل العرب بالوحي والملائكة، يُمدُّه الله بهم، وقد انقطع ذلك اليوم، فالزم بيتك ومسجدك، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب، فقال أبو بكر : أو كلكم رأيي على هذا ؟ قللنا نعم، فقال : والله لأن أخرج من السماء، فتخطفنى الطير، أحب إلي من أن يكون رأيي هذا، ثم صعد المنبر، فحمد الله وكبره، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم أقبل على الناس فقال :

« أيها الناس : من كان يبغ محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يبغ الله فإن الله حي لا يموت، أيها الناس : أن أكثر أعدائكم، وقل عددكم، ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليُظهرنَّ الله هذا الدين على الأديان كلها، ولو

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، قَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَوَعْدُهُ الصَّدَقُ ، بَلْ تَقْذِفْ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ  
فَيَذِمَّتْهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَكَمْ مِنْ قِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ قِتَّةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ  
الصَّابِرِينَ ، وَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ : لَوْ مَنَّوْنِي عِقَالاً<sup>(١)</sup> لَجَاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتَعْنَتْ  
عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ مَعِينٍ » ثُمَّ نَزَلَ . (تَهْذِيبُ الْكَمَلِ ١ : ٨)

## وصاياه

### ٩٢ - وصيته للمجاهدين

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عِنْدَ عَقْدِ الْأَلْوِيَةِ :  
« بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ ، وَعَلَى عَوْنِ اللَّهِ ، امْضُوا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ ، وَمَا النُّصْرُ إِلَّا مِنْ  
عِنْدِ اللَّهِ ، وَلِزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ ، فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ كُفْرٍ بِاللَّهِ ، وَلَا تَعْتَدُوا  
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَلَا تَجَبُّنَا عِنْدَ الْإِقَاءِ ، وَلَا تَقْتُلُوا عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَلَا تُسْرِفُوا  
عِنْدَ الظُّهُورِ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا تَقْتُلُوا هَرِمًا وَلَا أُمْرَأَةً وَلَا وَلِيدًا ، وَتَوَقَّوْا قَتْلَهُمْ إِذَا تَقَيَّ  
الزَّحْفَانِ ، وَعِنْدَ شَرِّ<sup>(٣)</sup> النَّارَاتِ » . (الْفَتْحُ الْفَرِيدُ ١ : ٤٠)

### ٩٣ - وصيته لسعد بن أبي وقاص

وَصَّى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ حِينَ أُثِرَّ عَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ قَتَالَ :  
« يَا سَعْدُ سَعْدَ بْنَ وَهَيْبٍ ، لَا يَفْرُتْكَ مِنْ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ  
وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ ،

[١] الْغَالِ : زَكَاةُ طَمَ مِنَ الْإِيْلِ وَالنَّمِ ، أَوْ لِلرَّادِ بِهِ الْجِلْبَ مَبَالِغَةً فِي التَّنَادِدِ . [٢] الْعَلَبَةُ .

[٣] شَرُّ النَّارَةِ عَلَيْهِمْ : صَبَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ .

فالناس شَرِيْفُهُمْ وَوَضِيْعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، اللَّهُ رَهِيمٌ وَهُم عِبَادُهُ ، يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَافِيَةِ ، وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ ، فَانْظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْذُ بُعِثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا قَالَتْ زُمَةُ ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ ، هَذِهِ عَظْمِي إِيَّاكَ إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبِطَ عَمَلُكَ ، وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

( تاريخ الطبري ٤ : ٨٤ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٢٠ )

## ٩٤ — وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضا

ولما أراد أن يسرَّحه دعاه فقال :

« إِنِّي قَدْ وَلَيْتَكَ حَرْبَ الْعِرَاقِ ، فَاحْفَظْ وَصِيَّتِي ، فَإِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى أَمْرٍ شَدِيدٍ كَرِيهِ ، لَا يُخْلَصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ ، فَمَوِّذُ نَفْسِكَ وَمِنْ مَعِكَ الْخَيْرَ وَأَسْتَفْتِي بِهِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عِتَادًا <sup>(١)</sup> ، فَعِتَادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ ، فَالصَّبْرُ الصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ ، يَجْتَمِعُ لَكَ خَشْيَةُ اللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ : فِي طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ يَبْغِضُ الدُّنْيَا وَحُبَّ الْآخِرَةِ ، وَعَصَاهُ مِنْ عَصَاهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ الْآخِرَةِ ، وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ إِنْشَاءً ، مِنْهَا السِّرُّ ، وَمِنْهَا الْمَلَانِيَّةُ . فَأَمَّا الْمَلَانِيَّةُ فَإِنَّ يَكُونُ حَامِدُهُ وَذَامُهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، وَأَمَّا السَّرْفِيعُ فَيُظْهِرُ الْحِكْمَةَ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَبِعِجْبَةِ النَّاسِ ، فَلَا تَرَاهُ فِي التَّعَجُّبِ ، فَإِنَّ النَّبِيِّينَ قَدْ سَأَلُوا مَحَبَّتَهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبِيبَةً ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا بَغْضَةً ، فَاعْتَبِرْ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ مِمَّنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ .

( تاريخ الطبري ٤ : ٨٥ )

## ٩٥ — وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما ومن معه من الأجناد :

« أما بعد : فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العُدَّة على العدو ، وأقوى المكيذة في الحرب ، وآرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراماً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوفُّ عليهم من عدوهم ، وإنما ينتصر المسلمون بمصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عدونا ليس كعدوم ، ولا عدُّتنا كعدمتهم ، فإن استويتا في المعصية ، كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلاَّ تُنصَرُ عليهم بفضلنا لم تغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حَفَظَةُ من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تَعْمَلُوا بمعاصي الله وأتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إنَّ عدونا شرٌّ منا ، فلن يُسلَطَ علينا ، فَرُبَّ قَوْمٍ سُلِّطَ عليهم شرٌّ منهم كما سُلِّطَ على بني إسرائيل ( لَمَّا عَمَلُوا بِمَسَاحِطِ اللَّهِ ) كَقَارِ الجُوس ، فجاسوا خِلَالَ الدِّيار وكان وعداً مفعولاً ، واسألوا الله العونَ على أنفسكم ، كما تسألونه النصرَ على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم ، وَرَفَّقْ بِالْمُسْلِمِينَ في مسيرهم ، ولا تجشَّمهم مسيراً يتبهم ، ولا تُثَقَّرَ بهم عن منزل يَرْفُقُ بهم ، حتى يلبسوا عدوهم ( وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ ) فإنهم ساءرون إلى عدوِّ مُقيم ، حَامِيَ الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ <sup>(١)</sup> ، وأقم بمن معك في كلِّ جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحةً يُجَيِّثُونَ فيها

أَنفُسَهُمْ ، وَرِثْمُونَ <sup>(١)</sup> أَسْلَحْتَهُمْ وَأَمْتَعْتَهُمْ ، وَفَتَحَ مَنَازِلَهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ الصَّلْحِ  
وَالذِّمَّةِ ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَشَقَّ بِدِينِهِ ، وَلَا يَرْزَأُ <sup>(٢)</sup> أَحَدًا مِنْ  
أَهْلِهَا شَيْئًا ، فَإِنْ لَمْ خَزَمَةِ وَذِمَّةِ ابْتَلَيْتُمْ بِالْوَفَاءِ بِهَا ، كَمَا ابْتَلَوْا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا ، فَبَا  
صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ خَيْرًا ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ بَظَلَمِ أَهْلِ الصَّلْحِ ،  
وَإِذَا وَطِئْتَ أَرْضَ الْمَدَوِّ فَأَذْكِرِ <sup>(٣)</sup> الْعِيُونَ يَبْنُوكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَلَا يَخْجَفُ عَلَيْكَ  
أَمْرُهُمْ ، وَلِيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصَحِهِ  
وَصِدْقِهِ ، فَإِنَّ الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ ، وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ ، وَالنَّاشِ عَيْنُ  
عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ عَيْنًا لَكَ ، وَلِيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دَنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْمَدَوِّ أَنْ تُكْثِرَ  
الطَّلَاعُ ، وَتَبْتَ السَّرَايَا <sup>(٤)</sup> يَبْنُوكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَقْطَعِ السَّرَايَا أُمْدَادَهُمْ وَتَرَافِقَهُمْ ،  
وَتَتَّبِعِ الطَّلَاعَ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَتَّقِ <sup>(٥)</sup> لَلطَّلَاعِ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْبَأْسِ مِنْ أَصْحَابِكَ ،  
وَتُخَيِّرَ لَهُمْ سَوَابِقَ الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوَّلُ مَا تَلْقَاهُمُ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ،  
وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِلَادِ ، وَلَا تَخْصُصْ بِهَا أَحَدًا  
يَهْوَى ، فَتَضِيعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ ، أَكْثَرَ مِمَّا حَاطَتْ بِهِ أَهْلَ خَاصَتِكَ ، وَلَا  
تَبْعُنْ طَلِيعَةَ ، وَلَا مَرِيَّةً ، فِي وَجْهِ تَخَوُّفٍ فِيهِ غَلَبَةٌ ، أَوْ ضِيقَةٍ وَنِكَايَةٍ ، فَإِذَا  
حَاطَتْ الْمَدَوُّ ، فَاضْمِمْ إِلَيْكَ أَقَاصِيكَ وَطَلَامُكَ وَسَرَايَاكَ ، وَاجْمَعْ إِلَيْكَ مَكِيدَتَكَ  
وَقُوَّتَكَ ، ثُمَّ لَا تَعِاجِلْهُمُ الْمُنَاجَزَةَ ، مَا لَمْ يَسْتَكْرِهْكَ قِتَالُ ، حَتَّى تُبْصِرَ عَوْرَةَ  
عَدُوِّكَ وَمَقَاتِلَهُ ، وَتَعْرِفَ الْأَرْضَ كُلَّهَا كَعَرَفَةِ أَهْلِهَا ، فَتَصْنَعْ بِسَدُوكَ ، كَصْنَعِهِ  
بِكَ ، ثُمَّ أَذْكِرِ أَحْرَاسَكَ عَلَى عَسْكَرِكَ ، وَتَيَقِّظُ مِنَ النَّيَّاتِ جُهْدَكَ ، وَلَا تُؤْثِرَ

[١] وَهِيَ بَرْمَةٌ : أَسْلَحَهُ . [٢] دَرَاهِمُهُ : أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا . [٣] أَذْكِرُ طَلِيعَةَ الْعِيُونَ : إِذَا  
أُرْسِلَ عَلَيْهِ الطَّلَاعُ . [٤] جَمْعُ سَرِيَّةٍ ، وَهِيَ مِنْ خِصَةِ أَعْيُنَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ .  
[٥] تَقَاهُ وَاجْتَنَاهُ : اجْتَنَاهُ .

بأسير ليس له عَقْدٌ <sup>(١)</sup> إِلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، لِتَرْهَبَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكَ ، وَاللَّهُ  
وَلِيَّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ ، وَوَلِيَّ النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

(النفذ الفريد ١ : ٤٠)

## ٩٦ — وصيته للخليفة من بعده

وأوصى الخليفة من بعده ، فقال :

« أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن  
تَعْرِفَ لَهُمْ سَابِقَتَهُمْ ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فأقبل من محسنهم ، وتجاوز عن  
مسيئتهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رِذَاءُ الْعَدُوِّ ، وَجُبَابَةُ النَّفْسِ ،  
لَا تَحْمِلُ فِيهِمْ ، إِلَّا عَنْ فَضْلٍ مِنْهُمْ ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل  
العرب ، ومادة الإسلام ، أَنْ تَأْخُذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِ أَغْنِيائِهِمْ ، فَتَرُدَّ عَلَى  
فُقَرَائِهِمْ ، وأوصيك بأهل النعمة خيراً ، أَنْ تَقَاتِلَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَلَا تَكْلَفَهُمْ فَوْقَ  
طَاقَتِهِمْ ، إِذَا أَدَّوْا مَا عَلَيْهِمُ لِلْمُؤْمِنِينَ طَوْعاً ، أَوْ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ، وأوصيك  
بتقوى الله وشدة الحذر منه ، وَخَافَةَ مَقْتِهِ ، أَنْ يَطَّلِعَ مِنْكَ عَلَى رِييَةٍ ، وَأوصيك  
أَنْ تَخْشَى اللَّهَ فِي النَّاسِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ فِي اللَّهِ ، وَأوصيك بالعدل في الرعية ،  
والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، وَلَا تُؤَثِّرْ غِنِيَهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ ، فَإِنْ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ  
سَلَامَةً لِقَلْبِكَ ، وَحِطًّا لَوِزْرِكَ ، وَخَيْرٌ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ ، حَتَّى تُقْفِىَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى  
مَنْ يَعْرِفُ سِرِّكَ ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَلْبِكَ ، وَأَمْرُكَ أَنْ تَشْتَدَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ ،  
وَفِي حُدُودِهِ وَمَعَاصِيهِ ، عَلَى قَرِيبِ النَّاسِ وَبَعِيدِهِمْ ، ثُمَّ لَا تَأْخُذَكَ فِي أَحَدٍ رَافَةً  
حَتَّى تَنْتَهِكَ مِنْهُ ، مِثْلَ مَا اتَّهَكَ مِنْ حَرَمَةِ اللَّهِ ، وَاجْعَلِ النَّاسَ عِنْدَكَ سَوَاءً ،

لا تبالي على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والأثرة  
والحباية فيما ولأك الله ، مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك  
من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ،  
فإن اقررت لدنياك عدلاً وعة عما بسط الله لك ، اقررت به إيماناً ورضواناً ،  
وإن غلبك الهوى ، اقررت به سخط الله ، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا  
لغيرك في ظلم أهل النعمة ، وقد أوصيتك وحضنتك ونصحتك ، فابتغ بذلك  
وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلائلك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي ،  
فإن عملت بالذي وعظمتك ، وانتهيت إلى الذي أمرت به ، أخذت به نصيباً وافراً ،  
وحظاً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهيك ، ولم تنزل معاذم الأمور عند الذي  
يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء  
مُشتركة ، ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضل  
القرون السالفة قبلك ، فأوردتهم النار ، ولبس الثمن أن يكون حظاً من موالاة  
عدو الله الداعي إلى معاصيه ، ثم أركب الحق وخض إليه الفترات ، وكن راعطاً  
لنفسك ، أنشدك الله لما ترنحت على جماعة المسلمين ، فأجلت كبيرهم ، ورحمت  
صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضرهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتبغضهم ،  
ولا تحرمهم عطاياهم عند محلبها فتفقرهم ، ولا تجبرهم<sup>(١)</sup> في البعوث ، فتقطع  
نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ،  
فيأكل قوتهم ضيفهم . هذه وصيتي إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقر أعليك السلام .

( البيان والبيان ٢ : ٢٢ )

## خطب يوم الشورى

بعد دفن عمر اجتمع أهل الشورى ، وم : عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله - وكان طلحة غائباً - فبدأ عبد الرحمن بن عوف بالكلام ، قال :

### ٩٧ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

« يا هؤلاء ، إن عندى رأياً ، وإن لكم نظراً ، فاسمعوا تملؤوا ، وأجيبوا تفقهوا ، فإن حايياً <sup>(١)</sup> خير من زاهق <sup>(٢)</sup> ، وإن جرعة من شراب <sup>(٣)</sup> بارد ، أرفع من عذب مؤب <sup>(٤)</sup> ، أنتم أئمة يهتدى بكم ، وعلماء يُصدّر <sup>(٥)</sup> إليكم ، فلا تقولوا المدي بالاختلاف ينكم ، ولا تقيموا السيوف عن أعدائكم ، فتوتروا <sup>(٦)</sup> تآزكم ، وتواتروا <sup>(٧)</sup> أعمالكم ، لكل أجل كتاب ، ولكل بيت إمام ، بأمره يقومون ، وينهيه يرعون <sup>(٨)</sup> ، قلّدوا أمركم واحداً منكم ، تمسوا الهوي ، وتلحقوا الطلب ، لولا فتنة عمياء ، وضلالة حياء ، يقول أهلها ما يرون ، وتُحلّهم الحبوة كرى <sup>(٩)</sup> ، ماعدت نياتكم معرفكم ، ولا أعمالكم نياتكم ، احذروا نصيحة الهوى ، ولسان الفرقة ، فإن الحيلة فى المنطق أبلغ من السيوف فى الكلم ، علّقوا أمركم رخب الدراع فيما حل ، مأمون النيب فيما تزل ، رضا منكم وكلكم رضا ، ومقتراً <sup>(١٠)</sup> »

[١] الخابي من السهام : ما يذف إلى الهدف . [٢] السهم الزاهق : ما جاوز الهدف .

[٣] الشراب والغريب والغروب : ما يضرب . [٤] أصله موى سهل عن موى .

[٥] يرجع . [٦] قال فى اللسان : « فل الأزهرى : هو من الوتر ( التار ) يقال : وترت فلاناً إذا أمجته وتر ، وأوترته أوجدته ذلك ( أى أظفرته به ، أوجدت فلاناً مطلوبه أى أظفرته به ) قال : والتار هاهنا المدلول لآله موضع التار ، والمضى : لا توجدوا عمروكم الوتر فى أعكم »

[٧] أنه : حقه يأثنه وآله قصه . [٨] ورع يرجع : كورث من الورع ، وهو التقوى

[٩] رمل يشل فيه السالك ، والماهية . [١٠] مختاراً .

منكم وكلكم متقى ، لا تطيعوا مفسدا ينتصح <sup>(١)</sup> ، ولا تخالفوا مرشدا ينتصر ،  
أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم .

ثم تكلم عثمان بن عفان ، فقال :

### ٩٨ - خطبة عثمان بن عفان

« الحمد لله الذى اتخذ محمداً نبياً ، وبشته رسولا ، صدقه وعده ، ووهب له  
نصره ، على كل من بعد نسياً ، أو قرب رجماً صلى الله عليه وسلم ، جعلنا الله له  
تابين ، وبأمره مهتدين ، فوكلنا نور ، ونحن بأمره نقوم عند تفرق الأهواء ،  
ومجادلة الأعداء ، جعلنا الله فضله أئمة ، وبطاعته أمراء ، لا يخرج أمرنا منا ،  
ولا يدخل علينا غيرنا ، إلا من صفه الحق ، ونكّل عن القصد ، وأخر بها يا بن  
عوف أن تترك ، وأجدر بها أن تكون ، إن خولف أمرك ، وترك دعاؤك ، فأنا  
أول محب لك ، وداع إليك ، وكفيل بما أقول زعيم ، وأستغفر الله لى ولكم .  
ثم تكلم الزبير بن العوام بعده فقال :

### ٩٩ - خطبة الزبير بن العوام

« أما بعد : فإن داعى الله لا يجهل ، وحجبه لا يُخَذَل ، عند تفرق الأهواء ،  
ولّى الأعناق ، ولن يقصر عما قلت إلا غوى ، ولن يترك مادعوت إليه إلا شقى ،  
لولا حدود الله فرضت ، وفرائض الله حدثت ، تراح <sup>(٢)</sup> على أهلها ، وتحيا لاموت ،  
لكان الموت من الإمارة نجاة ، والفرار من الولاية عصمة ، ولكن الله علينا  
إجابة الدعوة ، وإظهار السنة ، لئلا نموت ميتة <sup>(٣)</sup> عمية ، ولا ننسى <sup>(٤)</sup> حمى الجاهلية ،

[١] تنصح : تنبه بالنصحاء . [٢] أراح - رقه عليه : رده عليه .

[٣] الميتة : الكبير أو الضلال .

فأنا محييكم إلى ما دعوت ، ومميتكم على ما أمرت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ،  
وأستغفر الله لي ولكم .

### ١٠٠ - خطبة سعد بن أبي وقاص

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص فقال :

« الحمد لله بديناً <sup>(١)</sup> كان ، وآخرآ يهود ، أحمدہ لِمَا نَجَّانِي مِنَ الضَّلَالَةِ ،  
وبَصَّرَنِي مِنَ النَّوَايَةِ ، فِهِيْدِيْ اللهُ فَازَ مِنْ نَجَا ، وبرحمته أفلح من زكا ، وبمحمد  
ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كلُّ  
حق ، ومات كل باطل ، إياكم أيها النفرُ وقول الزور ، وأمنية أهل الغرور ، فقد  
سلبت الأمانُ قوماً قبلكم ، ورثوا ماورثتم ، ونالوا ما نلتهم فاتخذهم الله عدوا ،  
ولمنهم لمنأ كبيراً ، قال الله عز وجل : « لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا  
لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » إني نكبت <sup>(٢)</sup> قرني ،  
فأخذت سهمي الفالَجَ <sup>(٣)</sup> ، وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى ، فأنا  
به كفيل ، وبما أعطيتُ عنه زعيم ، والأمر إليك يا بن عوف يجهد النفس ،  
وقصد النصح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرجوع ، وأستغفر الله لي ولكم ،  
وأعوذ بالله من مخالفتكم .

### ١٠١ - خطبة علي بن أبي طالب

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال :

« الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً ، وبعثه إلينا رسولاً ، فنحن بيت النبوة ،

ومعدين الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حق إن نُعطَه  
 نأخذه، وإن نُمنَّه نركب أعجاز الإبل، ولو طال الشرى، لو عهد إلينا رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم عهداً لا نقضنا عهدَه، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت،  
 لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق، وصلة رحم، ولا حول ولا قوة إلا بالله،  
 اسمعوا كلامي، وعُوا منطقي، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع،  
 تُنتَصي<sup>(١)</sup> فيه السيوف، وتُخَّان فيه اليهود، حتى تكونوا جماعة، ويكون  
 بعضكم أئمة لأهل الضلالة، وشيعة لأهل الجاهالة، ثم أنشأ يقول :

فإن تك جامم<sup>(٢)</sup> هلكت فإني بما فلتت بنو عبد بن ضخم  
 مُطيع في المواجر كلَّ عيٍّ بصيرٌ بالتوى من كل نجم  
 (تاريخ الطبري ٥ : ٢٨، والكمال لابن الأثير ٣ : ٢٦)

## خطب عثمان بن عفان

رضي الله عنه

### ١٠٢ - خطبته حين بايعه أهل الشورى

روى الطبري قال : « لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدم  
 كآبةً، فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى  
 عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال :  
 « إنكم في دار قلعة<sup>(٣)</sup>، وفي بقية أعمار، فبادرُوا آجالكم بخير ما تقدرُونَ  
 عليه، فلقد أتيتُمْ، صُبْحَتُمْ أو مُسَيَّتُمْ، ألا وإن الدنيا طَوَّيْتُ على النرور، فلا

[١] ليل . [٢] بنو جامم حتى قديم . [٣] أى اغلغ ، ومثولنا منزل قلعة « يسكنين اللام  
 وضما » أى ليس بموطن أو لا غلغك أو لا تدرى حتى تتحول عنه .

تَرْتَكُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَلَا يَمُوتُ نَفْسُكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ، اعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى ثُمَّ جِدُّوا وَلَا تَقْفُلُوا ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَنْكُمْ ، أَيْنَ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَإِخْوَانُهَا الَّذِينَ آتَوْهَا وَعَمَرُوهَا ، وَتَمَتُّوا بِهَا طَوِيلًا ، أَلَمْ تَلْفِظُوهُمْ ؟ أَرَمُوا بِالْدُّنْيَا حَيْثُ رَى اللَّهُ بِهَا ، وَاطْلُبُوا الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا ، وَالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ( وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا هُوَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ) . وَأَقْبَلَ النَّاسُ بِيَا يَعُونَهُ .

( تاريخ الطبري ٥ : ٤٣ )

### ١٠٣ - خطبته بعد البيعة

وَقَالَ أَيْضًا : خُطِبَ عُثْمَانُ النَّاسَ بَعْدَ مَا بَوَّعَ ، فَقَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ مَحَلْتُ وَقَدْ قَبِلْتُ ، أَلَا وَإِنِّي مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُتَّبَعٍ ، أَلَا وَإِن لَكُمْ عَلَيَّ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا : اتِّبَاعٌ مَنْ كَانَ قَبْلِي فِيهَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ وَسُنَّتُمْ ، وَسَنَّةُ أَهْلِ الْخَيْرِ فِيهَا لَمْ تَسْنُوا عَنْ مَلَأَ ، وَالْكَفَّ عَنْكُمْ إِلَّا فِيهَا اسْتَوْجِبْتُمْ ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ قَدْ شُهِيتَتْ إِلَى النَّاسِ ، وَمَالُ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، فَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا تَقْفُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِثِقَةٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَيْرُ تَارِكَةٍ إِلَّا مَنْ تَرَكَهَا » . ( تاريخ الطبري ٥ : ١٤١ )

### ١٠٤ - خطبة أخرى

وَقَالَ ابْنُ قَتِيبة : لَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ صَعْدَ الْمُنْبَرِ ، فَجَلَسَ عَلَى ذُرْوَتِهِ ، فَرَمَاهُ النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَالَ :

« إِنِ أَوَّلُ تَرْكَبٍ صَعِبَ ، وَإِن مَعَ الْيَوْمِ أَيَّامًا ، وَمَا كُنَّا خُطْبَاءً ، وَإِذْ نَعْنَشُ لَكُمْ تَاتِيَكُمْ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

( عيون الأخبار ٢ ص ٢٣٥ ، والقند الفريد ٢ : ١٣٣ )

## ١٠٥ - خطبته حين نقم عليه الناس

وخطب حين نقم الناس عليه ما تقموا ، فقال :

« إن لكل شىء آفة ، وإن لكل نعمة عاهة ، فى هذا الدين عيَّابون ظَنَّانون ، يظهرون لكم ماتحبون ، وَيُسِرُّونَ ما تَكْهِنون ، يقولون لكم وتقولون ، طَفَّامٌ <sup>(١)</sup> مثل النعام ، يقيمون أول ناعق ، أَحَبُّ مَوَارِدِهِم إليهم النَّازِحُ <sup>(٢)</sup> ، لقد أقررت لابن الخطاب بأكثر مما تَقِمتُم على ، ولكنه وَقَمَكُم <sup>(٣)</sup> وَقَمَّكُم <sup>(٤)</sup> ، وزجركم زجر النعام المخزَّمة <sup>(٥)</sup> ، والله إني لأقرب ناصراً ، وأعز نقراً ، وَأَقْنُ - إن قلت هلم - أن تجاب دعوتى من عمر ، هل تفقدون من حقوقكم شيئاً ، فإلى لا أفعل فى الحق ما أشاء ؟ إذن فلم كنت إماماً ؟ »

( إعجاز القرآن ص ١١٨ ، صبح الأعشى ١ : ٢١٤ ، البيان والبيان ١ : ٢٠٠ )

## ١٠٦ - خطبته التى نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجمله ، وما جثت شيئاً إلا وأنا أعرفه ، ولكنى مَنَنْتَنى نفسى وَكَذَّبْتَنى ، وَضَلَّ عَنِ رَشْدِي ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( مَنْ زَلَّ فَلْيَتَّبِ ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيَتَّبِ ، وَلَا يَتِمَّادَى فى الهَلَكَةِ ، إِنَّ مَنْ تَمَّادَى فى الجَوْرِ ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطريق ) فَأَنَا أول من اتعظُ ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ مما فعلت ، وَأَتُوبُ إليه ، فثلى نَزَعَ

[١] أوغاد الناس الواحد والجمع فيه سواء ، أو راحده كعبادة . [٢] المورد النازح : الذى نَزَحَ ماؤه ، أى غاش وقلَّ أو جدد . [٣] وقم الدابة : يجذب عتلتها ، ووقه : قهره وأذله ، وأوردته : أقيح الرد وحزنه أشدَّ الحزن . [٤] قمه : ضربه بالقصة ، وتهمره وأذله . [٥] خرم البعير : جعل فى جانب منخره المخزَّمة والطير كلها مخزَّمة لأن وترات أثرها فيها متقوية ، وكذا النعام .

وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم ، فليُرُونِي رأيهم ، فوالله لئن رَدَّني الحق عبداً ، لَأَسْتَنَّ بِسَنَةِ الْعَبْدِ ، وَلَآ ذِلَّةَ ذُلِّ الْعَبْدِ ، وَلَآ كَوْنَنَ كَالْمَرْقُوقِ ، إِنْ مُلِكَ صَبْرٌ ، وَإِنْ عُنِيَ شُكْرٌ ، وَمَا عَنِ اللَّهِ مَذْهَبٌ إِلَّا إِلَيْهِ ، فَلَا يَعْجِزَنَّ عَنْكُمْ خِيَارُكُمْ أَنْ يَدْنُوا إِلَيَّ ، لئن أبَت عيني لتسابعني شمالي .

( تاريخ الطبري ٥ : ١١١ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ٨٠ )

## ١٠٧ - خطبته في الرد على الثوار

وقال يرد على الثوار :

« الحمد لله ، أحمدُه ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، أما بعد : فإنكم لم تعدلوا في المنطق ، ولم تُنصِفُوا في القضاء ، أما قولكم تخلع نفسك ، فلا أزرع قيصاً قمصيه الله عز وجل ، وأكرمني به ، وخصني به على غيري ، ولكني أتوب وأترع ، ولا أعود لشيء عابه المسلمون ، فإني والله الفقير إلى الله ، الخائف منه . »

قالوا : إن هذا لو كان أول حَدَثٍ أحدثته ثم تبت منه ، ولم تقم عليه ، لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك . . . . إلى آخر ما قالوا .

فقال عثمان : « أما أن أتبرأ من الإمارة ، فأن تصلبوني أحبُّ إليَّ من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته ، وأما قولكم تقتالون من دوني ، فإني لا آمرُ أحداً بقتالكم ، فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري ، ولعمري لو كنت أريد قتالكم ، لقد كنت كتبت إلى الأجناد ، فقادوا الجنود ، وبعثوا الرجال ، أو لحقت بيمض أطرافى بمصر أو عراق ، فوالله الله في أنفسكم ، فأبقوا عليها ، إن لم تبقوا على » ،

فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً ، فانصرفوا عنه ، وأذوه بالحرب .  
( تاريخ الطبري ٥ : ١٢١ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ٨٤ )

## ١٠٨ - خطبته وقد اشتد عليه الحصار

ولما اشتد الحصار عليه أرسل إلى علي وطلحة والزبير فحضروا ، فأشرف

عليهم ، فقال :

« يا أيها الناس : اجلسوا ، فجلسوا : المحاربُ والمسلمُ ، فقال لهم يا أهل المدينة ، أستودعكم الله ، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى ، ثم قال أنشدكم بالله هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ، ويجمعكم على خيركم ؟ أتقولون إن الله لم يستجب لكم ، وهُتَم عليه ، وأنتم أهل حقه ؟ أم تقولون هان على الله دينه ، فلم يبال مَنْ وَلَّى ، والدين لم يفرق أهله يومئذ ؟ أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة ، إنما كان مكايرة ، فوكل الله الأمة إذ عصته ، ولم يشاوروا في الإمامة ، أم تقولون إن الله لم يعلم عاقبة أمرى ؟ أنشدكم بالله أتعلمون لى من سابقة خير ، وقدم خير ، قدّمه الله لى يحق على كل من جاء بعدى أن يرفوا لى فضلهما ؟ فهلا لا تقتلونى ، فإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصائه ، أو كفر بعد إيمانه ، أو قتل نفساً بغير حق ، فإنكم إذا قتلتمونى وضعت السيف على رقابكم ، ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً . » ( تاريخ الكمال لابن الأثير ٣ : ٨٤ )

## ١٠٩ - آخر خطبة خطبها عثمان

« إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يُعطِكُموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تنفى والآخرة تبقى ، فلا تُبْطِرْ نَفسُكم الفانية ، ولا تشنكنكم عن الباقية ، فأترؤوا مايقى على مايقى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله ،

اتقوا الله جلَّ وعزَّ، فإن تقواه جُنة من بأسه، ووسيلة عنده، واحذروا من الله  
الغير، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم  
أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخواناً». (تاريخ الطبري ٥: ١٢٦، ١٤٩)

## خطب الوفود

### ١١٠ - خطبة عطارد بن حاجب بن زرارة

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة عطارِدُ بن حاجب  
ابن زرارة، في أشرف من بني تميم، فلما دخل الوفد المسجد نادوا رسول الله ﷺ  
من وراء الحُجُرَات: أن اخرج إلينا يا محمد، فأذى ذلك من صياحهم رسول الله  
ﷺ فخرج إليهم، فقالوا يا محمد، جئناك لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال  
نعم، قد أذنت لخطيبكم فليقل، فقام إليه عطارد فقال :

« الحمد لله الذي له علينا الفضلُ، وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً، ووهب  
لنا أموالاً عظيماً، فقل فيها المروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره  
عدداً، وأيسره عدَّة، فمن مثَلُنَا في الناس، ألسنا براءوس الناس وأولى فضلهم؟  
فمن يفاخرنا فليمدِّدْ مثْل ما عدَدْنَا، وإِنَّا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكننا  
نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإِنَّا نعرف بذلك، أقول هذا الآن لتأثُّونا بمثل  
قولنا، وأمرٍ أفضل من أمرنا، ثم جلس » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشَّامس، قم فأجب  
الرجل في خطبته، فقام ثابت فقال :

## ١١١ - خطبة ثابت بن قيس بن الشماس

« الحمد لله الذي، السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شئ يقطع إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمهم نسباً، وأصدقهم حديثاً، وأفضلهم حسباً، فأترل عليه كتابه، وأتمنه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان، فأمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوى رحمه، أكرم الناس أنساباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعلاً، ثم كان أول الخلق استجابة لله، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن، فنحن أنصار الله، ووزراء رسوله، تتأهل الناس حتى يؤمنوا بالله، فن آمن بالله ورسوله منعه ماله ودمه، ومن كفر جاهلناه في الله أبداً، وكان قتلنا يسيراً، أقول قولي هذا، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم » .

ثم قالوا يا محمد: انذن لشاعرنا، فقال نعم، فقام الزبير بن بدر، فأنشد قصيدة في الفخر، وبث النبي ﷺ إلى حسان بن ثابت فرد عليه، فقال الأقرع بن حابس التميمي: إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا، فلما فرغ القوم أسلموا، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحسن جوائزهم .

( تاريخ الطبري ٤ : ١٠٠ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٣٩ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٣ )

## ١١٢ - عمرو بن الأهتم والزبير بن بدر

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزبير بن بدر<sup>(١)</sup> فقال عمرو:

« مطاع في أذنيه <sup>(١)</sup> ، شديد المارضة <sup>(٢)</sup> ، مانع لما وراء ظهره » فقال الزبيرقان :  
« والله يا رسول الله ، إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي »  
فقال عمرو : « أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زمر <sup>(٣)</sup>  
المروءة <sup>(٤)</sup> ، أحق الوالد ، لئيم الخلال ، حديث النفي » فلما رأى أنه خالف قوله  
الآخر قوله الأول ورأى الإنكار في عين رسول الله ﷺ ، قال يا رسول الله :  
رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت  
في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند  
ذلك : « إِنَّ مِنَ الْبَيِّنَاتِ لَسِحْرًا » .

( البيان والبيان ١ : ٣١ ، والقد الفريد ١ : ١١٧ ، ومع الأمثال البديان ١ : ١٠ )

### ١١٣ - خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قَدِمَتْ وفودُ العرب على النبي ﷺ قامَ طَهْفَةُ بْنُ أَبِي زُهَيْرٍ النَّهْدِيُّ فقال :  
« يا رسول الله أتيناك من غَوْرِي <sup>(١)</sup> تَهامة بأَكْوَارِ الْمَيْسِ ، ترمى بنا العيس <sup>(٢)</sup>  
نستحلب الصَّيْبِ <sup>(٣)</sup> ، ونستحلب الخَبِيرِ <sup>(٤)</sup> ، وَنَسْتَعْضِدُ <sup>(٥)</sup> الْبَرِيرَ ، وَنَسْتَحِيلُ  
الرَّهَامَ <sup>(٦)</sup> ، ونستحيل الجَهَامَ <sup>(٧)</sup> ، من أَرْضِ غَائِلَةِ النَّطَاءِ <sup>(٨)</sup> ، غَلِيظَةِ الْوِطَاءِ ،

[١] أي في الأدين منه أي الأقرين ، وأصله أدنين حذف تونه لإضافته إلى الصمير .

[٢] المارضة : قوة الكلام وتنقيحه والرأي الجيد . [٣] قليل الروءة . [٤] النور : كل ما انحدر من رجا عن تهامة ، والأكوار جمع : كور بالضم ، وهو الرجل أو بأداته ، والميس : شجر عظام ، أي بالأكوار للصنوعة منه . [٥] الميس جمع عيساء : الإبل البيض يحاطل بياضها شقرة .

[٦] الصيبر : المحاب الكثيف . [٧] السب . [٨] استعصد الثمرة : اجتاعا ، والبربر تمر الأراك ، وكانوا يأكلونه وقت الجهد لله الزاد . [٩] الرهام جمع رهمة بالكسر ، وهي للطر الضعيف الدائم ونستحيل نخاله ونظن وسماية نخلة يضم فكسر أي تحسبامطرة . [١٠] الجهام : السحاب قد أراق مائه . [١١] النطاء : البعد ، أي بعيدة بدءاً مهلكا .

نَشِيفَ الْمُدْهَنُ <sup>(١)</sup> ، وَيَسِرَ الْجَفِثَ <sup>(٢)</sup> ، وَسَقَطَ الْأَمْلُوجَ <sup>(٣)</sup> ، ومات  
الْمُسْلُوجُ <sup>(٤)</sup> ، وهلك الْهَدْيُ <sup>(٥)</sup> ، ومات الْوَدِيُّ <sup>(٦)</sup> ، بَرَثْنَا بِأَرْسُولِ اللَّهِ مِنْ  
الْوَشْنِ وَالْعَثْنِ <sup>(٧)</sup> ، وما يحدث الزمن ، لنا دعوة السلام ، وشرعة الإسلام ،  
ما طَمَحَى <sup>(٨)</sup> البحر ، وقام تِعَارٌ <sup>(٩)</sup> ، ولنا نَعَمٌ ، هَمَلٌ <sup>(١٠)</sup> ، أَغْفَالٌ ، مَا تَبَيَضَ <sup>(١١)</sup>  
بِلَالٍ ، وَزَفِيرٌ <sup>(١٢)</sup> ، كثير الرِّسْلِ <sup>(١٣)</sup> ، قليل الرِّسْلِ ، أصابتها مُنْذِيَّةٌ حَمْرَاءُ مُؤْزَلَةٌ ،  
ليس بها عَمَلٌ ولا تَهَلٌ .

## ١١٤ - رده صلى الله عليه وسلم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لِمَنْ فِي مَخْضَاهَا <sup>(١٤)</sup> وَتَخَضُّعِهَا وَمَذْقِهَا ، وَأَبْسَتْ رَاعِيَتَهَا فِي الدُّثْرِ <sup>(١٥)</sup>  
يَمْنَعُ الثَّرَّ ، وَافْجُرْ لَهُ التَّمَدُّ <sup>(١٦)</sup> ، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ ، مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ  
كَانَ مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ  
مُخْلِصًا ، يَا بَنِي نَهْدٍ ، وَدَائِعِ <sup>(١٧)</sup> الشَّرِكِ ، وَوَضَائِعِ الْمَلِكِ ، لَا تُلَطِّطْ فِي الزَّكَاةِ ،  
وَلَا تُلْجِدْ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا تَتَأَقَّلْ عَنِ الصَّلَاةِ . » ( الفيد الحريد ١ : ١١٣ )

[١] مستقيم الماء : أو كل موضع خفره سيل ، ونشف الموضع للماء : شربه . [٢] أصل النبات .  
[٣] ورق كورق السرو لتبر بالبادية . [٤] مالان واخضر من الغضبان وصلبت الشجرة :  
أخرجه . [٥] ما يهدى إلى مكة لينحر . [٦] القليل ( النحل الصفار ) . [٧] الصنم  
الصنير . [٨] امتلا وعلا . [٩] جبل يلاذ قيس . [١٠] هملة والأغفال جمع غفل بالقم ، وهو  
مالاسمة عليه من الدواب . [١١] ينس الماء يفض : سال قليلا قليلا ، والبلال : الببل ، والمراد قلة  
العين . [١٢] القطيع من النعم . [١٣] الرِّسْل : القطيع من كل شيء ، والرسل العين ، وسنية :  
صنير قسطنطين ، وهي القنطرية والبيعة ، وحراء أي شديدة ، ومؤزلة ذات أزل يسكون الزاي ، وهو الضيق  
والثقة . [١٤] العين الخالص ، وعرض العين : أخذ زبد . وللنهي العين للزوج بلقاء ، منه فامتدق .  
[١٥] الدُّثْر : المال الكثير . وقيل هو الكثير من كل شيء ، وأراد به هنا الحب والذبات الكثير .  
[١٦] الماء القليل لامدة له ، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف . [١٧] أي التناهم التي تنهم  
من الشركين وتودع بيت مال المسلمين ، ليقروا بها على شئونهم ، والوضائع جمع وضعية ، وهي ما يأخذها السلطان

## ١١٥ - خطبة ظبيان بن حداد

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقد ظبيان بن حداد في سَرَاةٍ مَذْحِجٍ على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال  
بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثناء على الله عز وجل بما هو أهله :  
« الحمد لله الذي صَدَعَ <sup>(١)</sup> الأرض بالنبات ، وفقق السماء بالرجع <sup>(٢)</sup> ، ثم قال :  
نحن قوم من سَرَاةٍ مَذْحِجٍ من يُحَايِر <sup>(٣)</sup> بن مالك ، ثم قال : قَتَوْنَا <sup>(٤)</sup>  
بنا القِلَاصُ من أعلى الحَوْفِ ورءوس الهضاب ، يرفعها عُرُرُ <sup>(٥)</sup> الرُّبَا ،  
ويخفيها بطنان الرِّقَاق ، وتَلَحُّقُها دليجي الشُّجَى ، ثم قال : وصِرَوَاتِ الطَّافِ  
كانت ابني مَهْلَإِيلَ بن قَيْنان ، غرسوا وِدْيَانَهُ ، وَذَلَّلُوا خِشَانَهُ <sup>(٦)</sup> وَرَعَوَا قُرْبَانَهُ ،  
ثم ذكر نوحاً حين خرج من السفينة بمن معه ، قال فكان أكثر بنيهِ بناتاً ،  
وأمرهم نبياً ، عادٌ وثمود ، فرمام الله بالذَّمَالِيقِ <sup>(٧)</sup> ، وأهلكهم بالصواعق ، ثم قال :

من الحراج والعشور . يريد أن يقول لهم : إن موارد الدل للأمة الإسلامية مما هفتان اركنان ، الثامن ،  
وازكاة ، ملا تملوا الزكاة ، ولما عقب ذلك القول بقوله : لا تلطط في الزكاة أي لا تمنعها ، لطط حقه  
جميعه كما تلطط ، ولا تلتمد في الحياة : أي لا يجري منكم ميل عن الحق ما دتم أحياء ، ولا تناقل عن  
عن الصلاة ، أي عن أدائها في وقتها ، وبروى : ولا يلطط في الزكاة ، ولا يلتمد في الحياة (بالبناء للبهول) ،  
ولا تناقل عن الصلاة . [١] شق . [٢] الطر بعد الطر . [٣] « و مراد بن مالك (وهو مذجج)  
ابن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . [٤] تقول في الجبل : صمد ، والفلاس جمع  
قلوس ، وهي النانة الثابتة أو الباقية على الدبر ، والحوف : بلد بجمان . [٥] في الأصل : « عوار »  
ولاحق له هنا ، وأرى أن صوابه « عرر » جمع عررة كقبة وعرة السنام : التهمة العليا ، أي فروته  
وأغلاه ، أي أنها تسير في أعلى الرُّبَا وفراها ، وربما كان الأصل « عراصر » يضع العين الأولى جمع عررة  
بضمها ، وعررة الجبل والسنام وكل شيء رأسه ، وبطنان جمع بطن ، وهو النامض من الأرض ، أي  
الطنين منها ، والرقاق جمع رق ، بالفتح ، وهي كل أرض إلى جنب واد ينبت الماء عليها أيام الد ثم ينضب  
وديبس الليل حناده كانه جمع ديبجة ، والديج جمع ديبجة ، وهي الظلة . [٦] الحفن والأغشن :  
الأغرش من كل شيء جمه خشان . [٧] الأملس : للتدمير من الجبال .

وَكَانَتْ بَنُو هَانِيٍّ مِنْ ثَمُودَ تَسْكُنُ الطَّائِفَ ، وَهُمْ الَّذِينَ خَطُّوا مَشَارِبَهَا ،  
وَأَتَوْا جَدَّاهُهَا <sup>(١)</sup> ، وَأَحْيَوْا غِرَاسَهَا ، وَرَفَعُوا عَرِشَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ حَمِيرٌ  
مَلَكَوْا مَعَاقِلَ الْأَرْضِ وَقَرَّارَهَا ، وَكُهُولَ النَّاسِ وَأَغْمَارَهَا <sup>(٢)</sup> . وَرَدَّ رَسَاسَ الْمُلُوكِ  
وَعَرَّارَهَا ، فَكَانَ لَهُمُ الْبَيْضَاءُ وَالسُّودَاءُ ، وَفَارِسُ الْحَمْرَاءِ ، وَالْجَزِيَّةُ الصُّفْرَاءُ <sup>(٣)</sup> ،  
فَبَطَرُوا النِّعَمَ ، وَاسْتَحَقُّوا النِّقَمَ ، فَضَرَبَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ  
قَبَائِلُ مِنَ الْأَزْدِ تَزَلُّوا عَلَى عَهْدِ عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ ، فَفَتَحُوا فِيهَا الشَّرَائِعَ <sup>(٤)</sup> ، وَبَنَوْا فِيهَا  
الْمَصَانِعَ <sup>(٥)</sup> ، وَاتَّخَذُوا الدَّسَائِعَ <sup>(٦)</sup> ، ثُمَّ تَرَامَتْ مَذْجَجٌ بِأَسْنَتِهَا ، وَتَنَزَّتْ <sup>(٧)</sup>  
بِأَعْتَتِهَا ، فَغَلَبَ الْعَزِيزُ أَذْلَهَا ، وَقَتَلَ الْكَثِيرَ أَقْلَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ بَنُو عَمْرُو بْنِ  
خَالِدِ بْنِ جَذِيعَةَ يَحْبِطُونَ عَصِيدَهَا <sup>(٨)</sup> ، وَيَأْكُلُونَ حَصِيدَهَا ، وَيَرِشُّونَ <sup>(٩)</sup>  
خَصِيدَهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ نَعِمَ الدُّنْيَا أَقْلٌ وَأَصْفَرُ عِنْدَ اللَّهِ  
مِنْ خُرٍّ بُعِثَتْ ، وَلَوْ عَدَلَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ ذِئَابٍ لَمْ يَكُنْ لِكَافِرٍ مِنْهَا خَلَاقٌ ،  
وَلَا لِمُسْلِمٍ مِنْهَا لِحَاقٌ » . ( القدر الفريد ١ : ١١٠ )



[١] أَيْ اللَّاءُ ثَانِيَةُ سَهْلٍ وَأَصْلُهُ جَرَاءٌ ، أَيْ سَهَّلُوا طَرِيقَ اللَّاءِ إِلَيْهَا . [٢] جَمْعُ غَرْمَتِكَ الْبَيْنِ ، وَهُوَ  
الْحَدِيثُ لَا تَجْعَلْهُ لَكَ ، وَالرَّاءُ : الرِّفْعَةُ وَالْوُودُ . [٣] أَيْ الْقَهْقِيَّةُ . [٤] جَمْعُ شَرِيعَةٍ ، وَهِيَ مُؤَدَّةُ  
النَّارِ كَالْمِغْرَعَةِ . [٥] الْبَائِقُ مِنَ التَّصَوُّرِ وَالْحُصُونِ . [٦] جَمْعُ دَسِيعَةٍ ، وَهِيَ الْبُغْيَةُ وَالْمَكْرَةُ .  
[٧] تَنَزَّى : تَوَهَّجَ وَتَسَرَّعَ [٨] الْعَصِيدُ : مَا قَطَعَ مِنَ الشَّجَرِ ، أَيْ يَشْرِبُونَهُ لِيَقْطَعَ وَرَقَهُ فَيَتَخَذُوهُ  
عَلَقًا لِأَوَّلِهِمْ . [٩] الرَّشِيعُ : الْقَرِيْبُ وَحِينَ الْيَوْمِ عَلَى اللَّيْلِ ، وَالْحَصِيدُ : مَا خُذَ مِنَ الشَّجَرِ وَغَمَى  
عَنْهُ ، وَكُلُّ مَا قَطَعَ مِنْ عَوْدٍ وَطَبِ ( فَيْلٌ بِمَعْنَى خُفْرَةٍ ) أَيْ يَصْلَحُونَهُ وَيَقِيمُونَهُ بِأَمْرِهِ .

## خطب الوفود

بين يدي عمر بن الخطاب

لما قدمت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام هلال بن بشر<sup>(١)</sup> قال :

١١٦ - خطبة هلال بن بشر

« يا أمير المؤمنين : إنا غرة من خلفتنا من قومنا ، وسادة من وراءنا من أهل مصرنا ، وإنك إن تصرفنا بالزيادة في أعطياتنا ، والقراض ليعيالاتنا ، يزدد بذلك الشريف تأملا ، وتكن لهم أبا وصولا ، وإن تكن مع ما نمت<sup>(٢)</sup> به من وسائلك ، ونؤدلي به من أسبابك كالجدل<sup>(٣)</sup> ، لا يحل ولا يُرتحل ، نزيج بانوف مصلومة<sup>(٤)</sup> ، وجدود مائة ، فحننا<sup>(٥)</sup> وأهالينا بسجل<sup>(٦)</sup> مترع من سجالك المترعة

١١٧ - خطبة زيد بن جبلة

وقام زيد بن جبلة فقال :

« يا أمير المؤمنين ، سوّد الشريف ، وأكرم الحسيب ، وازرع عندنا من أياديك ما تُسدّ به الخصاصة ، وتطرّد به الفاقة ، فإنا بقف<sup>(٧)</sup> من الأرض يابس

[١] وفي البيان والتبيين : ابن وكيع . [٢] توسل به . [٣] في البيان والتبيين « كالجدل »  
وفي نهاية الأرب « كالجدل » ولا معنى لها هنا ، وأرى أن مرادها « كالجلل » بجاه مفتوحة ودال  
مكسورة ، وصف من الجدل بفتحين وهو الذى أشرف أحد طائفيه على الآخر ، أو المائل النقي من خفة  
أو وجع لا يملك أن يقبضه ، وارتحل البعير ورحله : حطّ عليه الرجل ، وإذا كان البعير حملا فهو لا يرتحل  
لعدم توازن الدليلين عليه ، وكفنا لا يحلّ من مبركة ليرتحل فهو إذن لا يستختم ولا يفتح به ، فالمراد أنك إن  
لم تعطنا تكن كالبعير المحمل الدرم الجعوى . [٤] المطروعة من أصلها . [٥] اللجج : الإعطاء .  
[٦] الغلو المنظمة معلومة (مذكر) ومترع : معلوم . [٧] ما ارتفع من الأرض كالقفة .

الأكناف ، مُقَشَّمِ الدَّرَوَةِ ، لَا مُتَجَرِّ وَلَا زَرْعَ ، وإنا من العرب اليوم إذ أتيناك بمرأى ومسمع .

## ١١٨ - خطبة الأحنف بن قيس

فقام الأحنف فقال :

« يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرصُ قائدُ الجِرْمان ، فاتق الله فيما لا يُغْنِي عنك يوم القيامة قِيلا ولا قالا ، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئا يكفيك وفادة الوفود ، واستماعة المُنْتاح <sup>(١)</sup> ، فإن كل امرئ يجمع في وطئه إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين فلا يُوقَدُ إليك » .  
( نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، والبيان والبيان ٧١ : ٢ )

## ١١٩ - خطبة الأحنف بن قيس

بين يدي عمر بن الخطاب

قدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم ، وما ينوب كل واحد منهم ، وتكلم الأحنف فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن مفاتيح الخير بيدى الله ، وقد أتمت وفود أهل العراق وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية ، والملوك الجبارة ، ومنازل كسرى وقبصر وبنى الأصفر ، فهم من المياه العذبة ، والجنان المُنْصَبَةِ في مثل حِوَلَاءِ السَّلَى <sup>(٢)</sup> وحَدَقَةِ البمير ، تأتيتهم غارم غَصَّة قبل أن

[١] استماعة : سأله اللطاء والانتاح الإعطاء . [٢] الحولاء : جلة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد فيها أغراس وخطوط حر وخضر وتزولوا في مثل حولاء اللقاة . يريدون الحصب وكثرة الماء والحفرة ، والسلى جلة فيها الولد ( من الناس واللواشى ) .

تتغير، وإنا نزلنا أرضاً نشأشة<sup>(١)</sup> طَرَف في فلاة، وطَرَف في ملح أجاج<sup>(٢)</sup>، جانب منها منابت القصب، وجانب سَبْخَة نشأشة لا يحف ترابها، ولا ينبت مرعاها، تأتينا منافعها في مثل مَرَى النعامة، يخرج الرجل الضيف منا يَسْتَعْدِب<sup>(٣)</sup> الماء من فرسخين، وتخرج المرأة بثل ذلك، تُرْتَقُ<sup>(٤)</sup> ولدها ترقيق المنز تخاف عليه العدو والسبع، فإلّا ترفع خَسِيَسَتَنَا<sup>(٥)</sup> وَتُنْعَشِرُ رِكْسَتَنَا<sup>(٦)</sup> وَتَجْبُرُ فَاقَتَنَا، وتريد في عيانتنا عيالا، وفي رجالنا رجالا، وَتُصَفَّرُ<sup>(٧)</sup> درهما، وتكَبَّرُ قَفِيزَنَا<sup>(٨)</sup>، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكتنا .

قال عمر : هذا والله السيد، هذا والله السيد . قال الأحنف : فإزات

أسمها بعدها (القداسيد ١ : ١١٦ ، وشرح البيون ٦٨)

## خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزدجرد ملك الفرس

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على فتح العراق يأمره أن يبعث إلى يَزْدَجَرْدَ ملك الفرس رجالا من أهل المنطرة<sup>(١)</sup> والرأى والجلد يدعونه، فاختارهم وأقدم إليه بالدين، فلما دخلوا عليه أمر التَّوَجَّانَ بينه وبينهم فقال : سلموا ماجاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ، أمن أجل أنا أجمناكم<sup>(٢)</sup> وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

- [١] سبخة : نشأشة لا ينف ترابها ولا ينبت مرعاها، والسبخة فتح الباء وسكونها أرض ذات تر وملح .  
[٢] ملح مرّ . [٣] استعذب : استقى غذاء . [٤] التريق : إدانة النظر . [٥] رقت من خبيثته فطقت به غللا فيه وفضته . [٦] الرُكْس : قلب أول الشيء على آخره ، ولرتكس ارتكس ووقع .  
[٧] صفرة : صبغة صفرة ، أي تبدلتا بالدم الأبيض دينارا أصفر وتجميل فضتنا ذهباً .  
[٨] مكيال . [٩] للنظر . [١٠] من أجمع للماء إذا تركه يجمع ، أي أرتناكم وانصرفنا عنكم .

قال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أجبت عنكم ، ومن شاء آثرته ، قالوا : بل نكلم ، فنكلم النعمان قال :

### ١٢٠ - خطبة النعمان بن مقرن

« إن الله رَحِمَنَا فَأَرْسَلْ إِلَيْنَا رَسُولًا يَدُلُّنَا عَلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُنَا بِهِ ، وَيَمَرِّفُنَا الشَّرَّ ، وَيَهَانُنَا عَنْهُ ، وَوَعَدَنَا عَلَى إِجَابَتِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَمْ يَدْعُ إِلَى ذَلِكَ قَبِيلَةً إِلَّا صَارُوا فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةٌ تُقَارِبُهُ ، وَفِرْقَةٌ تُبَاعِدُهُ ، وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُ فِي دِينِهِ إِلَّا الْخَوَاصُّ ، فَكَثُرَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُنَّ ، ثُمَّ أُمِرَ أَنْ يُفْزَعَ إِلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَبَدَأَ بِهِمْ وَفَعَلَ ، فَدَخَلُوا مَعَهُ جَمِيعًا عَلَى وَجْهِينَ : مُكْرَمٌ عَلَيْهِ فَانْتَبِطَ ، وَطَائِعٌ أَتَاهُ فَازْدَادَ ، فَصَرَفْنَا جَمِيعًا فَضَّلَ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ ، مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالضِّيْقِ ، ثُمَّ أَمَرْنَا أَنْ نَبْدَأَ بِنِ بَلَيْنَا مِنَ الْأُمَمِ ، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْإِنصَافِ ، فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ إِلَى دِينِنَا ، وَهُوَ دِينُ حَسَنِ الْحَسَنِ ، وَقَبِيحِ الْقَبِيحِ كُلُّهُ ، فَإِنْ أُيِّتُمْ فَأَمْرٌ مِنَ الشَّرِّ ، هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخِرِ شَرِّهِ مِنْهُ ، الْجِزَاءُ <sup>(١)</sup> ، فَإِنْ أُيِّتُمْ فَلِلنَّاجِزَةِ ، فَإِنْ أَجْتَمَعْتَ إِلَى دِينِنَا خَلَقْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقْنَاكُمْ عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ ، وَنَرْجِعَ عَنْكُمْ وَشَأْنَكُمْ وَبِلَادَكُمْ ، وَإِنْ اتَّقَيْتُمُونَا بِالْجِزَاءِ قَبْلَنَا وَمَنْعَاكُمْ ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاكُمْ . »

✽

فقال يزيد جرد : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ ذاتَ يمينٍ منكم ، قد نوكلُ بكم قُرَى الضواحي فيكفونناكم ، لا تنزروكم فارس ، ولا تطعمون أن تقوموا لهم ، فإن كان غر ورلحقكم ، فلا يغرركم منا ، وإن

كَانَ الْمَجْدُ دَعَاكُمْ ، فَرَضْنَا لَكُمْ قُوْتًا إِلَى خِيَصْبِكُمْ ، وَأَكْرَمْنَا وَجُوهَكُمْ ، وَكَسَوْنَاكُمْ ،  
وَمَلَكْنَا عَلَيْكُمْ مَلَكَائِرُفُقُ بِكُمْ ، فَعَامَ الْمَنِيْرَةِ بِنَ زَرَارَةَ قَال :

### ١٢١ - خُطْبَةُ الْمَغِيْرَةِ بِنَ زَرَارَةَ

أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنْ هُوَ لَا رِءُوسُ الْعَرَبِ وَوُجُوهِهِمْ ، وَهَمَّ أَشْرَافُ يَسْتَحْيُونَ  
مِنَ الْأَشْرَافِ ، وَإِنَّمَا يَكْرَهُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ ، وَيَعْظُمُ حَقُوقَ الْأَشْرَافِ  
الْأَشْرَافُ ، وَيَفْخَمُ الْأَشْرَافُ الْأَشْرَافُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أُرْسِلُوا بِهِ جَمْعُهُ لَكَ ،  
وَلَا كُلُّ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَجَابُوكَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَلَا يَحْسُنُ بِثَلَمِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ ،  
فَلَا وَبَنِي لَا كُونَ الَّذِي أَبْلَغَكَ ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ ، إِنْكَ قَدْ وَصَفْتَنَا صِفَةً لَمْ  
تَكُنْ بِهَا عَلَامًا ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، فَكَانَ أَسْوَأَ حَالِنَا ، وَأَمَّا  
جُوعُنَا فَلَمْ يَكُنْ يَشْبَهُ الْجُوعَ ، كُنَّا نَأْكُلُ الْخَنَافِسَ ، وَالْجَمِلَانَ <sup>(١)</sup> وَالْعَقَارِبَ  
وَالْحَيَّاتِ قَرَى ذَلِكَ طَعَامُنَا ، وَأَمَّا الْمَنَازِلُ فَإِنَّمَا هِيَ ظَهَرُ الْأَرْضِ ، وَلَا نَلْبَسُ  
إِلَّا مَا غَزَلْنَا مِنْ أَوْبَارِ الْإِبِلِ ، وَأَشْعَارِ الْغَنَمِ ، دِينُنَا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَيُغَيِّرَ  
بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لِيَدْفِنَ ابْنَتَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ كَرَاهِيَةً أَنْ تَأْكُلَ مِنْ  
طَعَامِنَا ، فَكَانَتْ حَالِنَا قَبْلَ الْيَوْمِ عَلَى مَا ذَكَرْتَ لَكَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَجُلًا  
مَعْرُوفًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَنَعْرِفُ وَجْهَهُ وَمَوْلَاهُ ، فَأَرَضُنَا خَيْرَ أَرْضِنَا ، وَحَسَبُنَا خَيْرَ  
أَحْسَابِنَا ، وَبَيْتُهُ أَعْظَمُ بَيْوتِنَا ، وَقَبِيلَتُهُ خَيْرُ قَبِيلَتِنَا ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ كَانَ خَيْرِنَا فِي  
الْحَالِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا ، أَصْدَقْنَا وَأَحْلَيْنَا فِدْعَانَا إِلَى أَمْرٍ ، فَلَمْ يَجِبْ أَحَدٌ أَوَّلَ مَنْ  
يَرْبِ كَانَ لَهُ ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَدْنِهِ ، فَقَالَ وَقَلْنَا ، وَصَدَّقَ وَكَذَبْنَا ، وَزَادَ وَتَقَصَّنَا

فلم يقل شيئاً إلا كان ، فقدف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت إذ لم يكن شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، وإلى يصير كل شيء ، وإن رحمتي أدرتكم ، فبعثت إليكم هذا الرجل ، لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأجلكم داري دار السلام ، فتشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال : من تابعكم على هذا ، فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ثم امنوه مما تمنون منه أنفسكم ، ومن أبي فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم أدخلته جنتي ، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من نأواه ، فاختر إن شئت الجزية عن يدي وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسل فتنجي نفسك ، فقال يزدجرد : أستقبلي بعث هذا ؟ لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي ، ثم قال : اثنوني بوقف<sup>(١)</sup> من تراب ، فقال احموه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن .

( تاريخ الطبري ٤ : ٩٢ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٢٢ )

## ١٢٢ - مقال ربيعي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس

وأرسل رستم قائد جيش الفرس ، إلى سعد بن أبي وقاص ، أن ابست إلينا رجلاً نكله ويكلمنا ، فبعث إليه ربيعي بن عامر ، فلما انتهى إليه قال له التَّزُجَّان ( واسمه عبود من أهل الحيرة ) ما جاء بكم ؟ قال :

« الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنُخرج من شاء من عبادة العباد ، إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا

بدينه إلى خلقه لندعوم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه عليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ، حتى نُقضى إلى موعود الله ، قال وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى .  
( تاريخ الطبري ٤ : ١٠٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٧ )

### ١٢٣ - خطبة المغيرة بن شعبه في حضرة رستم

وبعث إليه أيضاً المغيرة بن شعبه ، فتكلم بحضرته ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
« إن الله خالق كل شيء ، ورازقه ، فمن صنع شيئاً فاتمماً هو يصنعه والذي له ، وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء ، والتمكن في البلاد ، وعظم السلطان في الدنيا ، فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، فإله صنعه بكم ، ووضع فيكم ، وهوله دونكم ، وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال ، وضيق المعيشة ، واختلاف القلوب ، فنحن نعرفه : ولسنا ننكره ، والله ابتلانا بذلك ، وصيرنا إليه ، والدنيا دُول ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرِّخاء ، حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخائهم يتوقعون الشدائد ، حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شكر ، كأن شكركم يَقْضَرُ عما أوتيتم ، وأسلكم ضعف الشكر إلى تنوير الحال ، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر ، كأن عظيم ما تابِع علينا ، مستجلباً من الله رحمة يَرْفَعُ بها عتاً ، ولكن الشأن غير ما تنهبون إليه ، أو كنتم تعرفوننا به ، إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا ، ثم ذكر مثل الكلام الأول .  
( تاريخ الطبري ٤ : ١٠٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٨ )

### ١٢٤ - خطبة خالد بن الوليد في وقعة اليرموك

والى خالد بن الوليد جيوش المسلمين ، وقد اجتمعوا باليرموك لحرب الروم .

وأراد قوادها الخروج إلى الرُّوم متساندين ، <sup>(١)</sup> فخطبهم خالد ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« إن هذا يوم من أيام الله ، لا يبنى فيه الفخر ولا البنى ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بملككم ، فإن هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعمية ، على تساند وانتشار ، فإن ذلك لا يحل ولا يبنى ، وإن من ورائكم من لو يعلم علمكم ، حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به ، بالذي ترون أنه الرأى من واليكم ومحبتة » .

قالوا فهات ، فما الرأى ؟ قال : « إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سننابس <sup>(٢)</sup> ، ولو علم بالذى كان ويكون لما جمعكم ، إن الذى أتمم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم ، وأتقع للمشركين من أمداهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فآله الله ، فقد أفرّد كل رجل منكم يبلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دأن لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيد عليه أن دانوا له ، إن تأمير بعضكم لا يتقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فإن هؤلاء قد تهيئوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فهلموا فلتماور <sup>(٣)</sup> الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غداً ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعوني أتأمر اليوم » فأمرّوه وهم يرون أنها كخرّ جلتهم ، فكان فيها النصر المين للمسلمين .  
( تاريخ الطبرى ٤ : ٣٣ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٠٠ )

[١] أى تحت رايات شتى لاجتماعهم راية أمير واحد . [٢] التماس .

[٣] تصافح عليها .

## ١٢٥ - خطبة عتبة بن غزوان بعد فتح الأبلّة<sup>(١)</sup>

حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال :

« أما بعد : فإن الدنيا قد تولت حذاء<sup>(٢)</sup> مذبرة<sup>(٣)</sup> ، وقد آذنت أهلها بصرم<sup>(٤)</sup> ، وإنما بقي منها صباية<sup>(٥)</sup> كصباية الإناء يَصْطَبُهَا صَاحِبُهَا ، ألا وإنكم مفارقوها لأَحْمَالَةً ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم ، ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر الضخم يُلْقَى في النار من شفيرها<sup>(٦)</sup> ، فَيَهْوَى فيها سبعين خريفاً<sup>(٧)</sup> ، ولجنهم سبعة أبواب ما بين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة<sup>(٨)</sup> ، ولثأيتن<sup>(٩)</sup> عليها ساعة وهي كطيط<sup>(١٠)</sup> بالرحام ، ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع سابعة ، ما لنا طعمكم إلا وَرَقُ الْبَشَامِ<sup>(١١)</sup> ، حتى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك تمره ، فشقتها بيني وبينه نصفين ، والنقطت بُرْدَةً فشقتها بيني وبينه ، فَأَثَرَتْ بنصفها ، وَأَثَرَتْ بنصفها ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وإنه لم يكن نبوة قط إلا تناسختها<sup>(١٢)</sup> جَبَرِيَّةٌ ، وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسى عظيماً ، وفي أعين الناس صغيراً ، وستجرون الأمراء من بعدى ، فتمرفون وتنكرون .

( العقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٧ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٨٨ )

[١] موضع قرب البصرة . [٢] السرية الماضية التي لا يتعلق بها شيء . [٣] آذنت : أعلنت ، والصرم : القطع . [٤] الصباية : بقية الماء في الإناء . [٥] الشفير : حرف كل شيء . [٦] سنة : والمراد أنها بيمة الأقطار شاسة الأرجاء . [٧] من كذا الطمام ملاءة حتى لا يطبق النفس ، ورجل كذا وكطيط ومكتناوط تبهظه الأمور حتى يجز عنها . [٨] البشام : شجر عطر الرائحة يتناكه . [٩] في الحديث « لم تكن نبوة إلا تناسخت » أي تحورت من حال إلى حال ، يعني أمر الأمة وتناير أحوالها ، والمجربة الجبروت .

١٢٦ — خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها

عزل عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن أبى مُعِيط من إمارة الكوفة ،  
وكان قد اتهم بشرب الخمر وولى مكانه سعيد بن العاص سنة ٣٠ هـ ، فلما قدم  
الكوفة صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

«والله لقد بُعثت إليكم وإني لكاره ، ولكنى لم أجِدُ بداً إِذْ أُمِرْتُ أَنْ أَتُمِرَّ ،  
أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ قَدْ أَطْلَمَتْ خُطْمَهَا<sup>(١)</sup> وَعَيْنِهَا ، وَوَاللهَ لَأَضْرِبَنَّ وَجْهَهَا حَتَّى أَقْمَهَا  
أَوْ تُعَيِّنِي<sup>(٢)</sup> ، وَإِنِى لَرَأُودٌ<sup>(٣)</sup> قَسَى الْيَوْمَ » ثم نزل . ( تلخيص الطبري ٥ : ٦٢ )

١٢٧ — الخنساء تحرض أولادها على القتال

حضرت الخنساء حربَ القادسية ومعهما بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم :

« يَا بَنِيَّ ، أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ طَائِفِينَ ، وَهَاجَرْتُمْ مَخَارِينَ ، وَوَاللهَ لَنَلِيَّ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ،  
إِنَّكُمْ لِبَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ ، كَمَا أَنْتُمْ بَنُو امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ ، مَا خُنْتُ أَبَاكُمْ ، وَلَا فَضَحْتُ  
خَالَكُمْ ، وَلَا هَجَجْتُ<sup>(١)</sup> حَسَبَكُمْ ، وَلَا قَبَّرْتُ<sup>(٢)</sup> نَسَبَكُمْ ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللهُ  
لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي حَرْبِ الْكَافِرِينَ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ خَيْرٌ  
مِنَ الدَّارِ الْفَائِيَةِ ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا  
وَرَازِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » فَإِذَا أَصْبَحْتُمْ غَدَاً ، فَاغْدُوا إِلَى قِتَالِ  
عَدُوِّكُمْ مُسْتَبْصِرِينَ ، وَفَقَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ مُسْتَنْصِرِينَ » .

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكم ، ففقدوا واحداً بعد واحد ،

[١] الخطم . جمع خطم ، وهو ما وضع في أفق البعير ليقاد به ، والمراد ظهورها ونشوبها .  
[٢] أى تعجزى . [٣] الرود : الطلب . [٤] التهجين : التقيج . [٥] غيره : لطفه  
بالنار ، أى دفنت .

يُنْشِدُونَ الْأَرَايِزَ ، قَاتَلُوا حَتَّى اسْتَشْهِدُوا جِيْمَا ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْخَبْرَ قَالَتْ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مَسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ » .  
فَكَانَ عَمْرُؤُضَى اللَّهُ عَنْهُ يَطْبِئُهَا أَرْزَاقُ أَوْلَادِهَا الْأَرْبَعَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةُ دِرْهَمٍ ، حَتَّى قَبِضَ وَمَاتَ الْخُنَسَاءُ . ( خزانة الأدب ١ : ٢٩٥ )

## ١٢٨ - خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية<sup>(١)</sup>

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة ، وقص عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : أنقوم بتل هذا الكلام على الناس ؟ فقال يا أمير المؤمنين : إني أهيب لك مني لهم ، ققام عثمان في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس : إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، ققام خطيباً - وكان أول من خطب إلى جانب المنبر - فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَجَعَلَنَا مَتَحَابِينَ بَدَ الْبَيْضَةِ ، الَّذِي لَا تُجْحَدُ نِعَمَاؤُهُ ، وَلَا يَزُولُ مَلَكُهُ ، لَهُ الْحَمْدُ كَمَا حَمِدَ نَفْسَهُ ، وَكَأَ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، ائْتَجِبَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْتَارَهُ بَعْلَهُ ، وَأَتَمَّنَّهُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَاخْتَارَ لَهُ مِنَ النَّاسِ أَعْوَانًا ، قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ تَصْدِيقَهُ وَمَحَبَّتَهُ ، فَأَمَّنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ<sup>(٢)</sup> وَوَقَّزُوهُ ، وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، فَاسْتَشْهِدُ<sup>(٣)</sup> اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ اسْتَشْهِدَ عَلَى الْمَنَاجِ الْوَاضِحِ ، وَالْبَيْعِ الرَّايِحِ ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ ، لَا تَأْخُذْهُمْ فِي اللَّهِ لُومَةٌ لِأَنَّهُمْ .

[١] فتحها عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٦ هـ ، وأمد عثمان بجيش يرأسه عبد الله بن الزبير .

[٢] التزير : التضمين والتسليم والإيالة ، وهو أيضاً ضرب دون المد أو هو أشد الضرب ضد .

[٣] استشهد ( مبنياً للجهول ) قتل في سبيل الله .

أيها الناس : رحمكم الله ! إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكنّا مع وال حافظ ،  
حفظ وصية أمير المؤمنين ، كَان يسير بنا الأبردين <sup>(١)</sup> ، وَيَحْفِضُ <sup>(٢)</sup> بنا في  
الظهار ، ويَنخِذ الليل جَلًّا ، يُجَلِّ الرحلة من المنزل الجَذْب ، ويَطِيل اللَّبْث  
في المنزل الحَصْب ، فلم نزل على أحسن حالة نَعْرِضها من ربنا ، حتى انتهينا إلى  
إفريقية ، فزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، وَرُفَاء الإبل ، وقمعة  
السلاح ، فأقننا أيامًا ، نُجْمُ كُرَاعِنَا <sup>(٣)</sup> ، ونصلح سلاحنا ، ثم دعوناهم إلى الإسلام  
والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صَغَارٍ أو الصلح ، فكانت  
هذه أبعد ، فأقننا عليهم ثلاث عشرة ليلة تَتَأَنَّا ، وتختلف رسلنا إليهم ، فلما  
يُس من منهم قام خطيبًا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد ، وما لصاحبه  
إذا صَبَرَ واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا ، وقاتلناهم أشد القتال ، يومًا ذلك ،  
وصَبَرَ فيه الفريقان ، فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم  
رجالًا من المسلمين ، فَبِتْنَا وباتوا ، وللمسلمين دَوِيٌّ بالقرآن كدوي النحل ، وبات  
المشركون في خمرهم وملاعبهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كنّا عليها  
بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صبره ، وأنزل علينا نصره ،  
ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيئًا واسعًا ، بلغ فيه الخس  
خمسائة ألف ، فَصَقَّ <sup>(٤)</sup> عليها مروان بن الحكم ، فركت المسلمون قد قرّت  
أعينهم ، وأغنام النفل ، وأنا رسولهم إلى أمير المؤمنين ، أبشره وإياكم بما فتح الله

[١] الأبردان : النداء والشمس . [٢] خضى بالكان : أظم ، والظهار جمع ظهيرة .  
[٣] الكراع : جماعة الخيل ، وأجم الفرس : ترك ركوبه . [٤] صفق الباب بصفقه وأصفقه  
أغلقه أي أغلق عليها باب الخزان .

من البلاد ، وأذل من الشرك ، فاتحدوا الله عباد الله على آلائه ، ومأحل بأعدائه ، من بأسه الذى لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين .

ثم سكت فنهض إليه أبوه الزير ، فقبل بين عينيه وقال : « ذُرِّيَّةُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » يا بنى ما زلت تنطق بلسان أبى بكر حتى صمت .  
(العقد الفريد ٢ : ١٤٩)

### ١٢٩ - خطبة السيدة عائشة فى الانتصار لايها

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواماً يتناولون أبى بكر رضى الله عنه فأرسلت إلى أزفلة<sup>(١)</sup> من الناس ، فلما حضروا أسدلت<sup>(٢)</sup> أستارها ، وعكّت وسادها ، ثم قالت :

« أبى وما آية ، أبى والله لا تمطوه<sup>(٣)</sup> الايدى ، ذاك طَوْدٌ مُنِيف<sup>(٤)</sup> ، وَفَرَع<sup>(٥)</sup> مديد ، هيهات كَذَّبَتِ الظنون ، أنجح<sup>(٦)</sup> إذ أكدتيم<sup>(٧)</sup> ، وسبق إذ وَنَيْتُمْ ، سَبَقَ الجواد إذا استولى على الأمد<sup>(٨)</sup> ، ففى قریش ناشئاً ، وكهفها<sup>(٩)</sup> كهلاً ، يفك عانيها ، وَيَرِيش<sup>(١٠)</sup> مُمْلِقِهَا ، وَيَرَأَب<sup>(١١)</sup> شَعْبَهَا ، وَيَلْمُ شَعْبَهَا ، حتى حَكَيْتِه<sup>(١٢)</sup> قلوبها ، ثم استشرى<sup>(١٣)</sup> فى دين الله ، فما برحت شكيمته<sup>(١٤)</sup> فى ذات الله عز وجل ، حتى اتخذ بفنائهُ مسجداً ، يحى فيه ما أمات المبطلون ،

[١] جماعة . [٢] سده يسدله : كنصر وضرب وأسده أرطاه . [٣] تتناوله .

[٤] الطود : الجبل ، والمنيف : المشرف . [٥] فرع كل شئ أعلاه ، ومن القوم عريهم .

[٦] أنجح : صار ذا نجح . [٧] الكدية : ضم فككون الأرض التليظة ، والصفاء العظيمة التديدة

وحفر فأكدى إذا صادنها فلا يمكنه المفرد ( وسأله فأكدى وجهه مثلاً ) ، وونيت أى قترت وضغمت .

[٨] الناية والنتهى . [٩] الكهف : الوزر واللجأ ، والكهل من جاوز الثلاثين أو أربعاً وعشرين

للى إحدى وخمسين . [١٠] ريش السهم يريشه ألزق عليه الريش كريشه ، والمراد يمينه ويساعده .

[١١] يملح والملح الصدع . [١٢] حلى التلى : استحلاه . [١٣] غضب ولج .

[١٤] الشكيمة الأخوة وفى العجم الجديدة المعترضة فى فم الفرس . وهو شديد الشكيمة أنه أبى لا يتقاد .

وكان رحمه الله غزير الدِّمَّة ، وقيد <sup>(١)</sup> الجوانح ، شجى النسيج <sup>(٢)</sup> ، فاقصصت إليه نسوان مكة وولداها ، يسخرون منه ويستهنئون به « الله يستهنزى بهم » ، ويمدُّهم في طغيانهم يعمهون <sup>(٣)</sup> فأكبرت ذلك رجالات من قرش ، فخت قسيها ، وفوقت <sup>(٤)</sup> سهامها ، وامتلوه <sup>(٥)</sup> غرضاً ، فاكلوا له صفاة <sup>(٦)</sup> ، ولا قصفوا له قتاة ، ومر على سباسه <sup>(٧)</sup> ، حتى إذا ضرب الدين بجراحه <sup>(٨)</sup> ، ورست أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، ومن كل فرقة أرسلالاً <sup>(٩)</sup> وأشتاتاً ، اختار الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رؤوفه <sup>(١٠)</sup> ، ومد طنبه <sup>(١١)</sup> ، ونصب جباله ، وأجلب <sup>(١٢)</sup> بخيله ورجله ، واضطرب جبل الإسلام ، ومرج <sup>(١٣)</sup> عهده ، وماج أهله ، وبني النوائل ، فظنت رجال أن قد أكتبت <sup>(١٤)</sup> أطاعهم ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصديق بين أظهرهم ، فقام حاسراً مشمراً ، فجمع حاشيته <sup>(١٥)</sup> ، ورفع قطريه <sup>(١٦)</sup> ، فردرسن <sup>(١٧)</sup> الإسلام على غربه <sup>(١٨)</sup> ، ولم شعثه بطبه ، واتاش <sup>(١٩)</sup> الدين فنعشه ، فلما

- 
- [١] الوقيذ : الصريح . والشديد المرض المشرف . [٢] الشجى : المزين ، والنسيج : صوت البكاء .  
 نفع الباكي ينشج بكس غصن بالكاء في حلقة من غير انتحاب . [٣] الله يفتحني الزرد في الضلال .  
 [٤] فوق السهم : جبل له فوقا ، وهو موضع الوتر من السهم . [٥] املأوه : ملأوه .  
 [٦] الحجر الصلابة : الضخم . [٧] شدته : حمله على سيئه الحق أى على حده ، والسياء : عظم الظهر ، والحرب قصيره مثلاً لشدة الأمر . [٨] جراح البير : مقدم عقه من مذهبه إلى منحره .  
 [٩] جمع رسل يفتحون ، وهو القطيع من كل شيء . [١٠] فسطاطه . [١١] جبل طويل يشد به سراق البيت أو الوتر . [١٢] أجلب : صاح ، والحيل : الخيلة ، ومنه يا خيل الله اركبي ، والرجل : اسم جمع راجل كالصعب والركب ، أى صالح بالركاب والمثاق وقرى ورجلك بكسر الجيم وضمتها .  
 [١٣] اللرج : يفتحني الفساد والخلق والاختلاط والاضطراب ( وأما يسكن مع المرح ) .  
 [١٤] أكتب : قرب ، والتهز جمع نزة بضم النون وهي القرصة . [١٥] حاشية كل شيء : جانبه وطره . [١٦] القطر : الناحية . [١٧] الحبل . [١٨] الغرب : حد الشيء .  
 [١٩] اقتتل ونعته الله كأنثه ، ونعته : رفه .

أراح<sup>(١)</sup> الحقّ على أهله ، وقرّر الرءوس على كواهلها<sup>(٢)</sup> ، وحقق الدماء في  
أهبا<sup>(٣)</sup> ، أته منيته ، فسد ثلثته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة ،  
ذاك ابن الخطاب ، فله دَرَأَمٌ<sup>(٤)</sup> حملت به ، ودَرَّت عليه ، لقد أوجلت<sup>(٥)</sup> به ،  
ففتح<sup>(٦)</sup> الكفرة ، ودَيَّجها<sup>(٧)</sup> ، وشرّد الشرك شَدَرَّ مَذَر<sup>(٨)</sup> ، وبَيَّج<sup>(٩)</sup> الأرض  
وبَجَمها<sup>(١٠)</sup> ، فقامت أَكْلَهَا<sup>(١١)</sup> ولفظت خَبَأها ، تَرَأَمه<sup>(١٢)</sup> وَيَصْدِف عنها ،  
وَتَصَدَّى<sup>(١٣)</sup> له ويأبأها ، ثم وزع فيها فيها ، وودّعها كما صبحها ، فأروني ، ماذا  
ترثون ، وأى يوحى أبى تنقِمون ، أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظنَّه إذ نظر  
لکم<sup>(١٤)</sup> ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، ثم أقبلت على الناس بوجهها ،  
فقال أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئاً ، قالوا : اللهم لا .

( صبح الأعشى ١ : ٢٤٨ ، ولبند الفرد ٢ : ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٠ )

### ١٣٠ — رثاؤها لأبيها

لما توفى أبو بكر رضى الله عنه ، وقفت عائشة على قبره فقالت :  
« نَصَرَ<sup>(١٥)</sup> الله وجهك يا أبتى ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت  
للدنيا مُذِلًّا بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كَانَ أَجَلُ الحوادث  
بعد رسول الله صلى عليه وسلم رُزُؤُك ، وأعظم المصائب بعده قَقْدُك ، إن كتاب

- 
- [١] أراح على فلان جفّه : ردّه عليه . [٢] الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .  
[٣] جمع إهاب ، وهو الجلد ، والمراد الأجسام . [٤] الدَرَأَم : القين والنفس والعمل .  
[٥] أوجلت المرأة : ولدت واحداً ، أى جاءت به متفرداً لانظير له . [٦] أَذَلَّ وقهر .  
[٧] داخ البلاد : ودوّخها ، ودغها : قهرها واستولى على أهلها . [٨] تهرّقوا شفو منفر :  
ذهبوا فى كلّ وجه . [٩] شقها : كناية عن الفتح . [١٠] قهر أهلها واستخرج ما فيها من  
الكنوز وأموال الملوك . [١١] الأكل : ما يؤكل ، أى أخرجت خيراتها . [١٢] لفظ  
عليه ويصدف أى يعرض . [١٣] تنرش . [١٤] أى فيها يملحكم قولى عليكم عمر .  
[١٥] من النفرة والغارة بفتح التون وهى الحسن .

الله لِيَمِدُّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ فَيْكَ حُسْنَ الْعَوَظِ مِنْكَ ، وَأَنَا أَسْتَنْجِزُ مَوْعِدَ اللَّهِ تَعَالَى  
بِالصَّبْرِ فَيْكَ ، وَأَسْتَقْضِيهِ <sup>(١)</sup> بِالْإِسْتِغْفَارِ لَكَ ، أَمَا لَنْ قَامُوا بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، لَقَدْ قَتَّ  
بِأَمْرِ الدِّينِ ، لَمَّا وَهَى شَعْبُهُ <sup>(٢)</sup> ، وَتَقَاقَمَ صَدَقَتُهُ <sup>(٣)</sup> ، وَرَجَعَتْ <sup>(٤)</sup> جَوَانِبُهُ ،  
فَصَلِيكَ سَلَامُ اللَّهِ تَوْدِيعَ غَيْرِ قَالِيَةٍ <sup>(٥)</sup> لِحَيَاتِكَ ، وَلَا زَارِيَةٍ <sup>(٦)</sup> عَلَى الْقَضَاءِ فَيْكَ .  
( زهر الآداب ١ : ٤٠ ، العقد الفريد ٢ : ٧ ، نايه الأرب ٥ : ١٦٧ ، البيان والتبيين ٢ : ١٦٠ )

### ١٣٦ - خطبتها حين أنبتت بقتل عثمان

كانت السيدة عائشة خرجت إلى مكة للحج وعثمان محصور ، ثم خرجت  
من مكة تريد المدينة ، فلما كانت بِسَرِفٍ أنبتت بقتل عثمان ، فانصرفت إلى  
مكة ، فقصدت الحِجْرَ ، فسترت فيه ، واجتمع إليها الناس ، فقالت :  
« أيها الناس : إن النوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة ،  
اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ، وتقموا عليه استعمال من حدثت  
سنته ، وقد استعمل أمثالهم قبله ، ومواضع من الحمى <sup>(٧)</sup> حماها لهم قنايبهم ،  
ونزع لهم عنها ، فلما لم يجدوا حجة ، ولا عذراً ، بادروا بالمعدون ، فسفكوا الدم  
الحرام ، واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، والله لأصبع  
من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ، والله لو أن النبی اعتدوا به عليه ، كان

[١] أطلب قضاءه . [٢] وهى شعبة ، والشعب الجمع . [٣] الصدع : الشق .

[٤] اضطربت . [٥] مبنضة . [٦] طائفة ولائمة . [٧] من المطاعن التي وجهت إلى  
عثمان رضى الله عنه أنه حمى الحمى عن المسلمين مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم سواء في الماء  
والكلاء ، ولما سئل في ذلك قال إنما نك ذلك لإيلاف الصدقة ، وقد أمقته الآن ، وأنا أستغفر الله ، وروى  
الوافى أن عثمان كان يحمى الرتبة والفرف والبقيع فكان لا يدخل الحمى ميرة ولا قرص ولا لبن أمة ،  
حتى كان آخر الزمان ، فكان يحمى الفرف لإيلافه ، وكانت ألف ميرة وإيلاف الحكم بن أبي العاص ، ويحمى  
الرتبة لإيلاف الصدقة ، ويحمى البقيع لحيل المسلمين وخيل بني أمية . شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٢٢٥

ذنباً لخلص منه كما يخلص النعب من حَبْثِهِ ، أو الثوب من دَرَنِهِ ، إذ ماصوه <sup>(١)</sup>  
كما يُكْص الثوب بالماء . (الكامل لابن الأثير ٤ : ١٠٢)

## فتنة أصحاب الجمل

ولما قدمت السيدة عائشة رضى الله عنها البصرة ، للطلب بدم عثمان ، خرج إليها من أهلها من أراد أن يكون معها ، واجتمع القوم بالمربد ، وجعلوا يشويون ، حتى غصَّ بالناس ، فتكلم طلحة ، فأنصتوا له :

### ١٣٢ - خطبة طلحة

حمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضى الله عنه وفضله ، والبلد وما أمتحل منه ، وعظم ما أتى إليه ، ودعا إلى الطلب بدمه وقال :

« إن في ذلك إغزازَ دين الله عز وجل وسلطانَه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم ، فإنه حدٌّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم ، وعاد أمركم إليكم ، وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام » .

وتكلم الزبير بمثل ذلك ، ثم تكلمت السيدة عائشة وكانت جهورية الصوت

### ١٣٣ خطبة السيدة عائشة بالمربد

حمدت الله عز وجل ، وأثنت عليه وقالت :

« كَانَ الناس يَتَجَنَّوْنَ <sup>(٢)</sup> على عثمان رضى الله عنه ، وَيَزُرُّونَ <sup>(٣)</sup> على عماله ، وَيَأْتُونَنَا بالمدينة ، فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ، فنتظر في ذلك فتجده بريئاً ،

[١] الروس : غسل لين والحدك باليد . [٢] تمنى عليه : ادعى ذنباً لم يملكه . [٣] زرى عليه : ما به كآزرى لكنه قليل .

تَقِيًّا وَفِيًّا ، وَنَجِّدْهُمْ فَجَرَةً غَدَرَةً كَذَّابَةً ، يَحَاوِلُونَ غَيْرَ مَا يُظْهَرُونَ ، فَلَمَّا قَوَّوْا عَلَى الْمَكَاتِرَةِ كَاثَرُوهُ ، فَاتَّقَحَمُوا عَلَيْهِ دَارَهُ ، وَاسْتَحَلُّوا الدِّمَ الْحَرَامَ ، وَالْمَالَ الْحَرَامَ ، وَالْبَلَدَ الْحَرَامَ ، بِلَا رِيَّةٍ <sup>(١)</sup> وَلَا عَذْرٍ ، أَلَا إِنْ مِمَّا يَنْبَغِي ، لَا يَنْبَغِي لَكُمْ غَيْرُهُ ، أَخَذَ قَسَلَةَ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَإِقَامَةَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِييًّا مِنَ الْكِتَابِ يَذْعَبُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ) الْآيَةُ .  
( تاريخ الطبري ٥ : ١٧٥ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١٠٠ )

### ١٣٤ - خطبة عدى بن حاتم

يستنفر قومه لنصرة الإمام على

لَمَّا شَخَّصَ الْإِمَامُ عَلَى كَرِّمِ اللَّهِ وَجْهَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَقَدْ عِلِمَ بِمَسِيرِ طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرِ وَعَائِشَةَ إِلَيْهَا ، قَامَ عَدَى بْنُ حَاتِمٍ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ تَقَدَّمْتُ إِلَى قَوْمِي أَخْبِرَهُمْ بِمَسِيرِكَ ، وَأَسْتَنْفِرَهُمْ ، فَإِنْ لَكَ مِنْ طَيْئٍ مِثْلَ الَّذِي مَعَكَ ، فَقَالَ عَلَى نَسَمٍ فَافْضِلْ ، فَتَقَدَّمَ عَدَى إِلَى قَوْمِهِ ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ طَيْئِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ :

« يَا مَعْشَرَ طَيْئٍ : إِنْكُمْ أَمْسَكْتُمْ عَنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّرْكِ ، وَنَصَرْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى الرَّذَّةِ ، وَعَلَى قَادِمٍ عَلَيْكُمْ ، وَقَدْ ضَمَنْتُمْ لَهُ مِثْلَ عِدَّةٍ مِّنْ مَّعَكُمْ ، تَخَفُّوْا <sup>(٢)</sup> مَعَهُ ، وَقَدْ كُتِبَ تَقَاتُلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى الدُّنْيَا ، فَقَاتَلُوا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى الْآخِرَةِ ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَقَدْ ضَمَنْتُمْ عَنْكُمْ الْوَفَاءَ ، وَبَاهَيْتُمْ بِكُمْ النَّاسَ ، فَأَجِيبُوا قَوْلِي ، فَإِنَّكُمْ أَغْرَ الْعَرَبَ دَارًا ، لَكُمْ فَضْلٌ مِّمَّا شَكُمُ وَخِيلَكُم ، فَاجْعَلُوا فَضْلَ

الماش لِلْعِيَالِ<sup>(١)</sup> ، وفضول الخيل للجهاد ، وقد أغلظكم علىّ والناس معه من المهاجرين والبدرين<sup>(٢)</sup> والأنصار ، فكونوا أكثرهم عدداً ، فإن هذا سبيلُ الحى فيه التنى والسرور ، وللقيل فيه الحياة والرزق .

فصاحت طيًى نعم نعم ! حتى كَادَ أَنْ يُصَمَّ من صياحهم .

(الإملة والياسة ١ : ٤٥)

### ١٣٥ - خطبة زفر بن زيد

يستنفر قومه لنصرة علىّ أيضاً

وقام إلى علىّ زفر بن زيد الأسدى - وكان من سادة بنى أسد - فقال : يا أمير المؤمنين ، إن طيئنا إخواننا وجيراننا قد أجابوا عديّاً ، ولى في قوى طاعة ، فأذن لى فأتيهم ، قال : نعم ، فأتاهم فجمعهم ، وقال :

« يا بنى أسد : إن عديّ بن حاتم ضيّعَ لعلّى قومه ، فأجابوه ، وقصّوا عنه ذِمّامه<sup>(٣)</sup> ، فلم يَمَلِّ التّنى بالغنى ، ولا الفقير بالفقر ، وواسى بعضهم بعضاً ، حتى كأنهم المهاجرون في الهجرة ، والأنصار في الأثرة<sup>(٤)</sup> ، وم جيرانكم في الديار ، وخُلَطَاؤُكم<sup>(٥)</sup> في الأموال ، فأنشدكم الله لا يقولُ الناس غداً : نصرت طيًى ، وخذلت بنو أسد ، وإن الجار يُقاس بالجار ، كالنمل بالنمل ، فإن خِفتم فتوسّعوا في بلادهم ، وانضموا إلى جباهم ، وهذه دعوة لها ثوابٌ من الله في الدنيا والآخرة . »

(الإملة والياسة ١ : ٤٦)

[١] جمع عيل (كجيد) وهو من يجب الإتيان عليه . [٢] أى الذين حضروا وقعة بدر .

[٣] العهد والحرمة . [٤] أى يؤثر كلّ منهم الله على نفسه وبغضه كما فعل الأنصار بالمهاجرين

« وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَهْلِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » [٥] الحظاظ . جمع خيط وهو الشريك

## ١٣٦ - خطبة سعيد بن عبيد الطائي

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بالرّبعة<sup>(١)</sup> ، أتته جماعة من طي<sup>٢</sup> ،  
 فقيل لطي<sup>٣</sup> : « هذه جماعة من طي<sup>٤</sup> قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ،  
 ومنهم من يريد التسليم عليك » قال : « جزى الله كلاً خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ  
 الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » ثم دخلوا عليه ، فقال عليّ : ما شهدتمونا  
 به ؟ قالوا شهدناك بكل<sup>٥</sup> ما تحب<sup>٦</sup> ، قال : « جزاكم الله خيراً ، فقد أسلّمت طائفتين ،  
 وقتلت المرتدين ، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين » فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال :  
 « يا أمير المؤمنين : إن من الناس مَنْ يُعَبِّرُ لسانه عما في قلبه ، وإني وأقبي<sup>٧</sup>  
 ما كُلُّ ما أُجِدُّ في قلبي يُعَبِّرُ عنه لساني ، وسأجهدُ (وبالله التوفيق) أما أنا  
 فسأصح لك في السرِّ والعلانية ، وأقاتل عدوك في كلِّ موطن ، وأرى لك من  
 الحق ما لا أراه لأحد من أهل زمانك ، لفضلك وقرابتك » .

قال : رحمك الله ! قد أدّى لسانك عما يُخفى<sup>(٨)</sup> ضميرك ، فقتل معه بصفيين  
 رحمه الله ! ( تاريخ الطبري ٥ : ١٨٤ )

## ١٣٧ - خطبة أبي موسى الأشعري المتوفى سنة ٥٢ هـ

وكتب الإمام عليّ من الرّبعة أبا موسى الأشعري - وكان عاملاً على الكوفة -  
 ليستنفر الناس لقتال عائشة ومن معها ، فخطبهم وخطبهم ، فقال :

[١] قرب المدينة ، وكان الامام حين بلّغه خبر خروج عائشة وطلحة والزبير ، وأنهم قد توجهوا نحو العراق ،  
 [خرج من المدينة يبادر وهو يرجو أن يروكهم ويرد هم ، فلما انتهى إلى الرّبعة أكله أنهم قد أمعنوا فأقام  
 برّبعة أياما . [٢] عيين : أي يتر ويخفى .

« أيها الناس : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن ، أعلم بالله جلَّ وعزَّ ورسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً ، فأنا مُؤدِّيه إليكم ، كَأَن الرأى أَلَّا تَسْتَخِفُّوا بِسُلْطَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا تَجْتَرِئُوا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَأَن الرأى الثَّانِى أَن تَأْخُذُوا مَن قَدِمَ عَلَيْكُم مِنَ الْمَدِينَةِ قَتَرْدُومٍ إِلَيْهَا ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا ، وَهَمُّ أَعْلَمُ بِنِ تَصْلُحَ لَهُ الْإِمَامَةُ مِنْكُمْ ، وَلَا تَكْلُفُوا السُّجُورَةَ فِي هَذَا ، فَأَمَّا إِذْ كَانَ مَا كَانَ ، فَإِنَّهَا فَتْنَةٌ صَمَاءٌ ، النَّاسُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ ، وَالْقَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الرَّكَبِ ، فَكُونُوا جُرْثُومَةً <sup>(١)</sup> مِنْ جَرَائِمِ الْعَرَبِ ، فَأَعْمِدُوا <sup>(٢)</sup> السُّيُوفَ ، وَأَنْصِلُوا <sup>(٣)</sup> الْأَسْنَةَ ، وَاقْطَعُوا الْأَوْتَارَ ، وَأَوُوا الْمَظْلُومَ وَالْمُضْطَهَّدَ ، حَتَّى يَلْتَمَ هَذَا الْأَمْرُ ، وَتَنْجَلَ هَذِهِ الْفِتْنَةُ » . (تاريخ الطبري ٥ : ١٨٧ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١١٣)

### ١٣٨ - خطبة أخرى له

وخطب أيضاً في هذا الصِّدَدِ ، قَالَ :

« أيها الناس : أطيعوني تكونوا جرثومة من جرائم العرب ، يا أوى إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائف ، إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سيمعنا . إن الفتنة إذا أقبلت شُبَّهَتْ ، وَإِذَا أُدْبِرَتْ يُنْتِ ، وَإِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ بَاقِرَةٌ <sup>(١)</sup> كَدَاءِ الْبَطْنِ ، تَجْرَى بِهَا الشَّمَالُ وَالْجَنُوبُ ، وَالصَّبَا <sup>(٢)</sup> وَالْدُّبُورُ ، فَتَسْكُنُ أَحْيَانًا ، فَلَا يُدْرِي مَنْ أَيْنَ تَوَفَّى ، تَذَرُ الْحَلِيمَ كَابِتٍ أَمْسَ ، شَبِعُوا <sup>(٣)</sup> سِيُوفَكُمْ ، وَقَصَّدُوا <sup>(٤)</sup> »

[١] جرثومة الشيء : أصله . [٢] غمد السيف يسمه كنعن وضرب وأعمده : جملته في القيد .

[٣] أصل السهم وأصله بالتشديد : جعل فيه ضللاً وأزاله عنه - ضد - . [٤] فتنة باقرة صادقة للآفة شائعة لهما . وفي الكمال لابن الأثير : فائرة بالفاء ، وهي الداهية تكسر فطار الظهور .

[٥] الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والتهار . والدبور : ريح تهبها .

[٦] شام سيفة يشبهه : غمده واستخذه ضد . [٧] القصيد والقصيد : الكسر بأي وجه كان أو

رماحكم، وأرسلوا مهامكم، واقطعوا أوتاركم، والزموا يوتكم، خلّوا قرناً إذا  
أبوا إلا الخروج من دار الهجرة، وفراق أهل العلم بالأمرة، ترتق<sup>(١)</sup> فقها،  
وتشعب<sup>(٢)</sup> صدعها، فإن فعلت فلا نفسها سعت، وإن أبت فلي أنفسها جنت،  
ممنها يهريق في أديعها، استنصحنوني ولا تستعشوني، وأطيعوني ينل لكم دينكم  
ودنياكم، ويشقى بحر هذه الفتنة من جناها .

### ١٣٩ - خطبة زيد بن صوحان

قام زيد بن صوحان، فقال<sup>(٣)</sup> يده المقطوعة، قال :

« يا عبد الله<sup>(٤)</sup> بن قيس، ردّ الفرات عن أدراجه<sup>(٥)</sup>، أرده من حيث  
يحيى، حتى يعود كما بدأ، فإن قدرت على ذلك، فستقدر على ما تريد، فدع عنك  
ما لست مدركه، ثم قرأ : (الْم، أَحْصِبِ النَّاسُ أَنْ يُنْزَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا  
وَهُمْ لَا يُفْقِنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ  
الْكَاذِبِينَ) سيروا إلى أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وأنفروا<sup>(٦)</sup> إليه أجمعين،  
تصيبوا الحق .

### ١٤٠ - خطبة القعقاع بن عمرو

قام القعقاع بن عمرو فقال :

« إني لكم ناصح، وعليكم شفيق، أحب أن ترشدوا<sup>(٧)</sup>، ولأقولن لكم

بالصف ورمع قصه كفره وقصيده وأصناد متكررة . [١] وفي الفتى : سده . [٢] الشعب :  
الإصلاح والإفصاد والجمع والفرق ، ضد . [٣] رفع ، قطعت يده يوم جلوسه ، وقيل بالغلادية . في  
قال القرس ، وقتل يوم الجبل ( أسد النباة ٧ : ٧٣٤ ) . [٤] هو اسم أبي موسى .

[٥] جمع درج بفتحين وهو الطريق . [٦] انزعوا . وكانت البيدة طائفة قد كتبت إليه كتاباً  
تأمره فيه بلازمة بيته أو نصرتها ، قال أمّرت أن تفر في بيتها ، وأمّرتنا أن غائل حتى لا تكون فتنة ،  
أمّرتنا بما أمّرت به ، وركبت ما أمّرتنا به . [٧] رشد : كنصر وفرح .

قولاً هو الحق ، أما ما قال الأمير فهو الأمر ، لو أن إليه سيلاً ، وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا الأمر ، فلا تستنصحوه ، فإنه لا يتزعج أحد من الفتنة طعن فيها ، وجرى إليها ، والقول الذي هو الحق أنه لا بد من إمارة تنظم الناس ، وتترع<sup>(١)</sup> الظالم ، وتُزيم المظلوم ، وهذا على يلي بما ولى ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا الأمر برأى ومسمع .

### ١٤١ — خطبة سيحان بن صوحان

وقال سيحان :

« أيها الناس : إنه لا بد لهذا الأمر ، وهؤلاء الناس من وال ، يدفع الظالم ، ويُزيم المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه<sup>(٢)</sup> ، وهو المأمون على الأمة ، الفقيه في الدين ، فن نهض إليه ، فلما ساءرون منه .

### ١٤٢ — خطبة الحسن بن علي

وقام الحسن بن علي رضى الله عنه ، فقال :

« أيها الناس : أجيئوا دعوة أميكم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من يتغير إليه ، والله لأن يلبه أولو النهى أمثل في العاجلة ، وخير في العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا ، وأعيئوننا على ما ابتلينا به وابتليتكم ، وإن أمير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإني أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا تفر ، فإن كنت مظلوماً أعانني ، وإن كنت ظالماً أخذ مني ، والله إن طلحة والزبير لأول من بايئني ، وأول من غدر ، فهل استأثرت ببال ، أو بدلت حكماً ؟ فانفروا ، فروا بالمر وف ، وانهاوا عن المنكر .

( تاريخ الطبري ٥ : ١٨٨ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١١٤ )

## ١٤٣ - وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجبل

ولما نزل الإمام على كرم الله وجهه بذي قار، دَمَا القَعْقَاعُ بنَ عمرو، فأرسله إلى أهل البصرة، وقال له: **الَّذِي هَذِينَ الرَّجُلَيْنِ - طَلْحَةَ وَالزَّيَّيرَ - يَابُنَ الْحَنْظَلِيَّةِ، وَكَانَ الْقَعْقَاعُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَادْعُهُمَا إِلَى الْأَلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَعَظَّمْ عَلَيْهِمَا الْفُرْقَةَ، وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ فِيمَا جَاءَكَ مِنْهُمَا، مِمَّا لَيْسَ عِنْدَكَ فِيهِ وَصَاةٌ<sup>(١)</sup> مَنِي؟** فقال: **نَلْقَاهُم بِالَّذِي أَمَرْتُ بِهِ، فَإِذَا جَاءَ مِنْهُمَا أَمْرٌ لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْكَ فِيهِ رَأْيٌ، اجْتَهِدْنَا الرَّأْيَ، وَكَلَّغْنَاهُمْ عَلَى قَدَرِ مَا نَسْعَمُ وَنَرَى أَنَّهُ يَنْبَغِي، قَالَ: أَنْتَ لَهَا.**

فخرج القعقاع حتى قَدِمَ البصرة. فبدأ بمائتة رضى الله عنها، فسلم عليها، وقال: **أَيُّ أُمَةٍ: مَا أَشْخَصَكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ؟** قالت: **أَيُّ مُيَّةٍ: إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ، قَالَ: فَابْعَثِي إِلَى طَلْحَةَ وَالزَّيَّيرِ، حَتَّى تَسْمِيَ كُلَّامِي وَكَلَامَهُمَا، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمَا جَاءَا، قَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَشْخَصَهَا وَأَقْدَمَهَا هَذِهِ الْبِلَادَ؟** فقالت: **إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ، فَمَا تَقُولَانِ أَتَيْتُمَا؟** أمُتَابَانِ أَمْ مُخَالِفَانِ؟ قَالَا: **مُتَابَانِ، قَالَ: فَأَخْبِرَانِي، مَا وَجَّهَ هَذَا الْإِصْلَاحَ؟** فَوَاللَّهِ لئن عَرَفْنَاهُ لَنُضْلِحَنَّ، وَلئن أَنكَرْنَاهُ لَأَنُصْلِحَ، قَالَا: **قَتَلَهُ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ هَذَا إِنْ تَرِكَ، كَانَ تَرْكًا لِلْقُرْآنِ، وَإِنْ حَمَلَ بِهِ، كَانَ إِحْيَاءً لِلْقُرْآنِ،** فقال: **قَدْ قَتَلْتُمَا قَتْلَةَ عُمَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَأَنْتُمْ قَبْلَ قَتْلِهِمْ أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ مِنْكُمْ الْيَوْمَ، قَتَلْتُمْ سِتْمَانَةَ إِلَّا رَجُلًا، فَغَضِبَ لَهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ، وَاعْتَزَلُوكُمْ، وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، وَطَلَبْتُمْ ذَلِكَ الَّذِي أَقَلْتُمْ - يَعْنِي حُرْقُوصَ بْنِ زُهَيْرٍ - فَتَمَتَّ سِتَّةُ آلَافٍ**

وم على رجل ، فإن تركتموه كتمت تاركين لما تقولون ، فإن قاتلتهم والذين  
اعتزلوكم فأديلو<sup>(١)</sup> عليكم ، فالذي حذرتم وقرّبتم<sup>(٢)</sup> به هذا الأمر أعظم مما  
أراكم تكرهون ، وأنتم أحميتهم مضرّ وريمة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم  
وخذلوا نكم نصرة هؤلاء ، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم ،  
والذنب الكبير .

قالت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول ، هذا الأمر دواؤه  
التسكين ، وإذا سكن اختلجوا<sup>(٣)</sup> ، فإن أنتم بايتمونا فعلامة خير ، وتباشير  
رحمة ، ودرك ثائر هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أنتم أيتيم إلا  
مكابرة هذا الأمر واعتسافه ، كانت علامة شرّ وذهاب هذا الثار ، وبشة الله في  
هذه الأمة مزاهرة<sup>(٤)</sup> ، فأترؤا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير ، كما  
كتم تكونون ، ولا تمرّضونا للبلاء ، ولا تمرّضوا له ، فيضرّ عنا وإياكم ، وأنتم  
الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف ألا أيتيم حتى يأخذ الله عز وجل  
ساحته من هذه الأمة ، التي قلّ متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي  
حدث ليس يقدر ، وليس كالأمر ، ولا كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ،  
ولا القبيلة الرجل .

قالوا : نعم ، إذن قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع ، فإن قدّم على ، وهو  
على مثل رأيك ، صلح هذا الأمر ، فرجع إلى على فأخبره ، فأعجبه ذلك ، وأشرف  
القوم على الصلح<sup>(٥)</sup> . (تاريخ الطبري ٥ : ١١١)

[١] أي غلبوكم واتصروا عليكم . [٢] قره (كسح) قرب منه (ككرم) .  
[٣] اضطربوا وتحككوا . [٤] المزمزة والمزمار : تحريك البلايا والمخروب الناس .  
[٥] ولكن الشيعين أجبوا مساعي الصلح ، إذ خرجوا في الناس دون أن يشر بهم أحد قصد مضر  
مضر البصرة ، وريتهم ريمة البصرة ، وبنهم بين البصرة ، ووضوا فيهم السلاح . فلو كل قوم في وجوه  
أصحابهم ، ودارت رحى القتال بينهم ، وكلا الفريقين لا يعلم بكنه تلك الكيفة ، وكان بينهما ما كان .

## ١٤٤ - خطبة علي بن أبي طالب

فلما رجع التمتع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير ، جمع الإمام علي الناس ، ثم قام على المنبر ، فحمد الله عز وجل ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر الجاهلية وشقاها ، والإسلام والسعادة ، وإنعام الله على الأمة بالجماعة ، بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، ثم حدث هذا الحديث ، الذي جرّه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أقامها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أديارها ، والله بالغ أمره ، ومصيب ما أراد ، ألا إني راحل غداً فارتحلوا ، ألا ولا يرتحلن غداً أحدٌ أعان على عثمان رضي الله عنه بشيء ، في شيء من أمور الناس ، وليتغن السفهاء عنى أنفسهم . ( تاريخ الطبري ٥ : ١٩٤ )

## ١٤٥ - خطبة السيدة عائشة يوم الجمل (توفيت سنة ٥٧ هـ)

وخطبت السيدة عائشة رضي الله عنها أهل البصرة يوم الجمل فقالت :  
« أيها الناس : صه صه ، إن لي عليكم حقّ الأمومة ، وحرمة الموعظة ، لا يتهمني إلا من عصى ربه ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري<sup>(١)</sup> ومخري<sup>(٢)</sup> ، فأنا إحدى نساءه في الجنة ، له أدخرتي ربي ، وخلصني من كل بضاعة ، وبني ميز منافقكم من مؤمنكم ، وبني أرخص الله لكم في صعيد الأبواء<sup>(٣)</sup> ، ثم أي

[١] السر : الرقة . [٢] الصعيد : القرب أو وجه الأرض ، والأبواء : قرية بها قبر أكنة بنت وهب التي صلى الله عليه وسلم ، تنير إلى ما حدث بركتها من ترخيص الولي (جلّ وعلا) للمسلمين في التيمم إذا لم يجدوا ماء يتوضئون به . وفي الحديث : « عن عائشة رضي الله عنها : قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عني ، فأقام رسول الله على التيمم ، وأقام الناس معه ولبسوا على ماء ، فأبى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى ما صنعت

ثَانِي اثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا ، وَأَوَّلُ مِنْ مُنَى صِدِّيقًا ، مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاضِيًا عَنْهُ ، وَطَوَّعَهُ أَجْبَاءُ الْإِمَامَةِ ، ثُمَّ اضْطَرَبَ حَبْلُ الدِّينِ بَعْدَهُ ، فَسَكَ أَبُو بَطْرِيقِهِ ، وَرَتَقَ لَكُمْ فَتَقَ التَّفَاقُ ، وَأَغَاضَ نَبْعَ الرَّدَّةِ ، وَأَطْفَأَ مَا حَسَّ<sup>(١)</sup> يَهُودَ ، وَأَتَمَّ يَوْمَئِذٍ جُحْطُ الْعِيُونِ ، تَنْظُرُونَ الْغَدْرَةَ ، وَتَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ، قَرَأَبَ الثَّانِي<sup>(٢)</sup> ، وَأَوْدَ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْغِلْظَةِ ، وَاتَّاشَ مِنَ الْهَوَّةِ ، وَأَجَحَّتِي<sup>(٤)</sup> دَفِينِ الْمَاءِ ، حَتَّى أَعْطَنَ<sup>(٥)</sup> الْوَارِدُ ، وَأَوْرَدَ الصَّادِرُ ، وَعَلَّ<sup>(٦)</sup> النَّاهِلُ ، فَقَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَاطَّنًا عَلَى هَامَاتِ<sup>(٧)</sup> التَّفَاقِ ، مُذَكِّيًّا<sup>(٨)</sup> نَارَ الْحَرْبِ لِلْمُشْرِكِينَ ، فَاتَنْظَمَتْ طَاعَتُكُمْ بِجَبَلِهِ ، فَوَلَّى أَرْكَمَ رَجُلًا مُرْعِيًا إِذَا رُكِنَ إِلَيْهِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ اللَّابَتَيْنِ<sup>(٩)</sup> ، عُرْكَةَ لِلْأَذَاةِ يَجْنِيهِ<sup>(١٠)</sup> ، صَفْوَحًا عَنْ أَذَاةِ الْجَاهِلِينَ ، يَقْطَانُ اللَّيْلَ فِي نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ ، فَسَلَكَ مَسْلَكَ السَّابِقَةِ ، فَضَرَقَ شَمْلَ الْفِتْنَةِ ، وَجَمَعَ أَعْضَادَ مَا جَمَعَ الْقُرْآنُ ، وَأَنَا نُصَبُ الْمَسْأَلَةَ عَنْ مَسِيرِي هَذَا ، لَمْ أَتَمَسَّ إِلَّا ، وَلَمْ أُوْنِسْ فِتْنَةَ أُوطِئَكُمْوهَا ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صَدَقًا وَعَدْلًا ، وَإِعْذَارًا وَإِنْذَارًا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصِلِيَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ يَخْلِفَهُ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ خِلَافَةِ الْمُرْسَلِينَ . ( الضد الفريد ٢ : ١٥٦ - ٢٢٦ )

عائشة ، أُمِّتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ ، وَلِيَسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ ، بَغَاءُ أَبِي بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ قَدْ هَامَ ، فَقَالَ حَبِيبُ رَسُولِ اللَّهِ وَالنَّاسُ وَلِيَسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ ، فَهَاتَكَ عَائِشَةُ فَتَابَنِي أَبُو بَكْرٍ ، وَتَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ، وَجَلَّ يَطْمَعِي يَسِدَةً فِي خَاصِرِي ، فَتَامَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيْمِمْ ، فَتَيَمَّمُوا ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِرِ (بِسْمَةِ الصَّغِيرِ) مَا بِي وَأَوَّلَ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَتْ فَهَذَا الْبَحْرِ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فَأَصْبَحْنَا الْفَقْدَ تَحْتَهُ . ( رَاجِعِ الْحَدِيثَ كَلَامًا فِي بَابِ التَّيْمِمْ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ١ : ٧٠ ، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ ١ : ١٤٦ ) . [ ١ ] حَتَّى التَّارُ : أَوْقَعَهَا . [ ٢ ] الثَّانِي وَالثَّانِي بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِهَا : الْإِسْلَامُ . [ ٣ ] أَوْدَهُ فَتَأَوَّدَ : عَطَفَهُ فَانْطَبَعَ . [ ٤ ] أَجْنَعَهُ : اسْتَأْصَلَهُ . [ ٥ ] أَعْطَنَ الْأَيْلَ : حَبَسَهَا عِنْدَ الْمَاءِ . [ ٦ ] عَلَّ الْمَلَّ وَالطَّلَّ : (بِفَتْحَيْنِ) الشَّرْبَ بَعْدَ الشَّرْبِ تَبَاعًا عَلَى يَمَلٍ بِكَسْرِ اللَّيْنِ وَضَمِّهَا ، وَالتَّلَّ : أَوَّلُ الشَّرْبِ نَهْلٌ يَنْهَلُ كَفَرَحٍ . [ ٧ ] جَمْعُ هَلْمَةٍ وَهِيَ الرَّأْسُ . [ ٨ ] مُذَكِّيًّا . [ ٩ ] اللَّابَتَانِ : الْهَمْرَةُ بَفَتْحِ الْهَاءِ ( أَرْضُ ذَاتِ حَبَابَةٍ نَخْرَةُ سَوْدٍ ) وَلَا بَاءَ لِلدَّيْنَةِ حَرْكَتَانِ تَكْتَفِيَانِهَا ، أَرَادَتْ أَنَّهُ وَاسِعُ الصَّدْرِ وَاسِعُ الطَّنِّ فَاسْتَمَارَتْ لَهُ الْإِلَافَةُ كَمَا يُقَالُ رَحِبَ الْفَنَاءِ وَاسِعَ الْجَنَابِ . [ ١٠ ] أَيْ يَمْرُكُ الْأَذَى يَجْنِيهِ أَيْ يَحْتَلُهُ . وَفِي هَذِهِ الْخَطْبَةِ تَحْرِيفٌ شَدِيدٌ فِي الْأَصْلِ وَقَدْ أَصْلَحْتُهُ كَمَا يَتَبَيَّنُ بِالْمُرَاجَعَةِ .

## ١٤٦ - خطبة زفر بن قيس

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، مع زفر بن قيس إلى جرير بن عبد الله البجلي - وكان على ثرهمذان استعمله عليه عثمان - كتاباً يخبره فيه بما كان بينه وبين أصحاب الجمل ، وما أوتى من الانتصار عليهم ، واستعمال ابن عباس على البصرة ، فلما قدم زفر على جرير بكتاب على وقرأه جرير ، قام زفر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إن علياً كتب إليكم بكتاب ، لا تقول بعده إلا رَجِيماً <sup>(١)</sup> من القول ، إن الناس بايعوا علياً بالدينونة غير محابة يبيعهم ، لعله بكتاب الله ، وَيُرْسِي الحق فيه ، وإن طلحة والزبير نقضاً بَيْعَةَ عَلِيٍّ على غير حداث ، ثم لم يرضيا حتى نَصَبَا له الحرب ، وألبأ <sup>(٢)</sup> عليه الناس ، وأخرجنا أم المؤمنين عائشة من حِجَابِ ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها ، فلقبهما فأعذر في الدماء ، وَخَشَى البني ، وَحَمَلَ الناس على ما يعرفون ، فهذا عِيَان <sup>(٣)</sup> ما غاب عنكم ، وإن سألتكم الزيادة زدناكم . »

(الإملة والياسة ١ : ٦٩)

## ١٤٧ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقام جرير بن عبد الله البجلي خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، وهو المأمون على الدين والدنيا ، وكان من أمره وأمرِ عدوه ما قد سمعتم ، والحمد لله على أفضليته ، وقد يابسه السابقون الأولون ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعون بإحسان ، ولو

جعل الله هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان عليّ أحقّ بها ، ألا وإن البقاء في الجماعة ، والبقاء في الفرقة ، وعليّ حاملكم ما استقمتم له ، فإن ملتم أقام ميثكم . قال الناس سمعنا وطاعة ، ورضانا رضا من بعدنا .

(الإمامة والبيعة ١ : ٦٩)

### ١٤٨ - خطبة زياد بن كعب

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، إلى الأشعث بن قيس - وكان عاملاً بأذربيجان ، استعمله عليها عثمان - بمثل ما كتب به إلى جرير بن عبدالله ، ووجه بالكتاب مع زياد بن كعب ، فلما قرأ الأشعث كتاب عليّ ، قام زياد بن كعب خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

«أيها الناس : إنه من لم يكفه القليل ، لم يكفه الكثير ، وإن أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ، ولم يشف منه الخبر ، غير أن من سمعه ليس كمن عاينه ، وإن المهاجرين والأنصار بايعوا عليّاً راضين به ، وإن طلحة والزبير نقضوا بيعة عليّ على غير حدث ، وأخرجوا أم المؤمنين على غير رضا ، فسار إليهم ولم ينلهم ، فتركهم وما في نفسه منهم حاجة ، فأورثه الله الأرض ، وجعل له عاقبة المتقين » .

(الإمامة والبيعة ١ : ٧٠)

### ١٤٩ - خطبة الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :

«أيها الناس : إن عثمان رحمه الله ولأني أذربيجان ، وهلك وهي في يدي ، وقد بايع الناس عليّاً ، وطاعتنا له لازمة ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم ، وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك » . (الإمامة والبيعة ١ : ٧٠)

## فتنة معاوية

استطلاع الامام على كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد السير إلى الشام

لما أراد الامام على كرم الله وجهه للسير إلى الشام ، دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار فجمعهم .

### ١٥٠ - خطبة الامام على

ثم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنكم ميامينُ الرأي ، مزاجيحُ الحلم ، مباركوا الأمر ، مقاويلُ بالحق ، وقد عزمنا على السير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم » .

### ١٥١ - خطبة هاشم بن عتبة

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد - يا أمير المؤمنين - فأنا بالقوم جدٌ خير ، هم لك ولأشياعك أعداء ، وهم لمن يطلب حرث<sup>(١)</sup> الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجادلوك ، لا يُقُونُ جُهداً ، مُشاكَّةً<sup>(٢)</sup> على الدنيا ، وَصِنًا<sup>(٣)</sup> بما في أيديهم منها ، ليس لهم إزبة<sup>(٤)</sup> غيرها ، إلا ما يتخذون به الجهال ، من طلب دم ابن عفان ، كذبوا ! ليسوا لهم يَنْفِرُونَ<sup>(٥)</sup> ، ولكن الدنيا يطلبون ، انهمض بنا إليهم ، فإن أجابوا إلى الحق ،

[١] أي متاعها . [٢] يجال عليها وحرما . [٣] ضن ضنا : بالكسر وضناة بالفتح يجل .

[٤] الإزبة : الأرب . [٥] خرج للأمر : ذهب له .

فليس بعد الحق إلا الضلال ، وإن أبوا إلا الشقاق ، فذاك غلبي بهم ، والله ما أراهم يبايعون ، وقد بقي فيهم أحد ممن يُطاع إذا نهى ، ولا يسمع إذا أمر .

### ١٥٢ - خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن استطعت أن لا تُقيم يوماً واحداً فافعل ، اشخص بنا قبل استعمار<sup>(١)</sup> نَارِ الْفَجْرَةِ ، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة ، وادعهم إلى حفظهم ورؤسديهم ، فإن قبلوا سعدوا ، وإن أبوا إلا حرّبتنا ، فوالله إن سفك دماءهم ، والجِدِّ في جهادهم ، لقربةٌ عند الله ، وكرامة منه . »

### ١٥٣ - خطبة قيس بن سعد بن عبادة

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أمير المؤمنين : انكش<sup>(٢)</sup> بنا إلى عدونا ولا تُرجِّح ، فوالله لجهادهم أحبُّ إلَيَّ من جهاد الترك والروم ، لإدهانهم<sup>(٣)</sup> في دين الله ، واستدلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، إذا غَضِبُوا على رجل حبسوه وضربوه وحرَّموه وسَيَّرُوهُ<sup>(٤)</sup> ، وَفَيْئَكُنَا لهم في أنفسهم حلالٌ ، ونحن لهم فيما يزعمون قَطِينٌ<sup>(٥)</sup> . »

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيوب وغيرها : لم تَقَدِّمْتَ أشياخ قومك ، وبدأتهم بالكلام يا قيس ؟ فقال : أما إني عارف

[١] أي اشتغال . [٢] انكش وكنش : أسرع . [٣] الادمان : اللامعة والنش .

[٤] الراد أهدوه . [٥] القطين : الرقيق والحلم .

بفضلكم ، مُعْظَم لِسَانِكُمْ ، وَلَكِنِّي وَجَدْتُ فِي نَفْسِي الضَّغْنَ الَّذِي فِي صَدُورِكُمْ ، جَاشَ حِينَ ذَكَرْتُ الْأَحْزَابَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لِيَقُمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ، فَلْيُجِيبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَنْ جَمَاعَتِكُمْ .

### ١٥٤ - خطبة سهل بن حنيف

فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ، خَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :  
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : نَحْنُ سِلْمٌ لِمَنْ سَالَتْ ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَتْ ، وَرَأَيْنَا رَأْيَاكَ ، وَنَحْنُ بَيْنَكَ ، وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ تَقُومُ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ ، قَتَاؤُكُمْ بِالشَّخْصِ ، وَتُخْبِرُهُمْ بِمَا صُنِعَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْبَلَدِ ، وَهُمْ النَّاسُ ، فَإِنْ اسْتَقَامُوا لَكَ ، اسْتَقَامَ لَكَ الَّذِي تَرِيدُ وَتَطْلُبُ ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ خِلَافٌ مِنَّا ، مَتَى دَعَوْتَنَا أَجْبَنَّاكَ ، وَمَتَى أَمَرْتَنَا أَطَعْنَاكَ » .

### ١٥٥ - خطبة الامام على

وَقَامَ الْإِمَامُ عَلَى خُطْبِيًّا عَلَى مَنْبَرِهِ ، يَحْرُضُ النَّاسَ وَيَأْمُرُهُمُ بِالسَّيْرِ إِلَى صِفِّينَ ، لِقِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ :

« سِيرُوا إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ ، سِيرُوا إِلَى أَعْدَاءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ ، سِيرُوا إِلَى بَقِيَةِ الْأَحْزَابِ <sup>(١)</sup> ، وَقَتْلَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ » .

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُرَازَةَ فَقَالَ لَهُ : أَتُرِيدُ أَنْ تَسِيرَ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ تَقْتُلُهُمْ كُلًّا ، كَمَا سَرَتْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَتَلْتَهُمْ كُلًّا ؟ هَا اللَّهُ <sup>(٢)</sup>

[١] يَعْنِي إِلَى الْأَحْزَابِ الَّتِي تَأْتَتْ وَتُظَاهِرَتْ عَلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَغَطَفَانَ ، وَبَنِي مَرْثَةَ ، وَبَنِي أَشْجَعٍ ، وَبَنِي سُلَيْمٍ ، وَبَنِي أَسَدٍ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ - غَزْوَةِ الْحَنْظَلِ - الَّتِي كَانَتْ سَنَةَ خَمْسٍ لِلْهِجْرَةِ ، وَكَانَتْ عِدَّةُ الْجَمِيعِ عَشْرَةَ آلَافٍ مَقَاتِلٍ وَقَادِمُ السَّلَامِ أَبُو سَفْيَانَ .

[٢] هِيَ هَا النَّبِيِّ ، وَهِيَ تَدْخُلُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ فِي الْقَسَمِ حَتَّى حَذَفَ الْحَرْفَ ، قَوْلُهُ : هَا اللَّهُ يَقْطَعُ الْعَهْزَةَ وَوَصْلَهَا ، وَكَلَامَهَا مَعَ إِثْبَاتِ أَلْفِ هَا وَحَذْفِهَا .

إذن لافعل ذلك ، فقام الأشتر فقال : من هذا المارق ؟ فَهَرَبَ الْفَزَارِيُّ ، واشتد الناس على أثره ، فَلَحِقَ فِي مَكَانٍ مِنَ السُّوقِ ، تَبَاعَ فِيهِ الْبَرَاذِينُ <sup>(١)</sup> ، فَوَطَّئُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ ، وَضَرَبُوهُ بِأَيْدِيهِمْ وَنَعَالِ سِوْفِهِمْ ، حَتَّى قُتِلَ ، فَأُتِيَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُتِلَ الرَّجُلُ ، قَالَ : وَمَنْ قَتَلَهُ ، قَالُوا قَتَلْتَهُ هُمَذَانُ وَمَعَهُمْ شَوْبٌ <sup>(٢)</sup> مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَ : قَتِيلٌ عِمِّيَّةٌ <sup>(٣)</sup> لَا يُدْرِي مَنْ قَتَلَهُ ، دِيَّتُهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فقام الأشتر فقال :

### ١٥٦ - خطبة الأشتر النخعي

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : لَا يَهْدُوكَ مَا رَأَيْتَ ، وَلَا يُؤَلِّينَاكَ مِنْ نَفَرِنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ مَقَالَةِ هَذَا الشَّقِيِّ الْخَائِنِ ، إِنْ جَمِيعٌ مِمَّنْ تَرَى مِنَ النَّاسِ شَيْعَتُكَ ، لَا يَرْغَبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِكَ ، وَلَا يَجْثُونَ الْبَقَاءَ بَعْدَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ فَسِرْ بِنَا إِلَى عَدُوِّكَ ، فَوَاقَهُ مَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُغْطَى الْبَقَاءُ مِنْ أَحَبِّهِ ، وَإِنَّا لَعَلَى يَدْنَيْهِ مِنْ رَبَّنَا ، وَإِنْ أَنْفُسُنَا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى يَأْتِيَ أَجْلُهَا ، وَكَيْفَ لَا تَقَاتِلُ قَوْمًا هُمْ كَمَا وَصَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ وَثِّبَتْ عِصَابَةٌ مِنْهُمْ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَمْسِ ، وَبَاعُوا خَلَاقَهُمْ <sup>(٤)</sup> بِمَرْضَى مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرَ . »

فَقَالَ عَلَى : « الطَّرِيقُ مُشْتَرَكٌ ، وَالنَّاسُ فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ ، وَمَنْ اجْتَهِدَ رَأْيَهُ فِي نَصِيحَةِ الْعَامَةِ ، فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ » ثُمَّ تَرَلَّ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ .

[١] البراذين : الدواب جمع برذون . [٢] خليط . [٣] قتل معا بكر بن العيص ومعه مشددة مع تشديد نون . لم يدور من قتله . [٤] الخلائق : النسيب الوافر من الخير .

## ١٥٧ - مقال من ثبوت عن المسير

ولما أسر الإمام بالمسير إلى الشام ، دخل عليه عبد الله بن المعتز العنبي ، وَخِطَلَةُ بْنُ الرَّيِّعِ التَّمِيمِي ، فِي رِجَالٍ كَثِيرٍ مِنْ غَطَفَانَ وَبَنِي تَمِيم ، فَقَالَ لَهُ خِطَلَةُ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّا قَدْ مَشِينَا إِلَيْكَ فِي نَصِيحَةٍ فَاقْبَلْهَا ، وَرَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فَلَا تَرُدُّهُ عَلَيْنَا ، فَإِنَّا نَظَرْنَا لَكَ وَلَمْ نَمُكِّ ، أَقِمَّ وَكَاتَبَ هَذَا الرَّجُلَ ، وَلَا تَمَجَّلْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي وَلَا نَدْرِي لِمَنْ تَكُونُ الْقَلْبَةُ إِذَا انْتَقَيْتُمْ ، وَلَا عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ <sup>(١)</sup> »

وقال ابن المعتز مثل قوله ، وتكلم القوم الذين دخلوا معها بمثل كلامهما .

## ١٥٨ - رد الإمام عليهم

نحمد على عليه السلام الله وأثنى ، ثم قال :

« أَمَا بَعْدَ : فَإِنَّ اللَّهَ وَارِثُ السَّمَاوَاتِ وَالْبِلَادِ ، وَرَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، يُوَفِّي الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، أَمَا الدَّبْرَةُ ، فَإِنَّهَا عَلَى الضَّالِّينَ الْعَاصِينَ ، ظَفِرُوا أَوْ ظَفِيرَ بِهِمْ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ قَوْمٍ مَا أَرَاهُمْ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا يَنْكُرُونَ مُنْكَرًا » .

فقام إليه مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ هُوَ لَاءَ وَاللَّهِ مَا آتَرُوكَ بِنَصْحِ ، وَلَا دَخَلُوا عَلَيْكَ إِلَّا بِبَشْ ، فَأَحْذَرُكُمْ ، فَإِنَّهُمْ أَدْنَى الْعَدُوِّ » .

[١] الدبرة يسكون الباء وتضمها الموحدة في القتال

وقال له مالك بن حبيب : « إنه بلغني يا أمير المؤمنين أن حنظلة هذا يكتب معاوية ، فادفعه إلينا نجيبه ، حتى تنقضي غزاتك وتتصرف » .  
 وقام من بني عبس قائد بن بكير ، وعياش بن ربيعة ، فقالا :  
 « يا أمير المؤمنين ، إن صاحبنا عبد الله بن المغمص قد بلغنا أنه يكتب معاوية ، فاجبسه أو مكنا من حبسه ، حتى تنقضي غزاتك ثم تتصرف » .  
 فقالا : « هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالزأى فيما بينكم وبين عدوكم ؟ »  
 فقال لهما على عليه السلام : « الله بيني وبينكم وإليه أكلكم ، وبه أستظهر عليكم ، اذهبوا حيث شئتم » <sup>(١)</sup> .

### ١٥٩ - خطبة عدي بن حاتم الطائي

وقام عدي بن حاتم الطائي ، بين يدي على عليه السلام ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما قلت إلا بعلم ، ولا دعوت إلا إلى حق ، ولا أمرت إلا برشد ، ولكن إذا رأيت أن تستأني <sup>(٢)</sup> هؤلاء القوم وتستدعيهم ، حتى تأتيهم كتبك ، وتقدم عليهم رؤسك ، فمكنت ، فإن يقبلوا يصيبوا رؤسهم ، والماقية أوسع لنا ولهم ، وإن يتأذوا في الشقاق ، ولا ينزعوا عن التقي ، نسير إليهم ، وقد قدّمنا إليهم العذر ، ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق ، فوالله لهم من الحق أبعد ، وعلى الله أهون من قوم قاتلناهم أمس بناحية البصرة ، لما دعوناهم

[١] هذا وقد خرجا إلى ساوية في رجال من قومه ، ولكلهما لم يقاتل معه وامترلا الفريقين جيأ

[٢] تنتظر .

إلى الحق فتركوه ، وناوخناهم براكاء القتال <sup>(١)</sup> ، حتى بلغنا منهم ما نحب ، وبلغ الله منهم رضاه .

### ١٦٠ - خطبة زيد بن حصين الطائي

فقام زيد بن حُصَيْن الطائي - وكان من أصحاب البرانس المجتهدين - فقال :  
« الحمد لله حتى يرَضَى ، ولا إله إلا الله رَبُّنا ، أما بعد : فوالله إن كنا في شك في قتال من خالفنا ، ولا نَصْلُحْ لَنَا النِّيةُ في قتالهم حتى نستديمهم ونستأنهم ، فإِعمالُ إِلَّا تَبَّاب <sup>(٢)</sup> ، ولا السَّمْعُ إِلَّا في ضلال ، والله تعالى يقول : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » إنا والله ما ارتبنا طَرْفةَ عينٍ فيمن يتبعونه ، فكيف باتباعه القاسية قلوبهم ، القليل من الإسلام حَظُّهم ، أعوانِ الظلمة ، وأصحابِ الجورِ والمدوان ، ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ، ولا التابعين بإحسان .  
فقام رجل من طيِّ فقال : « يا زَيْدُ بْنُ حَصِينٍ ، أكلامُ سيدنا عدي بن حاتم يُهَجِّن <sup>(٣)</sup> ؟ » فقال زيد : « ما أنتم بأَعْرَفَ بِحَقِّ عَدِيِّ مَنِي ، ولكني لا أدع القول بالحق وإن سَخِطَ الناس . »

### ١٦١ - خطبة أبي زينب بن عوف

ودخل أبو زينب بن عوف على الإمام علي فقال :  
« يا أمير المؤمنين ، لئن كنا على الحق لأنت أهدانا ميلا ، وأعظمتنا في الخير نصيباً ، ولئن كنا على ضلالٍ إنا لك لَأَنْتَقِلُنَا ظَهراً <sup>(٤)</sup> ، وأعظمتنا وزراً ، قد

[١] براكاء القتال وبروكاء : موضع اصطدام القوم ، وناوخناهم مخافة من أن نخ الإيل إذا أبركها ، وللمنى الثقيتا وإيلى في ساحة القتال . [٢] خيران . [٣] يهيج . [٤] لأنه حيثئذ يكون أكثرهم ذنوباً .

أمرتنا بالمسير إلى هذا العدو، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية، وأظهرنا لهم العداوة، نريد بذلك ما يعلم الله تعالى من طاعتك، أليس الذي نحن عليه هو الحق المبين، والذي عليه عدونا هو الحوب<sup>(١)</sup> الكبير؟

فقال عليه السلام: «بلى، شهدت أنك إن مضيت معنا ناصراً لدعوتنا، صحيح النية في نصرنا، قد قطعت منهم الولاية، وأظهرت لهم العداوة، كما زعمت، فإنك ولي الله تسبج في رضوانه، وركض في طاعته، فأبشر أبا زينب» وقال له عمار بن ياسر: «أثبت أبا زينب، ولا تشك في الأحزاب أعداء الله ورسوله» فقال أبو زينب: «ما أحب أن لي شاهدين من هذه الأمة، شهدا لي عما سألت من هذا الأمر الذي أمهني مكانكا».

### ١٦٢ - خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

ودخل يزيد بن قيس الأرحبي<sup>(٢)</sup> على علي عليه السلام فقال: «يا أمير المؤمنين: نحن أولو جهاز<sup>(٣)</sup> وعدة، وأكثر الناس أهل قوة، ومن ليس به ضعف ولا علة، فر منّا ديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة، فإن أبا الحرب ليس بالسئوم ولا النثوم، ولا من إذا أمكته الفرص أجلمها، واستشار فيها، ولا من يؤخر عمل الحرب اليوم لغد، وبعد غد».

### ١٦٣ - خطبة زياد بن النضر

فقال زياد بن النضر:

«لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين، وقال ما يترفع، فتوكل»

[١] المحبوب بالفتح والضم: الأيم. [٢] نسبة إلى أرحب: وهي قرية من ممدان.

[٣] جهاز للسافر والروس والليت (بالكسر والفتح) ما يحتاجون إليه.

على الله وثيق به ، واشتخص بنا إلى هذا المنور راشداً مُمَكَّنًا ، فإن يُرد الله بهم خيراً لا يتركوك ، رغبةً عنك إلى من ليس له مثلُ سابقتك وقدمك ، وإلا يُنبوا وَيَقْبَلُوا ، وأبوا إلا حَرَبْنَا نجد حَرَبَهُم علينا هُنَا ، ونرجو أن يَصْرَعَهُم اللهُ مصارع إخوانهم ثُمَّ <sup>(١)</sup> بالأمس .

## ١٦٤ - خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن القوم لو كانوا ، الله يريدون ، والله يعملون ، ما خالفونا ، ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الأسوة <sup>(٢)</sup> ، وحُباً للأثرة <sup>(٣)</sup> ، وضناً بسلطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى إحق <sup>(٤)</sup> في نفوسهم ، وعداوةٍ يحذونها في صدورهم ، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة ، قتلت فيها آبائهم وأعوانهم » ثم التفت إلى الناس فقال : « كيف يبائع معاوية علياً ، وقد قتل أخاه حنظلة ، وخاله الوليد ، وجدّه عبّنه ، في موقف واحد <sup>(٥)</sup> ؟ والله ما أظنهم يفعلون ، وإن يستقيموا لكم دون أن تُقَصِّفَ فيهم قنأ المران <sup>(٦)</sup> ، وتُقطَعَ على هامهم <sup>(٧)</sup> السيوف ، وتنتثر حواجرهم بعمد الحديد ، وتكون أمور رجّة بين الفريقين .

[١] هناك يريد البصرة . [٢] الأسوة بالقوم والكسر الفسوة : أي قراراً من أن يكونوا تابعين لك سودين وأن تكون لهم إماماً وسيداً . [٣] استأثر على أصحابه أخار لنفسه أشياء حسنة ، وإلا سم الأثرة . [٤] جمع إحنة ، وهي الخند والعداوة . أي ويقاتلوننا على إحق : أي من أجلها . [٥] هو جدّه لأمه عبّنه بن أبي ربيعة ، وقد قتلهم على يوم بدر . وفي كتاب بته به الامام إلى معاوية يقول : « فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شعبنا يوم بدر وقتل السيف مي » . [٦] القنا : الرماح جمع قنأة ، والمران : الرماح الصلبة اللينة الواحدة مرانة ، وشجر ، والإسانة على اللقى الأول على حدّ قوله تعالى « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ » - إن عرالم بالمطر الشديد - (وعسر أيضاً بالأحباس واليهود تنبى في الأودية ، وبالجرد ، ويزاد جاء السيل من قبله) وعلى اللقى الثاني : أي القنا للتحفة من الشجر . [٧] الهام جمع هامة : وهي الرأس .

## ١٦٥ - أدب الإمام علي، وكرم خلقه

وخرج حُجْر بن عَدِيٍّ، وعمر بن الحَقِيقِ، يُظْهَرُ أنَّ البراءة من أهل الشام، فأرسل عليٌّ عليه السلام إليهما أَنْ كُفَّأَ عما يبلغني عنكما، فأتياه فقالا : « يا أمير المؤمنين : ألسنا مُحَقِّقَيْنِ ؟ » قال : بلى ، قالَا : « أو ليسوا مُبْطِلَيْنِ ؟ » قال : بلى ، قالَا : « قَلِمَ مَنَعَتُنَا مِنْ شَتْمِهِمْ ؟ » قال :

« كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِمَائِنِ شَتَائِمٍ ، تَشْتُمُونَ وَتَبْرُونَ ، وَلَكِنْ لَوْ وَصَفْتُمْ مَسَاوِيَ أَعْمَالِهِمْ قَلَّمْتُ : مِنْ سِيرَتِهِمْ كَذَا وَكَذَا ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ كَذَا وَكَذَا ، كَأَنْ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغُ فِي الْعُذْرِ ، وَقَلِمَ مَكَانَ لَعْنِكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَبَرَاءَتِكُمْ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ احْنِ دِمَاءَهُمْ وَدِمَاءَنَا ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَنَا ، وَاهْدِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقُّ مِنْهُمْ مَنْ جَهَلَهُ ، وَيَرْعَوْى عَنِ النَّيِّ وَالْعُدْوَانِ مِنْهُمْ مَنْ لَجَّ بِهِ ، لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ ، وَخَيْرًا لَكُمْ » .

فقالَا : يا أمير المؤمنين ، تقبل عظمتك ، وتأدب بأدبك .

## ١٦٦ - مقال عمرو بن الحَقِيقِ

وقال له عمرو بن الحَقِيقِ يومئذ :

« وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي مَا أَحْبَبْتُكَ وَلَا بَايَعْتُكَ عَلَى قِرَابَةِ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، وَلَا إِرَادَةِ مَالٍ تُؤْتِينِيهِ ، وَلَا التَّمَّاسِ سُلْطَانِ تَرْفَعُ ذِكْرِي بِهِ ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُكَ بِخِصَالِ خَمْسٍ ، إِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَوَصِيِّهِ ، وَأَبِی الْقُرْبَةِ ، الَّتِي بَقِيَتْ فِينَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَسْبَقَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَعْظَمَ الْمُهَاجِرِينَ سَهْمًا فِي الْجِهَادِ ، فَلَوْ أَنِّي كَلَّفْتُ قَلَّ الْجِبَالِ الرُّوَامِيَّ ، وَنَزَحَ

البحور الطوامي<sup>(١)</sup> ، حتى يَأْتِيَ عَلَى يَوْمِي فِي أَمْرِ أَقْوَى بِهِ وَلِيكَ ، وَأَمِينِ  
عدوك ، ما رأيت أني قد أدبت فيه كُلَّ الذي يُحَقِّقُ عَلَى من حَقِّكَ .

فقال علي عليه السلام : « اللهم نور قلبه بالتقى ، واهمه إلى صراطك  
المستقيم ، ليت أن في جندي مائة مثلك » . فقال حجر : إذن والله يا أمير المؤمنين  
صح جندك ، وقل فيهم من يشك .

### ١٦٧ - مقال حجر بن عدى

وقام حجر بن عدى فقال :

« يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب ، وأهملنا الدين نُلَقِّحُهَا<sup>(٢)</sup> وَنُنْتِجُهَا ، قد  
ضَارَسْنَا<sup>(٣)</sup> وضارسناها ، ولنا أعوان وعشيرة ذاتُ عددٍ ، ورأى مجرب ، وبأس  
محمود ، وأزمتنا منقاداً لك بالسمع والطاعة ، فإن شرقت شرقتنا ، وإن غربت  
غربنا ، وما أمرتنا به من أمر فعلنا » .

فقال علي عليه السلام : « أكل قومك يرى مثل رأيك » ، قال مارأيت  
منهم إلا حسناً ، وهذه يدى عنهم بالسمع والطاعة وحسن الإجابة ، فقال له علي  
عليه السلام خيراً .

### ١٦٨ - مقال هاشم بن عتبة

وقال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بُدَيْل الخزاعي :

« إن يومنا ليوم عَصَبَصَب<sup>(٤)</sup> ، ما يصبر عليه إلا كلُّ مُشْبِعِ القلب ،  
صادق النية ، رابط الجأش ، وإيم الله ما أظن ذلك اليوم يُبْقِي منهم ولا منا »

[١] مع علي عليه السلام . [٢] أصله من ألحق الفصل الثاثة . [٣] ضرته  
[٤] أي شديد .

إِلَّا الرُّذَالُ<sup>(١)</sup> » فقال عبد الله بن بديل : أنا والله أظن ذلك ، فبلغ كلامهما علياً عليه السلام ، فقال لهما : « ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركم ، لا تُظهروا ، ولا يسمعه منك سامع ، إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكلُّ آتية منيئة كما كتب الله له ، فطوبى للمجاهدين في سبيله ، والمقتولين في طاعته » فلما سمع هاشم بن عتبة ما قاله أتى علياً عليه السلام فقال :

« سر بنا يا أمير المؤمنين ، إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا في عباد الله ، بغير رضا الله ، فأحلوا حرامه ، وحرّموا حلاله ، واستهوى<sup>(٢)</sup> بهم الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومتأمّام الأمانى ، حتى أزاعهم عن الهدى ، وقصد بهم قصد الردى ، وحبّب إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دينهم رغبة فيها ، كرهت لنا في الآخرة ، واتعاجز موعد ربنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمته ، وأفضل الناس سابقة وقدا ، وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذى نعلم ، ولكن كُتب عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء ، وكأثوا ظالمين ، فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشرحة لك يبدل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك على من خالفك ، وتوَلَّى الأمر دونك ، جذلةً ، والله ما أحب أن لى ما على الأرض فإأقلت<sup>(٣)</sup> ، ولا ما تحت السماء فإأظلت ، وأتّى واليت عدواً لك ، وعاديت ولياً لك . »

فقال على عليه السلام : « اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والمواقفة لنيك »

[١] الذّون : الحبيس أو الردى . من كل شىء . - [٢] استهوا : استماله والضمل متمم ومفعله هنا محذوف : أى استهوى الشيطان أتباعهم بهم - ظالماً قسبية - . [٣] أى نخت .

## ١٦٩ - خطبة الامام علي

ثم إن عليا عليه السلام صعد المنبر، فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد، فبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم قال :

« إن الله قد أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه، وتنجّزوا موعوده، واعلموا أن الله جعل أمّاس<sup>(١)</sup> الاسلام متينة، وغرام وثيقة، ثم جعل الطاعة حظّ الأقس ورضا الرب، وغنمة الأكياس<sup>(٢)</sup> عند تقريظ المعجزة، وقد حملت أمر أسودها وأحمرها، ولا قوة إلا بالله، ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سقى<sup>(٣)</sup> نفسه وتناول ما ليس له، وما لا يدركه، معاوية وبيجند، الفئة الطاغية الباغية، يقودهم إبليس، ويترق لهم يارق تسويفه، ويدلّهم<sup>(٤)</sup> بمروره، وأتم أعلم الناس بالحلّال والحرام، فاستغنوا بما علمتم، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان، وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة، واعلموا أن المساوب من سلب دينه وأمانته، والمنور من آثر الضلالة على الهدى، فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس<sup>(٥)</sup> عني، وقال في غيري كفاية، فإن النود إلى النود<sup>(٦)</sup> إيل<sup>(٧)</sup> : (وَمَنْ لَا يَذُ عَنْ حَوْضِهِ يَتَهَدَّمْ)

ثم إنّي أمركم بالشدة في الأمر، والجهاد في سبيل الله، وأن لا تتقأوا مسلماً، وانتظروا النصر المآجل من الله، إن شاء الله .

[١] جمع مرس يفتحن، ومرس جمع مرسعة يفتحن أيضاً : وهو الجبل . [٢] جمع كيس : وهو ضدّ الأحق . [٣] أمه سفوت غسه، فلما حوّل الفضل إلى الرجل اتعجب ما يهتج بوقوع الفضل عليه لأنه سار في معنى سفه غبه بالتشديد، ومثله : رشد لمره ويوطر عيشه . [٤] أي يجلطهم عن منزلتهم . قال تعالى : « فَلَا لَكُمْ مِنْهُ مَبْرُورٌ » [٥] تأخر وتقاعد . [٦] النود : ثلاثة أبرة إلى الشرة أوخة عشر أو عشرين أو ثلاثين وهو مثل : أي : لا جئت القليل مع القليل سأركثيراً فإلى بمعنى مع .

## ١٧٠ - خطبة الحسن بن علي

ثم قام بعده ابنه الحسن رضى الله عنه فقال :

« الحمد لله لا إله غيره ، ولا شريك له ، ثم قال : إن نما عظم الله عليكم من حقه ، وأسبغ عليكم من نعمه ، ما لا يحصى ذكره ، ولا يؤدى شكره ، ولا يبلغه قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا الله ولكم ، إنه لم يجمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عقبتهم ، فاحتشدوا في قتل عدوكم معاوية وجنوده ، ولا تحاذلوا ، فإن الخذلان يقطع نياط <sup>(١)</sup> القلوب ، وإن الإقدام على الاستهانة بخوة وعصمة ، لم يمنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوائح الذلة ، وهداهم إلى معالم اللذة ، ثم أنشد :

والصلح تأخذ منه ما رزيت به      والحرب يكفيك من ألقاسها جرع

## ١٧١ - خطبة الحسين بن علي

ثم قام الحسين رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل الكوفة : أئتم الأجابة الكرماء ، والشعكار <sup>(٢)</sup> دون الدنثار ، جدوا في إطفاء ما وقر <sup>(٣)</sup> بينكم ، وتسهيل ما توغر عليكم ، ألا إن الحرب شرها وريع <sup>(٤)</sup> ، وطعما فظيع ، فن أخذ لها أهبتها ، واستمد لها عُدتها ، ولم يَألم كلومها <sup>(٥)</sup> قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها ، واستبصار سعيه فيها ، فذاك قين <sup>(٦)</sup> أن لا ينفذ قومه ، وأن يهلك نفسه ، نسأل الله بقوته أن يُدفعكم بالفَيْتة <sup>(٧)</sup> » ثم نزل . ( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧٨ )

[١] عرق غليظ يربط به القلب إلى الرئتين ، جمه أنوطه . « والرجل عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه جمه أوتنة » . [٢] الثمار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدنثار : ما فوق الثمار من الثياب . [٣] الوتر والوتر : الثأر ، وتره يتره ، ووتره حقه : قصه إليه ، ووتره : أدركه بكرهه . [٤] الوريع : الكاف . أى أن شرها عظيم يجمع الناس إلى أن يكتفوا عن خوض غمارها . [٥] كلوم : جمع كلم ، وهو الجرح . [٦] جدير وحقيق . [٧] الفيتة : بفتح الفاء وكسرهما ، والفاء : الفتية ، أى نسأل الله أن يهويكم بما تقتضون من عدوكم .

## وفد على على معاوية

بعد أن نزل الإمام على - كرم الله وجهه - بصفين ، دعا بشير بن عمرو بن مخصن الأنصاري ، وسعيد بن قيس المحدثاني ، وشيث بن ربيعي القيسي ، قال : انتوا هذا الرجل ، فادعوه إلى الله ، وإلى الطاعة والجماعة ، قال له شيث بن ربيعي : يا أمير المؤمنين : ألا تظنهم في سلطان توليه إياه ، ومنزلة يكون له بها أثره عندك ، إن هو بإيعاك ؟ قال على : انتوهم فالتوهم واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيهم ؟ - وهذا في أول ذي الحجة سنة ٣٦ هـ - فأتوه ، ودخلوا عليه .

### ١٧٢ - خطبة بشير بن عمرو

حمد الله أبو حمزة بشير بن عمرو ، وأثنى عليه ، وقال :  
« يا معاوية : إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عز وجل محاسبك بمملك ، وجازيك بما قدّمت يدك ، وإنني أنشدك الله عز وجل أن تفرّق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها . »

فقطع عليه الكلام ، وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال أبو حمزة :  
« إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحقّ البرية كلها بهذا الأمر ، في الفضل ، والدين ، والسابقة في الإسلام ، والقربة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : فيقول ماذا ؟ قال : يأمرك بتقوى الله عز وجل ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ، فإنه أسلم لك في دينك ، وخير لك في طاعة أمرك . »  
قال معاوية : « وَنُطِلَ دم عثمان رضي الله عنه ! لا والله لا أفضل ذلك أبداً ، فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبادره شيث بن ربيعي ، فتكلم :

## ١٧٣ - خطبة شيب بن ربيع

حمد الله، وأثنى عليه، وقال :

« يا معاوية، إني قد فهمت ما رددت على ابن محسن، إنه والله لا يخفى علينا ما تنزرو وما تطلب، إنك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس، وتستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم، إلا قولك : « قُتِلَ إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه »، فاستجاب له سفهاء طغام، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر، وأحييت له القتل، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب، ورُبَّ متمنى أمر وطالبه، الله عز وجل يحول دونه بقدرته، وربما أوتى المتمنى أمنيته، وفوق أمنيته، والله ما لك في واحدة منهما خير، لأن أخطأت ما ترجو، إنك لشر العرب حالاً في ذلك، وإن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلي<sup>(١)</sup> النار، فاتق الله يا معاوية، ودع ما أنت عليه، ولا تنازع الأمر أهله » .

## ١٧٤ - خطبة معاوية

حمد الله معاوية وأثنى عليه، ثم قال :

« أما بعد : فإن أول ما عرفت فيه سفهك، وخفة حلمك، قطعك على هذا الحبيب الشريف سيد قومه منطقته، ثم عنتت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت ولؤمت<sup>(٢)</sup>، أيها الأعرابي الجلف<sup>(٣)</sup> الجافي، في كل ما ذكرت ووصفت، انصرفوا من عندي، فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف » .

وغضب وخرج القوم وشبث يقول : أفعلىنا شهول بالسيف ؟ أقسم بالله

[١] صلي النار : كرضى، وصلى بها ملأ بكسر الصاد وشها، قاسى - رما .

[٢] لأمه لوماً : عذله، وألامه ولؤمه للبالغة . [٣] الجلف : الرجل الجافي .

لِيَمْجَنَّ بِهَا إِلَيْكَ ، فَأَتَوْا عَلِيًّا ، وَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِهِ ، فَأَخَذَ عَلَى يَأْمُرِ  
الرَّجُلِ ذَا الشَّرَفِ فَيُخْرِجُ مَعَهُ جَمَاعَةً ، وَيُخْرِجُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ آخَرَ مَعَهُ  
جَمَاعَةٌ ، فَيَقْتَتِلَانِ فِي خَيْلِهِمَا وَرِجَالِهِمَا ، ثُمَّ يَنْصَرِفَانِ ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَلْقَوْا  
يَجْمَعُ أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ الشَّامِ ، لَمَّا يَخُوفُونَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الْاسْتِئْصَالِ  
وَالْهَلَاكُ . (تاريخ الطبري ٥ : ٧٤٢)

## وفد على إلى معاوية أيضا

ولما دخلت سنة ٣٧ هـ تولدوا على ترك الحرب في الحرم إلى انقضائه ، طمعا في الصلح  
واختلفت فيما بينهما الرسل في ذلك دون جدوى ، فبعث على عدي بن حاتم ، ويزيد بن  
قيس ، وشبث بن ربيعة ، وزياد بن خصة إلى معاوية .

### ١٧٥ - خطبة عدي بن حاتم

فلما دخلوا حمد الله عدي بن حاتم ، ثم قال :

« أما بعد : فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عز وجل به كلمتنا وأمتنا ،  
ويحقق به النماء ، ويؤمن به السُّبُل ، ويصلح به ذات البين ، إن ابن عمك  
سيد المسلمين ، أفضلها سابقةً ، وأحسنها في الإسلام أثرا ، وقد استجمع له  
الناس ، وقد أُرشدكم الله عز وجل بالذي رأوا ، فلم يبق أحدٌ غيرك وغير من معك ،  
فاتتد يا معاوية ، لا يصيبك الله وأصحابك يومٍ مثل يوم الجمل » .

### ١٧٦ - جواب معاوية

فقال معاوية : « كأنك إنما جئت متهدداً ، لم تأت مُصلحاً ! هيهات

ياعدى ، كلاً والله ، إني لأبئُ حرباً<sup>(١)</sup> ما يُقَمِّعُ<sup>(٢)</sup> لى بالشنان ، أما والله إنك لمن  
المُجْلِبِينَ على ابن عفان رضى الله عنه ، وإنك لمن قَتَلْتَهُ ، وإني لأرجو أن تكون  
من يَقْتُلُ<sup>(٣)</sup> الله عز وجل به ، هيهات ياعدى بن حاتم ، قد حَلَمْتُ بالساعد  
الأشد<sup>(٤)</sup> .

فقال له شُبْتُ بن ربيم وزياذ بن خَصَفَة - وتنازعا جواباً واحداً -  
« أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع ما لا يُنتفع  
به من القول والفعل ، وأجبنا فيما يَمُنُّنا وإياك نَفَعُ » .

### ١٧٧ - خطبة يزيد بن قيس

وتكلم يزيد بن قيس فقال :

« إنا لم نأتك إلا لنبشرك ما بُشِّرنا به إليك ، وَلِنُؤَدِّيَ عنك ما سمعنا منك ،  
ونحن - على ذلك - لن نَدْعَ أن ننصح لك ، وأن نذكر ما ظننَّا أن لنا عليك به  
حُجَّة ، وأنت راجع به إلى الألفة والجماعة ، إن صاحِبَنَا من قد عَرَفَتْ وعَرَفَ  
المسلمون فضله ، ولا أظنه يخفى عليك ، إن أهل الدين والفضل لن يَعْدِلُوا بعلَى ،  
وَلَنْ يُمِيلُوا<sup>(٥)</sup> بينك وبينه ، فاتق الله يا معاوية ، ولا تخالف علياً ، فإننا والله ما رأينا  
رجلاً قطُ أعملَ بالتقوى ، ولا أزهَدَ في الدنيا ، ولا أجمعَ لِحِصَالِ الخير كلها منه » .

### ١٧٨ - خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

[١] هو جدّه . [٢] التفتحة : تحريك النون اليابس الصلب مع صوت ، والشنان جمع شن بالفتح ،  
وهو القرية الباردة ، وإنا قمع بالشنان للرايل همت ، وهو مثل يضرب لمن لا يروعه ما لا يقيقه له .  
[٣] أى يخذله . [٤] معنى بذلك قوة استمداه للقتال وتأمه له .  
[٥] التميل بين الشيئين ، كالترجيح بينهما .

« أما بعد : فإنكم دعوتكم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فمَنّا هي ، وأما الطاعة لصاحبكم فإنّا لا نراها ، إن صاحبكم قَتَلَ خليفتنا ، وفرّق جماعتنا ، وآوَى ثَأْرَنَا <sup>(١)</sup> وَقَتَلْتَنَا ، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله ، فنحن لانرد ذلك عليه ، أرايتم قَتَلَهُ صاحبنا ، ألسنتم تعلمون أنهم أصحابُ صاحبكم ؟ فليذفهم إلينا فلنقتلهم به ، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة . »

فقال له شُبْتُ : أيسرك يا معاوية أنك أُمَكِنْتَ من عَمَّار <sup>(٢)</sup> تَقْتله ؟ فقال

[١] الثأر : قاتل حبيك .

[٢] هو عمار بن ياسر رضى الله عنه ، أحد السابقين الأولين ، وقد عذبه المشركون في بدء الدعوة الإسلامية فاحتل العذاب ، وكان يندب هو وأخوه وأمه بالنار ، فر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صبرا آل ياسر فروعكم الجنة . اللهم اغفر لآل ياسر » ومما ثبت بهذا القول إخراج معاوية . ثم روى عليه الصلاة والسلام لعمار : « تَهْتَكَ القَتْلَةُ الباغية » : أى إنك يا معاوية إن قتل عمارا - وكان من أصحاب عني - كنت من القَتْلَةِ الباغية ، وتفصيل الخبر في ذلك ما رويته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : « لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر بالذين يضربون ما يحتاج إليه ، ثم قام فوضع رداءه فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضوا أرويتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويصلون . »

لث قدنا والتي يصل ذلك إذن لعل مضلل

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفا منتظفا ، فكان يحمل القينة ويحيا بها عن ثوبه ، فإذا وضعها فغسل كفيه ، ونظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نقضه فنظر إليه على رضى الله عنه فأنتد :

لا يستوى من يصر للساجدا يدأب فيها وا كما وساجدا

وتأتما طورا وطورا فاعدا ومن يرى عن التراب حلدا

فسميها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يسمي ، فسمي عثمان فقال : يا ابن سمية (وسمية أمه) ما أعرفني بمن نرض ، ومه جريمة ، قال لتكفن أو لأعترض بها وجهك ، فسمي النبي وهو جالس في ظل حائط فقال : « عمار لجة ما بين عني وأبي » فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني ، وأشار بيده فوضعا بين عيني فكف الناس عن ذلك ، وغابوا لعمار : إن رسول الله قد غضب عليك ، وتخلف أن ينزل فينا قرآن ، فقال : أما أرضيه كما غضب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله مالي ولأصحابك ؟ قال : مالك ولهم ؟ قال يريدون تنلي ، يحملون لبنه ويحملون على لبنتين ، فأخذ به وطاف به في المسجد وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول « يا ابن سمية لا يفتن أصحابي ، ولكن تهتك القَتْلَةُ الباغية » فلما قتل يصفين ، وروى هذا الحديث عبد الله ابن مروة بن العاص ، قال معاوية : ثم تدره ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عليا قال : ونحن قتلنا أيضا حرة لأنا أخرجناه (الشفه الفريد ٢ : ٢٢٧)

معاوية : وما ينعني من ذلك ؟ والله لو أمكنت من ابن مُصَيَّة ما قتلته عثمان  
رضي الله عنه ، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان ، قال ثبت :

« وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَإِلَهُ السَّمَاءِ ، مَا عَدَلْتُ مَعْتَدِلًا <sup>(١)</sup> ، لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،  
لَا تَصِلُ إِلَى عَمَّارٍ ، حَتَّى تَنْذَرَ <sup>(٢)</sup> الْهَامُ عَنْ كَوَاهِلِ الْأَقْوَامِ ، وَتَضِيقَ الْأَرْضُ  
الْفَضَاءَ عَلَيْكَ بَرُوحَهَا <sup>(٣)</sup> » فقال له معاوية : « إِنْهُ لَوْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ كَأَنْتَ الْأَرْضُ  
عَلَيْكَ أَصْبَقَ » وقرق القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد  
ابن خَصَفَةَ التَّمِيمِي مَخْلَابَهُ .

خمد الله وأثنى عليه وقال :

« أَمَا بَعْدِيَا أَخَارِيعةَ ، فَإِنْ عَلِيًّا قَطَعَ أَرْحَامُنَا ، وَأَوَى قَتْلَهُ صَاحِبُنَا ، وَإِنِّي  
أَسْأَلُكَ النَّصْرَ بِأَمْرَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ ، ثُمَّ لَكَ عَهْدُ اللَّهِ جَلٌّ وَعَزٌّ وَمِيثَاقُهُ أَنْ أُولِيكَ  
إِذَا ظَهَرْتَ <sup>(٤)</sup> أَيْ الْمَصْرِيِّينَ أَحْبَبْتَ ، قَالَ زِيَادُ : فَلَمَّا قَضَى مُعَاوِيَةُ كَلَامَهُ حَدَّثَتْ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَيْتَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتَ : « أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي عَلَى يَمِينَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَبِمَا  
أَنْعَمَ عَلَيَّ ، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا <sup>(٥)</sup> لِلْمَجْرِمِينَ » ثُمَّ قُتِلَ . (تاريخ الطبري ٦ : ٢)



[١] أى إله إذ عدلت عماراً بناتل مولى عثمان أى سويت بينهما لم تكن معتدلاً فى حكمك .  
[٢] نذر التيه كنعصر ندورا : رقط من خوف شيء أو من بين أشياء فظاهر ، والهام الروس :  
جمع هامة . [٣] الرحب بالغم : الانساع . [٤] أى غلبت وانصرت . [٥] مينا ونامرا .

## وفد معاوية الى على

وبعث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة القهري ، وشريحيل بن السمط ، ومن بن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه .

### ١٧٩ - خطبة حبيب بن مسلمة

فحمد الله حبيب وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان خليفة مهدياً ، يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ ، وَيُنِيبُ إلى أمر الله تعالى ، فاستقلم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعدّوتم عليه ، فقتلتموه رضى الله عنه ، فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - تقتلهم به ، ثم اعزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يؤلّي الناس أمرهم من أجمع عليهم رأيهم » .

فقال له عليّ بن أبي طالب : « وما أنت لا أم لك والعزّل ، وهذا الأمر ؟ اسكت ، فإنك لست هناك ، ولا بأهل له » فقام وقال له : « والله لترينى بحيث تكره » فقال عليّ : « وما أنت ولو أجلبت بحيلك ورجلك ؟ لا أتقى الله عليك إن أبقيت عليّ ، أحقره<sup>(١)</sup> وسوءاً ، أذهب فصول وصعد ما بدا لك » وقال شريحيل بن السمط : « إني إن كلمتك فلعمري ما كلالى إلا مثل كلام صاحبي قبل ، فهل عندك جواب غير الذى أجبت به ؟ فقال عليّ : نعم . لك ولصاحبك جواب غير الذى أجبت به .

[١] في كتب اللغة : حقره خراً فجع الماء وحفرة بينهما وتشديد الياء ولم أجده « حقرة » وأرى أنها مثل هزاة وضحة ، يقال رجل هزاة يضم الماء وسكون الزاى أى يزا به وضحة كضحك أى يضحك منه ، فاللهى أن تكون حقرة أى حقيراً ولغوياً سوءاً .

## ١٨٠ - خطبة على بن أبي طالب

فَعِدَّ اللَّهُ وَأَتَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَثِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ ، فَأَتَقَدَّ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَاتَّاشَ <sup>(١)</sup> بِهِ مِنَ الْمَلَكَةِ ، وَجَمَعَ بِهِ مِنَ الْفُرْقَةِ ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيْهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ النَّاسَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَاسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَحْسَنَّا السَّيْرَةَ ، وَعَدَلْنَا فِي الْأُمَّةِ ، وَقَدْ وَجَدْنَا <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِمَا أَنْ تَوَلَّيَا عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ آلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَفَرْنَا ذَلِكَ لِهَمَّا ، وَوَلَّى عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَمِلَ بِأَشْيَاءَ عَابَهَا النَّاسُ عَلَيْهِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَنَانِي النَّاسَ وَأَنَا مَعْتَرِلُ أُمُورِهِمْ ، فَقَالُوا لِي : بَايِعْ ، فَأَبَيْتَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لِي : بَايِعْ ، فَإِنَّ الْأُمَّةَ لَا تَرْضَى إِلَّا بِكَ ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ أَنْ يَفْتَرِقَ النَّاسَ ، فَبَايَعْتَهُمْ ، فَلَمْ يَرْغُبِي إِلَّا شَقَاقُ رَجُلَيْنِ قَدْ بَايَعَانِي <sup>(٣)</sup> ، وَخِلَافُ مَعَاوِيَةَ ، الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ سَابِقَةً فِي الدِّينِ ، وَلَا سَكْفَ صِدْقٍ فِي الْإِسْلَامِ ، طَلِيقٌ <sup>(٤)</sup> بَنُ طَلِيقٍ ، حَزْبٌ <sup>(٥)</sup> مِنْ هَذِهِ الْأَحْزَابِ ، لَمْ يَزَلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ عَدُوًّا ، هُوَ وَأَبُوهُ ، حَتَّى دَخَلَا فِي الْإِسْلَامِ كَارِهِتَيْنِ ، فَلَا غَرْوَ <sup>(٦)</sup> إِلَّا خِلَافُكُمْ مَعَهُ ، وَاتِّقَادُكُمْ لَهُ ، وَتَدْعَاؤُكُمْ آلَ نَبِيِّكُمْ

[١] اِغْتُلَّ وَأُخْرِجَ . [٢] وَجَدَ عَلَيْهِ غَضَبٌ . [٣] يَعْنِي طَلْحَةَ وَزَيْدَ وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنَ الْخِلَافِ عَلَيْهِ ، وَانْفِصَامِهَا إِلَى السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ . [٤] الطَّلَاقُ : هُوَ الدِّينُ عَفَا عَنْهُمْ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ فُتُوحِ مَكَّةَ فَقَالَ لَهُمْ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَاقُ . [٥] حَزْبٌ يَدُلُّ مِنَ طَلِيقِ الثَّانِي : أَيُ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ هَذِهِ الْأَحْزَابِ الَّتِي تَأْتَتْ وَتَقْلَامَرَتْ عَلَى حَرْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَغَطَفَانٍ ، وَبَنِي مُرَّةٍ ، وَبَنِي أَسَدٍ ، وَبَنِي سُلَيْمٍ ، وَبَنِي أَسَدٍ ( فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْمُتَنَفِّذِ سَنَةِ ٥ هـ ) وَكَانَتْ عِدَّةُ الْجَمْعِ عَشْرَةَ آلَافٍ مَقَاتِلَ ، وَتَقَادُّمُ الْعَامِ أَبُو سَيْفَانَ . [٦] فَلَا غَرْوَ : أَيُ لَا حُبَّ ، وَقَوْلُهُ إِلَّا خِلَافُكُمْ مَعَهُ : أَيُ خِلَافُكُمْ حَتَّى مَعَهُ ، أَوْ هُوَ « خِلَافُكُمْ مَعَهُ » بِطَلَاءِ أَيُ عَاقِلَتِكُمْ لَهُ ، وَمَنَاصِرَتِكُمْ إِلَيْهِ .

صلى الله عليه وسلم، الذين لا ينبغي لكم شقاقُهم ولا خلاصهم، ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً، ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإمامة الباطل، وإحياء معالم الدين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولكل مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة .

فقالا : « شهد أن عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً » فقال لهما : « لا أقول إنه قُتل مظلوماً ، ولا إنه قتل ظالماً . » قالا : « فن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً ، فنحن منه برآء . » ثم قاما فانصرفا ، فقال علي : « إنك لا تسمع الموتى ، ولا تسمع الشُّم الدعاء إذا وتلوا مذبزين ، وما أنت بهادي العني عن ضلالتهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا ، فهم مُسلِّون . » (تاريخ الطبري ٤ : ٦)

## التحريض على القتال من قبل معاوية

١٨١ - خطبة عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٤٣ هـ)

لما بلغ معاوية أن الإمام علياً (كرم الله وجهه) يجهز الجيوش لقتاله، دعا عمرو بن العاص، فاستشاره، فقال : « أما إذ بلنك أنه يسير فسر بنفسك ، ولا تتبع عنه برأيك ومكيدتك . » قال : « أما إذا يا أبا عبد الله فجهز الناس . » فجاء عمرو فحضر الناس ، وضعف علياً وأصحابه ، وقال :

« إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم ، وأوهنوا شوكتهم ، وفلوا حدم ، ثم إن أهل البصرة مخالفون أمتي ، قد وترم وقتلهم ، وقد قانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجبل ، وإنما سار في شريعة قليلة ، منهم من قد قتل خليفةكم ، فالله الله في حكم أن تضيئوه ، وفي دمكم أن تطلوه . »

## ١٨٢ - خطبة أخرى لعمر بن العاص

وخطب عمرو بن العاص قبل الوقعة المظلمى بصفين ، يحرض أهل الشام  
« وقد كَانَ منحنياً على قوس » فقال :

« الحمد لله العظيم في شأنه ، القوى في ساطعانه ، العليّ في مكانه ، الواضح  
في برهانه ، أُنخذه على حُسن البلاء ، وتظاهر النماء ، في كل رزية من بلاء<sup>(١)</sup> ،  
أوشدة أورها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده  
ورسوله ، ثم إنا نختسب عند الله ربّ العالمين ما أصبح في أمة محمد صلى الله عليه  
وسلم ، من اشتغال نيرانها ، واضطراب حبلها ، ووقوع بأسها بينها ، فإننا لله وإنا  
إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين .

أو لا تعلمون أن صلاتنا وصلاتهم ، وصيامنا وصيامهم ، وحجنا وحجهم ،  
وقبلتنا وقبلتهم ، وديننا ودينهم واحد ؟ ولكن لأهواء مختلفة . اللهم أصالح هذه  
الأمّة بما أصلحت به أولها ، واحفظ فيما بيننا ، مع أن القوم قد وطئوا بلادكم ،  
وَبَقَوْا عليكم ، فخذوا في قتال عدوكم ، واستعينوا بالله ربكم ، وحافظوا على  
حُرُمَاتِكُمْ<sup>(٢)</sup> » ثم جلس . ( شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٥٠٤ )

## ١٨٣ - خطبة معاوية بن أبي سفيان يحرض أهل الشام

وقام معاوية في أهل الشام خطيباً ، فقال :

« أيها الناس : أَعِيرُونَا جَمَاعَكُمْ وَأَتَقَسِّمُ<sup>(٣)</sup> لَا تَقْتُلُوا<sup>(٤)</sup> ، وَلَا تَتَخَذَلُوا<sup>(٥)</sup> ؛

[١] البلاء : يكون عنة ، ويكون ممة . [٢] جمع حرمة ، وهي ملا يحل انتهاكها .  
[٣] أي جودوا ببردوكم ، ولا يتخلوا بفسوكم على القتل . [٤] في الأصل « لا تقتلوا » على  
أن الفعل مجزوم بلا التامية ، وأراد معرفة ، وإنما هو « لا تقتلوا » مجزوم في جواب الأمر ، أي إن  
تخلوا يذل ردوكم وهووسكم وتخلوا مستقبلين تنجوا من القتل . [٥] في الأصل « ولا تتخاذلوا »  
وأراد مصفاً عن « ولا تتخاذلوا » أي لتصارفوا ، ولا يتخذل بفسوكم بفساً .

فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ أَخْطَارٍ، وَيَوْمُ حَقِيقَةِ وَحِفَاطٍ<sup>(١)</sup>، إِنَّكُمْ لَعَلَى حَقٍّ، وَبِأَيْدِيكُمْ حُجَّةٌ، إِنَّمَا تَقَانُلُونَ مِنْ نَكْثِ الْبَيْئَةِ، وَسَفَكِ الدِّمِ الْحَرَامِ، فَلَيْسَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ عَازِرٌ، قَدَّمُوا أَصْحَابَ السِّلَاحِ الْمُسْتَأْثِمَةِ<sup>(٢)</sup>، وَأَخْرَجُوا الْحَاسِرَ<sup>(٣)</sup>، وَاجْهَلُوا بِأَجْمَعِكُمْ، فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ ظَالِمٌ وَمَظْلُومٌ .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨١)

### ١٨٤ - خطبة ذى الكلاع الحميرى<sup>(١)</sup>

وطلب معاوية إلى ذى الكلاع الحميرى أن يخطب الناس، ويحرضهم على قتال على رضى الله عنه ومن معه من أهل العراق، فمقد فرسه «وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً»<sup>(٢)</sup> وخطب الناس فقال :

« الحمد لله حمداً كثيراً ، نامياً واضحاً كثيراً ، بُكْرَةً وأصيلاً ، أئتمته وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالعرفان إمامًا ، وبالهدى ودين الحق ، حين ظهرت المعاصى ، وَدَرَسَتْ<sup>(٣)</sup> الطاعة ، وامتلات الأرض جورًا وضلالة ، واضطربت الدنيا نيرانًا وفتنة ، وَوَزَلَ<sup>(٤)</sup> عدو الله إبليس على أن يكون قد غُيِّدَ فى أكنافها ، واستولى على جميع أهلها ، فكان محمد صلى الله عليه وآله هو الذى أطفأ الله به نيرانها ، وَتَرَخَ به أوتادها ، وأوهن به قوى إبليس ، وَآيَسَهُ مما كَانَ قد طَمِعَ فيه مِنْ ظَفَرِهِ بهم ، وأظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون .

[١] أى يوم محافظه على الأرواح والأعراض والأموال ودفاع عنها . [٢] استلام : لبس الألبسة ، وحى الدرع . [٣] الناس من لا يفر له ، ولا يدع ، أو لاجئة له . [٤] هو ذى الكلاع الأصغر سمى من ما كور بن عمرو بن يعقوب بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان وهما من أذناب اليمن . [٥] أى شأنا ، وقدرًا . [٦] أئتمت . [٧] ترك على الأمر وروكا : قدر .

ثم كان من قضاء الله أن صَمَّ يَتَنَا وبين أهل ديننا بَصَفَيْنَ ، وإنا لنسلم أن فيهم قوماً ، قد كانت لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله سابقة ذات شأن وَخَطَرٌ عظيم ، ولكنني ضربت الأمر ظهراً وبطناً ، فلم أَرِيسَعْنِي أن يُهْدَرَ دَمُ عثمان ، صِهْرَ نَبِينَا صلى الله عليه وآله ، الذي جَهَّزَ جيشَ المُصْرَةِ <sup>(١)</sup> ، وألحق في مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَتًا ، وبني سِقَايَةَ <sup>(٢)</sup> ، وَبَايَعَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ يَدَهُ الْيَمْنَى عَلَى الْيَسْرَى <sup>(٣)</sup> ، واختصه بكرميتيه أُمُّ كَلْثُومَ وَرُقِيَّةَ <sup>(٤)</sup> ، فَإِنْ كَانَ

[١] وذلك أنه في غزوة تبوك - وكانت سنة ثمان هجرة - أوقف في تجهيز اللقاعة من المسلمين عشرة آلاف دينار ، وأعطى ثلثمائة بئر بأحلاسها وأغلبها ( والأحلاس جمع حلس بالكسر وهو كاء على ظهر البئر تحت البرذعة ، والأقارب جمع قب بالتحريك وهو ما يوضع على سنام البئر ) وخمسين فرساً ، وقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم ارض عن عثمان ، فإنه راض عنه » وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجذب البلاد ، وشدة الحر ، قال تعالى : « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُكَايَرِينَ وَالْمُنَافِرِينَ الَّذِينَ أَنْبِئُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُؤْمِنَةِ أُوِيَ وَقْتِهَا ، وَهُيَ حُلُمٌ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، ذَكَرُوا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا يَفْتَسِحَانِ تَمْرَةً ، وَأَنَّ الْمُشْرَةَ كَانُوا يَتَصَيِّفُونَ الْبَيْرَ الْوَاحِدَ . [٢] وذلك أنه اشترى بئر رومة ( يتمم الراء : بئر بالمدنية ) ثم تصدق بها على المسلمين ، فكان رشاؤه فيها كرشاء أحدهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من حفر بئر رومة لله الجنة » وأشرف عثمان رضي الله عنه على الثوار حين حصرهم ومنعوا الماء عنه ، فقال : « أنشدكم الله ، هل علمت أني اشتريت رومة من مالي يستعذب بها ، فحملت وشانني منها كرشاء رجل من المسلمين ؟ قيل : نعم ، قال : فما يمتني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البئر ؟ ثم قال : أنشدكم الله هل علمت أني اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدتني في المسجد ؟ قيل : نعم ، قال : فهل علمت أحداً من الناس منع أن يصلي فيه قبلي ؟ ثم قال : أنشدكم الله ، هل سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يذكر كذا وكذا - أشياء في شأنه ، فجلس الناس يقولون : مهلا عن أمير المؤمنين .

[٣] وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قصد إلى مكة في غزوة المدينة ( سنة ست هجرة ) بعث عثمان بن عفان إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه إنما جاء ذئراً فليت ومعتماً لمرتبته ، فخرج عثمان إلى مكة وبلغ الرسالة ، وأحبته قريش عندها ، ففزع عند المسلمين أن عثمان قد قتل ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا تبرح حتى تاجر القوم ، ودعا المسلمين إلى البيعة على الموت ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وبايع عليه الصلاة والسلام لمئان ، فضرب يده اليمنى على يده اليسرى وقال : هذه يد عثمان .

[٤] تزوج عثمان البيعة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ماتت جزع عثمان عليها وقال يا رسول الله اقطع صبري منك ، قال : إن صبرك مني لا يقطع ، وقد أمرني جبريل أن أزوجه لك أختها بأمر الله : السيدة أُمُّ كَلْثُومَ .

قد أذنب ذنباً ، فقد أذنب من هو خير منه ، قد قال الله سبحانه لنبيه : ( لِيَسْتَغْفِرَ  
لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ) و قتل موسى قصاً<sup>(١)</sup> ، ثم استغفر الله  
فغفر له ، وقد أذنب نوح<sup>(٢)</sup> ، ثم استغفر الله فغفر له ، وقد أذنب أبوك آدم<sup>(٣)</sup> ،

[١] وذبح أنه في إبان نشأته بصر دخل مدينة منف ذات حرّة ، فوجد فيها رجلين يقتلان قطياً يسخر  
إسرائيلياً ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلي ، فقال موسى لقطي خل سبيلك ، فقال له  
لقد حدث أن أحله عليك ، فوكره موسى ( أي ضربه بجمع كفه ) وكان شديد القوة والبطش فقتله ، ولم  
يكن يبعد عنه ( وذكروا أنه كان إذا ذك ابن اتقى عشرة سنة ) وقد اغتم لك خوفاً من عذاب الله ،  
ومن انحصار فرعون واستغفر الله فغفر له ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ  
غُلْفَى مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ،  
فَأَسْتَفَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَصَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا  
مِنْ حِمْلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَقَرَّ لَهُ  
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (سورة القصص) وقال تعالى : « وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ » (سورة طه).

[٢] يشير إلى ما كان من نوح عليه السلام بشأن ابنه كنان حين حدث الطوفان ، قال تعالى :  
« وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ، يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ،  
قَالَ سَآوَى إِلَيَّ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ،  
وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْوُجُحُ فَكَانَ مِنَ الْمَرْثِقِينَ » إلى أن قال : « وَنَادَى نُوحُ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ  
إِنِّي أَنْبِئُ مِنْ أَهْلِي ( أي وقد وعدتني بنجاتهم ) وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ  
الْحَاكِمِينَ ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ  
لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ  
مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » . « سورة هود »

[٣] وذلك أنه إذ أسكنه الله هو وزوجه حواء الجنة وأباح لها أن يأكل من حيث شاءا ، ناهى أن  
يأكل من شجرة عيناها ، فوسوس له إبليس أن يأكل منها فأطاعه ، وفي ذلك يقول الله تعالى :  
« وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ  
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَوَسَّوَسَ لِمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لِمَا مَا وَرَى عَنْهُمَا مِنْ

ثم استغفر الله فغفر له ، ولم يترُ أحدكم من الذنوب ، وإنا لنعلم : قد كانت لابن أبي طالب مابِقةٌ حسنةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لم يكن مالا<sup>(١)</sup> على قتل عثمان فقد خذله ، وإنه لأخوه في دينه ، وابنُ عمه ،<sup>(٢)</sup> وسلفه ،<sup>(٣)</sup> وابنُ عمته ،<sup>(٤)</sup> ثم قد أقبلوا من عراقهم ، حتى تزلوا شامكم وبلاذكم وَيُبْضَنْكُمْ<sup>(٥)</sup> ، وإنما عاتمتهم بين قاتل ومُذَلٍّ ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فلقد ابتليتم أيُّها الأئمةُ ، ولقد رأيت في منامي في ليلتي هذه ، لَكُنَّا وَأَهْلَ الْمِرَاقِ اعْتَوَرْنَا<sup>(٦)</sup> مُصْحَفًا نضربه بسيوفنا ، ونحن في ذلك جميعا ننادى : وَيَحْكُمُ اللهُ ! ومع أنا والله لا قارق المرصّة<sup>(٧)</sup> حتى نغوث ، فمليكم بتقوى الله ، وليكن الثباتُ لله ، فإنني سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إِنَّمَا يُنَمَّتُ الْمُقْتَلُونَ عَلَى الثَّبَاتِ » أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأعزّ لنا ولكم النصرَ ، وكان لنا ولكم في كل أمر ، وأستغفر الله لي ولكم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٤)

## ١٨٥ - خطبة يزيد بن أسد البجلي

وقام يزيد بن أسد البجلي في أهل الشام يخطب الناس بصفيين ، وعليه قبالة

سوءائهمَا وَقَالَ مَا تَهَا كُنَّا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . «سورة الأعراف» [١] ناصر وشايع . [٢] عثمان بن عفان بن أبي الدائم ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . [٣] السلف بفتح فسكون وبكسر فسكون من الرجل : زوج أخت امرأته وقد طلت أن عثمان تزوج السيدة رنية أخت السيدة فاطمة زوج الإمام علي . [٤] أم عثمان هي أروى بنت كرز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس ، وأما البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم عمه النبي صلى الله عليه وسلم . [٥] البيت : ساحة القوم . [٦] اعتدروا الشيء : تناولوه . [٧] الرصة : كل بقعة من الدور واسعة ليس فيها بناء .

من خَزْيٍ وِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ ، آخِذًا بِقَائِمِ سَيْفِهِ ، وَاضِعًا نَصْلَ السَّيْفِ فِي الْأَرْضِ  
مُتَوَكِّئًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَرِيرِ ، ذِي الطُّوْلِ <sup>(١)</sup> وَالْجَلَالِ ، الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ ، الْحَكِيمِ  
الْغَفَّارِ ، الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ، ذِي الْمَعَاءِ وَالْفَعَالِ <sup>(٢)</sup> ، وَالسَّخَاءِ وَالنَّوَالِ ، وَالْبَهَاءِ  
وَالْجَمَالِ ، وَالْمَنِّ وَالْإِفْضَالِ ، مَالِكِ الْيَوْمِ الَّذِي لَا يَبْتَغِ فِيهِ <sup>(٣)</sup> . وَلَا خِلَالَ <sup>(٤)</sup> ،  
أُحْمَدُهُ عَلَى حَسَنِ الْبَلَاءِ ، وَتَظَاهُرِ النُّعْمَاءِ ، وَفِي كُلِّ حَالٍ مِنْ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءٍ ،  
أُحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ النَّوَامِ ، وَآلَاءِهِ الْعِظَامِ ، حَمْدًا يَسْتَنِيرُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَلِمَةَ النِّجَاةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعِنْدَ الْوَفَاةِ ، وَفِيهَا  
الْخِلَاصُ يَوْمَ الْقِصَاصِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى ، وَإِمَامُ  
الرَّحْمَةِ وَالْهُدَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

ثُمَّ كَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ أَنْ جَمَعْنَا وَأَهْلَ دِينِنَا فِي هَذِهِ الرُّقْعَةِ مِنَ الْأَرْضِ ،  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ كَارِهًا لِنَدَاكَ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُبَلِّغُونَا رِيقَنَا ، وَلَمْ يَتْرَكُونَا نَزَادًا  
لْأَنْفُسِنَا ، وَنَنْظُرَ لِمَا دَنَا ، حَتَّى تَرَوْا بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، وَفِي حَرِيمِنَا وَبَيْضَتِنَا <sup>(٥)</sup> ، وَقَدْ  
عَلِمْنَا أَنَّ فِي الْقَوْمِ أَهْلًا مَأْمُومًا <sup>(٦)</sup> ، وَطَفَامًا ، وَلَسْنَا نَأْمَنُ طَعَامَهُمْ عَلَى ذَرَارِينَا وَنِسَائِنَا ،  
وَلَقَدْ كُنَّا نَحْبُ أَنْ لَا تَقَاتِلَ أَهْلَ دِينِنَا ، فَأَخْرَجُونَا حَتَّى صَارَتِ الْأُمُورُ إِلَى أَنْ  
قَاتَلْنَاهُمْ عِدَا حَيَّةٍ <sup>(٧)</sup> ، فَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

[١] الطول : الفضل والقوة والنفي . [٢] الفاعل : اسم الفاعل الحسن ، والكريم .

[٣] لا يبيع فيه فيحتاج المهر ما يتبارك به تصديده ، أو يغدي به همه . [٤] الخلة والحالة مصدر  
خلة : المبادأة ، أى ولا مخالفة فيه فيفتح لك خليك . [٥] البيضة : ساحة القوم .

[٦] الملم بالكسر : الأفة والغفل وهو حليم ، والمجمع حليم وأحلام ، والطعام : أوجد الناس .

[٧] الحية : الأفة ( وفى الأصل غداً ، وأرى صوابه عدأ أى أعداء ) .

أما والذي بعث محمدًا بالرسالة لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ مِنْذُ سَنَةٍ ، ولكن الله إذا أراد أمرًا لم يستطع العبادُ رَدَّهُ ، فَنَسْتَعِينُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ .  
(شرح ابن أبي الحديد : ١ : ٤٨٥)

## التحريض على القتال

من قبل الإمام عليٍّ أيضًا

### ١٨٦ - خطبة الإمام علي

وخطب الإمام عليٌّ كرم الله وجهه أصحابه ، متوكلًا على قوسه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنده فهم يُلَوِّنُهُ ، كأنه أحبُّ أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فَإِنَّ الْخِيَلَةَ <sup>(١)</sup> مِنَ التَّجْبَرِ ، وَإِنَّ النَّخْوَةَ <sup>(٢)</sup> مِنَ التَّكْبَرِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ حَاضِرٌ ، يَمِدُّ كُمَ الْبَاطِلِ ، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ ، فَلَا تَبَاذَلُوا ، وَلَا تَحَاذَلُوا ، أَلَا إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُبُلُهُ قَاصِدَةٌ <sup>(٣)</sup> ، مِنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ <sup>(٤)</sup> ، وَمَنْ فَارَقَهَا مَحِقَ <sup>(٥)</sup> ، وَمَنْ تَرَكَهَا مَرَقَ <sup>(٦)</sup> ، لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالْخَائِنِ إِذَا أَوْثَمَنَ ، وَلَا بِالْمُخْلِفِ إِذَا وَعَدَ ، وَلَا بِالْكَذَّابِ إِذَا نَطَقَ ، نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، وَقَوْلُنَا الصِّدْقُ ، وَفِعْلُنَا الْفَضْلُ ، وَمَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَفِينَا قَادَةُ الْإِسْلَامِ ، وَفِينَا سَحَابَةُ الْكِتَابِ ، أَلَا إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى جِهَادِ عَدُوهِ ، وَالشَّدَةِ فِي أَمْرِهِ ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحِجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتَوْفِيرِ النَّفْسِ عَلَى أَهْلِهِ ، أَلَا وَإِنْ مِنْ أَعْجَبِ الْمَجَائِبِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ

[١] الخيلاء : الكبر . [٢] النخوة : الاختصار والتعظيم . [٣] اتصفت : استقامة الطريق .

[٤] أى أدرك رضا الله وثوابه . [٥] عطف : محام ، ومعنى الله الشيء ذهب يركبه .

[٦] أى خرج عن الدين ، وأمله من مرق السهم من الرمية مروقًا إذا خرج من الجانب الآخر .

أبي سفيان الأموي، وعمر بن العاص السهمي، أصبحا يُحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما، ولقد علمت أنني لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قط، ولم أعصيه في أمر، أتبعه بنفسى في المواطن التي يتكصّر<sup>(١)</sup> فيها الأبطال، وترتعد فيها الفرائص<sup>(٢)</sup>، بنجدة أكرمنى الله سبحانه بها وله الحمد، ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن رأسه لفي حجرى، ولقد وليت غسله يدي وحدي، ثقلته الملائكة المربون معى، وإيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيا، إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨١)

## ١٨٧ — خطبة أخرى له

وروى أن الإمام علياً قال في هذه الليلة : حتى متى لانا هاض القوم بأجمعنا ؟ فقال :

« الحمد لله الذى لا يُبْرَم ما نَقَصَ ، ولا يُنْقَضُ ما أُرِم ، لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة ، ولا من خلقه ، ولا تنازع البشر فى شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذاك الفضل فضله ، وقد ساقنا وهؤلاء القوم الأقدار ، حتى لفتت بيننا فى هذا الموضع ، ونحن من ربنا بجزأى ومستمع ، ولو شاء لمَجَلْ النقمة ، ولكان منه النصر ، حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم الحق أين مصيره ، ولكنه جمل الدنيا دار الأعمال ، والآخرة دار الجزاء والقرار ، « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِأَعْمَالِهِمْ ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ألا إنكم لاقوا العبدَ وغداً إن شاء الله ،

[١] تكس من الأمر : أحجم عنه .

[٢] جمع فرصة ، وهي لغة بين الجنب والكف لا تزال ترتعد .

فَاطِلُوا اللَّيْلَةَ الْفَيَّامَ ، وَأَكْثَرُوا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الصَّبْرَ وَالنَّصْرَ ،  
وَالْقُوَّةَ بِالنَّجْدِ وَالْحَزْمِ ، وَكُونُوا صَادِقِينَ . (شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٤٨١)

## ١٨٨ - ومن كلام له كرم الله وجهه

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

« مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ : اسْتَغْفِرُوا <sup>(١)</sup> الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَّوْا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوْا  
عَلَى التَّوَّاجِدِ <sup>(٢)</sup> ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السَّيْفِ عَنِ الْمَهْمِ <sup>(٣)</sup> ، وَأَكْمَلُوا الْأَمَّةَ <sup>(٤)</sup> ، وَقَلَقُوا  
السَّيْفَ فِي أَعْمَادِهَا ، قَبْلَ سَلْمِهَا <sup>(٥)</sup> ، وَلَحَظُوا الْخَزَرَ <sup>(٦)</sup> ، وَاطْمَنُّوا الشَّرَرَ <sup>(٧)</sup> ،  
وَنَافِخُوا بِالطَّبَّا <sup>(٨)</sup> ، وَصَلُّوا السَّيْفَ بِالْخَطَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِسَيِّئِ اللَّهِ ، وَمَعَ  
ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاوِدُوا الْكُرَّ ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ،  
فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَطَلِبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَامْشُوا إِلَى  
الْمَوْتِ مَشْيًا سَنَجًا <sup>(٩)</sup> ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ <sup>(١٠)</sup> الْأَعْظَمِ ، وَالرَّوَّاقِ الْمُطَنَّبِ <sup>(١١)</sup> ،  
فَاضْرِبُوا بَنِيهِ <sup>(١٢)</sup> . فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَأَمِّنُ فِي كَيْمَرِهِ <sup>(١٣)</sup> ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدَا ،

- 
- [١] استغفروا : لبس الثياب وهو ما يلي البدن من الثياب ، وتجلببوا : لبس الجلباب ، والراد : لازموا  
الخشيبة والسكينة . [٢] التواجد جمع تاجد : أقصى الأضراس ، ويسمى الرمح تواجده حين يشتد  
غيظه ، والراد : استجبوا كل قوتكم . [٣] فإنه أنبى السيف عن المهمة : أي الضربة فيه يهود على المسعر للفهم من الفعل  
السابق أي فإن المض على التواجد أنه السيف ، أي أدعى إلى بؤها عن رموسكم ، بنا السيف عن  
الضربة : كل ، والمهم : الرمح جمع حامة . [٤] الأمة : المرح ، ويجوز أن يعبر بالأمة عن  
جميع أدوات الحرب ، يريد أكلوا السلاح . [٥] مخافة أن تستصحب عن المرح وقت سلمها .  
[٦] الخزر : الذئب في أحد الثقلين ، وذلك أمارة للتنبؤ . [٧] الطمن في الجوانب يمنة وشمالا .  
[٨] نافخوا : كلفوا وضاربوا ، والطبا : جمع طبة ، وهي حد السيف . [٩] أي ماعوظون بها .  
[١٠] الذين السهل . [١١] العدد الكثير . يعني جمهور أهل الشام . [١٢] الرواق : يكسر  
الراء وضعا القسطاط ، يريد به ضرب مطوية المطب ، أي للشدود بالأطياب (جمع طيب بضمين ، وهو  
الجلل) وكان مساوية في ضرب عليه قبة عالية وحوله مناديد أهل الشام .  
[١٣] أي وسطه . [١٤] جانبه .

وَأَخَّرَ لِلنَّكُوصِ رِجْلًا ، فَصَمَدًا صَمَدًا <sup>(١)</sup> ، حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ، وَأَتَمَّ  
الْأَعْلُونَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتْرَكَ <sup>(٢)</sup> أَعْمَالَكُمْ . ( نهج البلاغة : ١ : ٥٧ )

## ١٨٩ - خطبة أخرى للإمام

وخطب الإمام على ذلك اليوم أيضاً ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةِ تُنْجِيكُمْ مِنَ الْمَذَابِ ،  
وَتُنْشِي <sup>(٣)</sup> بَيْنَكُمْ عَلَى الْخَيْرِ ، إِيْمَانٍ بِاللَّهِ وَرِسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، وَجَمَلِ ثَوَابِهِ  
مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ ، وَمَسَاكِينِ طَيْبَةٍ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ،  
وَأَخْبَرَكُمْ بِالَّذِي يُحِبُّ فَقَالَ : ( إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ،  
كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوعٌ ) فَسَوْوُوا صَفُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوعِ ، وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ،  
وَأَخَّرُوا الْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَثْبَتُ السِّيفِ عَنْ الْهَامِ ، وَأَرْبَطُ  
لِلجَاشِ ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتِ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْقَتْلِ ، وَأَوَّلَى بِالْوَقَارِ ،  
وَالْتَوُّوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ ، فَإِنَّهُ أَمْتَوْرٌ <sup>(٤)</sup> لِلْأَسِنَّةِ ، وَرَايَتُكُمْ فَلَا تُمْلِئُهَا ، وَلَا  
تُرِيْلُهَا ، وَلَا تَجْمَلُهَا إِلَّا بِأَيْدِي شَجَابَانِكُمْ ، الْمَانِعِي الدَّمَارَ <sup>(٥)</sup> ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ تَزُولِ  
الْحَقَائِقِ ، أَهْلُ الْحِفَاطِ الَّذِينَ يَخْفَرُونَ <sup>(٦)</sup> بِرَايَتِكُمْ وَيَكْشِفُونَهَا ، يَضْرِبُونَ خَلْفَهَا  
وَأَمَامَهَا ، وَلَا يُضَيِّعُونَهَا ، أَجْزَأُ كُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قِرْنَهُ <sup>(٧)</sup> ، وَوَأَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ،  
وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ ، فَيَجْمَعُ عَلَيْهِ قِرْنَهُ وَقِرْنَ أَخِيهِ ، فَيَكْسِبُ بِذَلِكَ اللَّاعَةَ ،  
وَيَأْتِي بِهِ دَنَاءَةً ، أَتَى هَذَا ، وَكَيْفَ يَكُونُ هَكَذَا ؟ هَذَا يَقَابِلُ اثْنَيْنِ ، وَهَذَا تُمَسِّكُ

[١] الصمد : القصد ، صمدته من باب نصر قصده . [٢] لن ينصركم شئاً .

[٣] أنشأ عليه : أشرف . [٤] اسم فضيل من مار ، سهم مار : أى خفيف نافذ داخل في  
الأجسام . [٥] ما يلزمك حفظه وحمايته . [٦] خفزه وبه عليه يخفر بكر القاء وضما أجاره  
ومنه وأمنه . [٧] القرن : كفؤك في الشجاعة ( أو طام ) وأجزأه : أغناكم وكفاه .

يَدَهُ ، قد خَلَى قرنه إلى أخيه هارباً منه ، أو قائماً ينظر إليه ؟ من يَقَعْلُ هذا مقتته الله ، فلا تَعَرَّضُوا لمقت الله ، فَإِنَّمَا مَرَدُّكُمْ إلى الله ، قال الله تعالى ، تقوم عابهم : (لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَنْ لَا تَنْتُمُونَ إِلَّا قَلِيلًا) وإيم الله إن فررتم من سيف الله العاجلة ، لا تسلمون من سيف الآخرة ، استعينوا بالصدق والصبر ، فإنه بمد الصبر يُنْزِلُ النصر .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

### ١٩٠ - خطبة للإمام على

ومرَّ الإمام على كرم الله وجهه على جماعة من أهل الشام ، فيها الوليد بن عتبة وهم يشتمونه ، فحُبِرَ بذلك ، فوقف فيمن يليهم من أصحابه ، فقال : « انْهَدُوا <sup>(١)</sup> إليهم ، عليكم السكينة والوقار ، وقارُّ الإسلام وسيبى الصالحين ، فوالله لأَقْرَبُ قَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ قَائِدُهُمْ وَمُؤَدِّيهِمْ <sup>(٢)</sup> معاوية وابن النابغة <sup>(٣)</sup> وأبو الأعور السلمي ، وابن أبي مُعَيْط ، شارب الخمر ، المجلود جداً في الإسلام ، وهم أولى من يقومون فيَنَقُصُونَنِي وَيَمْحَدُّونَنِي <sup>(٤)</sup> ، وقبل اليوم ما قاتلوني ، وأنا إذ ذاك أدعوم إلى الإسلام ، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام ، الحمد لله ، قديماً عاداني الفاسقون ، فمَبَدَّم <sup>(٥)</sup> الله ، أَلَمْ يُفْنَحُوا <sup>(٦)</sup> ؟ إن هذا هو الخطب الجليل ، إِنَّ فُسَاقًا كَانُوا غَيْرَ مَرْضِيَّينَ ، وعلى الإسلام وأهله مُتَخَوِّفِينَ ، خدعوا شَطَرَ هذه الأمة ، وَأَشْرَبُوا قُلُوبَهُمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ ، واستمالوا أهواءهم بالافك والبُهتان ،

[١] نهى الرجل : نهضه ، ونهى لدعوة : صدقه . [٢] الأذنين واللؤذن : الزعيم .

[٣] هو عمرو بن العاص ، والنابغة : لقب أمه سلمى بنت حرمة . [٤] المجدب بالفاسكين : اليبس .

[٥] ذلهم ، للمبد : للذلل من الطريق وغيره . [٦] الفتح بالسكون : الفهر ، واللبسة والتفليل

كالفتح ( وفي الأصل : « أَلَمْ يَفْنَحُوا » وهو تصحيف ) .

قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز وجل ، اللهم فاقض خدمتهم <sup>(١)</sup> ،  
وشقت كلمتهم ، وأبنيهم <sup>(٢)</sup> بخطاياهم ، فإنه لا يدلك من واليت ، ولا يميز  
من ماديت . ( تاريخ الطبري ٦ : ٢٤ )

### ١٩١ - خطبة أخرى له

ومرّ بأهل راية ، فرآهم لا يزولون عن موقفهم ، فخرّص عليهم الناس ،  
- وذكّر أنهم غثان - فقال :

« إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك ، يخرج منهم  
النّسم <sup>(٣)</sup> ، وضرب يقتل منه الهائم <sup>(٤)</sup> ، ويطيح <sup>(٥)</sup> العظام ، وتسقط منه  
المعاصم <sup>(٦)</sup> ، والأكف ، وحتى يصدع جباههم بسد الحديد ، وتنتشر  
حواجهم على الصدور والأذقان ، أين أهل الصبر ، وطلّاب الأجر ؟ » .

( تاريخ الطبري ٦ : ٢٥ )

### ١٩٢ - خطبة عبد الله بن عباس

وخطب عبد الله بن عباس أهل العراق بصفين ، فقال :  
« الحمد لله رب العالمين ، الذي دعا <sup>(٧)</sup> تحتنا سبماً ، وسمك <sup>(٨)</sup> فوقنا سبماً ،  
وخلق فيما بينهن خلقاً ، وأزل لنا منهن رزقاً ، ثم جعل كل شيء قدراً يئلى

[١] يقال فضّ الله خدمتهم أى فرق جاحثهم ، الخدمة بالتحريك سير غليظ مضفور مثل الخلفة يتدّ في  
رسغ البير ، ثم يشدّ إليه سراخ التل ( أى سيورها : جمع مريخة ) فإذا اهتضت الخدمة انحلت السراخ  
وسقطت التل فنرب ذلك مثلاً قهبا ما كانوا عليه وحرته وشبه اجتاع أرمم وإتاقه بالهضة للتسيرة .  
[٢] أبه : أسفه لهلكة ، أى أمهلكهم . [٣] جمع نسة ، وهى نفس الروح ( يفتح الفاء )  
ثم سميت بها النفس ( بالكون ) . [٤] جمع حامة ، وهى الرأس . [٥] يصح أن يكون مضارع  
طيح بالنتديد : طيح بثوبه : دوى به فى مضية ، وطيح الشيء : ضيعه ، وأن يكون مضارع أطاح : أطاح  
شمره أسقطه ، والشيء أثناء وأنخبه ، وأن يكون مضارع طاح : طاح يطيح ويطوح هلك أو أشرف على  
الهلاك ونخب وسقط وقاه فى الأرض . [٦] جمع معصم بكسر الميم ، وهو موضع السوار أو اليد .  
[٧] دعا الله الأرض يحوها ويسماها : يسطها . [٨] أى رفع .

وَيَفْتَنِي، غَيْرَ وَجْهِهِ إِلَى الْقِيُومِ، الَّذِي يَحْيَا وَيُحْيِي.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَثَّ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا، فَجَلَّاهُمْ حُجَجًا عَلَى عِبَادِهِ عُذْرًا وَتُذْرًا<sup>(١)</sup>، لَا يُطَاعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَإِذْنِهِ، يُمْنٌ بِالطَّاعَةِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهَا، وَيُقْصِي بِعِلْمٍ مِنْهُ، فَيُعْفُو وَيَغْفِرُ بِحِلْمِهِ، لَا يَقْدَرُ قُدْرُهُ، وَلَا يَتَلَخَّ شَيْءٌ مَكَانَهُ، أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْهُدَى وَالنَّبِيُّ الْمَصْطَفَى.

وَقَدْ سَاقْنَا قَدْرُ اللَّهِ إِلَى مَا تَرَوْنَ، حَتَّى كَانَ عَمَّا اضْطَرَبَ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاتْتَشَرَ مِنْ أَمْرِهَا، أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَجَدَ مِنْ طَعَامِ النَّاسِ أَعْوَانًا عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصِيْرَهُ، وَأَوَّلَ ذَكَرٍ صَلَّى مَعَهُ، بِدَرِيٍّ<sup>(٢)</sup> قَدْ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلِّ مَشَاهِدِهِ الَّتِي فِيهَا الْفَضْلُ، وَمَعَاوِيَةَ مُشْرِكًا كَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَالَّذِي مَلَكَ الْمَلِكُ وَحْدَهُ، وَبَانَ بِهِ وَكَانَ أَهْلَهُ، لَقَدْ قَاتَلَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَعَاوِيَةَ يَقُولُ: كَذَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: فَلَيْكُم بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْجِدِّ وَالْحَزَمِ وَالصَّبْرِ، وَاللَّهِ إِنْ لَمْ نَلْعَلْ إِنَّكُمْ لَعَلَى حَقٍّ، وَإِنْ الْقَوْمُ أَعْلَى بَاطِلٌ، فَلَا يَكُونُنَّ أَوَّلِي الْبِجْدِ عَلَى بَاطِلِهِمْ مِنْكُمْ فِي حَقِّكُمْ، وَإِنْ لَمْ نَلْعَلْ أَنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُمْ بِأَيْدِيكُمْ أَوْ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا وَلَا تَخْذُلْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّنَا، وَلَا تَحُلْ عَنَّا، وَاقْضِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْقَاتِلِينَ». (شرح ابن أبي الحديد ١: ص ٥٠٤)

[١] هَا مَسْدَرَانِ: عَذْرُهُ يَنْفِرُهُ عُذْرًا بِمِثْلِ فَكُونُ وَبِضْمَتَيْنِ وَأَخْرَجَهُ لِإِثْرًا وَنَثَرًا بِمِثْلِ فَكُنْ وَبِضْمَتَيْنِ، أَيْ جَانِبَانِ: الْعَذْرُ بِضْمَتَيْنِ جَمْعُ عَذْرٍ وَهُوَ الْغَائِرُ، وَالنَّثَرُ بِضْمَتَيْنِ جَمْعُ نَثَرَ وَهُوَ الذَّرَرُ.

[٢] أَيْ خَضِرَ غُرَّةً بِمِثْلِ الْكِبَرِيِّ الَّتِي نَفِثَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ فِي السَّنَةِ اثْنَاثِيَةِ الْهِجْرَةِ.

## ١٩٣ - خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي

وقام عبد الله بن بديل الخزاعي في أصحابه فخطبهم ، فقال :  
 « إن معاوية ادعى ما ليس له ، ونازع الأمر أهله ، ومن ليس مثله ،  
 وجادل بالباطل ، ليُدْحِضَ <sup>(١)</sup> به الحق ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ،  
 وزين لهم الضلالة ، وزرع في قلوبهم حُبَّ الفتنة ، ولَبَسَ <sup>(٢)</sup> عليهم الأمور ،  
 وزادهم رجساً <sup>(٣)</sup> إلى رجسهم ، وأتمم والله على نورو برهان ، قاتلوا الطغاة الجفاة ،  
 قاتلوم ولا تخشوم ، وكيف تخشونهم ؟ وفي أيديكم كتاب من ربكم ظاهر مبين ،  
 قوله سبحانه : ( اَتَخَشَّوْنَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَالُوا أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ،  
 قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ  
 قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ) لقد قاتلتهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، والله مام في هذه بأزكى  
 ولا أتقى ولا أبرّ ، انهضوا إلى عدو الله وعدوكم .

( شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣ )

## ١٩٤ - خطبة أبي الهيثم بن التيهان

وكان أبو الهيثم بن التيهان يسوّى صفوف أهل العراق ، ويقول :  
 « يا معشر أهل العراق ، إنه ليس بينكم وبين الفتح في الما جل ، والجنة  
 في الآجل ، إلا ساعة من النهار ، فأرسلوا أقدامكم ، وسووا صفوفكم ، أعبروا  
 ربكم حجاجكم ، واستعينوا بالله الهك ، واجاهدوا عدو الله وعدوكم ، واقتلوم قتلهم  
 الله وأبادهم ، واصبروا ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده . والعاقبة للمتقين . »

( شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤ )

[١] دحضت الحجة : بطلت ، وأدحضتها : أبطلها . [٢] التلبس : التخليط .

[٣] الرجس : القندر واللأثم وكل ما استقر من البول ، والعمل المؤدى إلى الغتاب .

## ١٩٥ - خطبة للإمام عليّ

وخطب عليّ عليه السلام بصفين أيضاً فقال :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البرّ والفاجر ، وعلى حُجّجه البالغة على خلقه من أطاعه منهم ومن عصاه ، إن يَرْحَمَ فبفضله ومنّه ، وإن عَذَّبَ فبما كَسَبَتْ أيديهم ، وإن الله ليس بِظَلَامٍ للمريد ، أحمدهُ على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وأستعينه على ما نابتنا من أمر الدنيا والآخرة ، وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلًا ، ثم إنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ارتضاه لذلك وكان أهله ، واصطفاه لتبليغ رسالته وجملة رحمة منه على خلقه ، فكان علمه فيه رءوفاً رحيماً ، أكرم خلق الله حسَباً ، وأجلهم منظرًا ، وأسخام نفساً ، وأبرّم لوالده ، وأوصلهم لرحم ، وأفضلهم علماً ، وأثقلهم حِملاً ، وأوفاهم لمهد ، وآمنهم على عقد ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بِمَظْلَمَةٍ قَطُّ ، بَلْ كَانَ يُظْلَمُ فَيَقْفِرُ ، وَيَقْدِرُ فَيَصْنَحُ ، حتى مضى صلى الله عليه وآله مطيعاً لله ، صابراً على ما أصابه ، مجاهدًا في الله حقَّ جِهَادِهِ ، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله ، فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض البرّ والفاجر ، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله ، وينهاكم عن معصيته .

وقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، فلست أحيدهُ عنه ، وقد حضرتم عدوكم ، وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار ، وابن عمّ نبيكم معكم

وِين أَظْهَرَكُمْ يَدْعُوَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَالْعَمَلِ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَلَا سِوَاهُ<sup>(١)</sup> مَنْ صَلَّى قَبْلَ كُلِّ ذِكْرٍ ، لَا يَسْبِقُنِي بِصَلَاةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَحَدٌ ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَمَعَاوِيَةَ طَلِيقٌ ، وَاللَّهِ إِنَّا عَلَى الْحَقِّ ، وَإِنِّهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ ، فَلَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرَّقُوا عَنْ حَقِّكُمْ ، حَتَّى يَنْلَبَاطُ بَاطِلُهُمْ حَقِّكُمْ ، فَأَتَوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا يَعَذِّبُهُمْ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٣)

### ١٩٦ - خطبة سعيد بن قيس

وقام سعيد بن قيس بخطب أصحابه بِقُنَاصِرِينَ<sup>(٢)</sup> ، قَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِدِينِهِ ، وَأَوْثَرَنَا كِتَابَهُ ، وَامْتَنَّ عَلَيْنَا بَنِيهِ ، فَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، وَقَائِدَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَتَامًا لِلنَّبِيِّينَ ، وَحُجَّةَ اللَّهِ الْعَظِيمَ ، عَلَى الْمَاضِينَ وَالْعَاكِرِينَ ، ثُمَّ كَانَ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَقْدَهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْيَيْنَا وَكَرِهْنَا - أَنْ ضَمَّنَا وَعَدُّوْنَا بِقُنَاصِرِينَ ، فَلَا يَحْمِلُ بِنَا الْيَوْمَ الْحِجَاصُ<sup>(٣)</sup> ، وَلَيْسَ هَذَا بِأَوَانِ انْصِرَافٍ ، وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ<sup>(٤)</sup> ، وَقَدْ خَصَّنَا اللَّهُ بِمَنَّةٍ بِرَحْمَةٍ لَا نَسْتَطِيعُ آدَاءَ شُكْرِهَا ، وَلَا تَقْدِيرَ<sup>(٥)</sup> قَدْرَهَا ، إِنْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[١] أى ولا مثل من صلى . [٢] قال صاحب اللسان والقلموس : قنصرين موضع بالنم ، ولم يذكره ياقوت في حجه .

[٣] حاس عنه يحس حجماً وحجماً واثماً عدل وحاد ، والحياص والحياصة : مفاعلة من الحيس أى السدول والحرب . قال صاحب اللسان : وفي حديث مطرف ( بتشديد الراء للكسورة ) أنه خرج من الطاعون فقبل له في ذلك ، فقال : « هُوَ الْوَتُّ نَحَاجِيهِ وَلَا يَدُّ مِنْهُ » . قال أبو عبيد مناة : نزوع عنه وليس بين البعد والارت مفاعلة ، وإنما للمنى أن الرجل في فرط حرصه على التماس من الموت كأنه يباريه ويضالبه ، فأخرجه على المفاعلة لكونها موضوعة لإغادة للباراة والمغالبة بالفضل ، كقوله تعالى : « يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » فيقول سنى نحاجيه الى قولك نخرس على الفرار منه اه .

[٤] النوس والناس : التأخر والفرار ، ناس عن قرنه ينوس : فرّ وراخ ، أى وليس الوقت وقت تأخر وفرار . [٥] قدر الشيء قدره من التدبير وبإيه ضرب ونصر « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » أى ما عظموه حق عظيমে .

وَأَلَهُ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارَ مَعْنَا فِي حَيَاتِنَا ، فَوَاللَّهِ الَّذِي هُوَ بِالْعِبَادِ بَصِيرٌ ، أَنْ لَوْ  
كَانَ قَائِدُنَا رَجُلًا مَخْذُوعًا ، إِلَّا أَنْ مَعْنَا مِنَ الْبَدْرِيِّينَ سَبْعِينَ رَجُلًا ، لَكَانَ يَنْبَغِي  
لَنَا أَنْ تَحْسُنَ بَصَائِرُنَا ، وَتَطْيِبَ أَنْفُسُنَا ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا رَأَيْسُنَا ابْنُ عَمِّ نَبِينَا ،  
بَدْرِيُّ صِدْقٌ ، صَلَّى صَغِيرًا ، وَجَاهَدَ مَعَ نَبِيِّكُمْ ﷺ كَثِيرًا ، وَمَعَاوِيَةَ طَلِيقٌ مِنْ  
وَثَاقٍ <sup>(١)</sup> الْأَسَارَى ، إِلَّا أَنَّهُ أَخْرَجُفَاءَ ، فَأُورِدَهُمُ النَّارَ ، وَأُورِثَهُمُ الْعَارَ ، وَاللَّهُ  
مُحِلٌّ بِهِمُ النَّدْلَ وَالصَّنَارَ <sup>(٢)</sup> ، أَلَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ عَدُوَّكُمْ غَدًا ، فَمَا لَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ مِنْ  
الْجِدِّ وَالْحَزَمِ وَالصَّدَقِ وَالصَّبْرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ، أَلَا إِنَّكُمْ تَقُوزُونَ بِقَتْلِهِمْ ،  
وَيَشَقُّونَ بِقَتْلِكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَقْتُلُ رَجُلًا مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْقَاتِلَ جَنَاتٍ  
عَذْنٍ ، وَأَدْخَلَ الْمَقْتُولَ نَارًا تَلْفَظِي ، لَا تَقْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهَا مُبْلِسُونَ <sup>(٣)</sup> ، عَصَمْنَا  
اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا عَصَمَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ ، وَجَعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ أَطَاعَهُ وَاتَّقَاهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ  
الْمُظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ . (شرح ابن أبي الحديد ١ : من ٤٨٣)

## ١٩٧ - خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

وَحَرَضَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْأَرْحَبِيُّ أَهْلَ الْعِرَاقِ بِصَفَيْنَ ، فَقَالَ :  
« إِنْ الْمُسْلِمُ مِنْ سَلَمٍ دِينُهُ وَرَأْيُهُ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَاللَّهِ مَا إِنْ يِقَاتِلُونَا عَلَى  
إِقَامَةِ دِينِ رَأُونَا ضَيْعَتَهُ ، وَلَا عَلَى إِحْيَاءِ حَقِّ رَأُونَا أَمْتَنَاهُ ، وَلَا يِقَاتِلُونَا إِلَّا  
عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا ، لِيَكُونُوا فِيهَا جَبَّارَةً وَمَلُوكًا ، وَلَوْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ - لَا أَرَامُ اللَّهَ

[١] الْوَثَاقُ بِالْفَتْحِ وَيَكْسَرُ : مَا يَسْتَعْبَهُ ، وَأَوْجَعُهُ الْوَثَاقُ شِدَّةً « فَتَشُدُّوا الْوَثَاقَ »

[٢] النَّدْلُ وَالصَّنِيرُ . [٣] مَنْ أَيْلَسَ إِذَا يَشَى وَغَيْرِ .

ظهوراً ولا سروراً - إذن لوليك مثل سعيد<sup>(١)</sup> والوليد<sup>(٢)</sup> وعبد الله بن عامر<sup>(٣)</sup> السفية ، يحدث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت<sup>(٤)</sup> ، يأخذ مال الله ، ويقول : لا إثم على فيه ، كأنما أعطى ثرائه من أبيه ، كيف ؟ إنما هو مال الله ، أفاده علينا بأسياقتنا ورماحتنا ، قاتلوا : عباد الله : القوم الظالمين ، الحاكمين بنير ما أنزل الله ، ولا تأخذكم فيهم لومة لائم ، إنهم إن يظهروا عليكم ، يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم ، ومن من قد عرفتم وجربتم ، والله ما أرادوا باجتماعهم عليكم إلا بشراً ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

( تلخيص الطبري ٦ : ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : س ٤٨٥ )

## ١٩٨ — خطبة هاشم بن عقبة المرقال

وشد هاشم بن عقبة المرقال<sup>(١)</sup> في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً ، فليس من وجه يحمل عليه ، إلا صبر له ، وقاتل فيه قتالاً شديداً ، فقال لأصحابه :

[ ١ ] هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتل أبوه العاص يوم بدر كافراً ، قتل على بن أبي طالب ، وقد استعمل عثمان بن عفان سيدياً على الكوفة . بعد الوليد بن عقبة ابن أبي ميط ، وولاه معاوية في خلافته المدينة ، فكان يوليه إذا عزل مروان بن الحكم عن المدينة ، ويولى مروان إذا عزله . [ ٢ ] هو الوليد بن عقبة بن أبي ميط ابن بن أبي عمرو ذكوان بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه ( أمه أروى بنت كرز بن دينة بن حبيب ابن عبد شمس ) . ولله عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ، ثم عزله حين اتهم بشرب الخمر ، واستعمل بعده سعيد بن العاص . [ ٣ ] هو عبد الله بن عامر بن كرز بن دينة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، استعمله عثمان على البصرة بعد أبي موسى الأشعري ، وولاه أيضاً بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، ولم يزل والياً على البصرة إلى أن قتل عثمان ، وقد ولاه معاوية البصرة ثلاث سنين . [ ٤ ] ذيت وذيت مثله الآخر ، أى كيت وكيت .

[ ٥ ] هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، ولقب بالرقال لأن علياً رضي الله عنه أعطاه الراية بصين ، فكان يرقل بها أى يسرع ، وهو الذى انتزع جلولة من بلاد الفرس ، وكانت جلولة تسمى فتح الفتوح ، وقتل عنه يوم اليرموك بالشام ، وقتل في وقعة صفين ، قطعت وجهه يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو برك .

« لَا يَهْوَىٰ لَكُمْ مَا تَرْوَنَ مِنْ صَبْرِهِمْ ، فَوَاقَهُ مَا تَرْوَنَ فِيهِمْ إِلَّا حِمْيَةَ الْعَرَبِ ،  
وَصَبْرَهَا تَحْتَ زَايَاتِهَا ، وَعَنْدَ مَا كَرَّهَا ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى الضَّلَالِ ، وَإِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ ،  
بِاقْوَمٍ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَاجْتَمِعُوا ، وَامْشُوا بِنَا إِلَىٰ عَدُوِّنَا ، عَلَىٰ ثَوَدَةٍ رُّوَيْدًا ،  
ثُمَّ اثْبُتُوا وَتَنَاصَرُوا ، وَادْكُرُوا اللَّهَ ، وَلَا يَسْأَلُ رَجُلٌ أَخَاهُ ، وَلَا تُكْثِرُوا  
الْإِنْفَاقَ ، وَاصْمُدُّوا <sup>(١)</sup> صَمْدَهُمْ ، وَجَاهِدُوا مُحْتَسِنِينَ ، حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ  
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

( تلخيص الطبري ٦ : ٢٣ )

## ١٩٩ - خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر يوم صفين ، فقال :

« انْهَضُوا مَعِيَ : عِبَادَ اللَّهِ : إِلَىٰ قَوْمٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ بِدَمِ ظَالِمٍ ، إِنَّمَا  
قَتَلَهُ الصَّالِحُونَ الْمُنْكَرُونَ لِلْعَدُوِّ ، الْأَمْرُونَ بِالْإِحْسَانِ ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ  
لَا يَبَالُونَ إِذَا سَلِمَتْ لَهُمْ دِيَارُهُمْ ، وَلَوْ دَرَسَ <sup>(٢)</sup> هَذَا الدِّينُ ، لَمْ يَقْتُلُوهُ ؟ فَقُلْنَا :  
لِأَحْدَاثِهِ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَكْنُتُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا ، فَهُمْ  
يَأْكُلُونَهَا وَيَرْعَوْنَهَا ، وَلَا يَبَالُونَ لَوْ انْهَدَمَتِ الْجِبَالُ ، وَاللَّهُ مَا أَظْنَمَهُمْ يَطْلُبُونَ بِدَمِ  
وَلَكِنِ الْقَوْمَ ذَاقُوا الدُّنْيَا ، فَاسْتَحْلَوْهَا وَاسْتَمَرَّ <sup>(٣)</sup> وَهِيَ ، وَعَلِمُوا أَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ  
لَوْ وَلِيَهُمْ لَحَالٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَأْكُلُونَ وَيَرْعَوْنَ مِنْهَا ، إِنْ الْقَوْمُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ  
سَابِقَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ، يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الطَّاعَةَ وَالْوَلَايَةَ ، فَخَدَعُوا أَتْبَاعَهُمْ بِأَن قَالُوا :  
قُتِلَ إِمَامُنَا مَظْلُومًا : لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً وَمُلُوكًا ، تِلْكَ مَكِيدَةٌ قَدْ بَلَّغُوا بِهَا مَا  
تَرْوَنَ ، وَلَوْلَا مَا تَابِعَهُمْ مِنَ النَّاسِ رَجُلٌ ، اللَّهُمَّ إِنْ تَنَصَّرْنَا ، فَطَالَمَا نَصَّرْتَ ،

[١] أَيِ اضْمَدُوا جِهَتَهُمْ [٢] ائْتَمَى . [٣] اسْتَمَرَّ الطَّام : وَجَدَهُ مَرِيضًا أَيْ هَنِئًا حَمِيدَ النِّبَةِ .

وإن تجمل لهم الأمر فاذخِرْ لهم بما أخذوا لِعِبَادِكَ الْمَذَابِ الْإِلِيمِ .  
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٥٠٤ ، وتلخيص الطبري ٦ : ٢١٤ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١٢٢ )

## ٢٠٠ - خطبة الأشتر النخعي

وقام الأشتر فيخطب الناس بِقُنَاكِرِينَ ، وهو يومئذ على فرس أدمٍ مثل  
حَكَّ (١) الغراب ، فقال :

« الحمد لله الذي خلق السموات الثُّلَى ، الرحمن على العَرْشِ اسْتَوَى ، له ما في  
السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثُّرَى ، أحمدُه على حسنِ الْبَلَاءِ ،  
وتظاهر النِّعْمَاءِ ، حمداً كثيراً ، بُكْرَةً وأصيلاً ، من هداه الله فقد اهتدى ،  
ومن يُضِلَّ الله فقد غَوَى ، أرسل محمداً بالصواب والهُدَى ، فأظهره على الدين كله  
ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وآله .

ثم قد كَانَ مما قضى الله سبحانه وَقَدَّرَ ، أَن سَاقَتْنَا الْمَقَادِيرُ إِلَى أَهْلِ هَذِهِ  
الْبَلَدَةِ مِنَ الْأَرْضِ ، فَلَقَّتْ يَتَنَّا وَبَيْنَ عَدُوِّهِ وَعَدُونَا ، فَحَنَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمِهِ  
وَمَنِّهِ وَفَضْلِهِ ، قَرِيرَةً أَعَيْنُنَا ، طَيِّبَةً أَنْفُسَنَا ، نَرْجُو بِقِتَالِهِمْ حُسْنَ الثَّوَابِ ،  
وَالْأَمْنِ مِنَ الْعِقَابِ ، مَعَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِينَا ، وَسَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ عَلَى بَنِي أَبِي  
طَالِبٍ ، صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى الصَّلَاةِ ذَكَرٌ ، حَتَّى كَانَ شَيْخاً  
لَمْ يَكُنْ لَهُ صَبُوءٌ (٢) ، وَلَا تَبُوءٌ (٣) ، وَلَا هَفُوءٌ ، وَلَا سَقَطَةٌ ، فَقِيَهُ فِي دِينِ اللَّهِ  
تَعَالَى ، عَالِمٌ بِحُدُودِ اللَّهِ ، ذَوْرَأْيٍ أَصِيلٍ ، وَصَبْرٍ جَمِيلٍ ، وَعَقَافٍ قَدِيمٍ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَعَلَيْكُمْ بِالْحَزْمِ وَالْجِدِّ ، وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَأَنَّ الْقَوْمَ عَلَى الْبَاطِلِ ، إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ

[١] الحَكَّ : شدة السواد ، وفي الأمل : « حنل » وهو منحرف . - [٢] الصبوة : جهالة الفتوة .

[٣] بَا السهم عن الهدف : قصر ولم يصبه ، والمراد أنه لا يعرف عنه قصير في الدين ولا وهن .

معاوية وأتم مع البدرين قريب من مائة بدرى ، سوى من حولكم من أصحاب محمد ، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله ﷺ ، ومعاوية مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله ﷺ ، فمن يشك في قتال هؤلاء ؟ إلا ميت القلب ، أتم على إحدى الحسينين ، إما الفتح ، وإما الشهادة ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه ، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه ، وأستغفر الله لي ولكم . ( شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤ )

### ٢٠١ - خطبة الأشتر في المنهزمين من الميمنة

ولما أنهزمت ميمنة العراق ، قال له عليّ : يا مالك ، قال : ليّك ، قال : أئت هؤلاء القوم قتل لهم : « أين فراركم من الموت الذي لن تُعجزوه ، إلى الحياة التي لن تبقى لكم » فضى فاستقبل الناس منهزمين ، فقال لهم هذه الكلمات ، وقال : إلى أيها الناس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ، ثم ظن أنه بالأشتر أعرض في الناس ، فقال : أنا الأشتر ، إلى أيها الناس ، فأقبلت إليه طائفة ، وذهبت عنه طائفة ، فنادى : أيها الناس ، عضضتم بهن<sup>(١)</sup> آبائكم ، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم ! أيها الناس : أخلصوا إلى مذحجا<sup>(٢)</sup> ، فأقبلت إليه مذحج فقال :

« عضضتم بصنم<sup>(٣)</sup> الجندل ، ما أرضيتم ربكم ، ولا نصحتم له في عدوك ، وكيف بذلك وأتم أبناء الحروب ، وأصحاب الغارات ، وفتيان الصباح<sup>(٤)</sup> ،

[١] المهن : اسم يكتى به من الفرج . [٢] كذا الأشتر من النسخ ( بالتحريك ) ، وهي قبة كبيرة من مذحج باليمن . [٣] الصنم : جمع صنعة ( كفرصة ) ، وهي الصخرة الملية بالطينة . [٤] الطارة .

وَفُرْسَانِ الطَّرَادِ ، وَخُتُوفِ الْأَقْرَانِ ، وَمَذْجِ الطَّعَانِ ، الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يُسَبِّقُونَ  
بِأَرْحَمَ ، وَلَا تُطَلُّ دِمَاؤُهُمْ ، وَلَا يُعْرَفُونَ فِي مَوَاطِنٍ بِمُخْتَفٍ <sup>(١)</sup> ، وَأَنْتُمْ حَذَّ أَهْلِ  
مِصْرَكُمْ ، وَأَعَزَّ حَيٍّ فِي قَوْمِكُمْ ، وَمَاتَعَلُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ بِمَدِّ الْيَوْمِ ، فَاتَّقُوا  
مَأْثُورَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ ، وَأَصْدُقُوا عَدُوَّكُمْ اللَّقَاءَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ، وَالَّذِي  
نَفْسُ مَالِكٍ يَدُهُ مَا مِنْ هَؤُلَاءِ ( وَأَشَارَ يَدَهُ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ ) رَجُلٌ عَلَى مِثَالِ  
جَنَاحِ بَعُوضَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْتُمْ مَا أَحْسَنْتُمْ الْقَبْرَاعَ <sup>(٢)</sup> ، أَجَلُوا  
سَوَادَ وَجْهِهِ ، يَرْجِعُ فِي وَجْهِهِ دَمٌ ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ  
عَزَّ وَجَلَّ لَوْ قَدْ فَضَّهَ ، تَبَعَهُ مِنْ يَحَاكِيهِ كَمَا يَنْبَغُ مُؤَخَّرَ السَّيْلِ مُقَدَّمَهُ .  
قَالُوا اخْذْ بِنَا حَيْثُ أَحْبَبْتَ .

( تاريخ الطبري ١١ : ٦ ، وصرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٧ )

## ٢٠٢ — خطبة أخرى له فيهم

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ عُظَمَاءُ مَنْ كَانَ انْهَزَمَ عَنِ الْمَيْمَنَةِ حَرَضَهُمْ ،  
ثُمَّ قَالَ :

« عَشُّوا عَلَى التَّوَاجِدِ مِنَ الْأَضْرَاسِ ، وَاسْتَقْبَلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ ، وَشُدُّوا  
عَلَيْهِمْ شِدَّةَ قَوْمِ مَوْتُورِينَ <sup>(٣)</sup> ، ثَارًا بِآبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ، حِينَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، قَدْ  
وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، كَيْلًا يُسَبِّقُوا بِوَتَرٍ ، وَلَا يُلْحَقُوا فِي الدُّنْيَا عَارًا ، وَإِيمُ  
اللَّهِ مَا وَرَّرَ قَوْمٌ قَطُّ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُوَرَّرُوا دِينَهُمْ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ  
لَا يَقَاتِلُونَكُمْ إِلَّا عَنْ دِينِكُمْ ، لِيُمِيتُوا السُّنَّةَ ، وَيُحْيُوا الْبِدْعَةَ ، وَيَسِيدُوكُمْ فِي ضَلَالَةٍ  
قَدْ أَخْرَجَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا بِحَسَنِ الْبَصِيرَةِ ، فَطَاطِبُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْفُسًا بِمَنَاكِمِ

[١] الحنف : القتل . [٢] القارعة وللناحلة . [٣] وتر : إلنا أصابه وتر ، وهو الثار .

دون دينكم ، فإن ثوابكم على الله ، والله عنده جنات النعيم ، وإن الفيرار من الزحف فيه السلب للعرز ، والقلبة على النقي ، وذل المخيا والمدمات ، وعار الدنيا والآخرة ، وسخط الله وأليم عقابه .

( تاريخ الطبري ٦ : ١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : من ٤٨٧ )

### ٢٠٣ — خطبة على فيهم وقد عادوا إلى موافقهم

ولما رأى الإمام كرم الله وجهه ميمته قد عادت إلى موافقها ومصافها ، وكشفت من يازاتها من عدوها ، حتى صار يوم في موافقهم ومراكرهم ، أقبل حتى انتهى إليهم فقال :

« إني قد رأيت جواتكم وانحيازكم عن صفوفكم ، يحوزكم الطغاة الجفاة ، وأعراب أهل الشام ، وأنتم لهاميم <sup>(١)</sup> العرب ، والسنام الأعظم ، ومغار الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخطاؤون ، فلو لا إقبالكم بعد إيدباركم وكرهكم بعد انحيازكم ، وجب عليكم ماوجب على المولى يوم الزحف دبره ، وكنتم من المهالكين ، ولكن هوّن وجددي ، وشقّ بضع أحاح <sup>(٢)</sup> نفسي ، أني رأيتكم بأخرة <sup>(٣)</sup> حزتموم كما حازوكم ، وأزلفتموم عن مصافكم كما أزالوكم ، تحشونهم <sup>(٤)</sup> بالسيوف تركب أولام أخرام كالابل المطرودة الهيم <sup>(٥)</sup> ، فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة ، وثبتكم الله عز وجل باليقين ، وليعلم المنهزم أنه

[١] اللهم ، واللهيم (يكسر اللام والهم فيها) : السابق الجواد من الحبل والناس .

[٢] الأحاح : النبط وحراة النهم . [٣] يقال جاء أنرة وبأخرة محركين وقد ضمّ أولها أي آخراً . [٤] من المس بالفتح : وهو القتل والاستئصال . [٥] العطش : جمع أهيم وهيماء والهيام بالنهم : أشد العطش .

مُسَخِّطُ رَبِّهِ ، وَمُؤَيِّقٌ<sup>(١)</sup> نَفْسِهِ ، إِنْ فِي الْفَرَارِ مَوْجِدَةٌ<sup>(٢)</sup> اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ،  
وَالْقَلَّلُ اللَّازِمُ لَهُ ، وَالْعَارُ الْبَاقِي ، وَاعْتَصَارُ النَّفْسِ مِنْ يَدِهِ ، وَفَسَادُ الْعَيْشِ عَلَيْهِ ،  
وَإِنْ الْفَارُّ لَا يَزِيدُ الْفَرَارَ فِي عَمَرِهِ ، وَلَا يُرْضَى رُبُّهُ ، فَوَيْتُ الْمَرْءِ مُحَقَّقًا قَبْلَ إِيْتَانِ  
هَذِهِ الْخُصَالِ ، خَيْرٌ مِنَ الرِّضَا بِالتَّلَبُّسِ بِهَا وَالْإِصْرَارِ عَلَيْهِ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٨)

## ٢٠٤ - خطبة خالد بن معمر

وَلَمَّا وَلَّى الْإِمَامُ خَالِدُ بْنُ مَعْمَرٍ رَايَةً رَيْعَةً ، وَحَمَلَ عَلَيْهَا أَهْلُ الشَّامِ حَمَلَةً  
شَدِيدَةً ، وَانْهَزَمَ نَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ ، صَاحَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَقَالَ يَوْمَئِذٍ :

« يَا مَعْشَرَ رَيْعَةٍ : إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ آتَى بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنْ مَنِيَّتِهِ ،  
وَمَسَقَطِ رَأْسِهِ ، فُجِعْكُمْ فِي هَذَا الْمَكَانِ جَمْعًا لِيَحْمِلَكُمْ مِثْلُهُ مُنْذُ نَشَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ ،  
فَإِنْ تُنْسِكُوا أَيْدِيَكُمْ وَتَنْكُلُوا<sup>(٣)</sup> عَنْ عَدُوِّكُمْ ، وَتَرْوُلُوا عَنْ مَصَافِكُمْ ، لَا يَرْضَى  
اللَّهُ فَمَلِكُمْ ، وَلَا تَمْدُمُوا مِنَ النَّاسِ مَدِيرًا يَقُولُ : فَضَحْتُ رَيْعَةً الْقَمَارِ<sup>(٤)</sup> ،  
وَحَاصَتْ<sup>(٥)</sup> عَنِ الْقِتَالِ ، وَأَتَيْتُ مِنْ قِبَلِهَا الْعَرَبُ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَتَشَامَّ بِكُمْ الْعَرَبُ  
وَالْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ ، وَإِنْكُمْ إِنْ تَمَضَوْا مُقْبِلِينَ مُقَدِّمِينَ ، وَتَصْبَرُوا مُحْتَسِنِينَ ، فَإِنْ  
الْإِقْدَامَ لَكُمْ عَادَةً ، وَالصَّبْرَ مِنْكُمْ سَجِيَّةً ، وَاصْبِرُوا وَيُتِّسِّكُمْ أَنْ تُؤْجَرُوا ، فَإِنْ  
ثَوَابَ مَنْ نَوَى مَا عِنْدَ اللَّهِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَكَرَامَةُ الْآخِرَةِ ، وَلَنْ يَضِيعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ  
أَحْسَنَ عَمَلًا . » (تاريخ الطبري ٦ : ١٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٩٦)

[١] مهت . [٢] أي غضبه . [٣] أي تنكسوا وتجنبوا .

[٤] مأجوب حايته وخفته . [٥] هربت وفرت .

٢٠٥ — خطبة عقبة بن حديد التمرى

وقال عُقْبَةُ بْنُ حَدِيدٍ التَّمَرِيُّ يَوْمَ صَفِينَ لِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ :

« أَلَا إِنَّ مَرْعَى الدُّنْيَا قَدْ أَصْبَحَ هَشِيمًا <sup>(١)</sup> ، وَأَصْبَحَ شَجَرُهَا خَضِيدًا <sup>(٢)</sup> ، وَجَدِيدُهُا سَمَلًا <sup>(٣)</sup> ، وَخُلُوهَا مَرُّ الْمَذَاقِ ، أَلَا وَإِنِّي أَنْبِئُكُمْ بِأَمْرٍ صَادِقٍ : إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ الدُّنْيَا ، وَعَزَفَتْ <sup>(٤)</sup> نَفْسِي عَنْهَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَتَمْنَى الشَّهَادَةَ ، وَأَتَعَرَّضُ لَهَا فِي كُلِّ جَيْشٍ وَغَارَةٍ ، فَأَبَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَنِي هَذَا الْيَوْمَ ، أَلَا وَإِنِّي مَتَعَرَّضٌ لَهَا مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، قَدْ طَمِعْتُ أَلَّا أُحْرَمَهَا ، فَمَا تَنْتَظِرُونَ ، عِبَادَ اللَّهِ بِجِهَادٍ مِّنْ عَادَى اللَّهِ ، أَخَوْفَا مِنَ الْمَوْتِ الْقَادِمِ عَلَيْكُمْ ، الذَّاهِبِ بِأَنْفُسِكُمْ لِأَعْمَالِهِ ؟ أَوْ مِنْ ضَرْبَةٍ كَفَّ بِالسَّيْفِ ؟ أَسْتَبْدِلُونَ الدُّنْيَا بِالْغُزَاةِ فِي وَجْهِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ، وَمُرَافِقَةِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ، وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي دَارِ الْقَرَارِ ؟ مَا هَذَا بِالرَّأْيِ السَّيِّدِ ! » .

ثم مضى فقال : « يَا إِخْوَتِي إِنِّي قَدْ بَسَمْتُ هَذِهِ الدَّارَ بِأَتْلَى أَمَانِهَا ، وَهَذَا وَجْهِي إِلَيْهَا . لَا تُبْرِحْ وَجْهَهُكُمْ ، وَلَا يَقْطَعْ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ رِجَاءَكُمْ » فَبَعَثَهُ إِخْوَتُهُ وَقَالُوا : « لَا نَطْلُبُ رِزْقَ الدُّنْيَا بِمَدِّكَ ، فَتَقْبَحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بِمَدِّكَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنَا عِنْدَكَ » . فَاسْتَقْدَمُوا فَقَاتَلُوا حَتَّى قَتَلُوا .

( تاريخ الطبري ٦ : ١٥ ، هرح ابن أبي الحديد ١ ص ٤٩٠ )

٢٠٦ — خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد

وكان من « مُحَارِبِ » . رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ خَنْثَرٌ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ ، وَكَانَ مِنْ

[١] المنجم من النبات : اليابس للكسر . [٢] مقطوعاً ، خضده : كسره ، فهو خضيد ومخضود .

[٣] السمل : الملقح من الثياب . [٤] انصرفت .

أشجع الناس ، فلما اقتل الناس يوم صفين ، جعل يرى أصحابه منهزمين ، فأخذ ينادى :

« يا معشر قيس ، أطاعةُ الشيطانِ آثرٌ <sup>(١)</sup> عندكم من طاعة الرحمن ؟ ألا إنَّ الفرار فيه معصية الله سبحانه وسخطه ، وإن الصبر فيه طاعة الله عز وجل ورضوانه ، أفتختارون سخط الله تعالى على رضوانه ، ومعصيته على طاعته ؟ ألا إنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً نفسه ، ثم قال :

لَا وَالَّتِ نَفْسُ امْرِئٍ وَلى الدُّبُرِ <sup>(٢)</sup> أَنَا الَّذِى لَا يَنْتَنِى وَلَا يَفِرُّ  
وَلَا يَرَى مَعَ الْمَآزِلِ الْفُؤَدُ <sup>(٣)</sup>

( تاريخ الطبري ٦ : ١٨ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٠٥ ص ٤٩٥ )

## ٢٠٧ — تحرّض معاوية أيضاً

وخطب معاوية الناس بصفين فقال :

« الحمد لله الذى دنا فى علوه ، وعلا فى دنوه ، وظهر و بطن ، وارتفع فوق كل ذى منظر ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، يقضى فيفصل ، ويقدر فيفقر ، ويفعل ما يشاء ، إذا أراد أمراً أمضاه ، وإذا عزم على شئ قضاه لا يؤامر <sup>(٤)</sup> أحداً فيما يملك ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، والحمد لله رب العالمين على ما أحيينا وكرهنا .

وقد كان فيما قضاه الله أن ساقنّا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض ، ولَقَّت يئتنا وبين أهل العراق ، فنحن من الله بمنظر ، وقد قال الله سبحانه وتعالى :

[١] أفضل . [٢] وأل : طلب النجاة ، وخلص . [٣] للمازيل : جمع سزال بكسر اللام ، وهو الضعيف الأحمق ( ومن لاسلاح ميه ، ومن يئزل أهل لليسر لزوماً ) ، والفتن : جمع غفور مبالغة من غادر . [٤] أى لا يتاور .

« وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ » انظروا يا أهل الشام ، إنكم غداً تَلْقَوْنَ أهل العراق ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال : إما أن تكونوا طلبتم ما عند الله في قتال قوم بَعَوْا عليكم ، فَأَقْبَلُوا من بلادهم حتى نزلوا في يَمَضِيَّتْكُمْ <sup>(١)</sup> ، وإما أن تكونوا قوماً تطلبون بدم خليفتم وصهر نبيكم ، وإما أن تكونوا قوماً تَذُبُّونَ عن نساءكم وأبنائكم ، فعليكم بتقوى الله والصبر الجليل ، وأسألوه الله لنا ولكم النصر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الفاتحين » . (شرح ابن أبي الحديد م ١١ ص ٤٩٧)

## ٢٠٨ - ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد

في وقعة صفين

وقف النعمان بن بشير الأنصاري بين الصَّفَيْنِ بِصِفَيْنِ فقال :

« يَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، أَمَا أَنْصَفَكُمْ مِنْ دَعَاكُمْ إِلَى مَارَضَى أَنْفُسِهِ ؟ إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَخْطَأْتُمْ فِي خَذَلِ عِثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَلِ ، وَإِقْحَامَكُمْ <sup>(٢)</sup> عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِصَفَيْنِ ، فَلَوْ كُنتُمْ إِذْ خَذَلْتُمْ عِثْمَانَ خَذَلْتُمْ عَلِيًّا ، كَانَ هَذَا بِهَذَا ، وَلَكِنَّكُمْ خَذَلْتُمْ حَقًّا ، وَنَصَرْتُمْ بَاطِلًا ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَكُونُوا كَالنَّاسِ ، سَعَلْتُمْ <sup>(٣)</sup> الْحَرْبَ ، وَدَعَوْتُمْ إِلَى الْبِرَازِ ، فَقَدْ وَافَقَهُ وَجَدْتُمْ رِجَالَ الْحَرْبِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ سَرَاعًا إِلَى بِرَازِكُمْ ، غَيْرَ أَنْكَلَيْتُمْ <sup>(٤)</sup> عَنْ حَرِيكِهِمْ ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ بَعْلَى أَمْرٌ

[١] ساحتكم . [٢] قسم في الأمر : رمى بنفسه فيه من غير روية ، وأقسمت الفرس التهر : أدخلته

فيه فاقهم واقسم . [٣] شمل النار ، وأشطاها : ألهاها .

[٤] أنكاس : جمع تكس ( بالكسر ) ، وهو الضيف للفرس .

قَطُّ إِلَّا هَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ الْمَصِيبَةَ ، وَوَعَدْتُمُوهُ الظَّفَرَ ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخْلَفْتُمُوهُ ، وَهَانَ عَلَيْنَا  
بَأْسُكُمْ ، وَمَا كُنْتُمْ لِتُخْلُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ مِنْ شِدَّتِكُمْ فِي الْحَرْبِ ، وَقَدَرْتُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ،  
وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ أَذْلَاءَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، لَا يَرَوْنَ حَرْبَكُمْ شَيْئًا ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ  
عَدَاً وَمَدَدًا ، وَقَدْ وَاللَّهِ كَاثَرُوكُمْ بِالْقِلَّةِ ، فَكَيْفَ لَوْ كَانُوا مِثْلَكُمْ فِي الْكُدَّةِ ، وَاللَّهِ  
لَا تَرَالُونَ أَذْلَاءَ فِي الْحَرْبِ بَعْدَهَا أَبَدًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَكُمْ أَهْلُ الشَّامِ ، وَقَدْ أَخَذْتُ  
الْحَرْبَ مِنْكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَنَحْنُ أَحْسَنُ بَقِيَّةً ، وَأَقْرَبُ إِلَى الظَّفَرِ ، فَانْقُوا اللَّهَ  
فِي الْبَقِيَّةِ » فَضَحَكَ قَيْسٌ وَقَالَ :

### ٢٠٩ — جواب قيس بن سعد

« وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أُرَاكَ يَا نَعْمَانَ تَجَرَّئُ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ ، أَمَا النُّصْفُ الْحَقُّ  
فَلَا يَنْصَحُ أَخَاهُ مِنْ غَشٍّ نَفْسِهِ ، وَأَنْتَ وَاللَّهِ الْفَاشِ لِنَفْسِهِ ، الْمُبْطِلُ فِيمَا نَصَحَ  
غَيْرِهِ ، أَمَا ذَكَرَ عَثْمَانَ فَإِنْ كَانَ الْإِيحَازُ يَكْفِيكَ نَخْذَهُ ، قَتَلَ عَثْمَانَ مَنْ لَسْتُ خَيْرًا  
مَنْهُ ، وَخَذَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرُ مَنْكَ ، وَأَمَا أَصْحَابُ الْجُلِّ فَقَاتَلْتَهُمْ عَلَى التَّكْثِ ، وَأَمَا  
مَعَاوِيَةَ ، فَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ عَلَى بَيْعَتِهِ لَقَاتَلْتَهُمُ الْأَنْصَارُ ، وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا لَسْنَا  
كَأَلْنِاسٍ ، فَتَحْنُ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ كَمَا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، نَلْقَى السِّيفَ بِوُجُوهِنَا ،  
وَالرَّمَاخَ بِنُجُورِنَا ، حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ ، وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ كَارِهُونَ ، وَلَكِنْ أَنْظِرْنَا نَعْمَانَ ،  
هَلْ تَرَى مَعَ مَعَاوِيَةَ إِلَّا طَلِيقًا أَعْرَايَا ، أَوْ عَيْنِيًّا مُسْتَنْدَرَجًا <sup>(١)</sup> ، وَأَنْظِرْ أَيْنَ  
الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ ، الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ثُمَّ

انظر هل ترى مع معاوية غيرك وَصَوْنِيكَ<sup>(١)</sup> ، ولستما والله بدرين  
ولا عقيين<sup>(٢)</sup> ، ولا لك سابقة في الإسلام ، ولا آية في القرآن .  
(الإمامة والساسة : ١ : ٨٣)

## خطب الشيعيات في وقعة صفين

٢١٠ - خطبة عكرشة بنت الأطرش

دخلت عكرشة بنت الأطرش على معاوية متوكئة على عكاز ، فسلمت  
عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير  
المؤمنين ؟ قالت نعم ، إذ لا علىّ حيّ ، قال : ألسنت المتقلدة حائل السيوف  
بصفين ، وأنت واقعة بين الصفين تقولين :

« أيها الناس : عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم ، إن الجنة  
لا يرحل من أوطنها ، ولا يهزم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها  
بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ،  
مستظهرين<sup>(٣)</sup> بالصبر على طلب حقهم ، إن معاوية ذلف<sup>(٤)</sup> إليكم بمجم العرب ،  
غلف<sup>(٥)</sup> القلوب ، لا يفقهون الإيمان ، ولا يدرون الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ،  
واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه ، فأنه الله عباد الله في دين الله ، إياكم والتواكل  
فإن ذلك ينقض عرا الإسلام ، ويطلق نور الحق ، هذه بذر الصغرى ،

[١] أراه يسي به مروين الناس ، وقد كان أكبر أعوان معاوية وضرائه ، طافه على قصرته ، على أن  
يجعل له مصر طمة . [٢] أي لا من حضروا وقعة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا من  
يايروه في العبقة .  
[٣] مستبين . [٤] ذلف : مشي على اللقيد ، وفي التعبير به إيماء إلى ضيق معاوية ووهن قوته .  
[٥] جم أغلف وقلب أغلف كأنما غشي بظلال فهو لا يبي .

وَالْعَقَبَةُ<sup>(١)</sup> الأخرى ، يا معشر المهاجرين والأنصار ، امضوا على بصيرتكم ،  
واصبروا على عزيتكم ، فكأنني بكم غدا ، وقد لقيتم أهل الشام كالحُمُرِ الناهقة ،  
تَصْفَعُ<sup>(٢)</sup> صَفْعَ البعير .

فكأنني أراك على عصاك هذه ، وقد انكفأ عليك العسكران ، يقولون هذه  
عكرشة بنت الأطرش بن رَوَاحَة ، فإن كنتِ تَعْلَيْنِ أهل الشام لولا قدر الله ،  
وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك ؟ قالت يا أمير المؤمنين بقول الله  
جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ .  
الْآيَةُ » وإن الليب إذا كره أمراً لا يحب إعادته ، قال صدقت ، فاذكري  
حاجتك ، قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا ، فترد على فقرائنا ، وإنا  
قد فقدنا ذلك ، فما يُجَبِّرُ لنا كسير ، ولا يُنْعِشُ لنا فقير ، فإن كان ذلك عن  
رأيتك ، فثلك تنبه من الغفلة ، وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك ، فما  
مثلك من استعان بالخَوَنة ، ولا استعمل الظلمة ، قال معاوية : يا هذه إنه ينوبنا  
من أمور رعيتنا أمور تنبثق<sup>(٣)</sup> ، وبحور تنفث<sup>(٤)</sup> ، قالت : يا سبحان الله !  
والله ما فرض الله لنا حقاً ، فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام الغيوب . قال  
معاوية : يا أهل العراق ، نهبكم على بن أبي طالب ، فلم تُطافوا ، ثم أمر برد  
صدقاتهم فيهم ، وإنصافهم . ( الفد الفريد ٢ : ١٢١ ، وصح الأعمى ١ : ٢٥٣ )

[١] تنبر إلى يمة العفة ( الأولى والثانية ) حين بايع المسلمون الأتولون من الأصار التي صلى الله  
عليه وسلم بالعفة على نصرته : أي أن هذه للبيعة دفاع من الإسلام ونصرة له ككتك .  
[٢] الصفع : رفع الصوت ، صفع بصوته رفعه . وفي صح الأعمى جمع صفع البعير . من صفع الجمل بجرته  
ودها إلى جوفه . [٣] انبثق : انخبر ، وانبثق السيل عليهم أبل ولم يجتنبوه . [٤] تلحس .

## ٢١١ - خطبة أم الخير بنت الحرث

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحرث بن  
سُرَاقَة البارقي برحَّلها ، وأعلم أنه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما  
ورد عليه كتابه ، ركب إليها ، فأقرأها كتابه ، فقالت : أما أنا فخير زائفة عن  
طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمر وتحتلج  
في صدرى . فلما شيعها ، وأراد مفارقتها ، قال لها يا أم الخير : إن أمير المؤمنين  
كتب إلي أنه مجازني بقولك في الخير خيراً ، وبالشر شراً ، فإلى عندك ؟ قالت  
يا هذا ، لا يطعمك برك بي ، أن أسرك ياطل ، ولا يؤسك معرفتي بك ، أن أقول  
فيك غير الحق ، فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأثر لها مع الحرَم ،  
ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين  
ورحمة الله وبركاته ! فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ! بحق ما دعوتني بهذا  
الاسم ؟ قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة <sup>(١)</sup> السلطان مذخضة <sup>(٢)</sup> لما  
يجب علمه ، ولكل أجل كتاب ، قال صدقت ، فكيف حالك يا خالة ، وكيف  
كنت في مسيرك ؟ قالت لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية ، حتى صرت  
إليك ، فأنا في مجلس أتيق ، عند ملك رفيق . قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت  
بكم . قالت يا أمير المؤمنين : يبيذك الله من دَخْض <sup>(٣)</sup> المقال ، وما تُرِدِي عاقبته ،  
قال : ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قُتل عمار بن ياسر ؟ قالت  
لم أكن والله زورته <sup>(٤)</sup> قبل ، ولا رَوَيْته بعد ، وإنما كانت كلمات فقهها لسانی

[١] البديهة أول كل شيء وما يقابله . [٢] اللدخنة : الزلة . [٣] دَخْض المجبة دَخَا  
من باب هج يهلك ورجله زلقت ومكان دَخْض زلقة . [٤] زورته : حسنت وقومته وهذه .

عند الصدمة ، فإن أحييت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت ، فالتفت معاوية إلى جلسائه ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال مات ؟ قال كأتى بها بين بردين زئيرين<sup>(١)</sup> كشيئ النسيج ، وهي على جبل أزمك<sup>(٢)</sup> ، ويدها سوط منتشر الضفيرة ، وهي كالفضل يهذر<sup>(٣)</sup> في شقشقة تقول :

« يا أيها الناس : اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، إن الله قد أوضح لكم الحق ، وأبان الدليل ، وبين السبيل ، ورفع العلم ، ولم يدعكم في تخمياء مذلّة ، فأين تريدون رحمتكم الله ؟ أفرارا عن أمير المؤمنين ، أم فرارا من الزحف ، أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتدادا عن الحق ، أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول : « وَلَتَبْلُوَنكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ » ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، ويدك يا رب أزمة القلوب ، فاجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والرضى التقي ، والصديق الأكبر ، إنها إحن<sup>(٤)</sup> بديرة ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أودية<sup>(٥)</sup> وثب بها معاوية حين النقلة ، ليدرك تارات بنى عبد شمس ، ثم قالت : « قَاتِلُوا أَعْمَةَ الْكَفْرِ ، إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّكُمْ يُتَّقُونَ » صبرا يامعشر المهاجرين والأنصار

[١] الزئير : ما يعلو الثوب الجديد ككثير تراه في الصلطة . وفي رواية أخرى : عليها يرد زيدى لبة إلى زيد (فتح الزاى) بلد باليمن . [٢] من الرمكة بالقسم وهي لون الرماد . [٣] يصوت والشقشة شيء كثره يخرج البحر من فيه إذا هاج . [٤] جمع إحنة : وهي الشنية وللفرد توشه إلى ما كان من قتل على يوم بدر أنا سلوبة (حنظلة بن أبي سفيان) وجدته لأمة (عتبة بن ربيعة) وخله (الوليد بن عتبة) . [٥] تشير إلى ما حدث من غزو زوج أبي سفيان (لم معاوية) في غزوة أحد إذ بقرت بطن حزة ثم انتهى صلى الله عليه وسلم بعد قتله وأخذت كبده لتأكلها فلاكها ثم أرسلها .

قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأنى بكم غداً ، وقد لقيتم أهل الشام كحُمُرٍ مستنفرة فرّت من قَسَوْرَةٍ <sup>(١)</sup> ، لا تدري أين يُسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعمّا قليل ليصبحنّ نادمين ، حين تحل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص ، إنه من ضلّ والله عن الحق وقع في الباطل ، ألا إن أولياء الله استقصوا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فَسَعَوْا لها ، فآله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتمطل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَصِهْرِهِ ، وَأَبْنَى سِبْطِيهِ ، خُلِقَ مِنْ طِينَتِهِ ، وتفرّع من نَبْتِهِ <sup>(٢)</sup> ، وجعله باب دينه ، وأبأن ينفضه المنافقين ، وهامو ذامُفَلَقَ الهام ، ومكسر الأصنام ، صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأقنى أهل أُحُدٍ ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع موازن ، فيالها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً ، وَرِدَّةً وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ، قد اجتمعت في القول ، وبالنسب في النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله !

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلتك ما حرجت <sup>(٣)</sup> في ذلك . قالت والله ما يسوءنى يابن هند أن يجرى قتلى على يدى من يُسعدنى الله بشقاقه . قال هيئات يا كثيرة الفضول ! ما تقولين في عثمان ابن عفان رحمه الله ؟ قالت وما عسيت أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به

[١] الأسد والزمان من الصيادين ، والواحد تنور - [٢] التبة في الأصل واحدة التبع : شجر القسي والسهام . [٣] أمنت .

راضون ، وقتلوه وم له كآرمون . قال معاوية : يا أم الخير هذا ثناؤك الذي تُثني ؟ قالت لكن الله يشهد ، وكفى بالله شهيداً ، ما أردت بثمان قصصاً ، ولقد كان سبباً قاتلاً إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة غداً . قال فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمته ، وأتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال فما تقولين في الزبير ؟ قالت وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه <sup>(١)</sup> ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية ، ( فإن قريشاً تحدث أنك أحلها ) أن تُثني من هذه المسائل ، وتسألني عما شئت من غيرها . قال : نعم وَنَمَّةٌ <sup>(٢)</sup> عَيْنٍ ، قد أعفيتك منها ، ثم أمر لها بجائزة رفيعة ، وردها مكرمة .

( الخد الفرید ١ : ١٢٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤١ ، وصبح الأتشي ١ : ٢٤٨ )

## ٢١٢ - خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية

وذكرت الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية عند معاوية يوماً ، فقال جلسائه : أيكم يحفظ كلامها ؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين . قال فأشيروا على في أمرها ، فأشار بعضهم بقتلها ، فقال بشئ الرأي ، أيحسن بشئ أن يقتل امرأة ! ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى عمارها ، وعدة من فرسان قومها ، وأن يهد لها وطاءً <sup>(٣)</sup> ليناً ، ويستترها بستر خفيف <sup>(٤)</sup> ، ويوسع لها في النفقة ، فأرسل إليها ، فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن

[١] الموارىء : الناصر أو ناصر الأتية . [٢] أي أنزل ذلك إنلما ليك وإكراما .

[٣] الفراش . [٤] أسله من خصف النعل يجمعها كقرب ظاهري يضرب على بعض وخرزها وهي

نعل خفيف ، وكل ما يطرق به على بعض قد خفف .

كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَمَلَ الْخِيَارِ إِلَى فُائِي لَا آتِيَهُ ، وَإِنْ كَانَ حَتِّمٌ ، فَالطَّاعَةُ أُولَى ،  
فَخَلَعَهَا وَأَحْسَنَ جِهَازَهَا ، عَلَى مَا أُعْرِبَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ . قَالَ مَرْحَبًا بِكَ  
وَأَهْلًا ! قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ ، كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
أَدَامَ اللَّهُ لَكَ النِّعْمَةَ . قَالَ : كَيْفَ كُنْتُ فِي مَسِيرِكَ ؟ قَالَتْ رَيْبَةً بَيْتٌ ، أَوْ  
طِفْلًا مُمَهَّدًا . قَالَ بِذَلِكَ أَمْرُنَا . أَتَدْرِينَ فِيمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ وَأَنْتَى لِي بَعْلٌ  
مَالِمٌ أَعْلَمُ ؟ قَالَ : أَلَسْتُ الرَّابِكَةَ الْجَلِيلَةَ الْأَحْمَرَ ، وَالوَاقِفَةَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ بِصَفَيْنٍ ، تَحْضِيضٍ  
عَلَى الْقِتَالِ ، وَتَوَقِّدِينَ الْحَرْبَ ؟ فَاحْمَلْكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاتَ  
الرَّأْسُ وَبَيَّرَ الذَّنْبُ ، وَلَنْ يَعُودَ مَا ذَهَبَ ، وَالنَّهْرُ ذُو غَيْرٍ <sup>(١)</sup> ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ ،  
وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . قَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ أَنْتُمْ حَظِيظُونَ كَلَامَكُمْ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَتْ  
لَا وَاللَّهِ لَا أَحْفَظُهُ ، وَلَقَدْ أَنْسَيْتُهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَحْفَظُهُ ، اللَّهُ أَبُوكَ حِينَ تَقُولِينَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : ارْعَوْا وَارْجِعُوا ، إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشَّتْكُمْ جَلَابِيبُ  
الظُّلْمِ ، وَجَارَتْ بِكُمْ عَنْ قَصْدِ الْحَقِّ <sup>(٢)</sup> ، فَيَا لَهَا فِتْنَةُ عِمَاءَ صَمَاءَ بَكَاءَ ، لَا تَسْمَعُ لِنَاعِهَا ،  
وَلَا تَسْقَاقُ لِقَائِهَا ، إِنْ الْمَصْبَاحُ لَا يَضِيءُ فِي الشَّمْسِ ، وَلَا تَنْيرُ الْكُوكُبُ مَعَ  
الْقَمَرِ ، وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ . أَلَا مَنْ اسْتَرَشَدْنَا أُرْشَدُنَا ، وَمَنْ سَأَلْنَا  
أَخْبَرْنَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ الْحَقُّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّتَهُ فَأَصَابَهَا ، فَصَبْرًا يَا مُعْشَرَ  
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى النِّصَصِ ، فَكَأَنَّ قَدْ انْدَمَلَ شَعَبُ الشَّتَاتِ ، وَالتَّائِمَتِ كَلِمَةُ  
الْحَقِّ ، وَدَمَعَ الْحَقُّ الظُّلْمَةَ ، فَلَا يَجْهَلُنَ أَحَدٌ فَيَقُولُ : كَيْفَ وَأَنْتَى ؟ لِيَقْضَى اللَّهُ  
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، أَلَا وَإِنْ خِضَابُ النِّسَاءِ الْحَنَاءِ ، وَخِضَابُ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ ، وَلِهَذَا

اليوم ما بعده : والصبر خير في الأمور عواقباً :

إيهاً<sup>(١)</sup> في الحرب قُدُّما غير ناكسين ، ولا متشاكسين »

ثم قال لها : والله يا زرقاء لقد شَرِكتَ علياً في كلِّ دم سفكه . قالت أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ! فثلك بَشْرٌ بخير وسرٍّ جليسه . قال أو يسرك ذلك ؟ قالت نعم . والله لقد سُررت بالخبر ! فأنى لي بتصديق الفعل ! فضحك معاوية ، وقال : والله لو فارقكم له بعد موته أُعجب من حُكم له في حياته ، اذكرى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين : آليت على نفسي ألا أسأل أميراً أعنت عليه أبداً ، ومثلك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طلبية . قال صدقت ، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكساً . (القد الفرید ١ : ١٣٠ ، وصح الأعشى ١ : ٢٥٢)

## اختلاف اهل العراق في الموادة

وذكروا أنه لما اشتد الأمر ، واستقر القتال . قال رأسٌ من أهل العراق للى : إن هذه الحرب قد أكلتنا ، وأذهبت الرجال ، والرأى الموادة . وقال بعضهم : لا بل قاتلهم اليوم على ما قاتلناهم عليه أمس ، وكانت الجماعة قد رضيت للموادة ، وجئعت إلى الصلح والمسالمة ، فقام على خطيباً ، فقال :

٢١٣ - خطبة الامام على كرم الله وجهه

« أيها الناس : إنه لم أزل من أمرى على ما أحب ، حتى قدَحْتُكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركتم ، وهى لعدوكم أنهلك ، وقد كنتُ بالأمس أميراً ،

[١] إيهاً : كلمة زجر بمعنى حبك (وليه بالكسر منونة وغير منونة كلمة استعادة واستنطاق) وانتم للذى أمام وهو يمشى القدم إذا مضى في الحرب ، ووجل قدم : أى شجاع . وفي الحديث « طوبى لبيد مقبر » قدم في سبيل الله « القدم الاقدام ، أقدم على قرته إقلما وقدماً تقدم عليه بجرأة صدر .

فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً، فأصبحت اليوم منهيّاً، فليس لي أن أحكم على ما تكرهون .

### ٢١٤ - خطبة كردوس بن هانيء

وقام كردوس بن هانيء، فقال :

« إنه والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه، ولا تبرأنا من على منذ توليناه، وإن قتلنا لشهيد، وإن حيّنا لفائر، وإن عليّاً على يئنة من ربه، وما أجاب القوم إلا إِنْصافاً، وكل مُحِق مُنْصِف، فمن سَلَّم له نجا، ومن خالفه هوى . »

### ٢١٥ - خطبة سفيان بن ثور

وقام سفيان بن ثور، فقال :

« أيها الناس : إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله، فردوه علينا فقاتلناهم، وإنهم دعونا إلى كتاب الله، فإن ردّدناه عليهم، حلّ لهم منا، ما حلّ لنا منهم، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله، وإن عليّاً ليس بالراجع الناكس، وهو اليوم على ما كان عليه أمس، وقد أكلتنا هذه الحرب، ولا نرى البقاء إلا في المودعة . »

### ٢١٦ - خطبة حريث بن جابر

ثم قام حريث بن جابر فقال :

« إن عليّاً لو كان خلوّاً من هذا الأمر لكان المرجع إليه، فكيف وهو قائده وسائقه، وإنه والله ما قبل من القوم اليوم إلا الأمر الذي دعاهم إليه أمس، ولورده عليهم كسّم له أعيب، ولا يلجُد في هذا الأمر إلا راجع على عقبيه، أو مُستدّرج مغرور، وما يتناوين من طعن علينا إلا السيف . »

## ٢١٧ - خطبة خالد بن معمر

ثم قام خالد بن معمر فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا والله ما أخرجنا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منا ، ولكن قلنا أحب الأمور إلينا ما كُفينا مَثْوَتَهُ ، فأما إذ استغنينا ، فإننا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك القوم إليه اليوم ، إن رأيت ذلك ، وإن لم تره فأيك أفضل »

## ٢١٨ - خطبة الحصين بن المنذر

ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحدث القوم سنًا ، فقال :

« إنما بُني هذا الدين على التسليم ، فلا تدفعوه بالقياس ، ولا تهديموه بالشبهة ، وإنا والله لو أنا لا تقبل من الأمور إلا ما نعرف ، لأصبح الحق في الدنيا قليلًا ، ولو تركنا وما نهوى ، لأصبح الباطل في أيدينا كثيرًا ، وإن لنا راعيًا قد حِدَدنا وِرْدَه وصَدَّرَه ، وهو المأمون على ما قال وفعل ، فإن قال لا ، قلنا لا ، وإن قال نعم ، قلنا نعم » .

## ٢١٩ - خطبة عثمان بن حنيف

ثم قام عثمان بن حنيف ، وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عاملاً لملى على البصرة وله فضل ، فقال :

« أيها الناس : اتَّهَمُوا رأيكم ، فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدِيثِية يوم أبي جندل<sup>(١)</sup> ، وإنا ليريد القتال إنكاراً للصِّلح حتى رَدَّنا

[١] هو أبو جندل بن سويل بن عمرو ، وقصته : أنه لما كانت غزوة الحديبية ( سنة ست هجرة ) بنت قريش من قبلها سويل بن عمرو ليكم الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلحة ، وقد جرى بينها

عنه رسول الله ﷺ وإن أهل الشام دعونا إلى كتاب الله اضطراراً ، فأجبتهم إليه إعداراً ، فلسنا والقوم سواء ، إنا والله ما عدلنا الحى بالحى ، ولا القليل بالقتيل ، ولا الشاى بالمراقى ، ولا معاوية بطل ، وإنه لأمر منعه غير نافع ، وإعطائه غير ضائر ، وقد كلت البصائر التى كنا تقاتل بها ، وقد حمل الشك اليقين الذى كنا نتول إليه ، وذهب الحياء الذى كنا نغارى به ، فاستظلموا فى هذا التوى .<sup>(١)</sup>

الصلح وكتبت صحيفته ، وكان من شروطه ، وضع الحرب عن الناس عشر سنين يكف بعضهم عن بعض على أن من أتى عمداً من قريش بنى إذن ولية رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسويل إذ جاء أبو جندل بن سويل يرسف فى الحديد فعاذلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان المسلمون حين خرجوا لا يتكئون فى الفتح لرؤيا وآما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع دخل عليهم من ذلك أمر عظيم ، ولما رأى سويل ابنه أبا جندل فلم إليه ففرب وجهه وأخذ بجليه « بفتح التاء : ما فى موضع الحب ( أى النحر ) من الثياب » ثم قال : يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، فجعل يقره بجليه ويحمره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معتبر المسلمين أورد إلى اللركين يقتونى فى ديتى ؟ فزاد الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولنى منك من المستضفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناكم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نقدر بهم ، ورتب عمر بن الخطاب مع أبا جندل معنى إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنما هم للركون . وإنا دم أهدم دم كذب . ويدنى قائم السيف منه . قال عمر : وجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ففطن الرجل بأبيه وتعتت القضية .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد وكان من حبس بمكة ، فبعث قريش فى أثره وجابن يطلبان تسليمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا القوم ما قد علت ، ولا يصلح لنا فى ديتنا التدر ، وإن الله جاعل لك ولنى منك من المستضفين فرجاً ومخرجاً . فانطلق إلى قومه . قال يا رسول الله : أتردنى إلى اللركين يقتونى فى ديتى ؟ قال يا أبا بصير انطلق ، فانطلق مهما حتى إذا كان فى بعض الطريق عدا على أسدما قتله وهرب الآخر ، ورجع أبو بصير إلى المدينة فقال يا رسول الله وقت نطك ، وأدى الله عنك ، أسلعتى ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم ، وخرج أبو بصير إلى ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وخرج المسلمون الذين كانوا حبسوا بمكة إليه ، واغلت إليه أبو جندل بن سويل ، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم ، وضيقوا على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير الاقتطوما ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحلها إلا أوائم ، فلاحها لهم بهم ، فأوامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تقدموا عليه للمدينة . [ ١ ] التوى : ما كان شمساً فيمنعه الظل .

واسكنوا في هذه العافية ، فإن قلتم قاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس ، فهيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد .

## ٢٢٠ - خطبة عدى بن حاتم

ثم قام عدى بن حاتم فقال :

« أيها الناس : إنه والله لو غيرُ عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ، ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان ، وفي يديه من الله سبب ، وإنه وقف عن عثمان بشبهة ، وقاتل أهل الجبل على التكت ، وأهل الشام على البنى ، فانظروا في أموركم وأمره ، فإن كان له عليكم فضل فليس لكم مثله ، فسلّوا له وإلا فنازعوا عليه ، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما ، ولئن كان إلى الإسلام إنه لأخونبي الله والرأس في الإسلام ، ولئن كان إلى الزهد والعبادة إنه لأظهر الناس زهداً ، وأنهمكم عبادة ، ولئن كان إلى العقول والنحائر <sup>(١)</sup> إنه لأشد الناس عقلاً ، وأكرمهم نخبة ، ولئن كان إلى الشرف والنجدة إنه لأعظم الناس شرفاً ونجدة ، ولئن كان إلى الرضا لقد رضى عنه المهاجرون والأنصار في شؤري عمر رضى الله عنهم ، وبأيامه بعد عثمان ، ونصروه على أصحاب الجبل وأهل الشام ، فما الفضل الذي قربكم إلى الهدى ، وما النقص الذي قربكم إلى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد ، لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض ، وكتاب سابق . »

فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ، ورجع كل من تشعب على عليّ رضى الله عنه .

## ٢٢١ - خطبة عبد الله بن حبل

ثم قام عبد الله بن حَبَل ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنك أمرتنا يوم الجبل بأمر مختلف ، كانت عندنا أمراً واحداً ، فقبلناها بالتسليم ، وهذه مثل تلك الأمور ، ونحن أولئك أصحابك ، وقد أكثر الناس في هذه القضية ، وإيم الله ما الكثير المنكر بأعلم بها من المقلِّ المعترف ، وقد أخذت الحرب بأقاسنا ، فلم يبق إلا رجاء ضئيف ، فإن تجب القوم إلى ما دعوك إليه ، فأنت أولنا إيماناً ، وآخرنا بنبي الله عهداً ، وهذه سيوفنا على أعناقنا ، وقلوبنا بين جوانحنا ، وقد أعطيناك بيقيننا ، وشرحت بالطاعة صدورنا ، وفقدت في جهاد عدوك بصيرتنا ، فأنت الوالي المطاع ، ونحن الرعية الأتباع ، أنت أعلمنا برينا ، وأقربنا بديننا ، وخيرنا في ديننا ، وأعظمنا حقاً فينا ، فسدد رأيك تقبلك ، واستخِر الله تعالى في أمرك ، واعزم عليه برأيك ، فأنت الوالي المطاع » .

فسرَّ على كرم الله وجهه بقوله ، وأثنى خيراً .

## ٢٢٢ - خطبة صعصعة بن صوحان

ثم قام صعصعة بن صُوحان فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا سبقنا الناس إليك ، يوم قدم طلحة والزبير عليك ، فدمانا حُكِّم<sup>(١)</sup> إلى نُصرة عاملك عثمان بن حُنيف<sup>(٢)</sup> فأجبناه ، فقاتل عدوك ، حتى أصيب في قوم من بني عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكمُّهم مثل

[١] هو حكيم بن حبة . [٢] كان طامس على البصرة ، وقد نهب القتال بينه وبين أصحاب طائفة

حين قدموا البصرة .

أَكْفَتِ الْإِبِلَ ، وَجِأَهُمْ مِثْلُ رُكْبِ الْمَرْزِ ، فَأَسْرَ الْحَيَ ، وَسُلِبَ الْقَتِيلَ ، فَكُنَّا  
أَوَّلَ قَتِيلٍ وَأَسِيرَ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بِلَانًا بِصَفَيْنِ ، وَقَدْ كَلَّتِ الْبَصَائِرُ ، وَذَهَبَ الصَّبْرُ ،  
وَبَقِيَ الْحَقُّ مَوْفُورًا ، وَأَنْتَ بِالْبَلْعِ بِهَذَا حَاجَتَكَ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ مَا أَرَاكَ اللَّهُ  
فَرَّغْنَا بِهِ .

### ٢٢٣ — خطبة المنذر بن الجارود

ثم قام المنذر بن الجارود فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَدِينُ لَهُ الشَّامُ إِلَّا بِهْلَاكِ الْعِرَاقِ ، وَلَا  
يَدِينُ لَهُ الْعِرَاقُ إِلَّا بِهْلَاكِ الشَّامِ ، وَلَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنْ مَا زَادَنَا نَقْصَهُمْ ، وَمَا  
تَقْصَنَا أَضْرَمَ ، فَإِذَا فِي ذَلِكَ أَمْرَانِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ غَيْرَهُ <sup>(١)</sup> فَقَيْنَا وَاللَّهُ مَا يُقْلُ بِهِ  
الْحَدُّ <sup>(٢)</sup> ، وَيُرْذُّ بِهِ الْكَلْبُ <sup>(٣)</sup> ، وَلَيْسَ لَنَا مَعَكَ إِبْرَادٌ وَلَا صَدَرٌ .

### ٢٢٤ — خطبة الأحنف بن قيس

ثم قام الأحنف بن قيس ، فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ النَّاسَ بَيْنَ مَاضٍ وَوَاقِفٍ ، وَقَاتِلٍ وَسَاكِتٍ ، وَكُلٌّ  
فِي مَوْضِعِهِ حَسَنٌ ، وَإِنَّمَا لَوْ نَكَلَ الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ لَمْ يَقْلُ شَيْئًا ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ  
الْيَوْمَ ، مَا قَدْ فِيلَ أَمْسَ ، وَلَكِنَّهُ حَقٌّ يُقْضَى ، وَلَمْ تَقَاتِلِ الْقَوْمَ لَنَا وَلَا لَكَ ، إِنَّمَا  
قَاتَلْنَاكُمْ لِقَاءِ اللَّهِ ، فَإِنْ حَالَ أَمْرُ اللَّهِ دُونَنَا وَدُونَكَ فَاقْبَلْهُ ، فَإِنَّكَ أَوَّلَى بِالْحَقِّ ، وَأَحَقُّنَا  
بِالتَّوْفِيقِ ، وَلَا أَرَى إِلَّا الْقِتَالَ .

[١] أَيْ فَانْ رَأَيْتَ غَيْرَ رَأْيٍ « وَهُوَ الْقَى عِبْرَتُهُ بِقَوْلِهِ : إِنِّي أَرَى أَمْرًا . . . الخ » وَفِي الْأَصْلِ  
« غَيْرُكَ » وَأَرَادَ مَحْرَفًا . [٢] أَيْ قَيْنَا مِنَ الْيَأْسِ مَا يَمِيلُ بِهِ حُدُودُ الْأَعْدَاءِ وَقُوَّتُهُمْ .  
[٣] الْكَلْبُ : دَاءٌ يَنْشَبُ الْجَنُونَ يَأْخُذُ الْكَلَابُ تَتَمَرُّ النَّاسَ وَيَسْتَرِي النَّاسَ أَيْضًا مِنْ عَضَاهُ ، وَقَدْ  
اسْتَلْزَمَهُ مِنْهَا لَطْعُ الْأَعْدَاءِ فَنِيَمَ وَظَلَمَتْهُمُ عَلَيْهِمْ .

## ٢٢٥ — خطبة عمير بن عطار

ثم قام مُعَمِّرُ بْنُ عَطَّارٍ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن طلحة والزبير ومائشة كانوا أحب الناس إلى معاوية، وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام، وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم، فوالله ما منعنا ذلك من قتل المحارب، وَغَيْبِ الواقف، فقاتل القوم، إنا معك » .

## ٢٢٦ — خطبة علي بن أبي طالب

ثم قام علي خطيباً، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

« أيها الناس : إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلا آخر نفس، وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا، وأنا غادر عليهم بنفسى بالنداء، فأحاكمهم بسيفي هذا إلى الله » .

وأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يدعو علياً إلى تحكيم كتاب الله، فأصبح أصحاب معاوية، وقد رفعوا المصاحف على الرماح، وقلدها أعناق الخيل يقولون : « هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم » .

## ٢٢٧ — مقال عدي بن حاتم

فقام عدي بن حاتم، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن أهل الباطل، لا تُعَوَّقُ أهل الحق، وقد جزع

القوم حين تأهبت للقتال بنفسك ، وليس بعد الجزع إلا ماتحب ، نأجز القوم »

## ٢٢٨ - مقال الأشتر النخعي

ثم قام الأشتر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجنبناك لدينا . إن معاوية لا خلف له من رجاله ، ولكن بحمد الله الخلف لك ، ولو كان له مثل رجالك ، لم يكن له مثل صبرك ، ولا نصرتك ، فافرج <sup>(١)</sup> الحديد بالحديد ، واستعين بالله . »

## ٢٢٩ - مقال عمرو بن الحق

ثم قام عمرو بن الحق فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجنبناك لدينا ، ولا نصرناك على باطل ، ما أجنبناك إلا الله تعالى ، وما نصرناك إلا للحق ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه ، لكثرفه اللجاج ، وطألت له النجوى <sup>(٢)</sup> ، وقد بلغ الحق مقطعة ، وليس لنا معك رأى »

## ٢٣٠ - مقال الأشعث بن قيس

ثم قام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إننا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، ولست أدري كيف يكون غداً ، وما القوم الذين كلوك بأحمد لأهل المراق منى ، ولا بأوتر <sup>(٣)</sup> لأهل الشام منى ، فأجب القوم إلى كتاب الله ، فإنك أحق به منهم ، وقد أحب الله البقيا »

[١] أى شقّ سلامهم ورتبه بسلامك . [٢] للمارة . [٣] أى ولائته وترا . من ورتبه إذا أدركه بمكره .

## ٢٣١ - مقال عبد الرحمن بن الحارث

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال :

« يا أمير المؤمنين ، امض لأمر الله ولا يَسْتَحْفِظَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ، أَحْكُمْ  
بعد حكم ، وَأَنْزِرْ بعد أمر؟ مضت دماؤنا ودماؤهم ، ومضى حكم الله علينا وعليهم . »

## ٢٣٢ - مقال عمار بن ياسر

فلما أظهر على أنه قد قبل التحكيم قام عمار بن ياسر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أما والله لقد أخرجها إليك معاوية يضاء ، من أقر بها  
هلك ، ومن أنكرها ملك ، مالك يا أبا الحسن ، شككتنا في ديننا ، ورددتنا  
على أعقابنا ، بعد مائة ألف قُتلوا منا ومنهم ، أفلا كَانَ هذا قبل السيف ؟ وقبل  
طلحة والزبير وعائشة قد دَعَوْكَ إلى ذلك فأبيت ، وزعمت أنك أولى بالحق ،  
وأن ما خالفنا منهم صَالٌّ حلال الدم ، وقد حكم الله تعالى في هذا الحال ما قد  
سمعت ، فإِنْ كَانَ القوم كفاراً مشركين ، فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى  
يَفِيثُوا <sup>(١)</sup> إلى أمر الله ، وإن كانوا أهل فتنة فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى  
لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، والله ما أسلموا ، ولا أدوا الجزية ، ولا فاعوا  
إلى أمر الله ولا طَمِعَتِ <sup>(٢)</sup> الفتنة » فقال على والله إنى لهذا الأمر كاره

ثم كثر اللجاج والجدال في الأمر ، وجعل على يمين لهم أنها خُدعة  
ومكيدة يرام بها توهين قوتهم ، ونشيت جمعهم ، وهم لا يستمعون لقوله ، ولا  
يذعنون لنصحه ، وأقبل الأُبَيْسُ بن قيس في ناس كثير من أهل اليمن ، فقالوا  
لعلى : « لا تَرُدَّ ما دعاكَ القوم إليه ، قد أنصفك القوم ، والله لئن تقبل هذا

منهم لا وفاء لمعك ، ولا نزي معك بسهم ولا حجر ، ولا تقف معك موقفاً ،  
 وغلا أنصار التحكيم في تطرفهم فقالوا « يا عليّ أجب إلى كتاب الله إذ  
 دعيت إليه ، وإلاّ ندفعك برؤسك إلى القوم ، أو قتل كما فعلنا بابن عفان » فلم  
 يردّأ من الإذعان وقبول التحكيم . (الإمامة والبيعة ١ : ٨٩)

## التحكيم بين علي ومعاوية

٢٣٣ - كلام عبد الله بن عباس لابي موسى الاشعري

ولما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى الأشعري وأحضروه للتحكيم  
 على كُرّه من عليّ عليه السلام ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس  
 وأشرافهم ، فقال له :

« أبا موسى : إن الناس لم يرضوا بك ، ولم يجمعوا عليك ، لفضل لا تُشارك  
 فيه ، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار المتقدمين قبلك ، ولكن  
 أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحكمُ يَمَانِيّاً ، ورأوا أن معظم أهل الشام يمانٍ ،  
 وأيم الله إنى لأظن ذلك شرّاً لك ولنا ، فإنه قد ضُمّ إليك ذاهيةُ العرب ، وليس  
 في معاوية خَلَّةٌ <sup>(١)</sup> يستحق بها الخلافة ، فإن تَقَذَّفَ بحقك على باطله ، تُدرك  
 حاجتك منه ، وإن يطمعَ باطلُهُ في حقك ، يُدرك حاجته منك ، واعلم يا أبا موسى  
 أن معاوية طليقُ الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنه يدعى الخلافة  
 من غير مشورة ولا يَمَنَةٍ ، فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه ، فلقد

صدق ، استعمله عمر وهو الوالى عليه بمنزلة الطيب يَحْمِيهِ مَا يَشْتَهَى ، وَيُوجِرُهُ<sup>(١)</sup> ما يكره ، ثم استعمله عثمان برأى عمر ، وما أَكْثَرَ من استعمال ممن لم يَدْعُ الخِلافةَ ، واعلم أن لعمر ومع كل شئ - يَسْرُكُ خَبَأً<sup>(٢)</sup> يسوءك ، ومهما نُسِيت فلا تَنْسَ أن علياً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأنها بيعة هُدًى ، وأنه لم يقاتل إلا العاصين والناكثين .

فقاله أبو موسى : « رحمك الله والله مالى إمام غير على » ، وإنى لواقف عند ما رأى ، وإن حق الله أحبُّ إلى من رضا معاوية وأهل الشام ، وما أنت وأنا إلا بالله .  
( شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٠ )

### ٢٣٤ - وصية شرح بن هاني لابن موسى الأشعري

ولما أراد أبو موسى المسير ، قام إليه شُرَيْح بن هاني الحارثي ، فأخذ يده وقال :

« يا أبا موسى : إنك قد نُصِبْتَ لأمر عظيم لا يُخْبِرُ صَدْعُهُ ، ولا تُسْقَلُ فلتته ، ومهما تَقُلْ من شئ لك أو عليك ، يَثْبُتَ حَقُّهُ ، وَيُرَى حُجَّتُهُ ، وإن كَانَ باطلا ، وإنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم على » ، وقد كَانَتْ مِنْكَ تَنْبِيْطَةٌ<sup>(٣)</sup> أيام الكوفة والجل ، فَإِنْ تَشَفَّعُوا بِثَلْهَا يَكُنِ الظَّنُّ بِكَ يَقِيْنًا ، والرجاء منك يَأْسًا ، ثم قال :

أبا موسى : رُمِيتَ بِشَرِّ خَصَمٍ فلا تُضِعِ العراق (فَذَنْكَ نَفْسِي) وَأَعْطِ الْحَقَّ شَامِئًا وَخَافِئًا فَإِنَّ الْيَوْمَ فِي مَهَلٍ كَأَمْسٍ

[١] وجره اللواء ( كوعده ) وأوجره إياه : جله في فيه ، وأوجره الرمح : طهه ، ووجره : اسمه ما يكره . [٢] الحب : ملغى . [٣] أى تمزيق .

وَإِنْ غَدَا يَحْيَى بِمَا عَلَيْهِ      كَذَاكَ الدَّهْرُ مِنْ سَعْدٍ وَنَحْسٍ  
وَلَا يَخْذَعُكَ عَمْرُو ، إِنْ عَمْرَأً      عَدُوُّ اللَّهِ مُطْلَعٌ كُلَّ شَمْسٍ  
لَهُ خُدْعٌ بِحَارِ الْمَقَلِّ مِنْهَا      مُمَوَّهَةٌ مَزْخُوفَةٌ بِلَبْسٍ  
فَلَا تَجْمَلُ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ      كَشِيخٍ فِي الْحَوَادِثِ غَيْرِ نَيْكَسٍ<sup>(١)</sup>  
هَذَا اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ قَرْدًا      سَوَى عَرَسٍ<sup>(٢)</sup> النَّبِيِّ ، وَأَيُّ عَرَسٍ ؟  
فَقَالَ أَبُو مُوسَى : « مَا يَنْبَغِي لِقَوْمِ اتَّهَمُونِي أَنْ يَرْسَلُونِي لِأَدْفَعُ عَنْهُمْ بِالْإِثْلَاقِ ،  
أَوْ أُجْزَأَ إِلَيْهِمْ حَقًّا » . ( شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٦٥ ، والامثلة واللباس ١ : ص ١٩١ )

### ٢٣٥ - وصية الأخنف بن قيس لأبي موسى الأشعري

وَلَمَّا خُتِمَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ أَنَّهُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ لَهُ :  
« يَا أَبَا مُوسَى ، إِنْ هَذَا مَسِيرُكَ مَا بَعْدَهُ ، مِنْ عِزِّ الدُّنْيَا أَوْ ذُلِّهَا آخِرَ الدَّهْرِ ،  
ادْعِ الْقَوْمَ إِلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ ، فَإِنْ أَبَوْا فَادْعُهُمْ أَنْ يَخْتَارَ أَهْلَ الشَّامِ مِنْ قُرَيْشِ الْعِرَاقِ  
مَنْ أَحَبُّوا ، وَيَخْتَارَ أَهْلَ الْعِرَاقِ مِنْ قُرَيْشِ الشَّامِ مَنْ أَحَبُّوا ، وَإِيَّاكَ إِذَا لَقِيتَ  
ابْنَ الْعَاصِ أَنْ تَصَافَحَهُ بَنِيَّةً ، وَأَنْ يَقْعُدَكَ عَلَى صَدْرِ الْمَجْلِسِ ، فَإِنَّهَا خَدِيعَةٌ ، وَأَنْ  
يَضْمُكَ وَإِيَّاهُ يَبِيتَ ، فَيُكِنُّ لَكَ فِيهِ الرِّجَالَ ، وَدَعُهُ فَلْيَتَكَلَّمْ ، لَتَكُونَ عَلَيْهِ بِالْخِيَارِ ،  
فَالْبَادِيُ مُسْتَقْلَقٌ<sup>(٣)</sup> ، وَالْجَيْبُ نَاطِقٌ » .

فَمَا عَمِلَ أَبُو مُوسَى إِلَّا بِخِلَافِ مَا قَالَ الْأَخْنَفُ ، وَأَشَارَ بِهِ ، فَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ

[١] كَشِيخٍ : يَرِيدُ بِهِ الْإِلَهَامَ عَلِيًّا ، وَالْكَسْ : الضَّعِيفُ وَالْمُنْصَرِّعُ عَنْ غَايَةِ الْكِرَامِ .

[٢] أَيُّ زَوْجَةٍ ، يَرِيدُ السَّيِّدَةَ خَدِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَأَيُّ عَرَسٍ : أَيُّ وَأَيُّ عَرَسٍ هِيَ . اسْتَغْنَاهُمْ

الْمُرَادُ بِهِ الْعَظِيمُ .

[٣] أَمَلَهُ مِنْ تَوَلَّاهُ : اسْتَقْلَقْنِي فِي يَمِينِهِ لَمْ يَجْعَلْ لِي خِيَارًا قِيَامًا أَوْ رَوَاهُ أَيُّ أَنَّ الْبَادِيُ لَيْسَ لَهُ الْخِيَارُ فِي رَدِّهَا قَالُوا .

ما كان ، فلقية الأحنف بعد ذلك ، فقال له : « أدخل وألق قدميك في خُفّ واحدة » .

( نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، الإلمة والسياسة ١ : ٩٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٦ )

### ٢٣٦ — وصية معاوية لعمر بن العاص

وقال معاوية لعمر :

« إن أهل العراق أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون عنك ، وأرجو في دفع هذه الحرب قوة لأهل الشام ، وفرقة لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضُمَّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأي ، وله على ذلك دين وفضل ، فدعه يقول ، فإذا هو قال فاصمت ، واعلم أن حسن الرأي زيادة في العقل ، إن خوفك العراق نخوفه بالشام ، وإن خوفك مصر نخوفه باليمن ، وإن خوفك علياً ، نخوفه بمعاوية ، وإن أذاك بالجليل فأنت بالجليل » .

### ٢٣٧ — رد عمرو بن العاص عليه

فقال عمرو :

« يا أمير المؤمنين . أقلل الاهتمام بما قبلي ، وأرج الله تعالى فيما وجهتني له ، إنك من أملك على مثل حدّ السيف ، لم تنل في حربك ما رجوت ، ولم تأمن ما خفت ، ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرت لأبي موسى ديناً ، وإن الدين منصور ، أرايت إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والمهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول ؟ »

فقال معاوية : « قل ما تريد وترى » . ( الإلمة والسياسة ١ : ٩٩ )

## ٢٣٨ - مقال شرحيل بن السمط لعمر

ولما ودَّعه شَرَحِيلُ بنُ السَّمْطِ قَالَ لَهُ :

« يا عمرو إنك رجل قريش ، وإن معاوية لم يمشك إلا لعله أنك لا تؤثقي من عجز ولا مكيدة ، وقد علمت أن وطأة هذا الأمر لك ولصاحبك ، فكن عند ظننا بك » (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٦ ، والإملاء والياسة ١ : ١٠٠)

## ٢٣٩ - خطبة أبي موسى الأشعري

ولما التقى الحُكَّانُ أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص بدومة الجندل ، ودار بينهما من الحوار ما دار ، أقبل إلى الناس وهم مجتمعون ، فتقدم أبو موسى ، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نَرِ أصلحَ لأمرها ، ولا أَلْمَ لِسَمْعِهَا ، من أمرٍ قد أجمع رأي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية ، ونستقبل هذه الأمة هذا الأمر ، فَيَوَّلُوا مِنْهُمْ مَنْ أَحَبُّوا عَلَيْهِمْ ، وإني قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، ووَلُّوا عَلَيْكُمْ مَنْ رَأَيْتُمُوهُ لِهَذَا الْأَمْرِ أَهْلًا (١) » .  
ثم تنحى .

## ٢٤٠ - خطبة عمرو بن العاص

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

[١] وفي رواية ابن قتيبة في الإمامة والياسة : « وإني رأيت رجلاً أن نخلع علياً ومعاوية ونجعلها لبيد الله بن عمر فإنه لم يسطر هذه الحرب يدأ ولا لئاماً » وفي رواية السعدي في مروج الذهب : « وقد خلعت علياً كما خلعت مملكتي هذه ( وأمرني إلى محامته غلامها ) واستعلمنا رجلاً قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أئمة النبي صلى الله عليه وسلم ، فبرز في سابقه ، وهو عبد الله بن عمر ، وأطراه وورع الناس فيه » .

« إن هذا قد قال ما ممتنم ، وخلق صاحبه ، وأنا أخلق صاحبه كما خلقه ، واثبت صاحبي معلوية ، فإنه وليّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه . »

فقال أبو موسى : « مالك - لا وفقك الله - غدرت وجرّث ! إِنَّمَا مَثَلُكَ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ <sup>(١)</sup> » قال عمرو : « إِنَّمَا هَئُلُكَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَشْفَارًا . »

( تاريخ الطبري ٦ : ٤٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ١٩٨ ،  
والامامة والولاية ١ : ١٠١ وروج القصب ٢ : ٢٧ )

## ٢٤١ - خطبة الامام على بعد التحكيم

وخطب الامام على كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم فقال :  
« الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، <sup>(٢)</sup> والحدّث <sup>(٣)</sup> الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله ، أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب ، ثورث الحسرة ، وثقّب الندامة ، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأيى ، لو كان يطاع لقصير <sup>(٤)</sup> أمرى ، فأيتهم على إباء المخالفين الجفأة ، والمتابذين العصاة ، حتى ارتاب الناصح بتقصه ، وضنّ الزند بقدره ، فكنت وإياكم كما قال أخوهوازن <sup>(٥)</sup> :

أمرتكم أمرى بمنعرج الأولى فلم تستبينوا النصيح إلا ضحى الغد

[١] لك الكلب كقطع : أخرج لسانه من العطر أو التّب ، وكذا الرجل إذا أُميا .

[٢] من نفسه الدين أى أمته . [٣] الحادث . [٤] قصير : هو مول جذية الأبرش ، وكان قد أشار على سيده أن لا يأمن الزبائى ملكة الجزيرة ، وقد دعه إليها ليتزوجها ، فخاله وقصد إليها ، فقال قصير « لا يطاع قصير أمر » فذهب مثلاً . [٥] هو دويد بن الصمة .

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترعوهما حَكَمَيْنِ قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحيا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه ، بنير هدى من الله ، فحكا بغير حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ ، ولا سُنَّةٍ ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشده ، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين . استمِدُّوا وتأهبوا للسير إلى الشام .  
( نهج البلاغة ١ : ٤٤ ، وتلويح الطبري ٦ : ٤٣ ، والإمامة والبيعة ١ : ١٠٠ )

### ٢٤٢ - خطبة الحسن بن علي

وقال الإمام علي : قم يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين أبي موسى وعمر ، فقام الحسن فتكلم فقال :

« أيها الناس ، قد أكثرتم في أمر أبي موسى وعمر ، وإنما بُعثا ليحكما بالقرآن دون الهوى ، فحكما بالهوى دون القرآن ، فمن كان هكذا لم يكن حكما ، ولكنه محكوم عليه ، وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبد الله ابن عمر ، فأخطأ في ثلاث خصال : خالف ( يعني أبا موسى ) أباه عمر إذ لم يَرْضَهُ لها ، ولم يره أهلا لها ، وكان أبوه أعلم به من غيره ، ولا أدخله في الشورى إلا على أنه لا شيء له فيها ، شَرْطًا مشروطًا من عمر على أهل الشورى ، فهذه واحدة ، وثانية : لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار . الذين يَتَقَدُّونَ الإمامة ، ويحكمون على الناس ، وثالثة : لم يستأمر الرجل في نفسه ، ولا عَلِمَ ما عنده من رد أو قبول . ثم جلس . »

### ٢٤٣ - خطبة عبد الله بن عباس (توفي سنة ٦٨ هـ)

ثم قال علي لعبد الله بن عباس : قم فتكلم ، فقام عبد الله بن عباس وقال :  
« أيها الناس : إن للحق أناساً أصابوه بالتوفيق والرضا ، والناس بين راض

به ، وراغب عنه ، وإنا سار أبو موسى يهدي إلى ضلال ، وسار عمرو بضلال إلى هدى ، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه ، ومضى عمرو على ضلاله ، فوالله لو كنا حكاما عليه بالقرآن لقد حكا عليه ، ولئن كنا حكا بهواهما على القرآن ، ولئن مسكا بما سارا به ، لقد سار أبو موسى وعلى إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه « ثم جلس .

### ٢٤٤ - خطبة عبد الله بن جعفر

فقال على لعبد الله بن جعفر : قم فكلّم ، فقام وقال :  
« أيها الناس : هذا أمر كان النظر فيه لعل ، والرضا فيه إلى غيره ، جثم بأبي موسى ، فقلتم قد رضينا هذا فارض به ، وإيم الله ما أصلح بما فعلا الشأم ، ولا أفسدا العراق ، ولا أماتا حقّ على ، ولا أحيا باطل معاوية ، ولا يذهب الحقّ قلة رأي ، ولا فضحة شيطان ، وإنا لعلّ اليوم كما كنا أمس عليه « ثم جلس .  
(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٢)

## فتنة الخوارج

### ٢٤٥ - مناظرة عبد الله بن عباس لهم

لما رجع الإمام على كرم الله وجهه من صفين إلى الكوفة - بعد كتابة صحيفة التحكيم بينه وبين معاوية - اعتزله جماعة من أصحابه ممن رأوا التحكيم ضلالا ، ونزلوا حروراء<sup>(١)</sup> في اثني عشر ألفا ، وأمروا على القتال شبّث بن ربعي

[١] بظاهر الكوفة .

وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء ، فبعث إليهم على عبد الله بن عباس ، فقال لا تسجل إلى جوابهم وخصوصتهم حتى آتيك ، فخرج إليهم حتى أتاهم ، فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم فقال :

« مَا قَعِمْتُمْ مِنَ الْحَكِيمِينَ ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا » (١) ، فكيف بأمة محمد ﷺ ؟ فقالت الخوارج : قلنا أما ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له ، فهو إليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه ، فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حكم في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا ، قال ابن عباس : فإن الله عز وجل يقول : « يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ » (٢) ، فقالوا له : أو تجعل الحكم في الصيد ، وَالْحَدِيثِ يَكُونُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا . كَالْحُكْمِ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؟ وقالت الخوارج قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ، أعَدَلُ عِنْدَكَ ابْنُ الْمَاصِ وَهُوَ بِالْأَمْسِ يِقَاتِلُنَا ، وَيَسْفِكُ دِمَاءَنَا ؟ فَإِنْ كَانَ عَدْلًا فَلَسْنَا بِمَدُولٍ ، وَنَحْنُ أَهْلُ حَرَبٍ ، وَقَدْ حَكَمْتَ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرِّجَالِ ، وَقَدْ أَمْضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمَهُ فِي مَعَاوِيَةَ وَحِزْبِهِ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَرْجَمُوا (٣) ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

- 
- (١) الآية في الصلح بين الزوجين « وَلَئِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَجْنُوا حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحُكْمًا مِنْ أَهْلَيْهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا » .
- (٢) الآية في حكم قاتل الصيد وهو محرم « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّكًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ » .
- (٣) يشيرون إلى قوله تعالى : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْتَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي اللَّهِ نَبَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِلَّا الَّذِينَ نَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَحِيمٌ » .

فَأَبَوْهُ ، ثُمَّ كَتَبْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ كِتَابًا ، وَجَعَلْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ الْمَوَادِعَةَ وَالْإِسْتِغَاثَةَ<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْإِسْتِغَاثَةَ وَالْمَوَادِعَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْحَرْبِ مِنْذُ  
تُرِلَتْ بَرَاءَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَقْرَأَ بِالْجُزْئَةِ » (تاريخ الطبري ٦ : ٣٦ ، والكمال للبيري ٢ : ١٢٠)

## ٢٤٦ - مناظرة الامام علي لهم

ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَخَاصِمُونَ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ  
عَنْ كَلَامِهِمْ . أَلَمْ أَتُكِّمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؟

ثُمَّ تَكَلَّمَ فُحَمَّدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« اللَّهُمَّ إِنْ هَذَا مَقَامٌ مِنْ أَفْلَحٍ<sup>(٢)</sup> فِيهِ كَانَ أَوْلَى بِالْفُلْجِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ  
نَطَقَ فِيهِ وَأَوْعَتْ<sup>(٣)</sup> فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : مَنْ  
زَعَمَكُمْ ؟ قَالُوا : ابْنُ الْكُؤَاءِ ، قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا أَخْرَجَكُمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا حُكُومَتُكُمْ يَوْمَ  
صَفَيْنَ . قَالَ أَتَشُدُّكُمْ بِاللَّهِ أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ حَيْثُ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ ، قَتَلْتُمْ نَجِيهِمْ إِلَى  
كِتَابِ اللَّهِ ، قُلْتُ لَكُمْ إِنْي أَعْلَمُ بِالْقَوْمِ مِنْكُمْ ، إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَلَا قُرْآنَ ،  
إِنِّي صَحْبَتُهُمْ وَعَرَفْتُهُمْ أَطْفَالًا وَرِجَالًا ، فَكَانُوا شَرًّا أَطْفَالًا وَشَرًّا رِجَالًا ، امْضُوا عَلَى  
حَقِّكُمْ وَصَدَقْتُمْ ، فَإِنَّمَا رَفَعَ الْقَوْمُ هَذِهِ الْمَصَاحِفَ خُدَيْعَةً وَإِدْهَانًا<sup>(٤)</sup> وَمَكِيدَةً ،  
فَرَدَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي ، وَقُلْتُمْ لَا بَلْ تَقْبَلُ مِنْهُمْ ، قَتَلْتُ لَكُمْ إِذْ كَرُّوا قَوْلِي لَكُمْ  
وَمَعْصِيَتَكُمْ إِلَيَّ ، فَلَمَّا أُيْتِمَ إِلَّا الْكِتَابُ ، اشْتَرَطْتُ عَلَى الْحَكِيمِينَ أَنْ يُحْيِيَا  
مَا أَحْيَا الْقُرْآنَ ، وَأَنْ يُيَمِّتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنَ ، فَإِنْ حَكَا بِحُكْمِ الْقُرْآنَ ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ

[١] استغاض المكان استغاضة : اتج وهو هنا مرادفة للموادة .

[٢] الفلج والإصلاح : الظفر والتموز . [٣] أوعت : وقع في الوعث (الوعث بالكون المكان السهل

الدهس تتيب فيه الأقدام والطريق المر) . [٤] الإدهان : النش .

نخالف حكماً يُحكّم بما في القرآن ، وإن أياً فنحن من حكمهما بُرّاء . قالوا له :  
 نخبرنا أترأه عدلاً تحكيم الرجال في السماء ؟ فقال : إنما لستأ حكمتا الرجال ، إنما  
 حكمتا القرآن ، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق ، إنما  
 يتكلم به الرجال قالوا : نخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم  
 الجاهل ، ويتثبت العالم ، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ،  
 ادخلوا مصركم رحمكم الله ، فدخلوا من عند آخرهم .

( تلويح الطبري ٦ : ٢٧ ، الكحل للبرد ٢ : ١٧٨ )

## ٢٤٧ - صورة أخرى

وروى صاحب العقد المناظرة بين عليّ وبين الخوارج بصورة أخرى وها كها :  
 « قالوا إن علياً لما اختلف عليه أهل التَّهروان والقرى وأصحاب البرانس ،  
 ونزلوا قرية يقال لها حرّوراء - وذلك بعد وقعة الجمل - رجع إليهم عليّ بن أبي  
 طالب ، فقال لهم : يا هؤلاء من زعيمكم ! قالوا : ابن الكواء ، قال : فليُرز إلى ،  
 فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء ، ما أخرجكم علينا بعد رضاكم  
 بالحكمين ، ومقامكم بالكوفة ؟ قال : قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده ،  
 فرممت أن قتلانا في الجنة ، وقتلهم في النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقاً ،  
 وحكمت كافريناً ، وكان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم :  
 كتاب الله بيني وبينكم ، فإن قضى عليّ بآيتمكم ، وإن قضى عليكم بآيتموني ،  
 فلو لا شكك لم تفعل هذا ، والحق في يدك ، قال عليّ : يا ابن الكواء ، إنما  
 الجواب بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبك ؟ قال : نعم ، قال عليّ : أما قتالك معي  
 عدوا لا نشك في جهاده فصدقت ، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم ، وأما قتلانا

وقلام ، فقد قال الله في ذلك ما يُستغنى به عن قولي ، وأما إرسال المنافق وتحكيمي الكافر ، فانت أرسلت أبا موسى مبرّناً ، ومماوية حَكَمَ عمرًا ، أثبت بأبي موسى مبرّناً ، فقلت : لا ترضى إلا أبا موسى ، فها قام إلى رجل منكم فقال : يا علي لا تُعْطِ هذه الدّنية فإنها ضلالة ؟ وأما قولي لمماوية : إن جرّني إليك كتاب الله تبعك ، وإن جرّك إلى تبعني . زعمت أني لم أعط ذلك إلا من شك ، فقد علمت أن أوثق ما في يديك هذا الأمر ، فخذني ونحك عن اليهودي والنصراني ومشرّكي العرب ، أهدى أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام ؟ قال : بل معاوية وأهل الشام أقرب ، قال عليّ : أفرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا ؟ قال : بل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول : « قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ » . إن كنتم صادقين . أما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه لا يوثق بكتاب هو أهدى مما في يديه ؟ قال : بلى ، قال : فلم أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما أعطاهم ؟ قال : إنصافاً وحجة ، قال : فإني أعطيت القوم ما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن الكواء : فإني أخطأت هذه واحدة . زدني ، قال عليّ : فما أعظم ما تقسم عليّ ؟ قال : تحكيم الحكمين ، نظرنا في أمرنا ، فوجدنا تحكيمهما شكا وتبذيراً ، قال عليّ : فتى سمي أبو موسى حكماً ، حين أرسل ، أوجين حكّم ؟ قال : حين أرسل ، قال : أليس قد سار وهو مسلم ، وأنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله ؟ قال : نعم ، قال عليّ : فلا أرى الضلال في إرساله ، فقال ابن الكواء ، سمي حكماً حين حكّم ، قال : نعم إذن فإنرساله كان عدلاً ، أرايت يابن الكواء لو أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مؤمناً إلى قوم مشركين يدعوهم إلى كتاب الله ، فارتدت على عقبه كافرًا ، كان يضُرُّ نبيَّ الله شيئًا ؟ قال : لا ، قال علي : فما كان ذنبِي إنَّ كان أبو موسى ضلَّ بهل رَضِيتُ حكومته حينَ حَكَمَ ، أوقوله إذ قال ؟ قال ابن الكواء : لا ، ولكنك جعلت مسلماً وكافرًا يحكُمَان في كتاب الله ، قال عليّ : ويحك يا ابن الكواء ! هل بعث عمرًا غيرَ معاوية ؟ وكيف أُحْكِمُهُ وحكُمُهُ على ضرب عتقي ، إِنَّمَا رَضِيتُ به صاحِبُهُ ، كما رَضِيتُ أَنْت بصاحبك ، وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان في أمر الله ، أَرَأَيْت لو أنَّ رجلاً مؤمناً تزوج يهودية أو نصرانية ، فخافا شقاق بينهما ، فزَع الناس إلى كتاب الله ، وفي كتابه « فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا » فجاء رجل من اليهود ، أو رجل من النصارى ، ورجل من المسلمين ، اللذين يجوز لهما أن يحكما في كتاب الله فحكما . قال ابن الكواء : وهذه أيضاً ، أمهلنا حتى نَظُر ، فانصرف عنهم عليّ .

فقال له صعصعة بن صُوحان : يا أمير المؤمنين ، انذني في كلام القوم ، قال : نعم ما لم تَبْسُط يدًا ، فنأدى صعصعة ابن الكواء ، فخرج إليه فقال : أنشدكم الله يا معشر الخارجين أن لا تكونوا عاراً على من يفرزوا لغيره (١) ، وأن لا تخرجوا بأرض تسمون بها بعد اليوم ، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل ، فقال له ابن الكواء : إن صاحبك لَقِينَا بأمرٍ ، قولك فيه صغيرٌ فأَمْسِك .

قالوا إن علينا خرج بعد ذلك إليهم ، فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء ، إنه من أذنب في هذا الدين ذنباً يكون في الإسلام حَدَثًا ، استَبْتَنَاهُ من ذلك الذنب بعينه ، وإنَّ توْبَكَ أن تعرف هُدًى ما خرجت منه ، وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء : إنا لا ننكر أننا قد قُتْنَا ، فقال له

[١] أي لغير منفعته الشخصية بل لم شئت المسلمين وجميع كلمهم بين عليا وأصحابه .

عبد الله بن عمرو بن جرموز: أدرَكنا والله هذه الآية « أَلَمْ ، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » - وكان عبد الله من قراء أهل حروراء ، فرجعوا فَصَلَّوْا خلفَ عليّ الظهرَ ، وانصرفوا معه إلى الكوفة ، ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولام بعضهم بعضاً ، ثم خرجوا على عليّ ، فقتلهم بالنهر وان .  
( السعد الفريد ٢ : ٢٤٠ )

## ٢٢٨ - مناظرة ابن عباس لهم

فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم ، وتاب منه ، ورآه ضلّالاً ، فأتى الأشعث بن قيس علياً ، فقال يا أمير المؤمنين : إن الناس قد تحدّثوا أنك رأيت الحكومة ضلّالاً ، والإقامة عليها كفرًا وتبت ، فخطب عليّ الناس فقال :

« من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضلّالاً فهو أضلُّ منها ، فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت ، فقبل اهلُ إنيهم خارجون ، فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون ، فوجه إليهم عبد الله بن العباس .

فلما سار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباهاً قَرِحَتْ تطول السجود ، وأيديا كَثَفَتَا<sup>(١)</sup> الإبل ، وعليهم قُمُصٌ مُرَحَّصَةٌ<sup>(٢)</sup> وهم مشرُّون . قالوا : ما جاء بك يا ابن عباس ؟ قال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والأنصار . فقالوا : إنا أتينا عظيمًا حين حكمتنا الرجال في دين الله . فإن تاب كما تبنا ، ونهض للمجاهدة عدونا رجعتنا ، فقال ابن عباس : نَشَدْتُمْ اللهَ إِلَّا مَا صَدَقْتُمْ أَنْفُسَكُمْ . أما علمتم أن

[١] ثَمَّة البعير : ركبته . [٢] قم جمع قمير ، ووحش الثوب : غله .

الله أمر بتحكيم الرجال في أرب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق امرأة ورجلها ، فقالوا اللهم نعم ، قال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال ، للمدينة بينه وبين المدينة<sup>(١)</sup> ، قالوا: نعم ولكن علينا ما نفسه من خلافة المسلمين ، قال ابن عباس: أذلك يزيلها عنه ؟ وقد عا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة ، قال سهيل<sup>(٢)</sup> بن عمرو لو علمت أنك رسول الله ما سارتك ، فقال للكاتب<sup>(٣)</sup> اكتب محمد بن عبد الله وقد أخذ على الحكيم أن لا يحورا ، فليأولى من معاوية وغيره ، قالوا: إن معاوية يدعى مثل دعوى عليّ. قال: فأيهما رأيتموه أولى فقولوه قالوا: صدقت ، قال ابن عباس : ومتى جار الحكين فلا طاعة لهما ، ولا قبول لقولهما .

فاتبعة منهم ألفان وبقى أربعة آلاف ، فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي . (الفرد ١ : ٢١٢)

### ٢٤٩ - خطبة يزيد بن عاصم المحاربي

وخرج الإمام عليّ كرم الله وجهه ذات يوم يخطب ، فإنه في خطبته ، إذ حكمت<sup>(١)</sup> المحكمة في جوانب المسجد ، فقال عليّ : الله أكبر ، كلمة حق يراد بها باطل ، إن سكتوا عمننا ، وإن تكلموا حججنا ، وإن خرجوا علينا قاتلنا ، فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال :

« الحمد لله غير مؤدّع<sup>(٢)</sup> ربنا ولا مستغنى عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من

[١] أي وبين أهل المدينة ، والمدينة بئر قرب مكة ، وكانت غزوة المدينة سنة ست هجرية .

[٢] الكاتب عن قريش في عقد الصلح مع اللعين . [٣] وكان عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه .

[٤] أي قالوا لا حكم إلا لله ، ويسمى المواجه المحركة : أي الذين يمتنعون للتصميم .

[٥] أي غير مفروك ولا منقطع : أي جمعا دائما .

إعطاء الدِّينِ<sup>(١)</sup> في ديننا ، فإن إعطاء الدِّينِ في الدين إذهاب<sup>(٢)</sup> في أمر الله عز وجل ، وذلك راجع بأهله إلى مسخط الله ، يا عليُّ أبا القتل تُخَوِّفنا ؟ أما والله إني لأرجو أن تضربكم بها عما قليل غير مُصَفَّحات<sup>(٣)</sup> ، ثم لتعلمنَّ أيُّنا أولى بهاصِلًا<sup>(٤)</sup> ، ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالثَّخيلة . (تاريخ الطبري ٦ : ٤١)

## ٢٥٠ — خطبة عبد الله بن وهب الراسبي

ولما بعث الإمام عليّ أبا موسى الأشعري لإفخاذ الحكومة ، لقيت الخوارج بعضها بمضًا ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن ، ويُنبيون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا — التي الرضا بها والركون إليها ، والإيتار إياها عتاة وتَبَارُ<sup>(٥)</sup> — آثرٌ عندكم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، وإن من<sup>(٦)</sup> وُضِرَّ ، فإنه من يُمْنٌ وَيُضَرُّ في هذه الدنيا ، فإن ثوابه يوم القيامة رضوانُ الله عز وجل ، والخلود في جناته ، فأخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى بعض كُور<sup>(٧)</sup> الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكبرين لهذه البدع المضيئة »

[١] يريد بها قبول التحكيم . [٢] الإذهاب والعلامة : إظهار ما يخسر . [٣] أي تضربكم بعدما لا يبرئها ، ضربه بالسيف مصفحاً : أي يبرئها . [٤] على النار وبها صليا : فاسى حرّما . [٥] هلاك . [٦] أي قطع ومجر . [٧] جمع كورة بالقم ، وهي المدينة والمعجم .

## ٢٥١ - خطبة حرقوص بن زهير السعدي

فقام حُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرٍ السَّعْدِيُّ قَالَ :

« إِنَّ الْمَتَاعَ بِهَذِهِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ، وَإِنَّ الْفِرَاقَ لَهَا وَشَيْكَ<sup>(١)</sup> ، فَلَا تَدْعُونَكُمْ زِينَتَهَا وَبِهِجَّتْهَا إِلَى الْمَقَامِ بِهَا ، وَلَا تَلْفَتِكُمْ عَنْ طَلَبِ الْحَقِّ وَإِنْكَارِ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ »

## ٢٥٢ - خطبة حمزة بن سنان الأسدي

فقام حمزة بن سنان الأسدي فقال :

« يَا قَوْمِ إِنْ الرَّأْيَ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَالْحَقُّ مَا قَدْ ذَكَّرْتُمْ ، فَوَلُّوا أَرْكَمَ رِجَالِكُمْ فَإِنَّهُ لَا بَدَ لَكُمْ مِنْ عِمَادٍ وَسِنَادٍ ، وَرَايَةَ تَحْقُوقٍ بِهَا ، وَتَرْجُمُونَ إِلَيْهَا » .  
فمرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى ، وعلى حُرْقُوصِ بْنِ زُهَيْرٍ فَأَبَى ،  
وعلى حمزة بن سنان ، وشريح بن أوفى العبسي فأبى ، وعلى عبد الله بن وهب  
فقال : « هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا أدعها فرقا<sup>(٢)</sup> من  
الموت » فبأيسوه (لمشرخلون من شوال سنة ٢٧ هـ) .

## ٢٥٣ - خطبة شريح بن أوفى العبسي<sup>(٣)</sup>

ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، فقام شريح فقال :

إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ عَهْدَنَا وَمَوَاتِنَنَا عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ،  
وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ ، وَالْجِهَادِ فِي تَقْوِيمِ السَّبِيلِ ، وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

[١] شريح . [٢] جزعاً وخوفاً . [٣] قال ابن خزيمة في الإمامة والبيعة : « ثم اجتمعوا في منزل زفر بن حصين الطائي ، فقالوا : إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ عَهْدَنَا وَمَوَاتِنَنَا . . . إلى آخر الخطبة ، ولم يذكر قائمها ، وذكر الطبري في تاريخه : أنهم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، وذكر الفترات الأخيرة من هذه الخطبة وعزاها إلى شريح » .

والسلام : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » وقال : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » فاشهدوا على أهل دَعَوَتِنَا أَنَّ قَدِ اتَّبَعُوا الْهَوَىٰ ، وَبَدَّوْا حَكْمَ الْقُرْآنِ ، وَجَارَوْا فِي الْحُكْمِ وَالْعَمَلِ ، وَأَنْ جَاهَدُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَرَضَ ، وَأَقْسَمَ بِالَّذِي يَمْنُونَ<sup>(١)</sup> لَهُ الْوُجُوهَ ، وَتَحَشَّعَ دُونَهُ الْأَبْصَارَ ، لَوْلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ ، وَقِتَالِ الْقَاسِطِينَ<sup>(٢)</sup> مُسَاعِدًا ، لَقَاتَلْتَهُمْ وَحْدِي قَرَدًا حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ رَبِّي ، فَيَرَى أَنِّي قَدْ غَيَّرْتُ (إِرَادَةَ وَضَوَانَهُ) بِلِسَانِي ، يَا إِخْوَانَتَا ، اضْرِبُوا جِبَاهَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ بِالسِّيفِ ، حَتَّى يُطَاعَ الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّ يُطْعَمَ اللَّهُ كَمَا أَرَدْتُمْ أَنَا بِكُمْ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ لَهُ الْآمِرِينَ بِأَمْرِهِ ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمَ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ ؟ وَاعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ خَرَجُوا لِإِقْصَاءِ حُكْمِ الضَّلَالَةِ ، فَاخْرُجُوا بِنَا إِلَى بِلَدٍ تَتَّبَعُ فِيهِ الْجَمْعُ مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ الْخَلْقِ ، إِذْ قُتِلْتُمْ بِالْحَقِّ ، وَصَدَقْتُمْ لِقَوْلِ الصِّدْقِ ، فَاخْرُجُوا بِنَا إِلَى « الْمَدَائِنِ »<sup>(٣)</sup> نَسْكُنُهَا فَنَأْخُذُ بِأَبْوَابِهَا ، وَنُخْرِجُ مِنْهَا سَكَانَهَا ، وَنَبْنِثُ إِلَى إِخْوَانَتَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَيَقْدَمُونَ عَلَيْنَا .

### ٢٥٤ - مقال زيد بن حصين الطائي

فقال زيد بن حصين الطائي :  
« إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مَجْتَمِعِينَ أَتَيْتُمْ ، وَلَكِنْ اخْرُجُوا وَاحِدَانَا مُسْتَخْفِينَ ،

[١] نذل وتخضع . [٢] الجالزين . [٣] على نهر دجلة شرقاً .

فأما اللدائن ، فإن بها قوماً ينعونكم منها ، ويعنونها منكم ، ولكن اكتبوا إلى  
إخوانكم من أهل البصرة ، فأعلموهم بخروجكم ، وسيروا حتى تنزلوا جسر  
النهر<sup>(١)</sup> .

قالوا : هذا هو الرأي ، فاجتمعوا على ذلك ، وكتبوا به إليهم .

( تاريخ الطبري ٥ : ٤٢ ، والإملاء والبيعة ١ : ١٠٤ )

## ٢٥٥ - خطبة عليّ في تخويف أهل النهر و

فلما نزلوا بالنهر و ، وأتوا بها ما أتوا من الأحداث<sup>(٢)</sup> ، أتاها الإمام عليّ  
كرّم الله وجهه ، فوقف عليهم فقال :

« أيتها المصائبُ التي أخرجها عداؤُ المراء واللباجبةُ ، وصداها عن الحق  
المقوى ، وطمّح بها التزق<sup>(٣)</sup> وأصبحت في اللبس والمخطب العظيم ، إني نذير  
لكم أن تُصيحوُا تُلفيكم الأمة غداً صرعىً بأثناء<sup>(٤)</sup> هذا النهر ، وبأهضام<sup>(٥)</sup>  
هذا النائط<sup>(٦)</sup> ، على غير بينة من ربكم ، ولا سلطان ميين معكم ، وقد طوّحت  
بكم الدار ، واحتبلكم<sup>(٧)</sup> المقدار .

[١] النهر و : بليدة بالقرب من بغداد ، نحو أربعة فراسخ . [٢] من ذلك أنهم لقوا عبد الله  
ابن خبيب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه امرأته وهي حبلى منّ (أي ذناب ولدها)  
فقالوا : ما تقول في أبي بكر وهم ؟ فأثنى عليها خيراً ، قالوا : ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟  
قال : إنه كان عفاً في أولها وفي آخرها ، قالوا : فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله  
منكم وأشدّ توقياً على دينه وأحفد بصيرة ، فقالوا : إنك تنج الهوى ، وتوالي الرجال على أمانيها ، لا على  
أضلالها ، ثم قرأ به إلى شاطيء النهر فذبحوه ، وسال دمه في الماء ، وقرعوا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث  
نسوة من طيء ، وقتلوا أم ستال الصيمارية ، وأما برا مسلماً وضرباً ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني  
خيراً ، وقالوا : احتفظوا ذمة نبيكم ، وأرسل إليهم على رسولاً ينظر فيما بينه وبينهم فقتلوه ، فبث إليهم أن  
ادفوا إلينا قتلة إخواننا منكم فقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكافّ عنكم حتى ألقى أهل الشام ، ظلّ الله  
يقب ظروبيكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم ، فبشوا إليه ، فقتلوا كلنا فقتلهم ، وكلنا نستحلّ  
دماءهم ودماءكم . [٣] الطيش . [٤] جمع نبي بالكسر أي منطفاته . [٥] جمع ضم  
بالفتح وكسر ) وهو للطن من الأرض . [٦] النائط الطيش الواسع من الأرض .  
[٧] أوتقكم في المجازة .

ألم تعلموا أنى نهيكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن<sup>(١)</sup> ومكيدة لكم ؟ ونبأكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأننى أعرف بهم منكم ؟ ( عرفهم أطفالا ورجالا ، فهم أهل المكر والغدر ) وأنكم إن فارقتهم رأيتهم بجانب الخزم ؟ فصصيتمونى وأكرهتمونى حتى حكمت ، فلما أن فعلت شروطى واستوثقت ، فأخذت على الحكيم أن يُحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميننا ، ما أمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة ، وعملا بالهوى ، فنبتنا أمرها ، ونحن على أمرنا الأول ، فما الذى بكم ، ومن أين أتيتُمْ ؟ .

قالوا : « إنا حكمنا ، فلما حكمنا أثمنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا : فإن ثبت كما تبنا ، فنحن منك ومعك ، وإن أبيت فاعتزلنا ، فإننا منابذك على سواه<sup>(٢)</sup> » إن الله لا يحب الخائنين .

فقال على : « أصابكم حاصب<sup>(٣)</sup> ، ولا بقى منكم وارى<sup>(٤)</sup> » ، أبعد إيمانى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجرته معي ، وجهادى فى سبيل الله ، أشهد على نفسى بالكفر ؟ لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين ، فأوبوا شر ما ب<sup>(٥)</sup> ،

[١] دهن الرجل إذا ناق . [٢] هو من قوله تعالى « وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » ومنه إذا هانت قوما ضلت منهم النفس للهدهد ، فلا توقع بهم سائبا إلى النقص حتى تلهمهم ألمه تنصت الهدهد ، فتكونوا فى علم النقص مستبوين لتلايهموك بالنسدر ، ثم أوقع بهم . [٣] الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء ( الحصى ) ، و- صبه : رماه بالحصباء . [٤] أى أحد ويروى آبر ، وهو الذى يأبر النخل أى يسله ، ويروى آثر ، وهو الذى يأثر الحديث أى يرويه ويحكيه ، ويروى آبر ، وهو الوائب . [٥] أى ارجعوا شر مرجع .

وارجعوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْتَابِ<sup>(١)</sup> أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا، وَسَيَفَا قَاطِعًا،  
وَأَثَرَةً<sup>(٢)</sup> يَتَخَذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً .

## ٢٥٦ - صورة أخرى

وفي رواية أخرى أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لِأَهْلِ النَّهْرِ :

« يَا هَؤُلَاءِ : إِنْ أَنْفَسَكُمْ قَدْ سَوَّلَتْ لَكُمْ فِرَاقَ هَذِهِ الْحُكُومَةِ ، الَّتِي أَنْتُمْ  
ابْتَدَأْتُمُوهَا وَسَاءْتُمُوهَا<sup>(٣)</sup> وَأَنَا لَهَا كَارِهٌ ، وَأُنَبِّئُكُمْ أَنَّ الْقَوْمَ سَأَلُوا كُفُوهَا مَكِيدَةً  
وَدَهْنًا ، فَأَيَّتِمَّ عَلَى إِيَاءِ الْمَخَالِفِينَ الْمُتَابِذِينَ ، وَعَدَلْتُمْ عَنِ عَدُولِ النُّكَدَاءِ<sup>(٤)</sup>  
الْعَاصِينَ ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى رَأْيِكُمْ ، وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مَعَاشِرُ أَخِفَاءِ الْهَامِ<sup>(٥)</sup> ،  
سُفَهَاءِ الْأَحْلَامِ ، فَلَمْ آتِ (لَا أَبَا لَكُمْ) يُجْزَأُ<sup>(٦)</sup> ، وَلَا أَرَدْتُ بِكُمْ ضَرًّا ، وَاللَّهِ  
مَا خَبَلْتُكُمْ<sup>(٧)</sup> عَنْ أُمُورِكُمْ ، وَلَا أَخْفَيْتُ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ عَنْكُمْ ، وَلَا أَوْطَأْتُكُمْ  
عُشُورَةً<sup>(٨)</sup> ، وَلَا دَنَيْتُ<sup>(٩)</sup> لَكُمْ الضَّرَاءَ ، وَإِنْ كَانَ أَمْرُنَا لِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ظَاهِرًا ،  
فَأَجْعَ رَأْيَ مِثْلِكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يَحْكُمَا فِي الْقُرْآنِ  
وَلَا يَتَعَدَّوَاهُ ، فَتَاهَا<sup>(١٠)</sup> وَتَرَكََا الْحَقَّ وَهَمَا يُنْصِرَانِهِ ، وَكَانَ الْجَوَزُ هَوَاهُمَا (وَقَدْ سَبَقَ  
اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ) وَالصِّدْقُ لِلْحَقِّ بِسُوءِ رَأْيِهِمَا وَجَوْرِ حُكْمِهِمَا ،

[١] الْأَعْتَابُ جَمْعُ عَقَبَ (بَكَرُ الْغَافِ) : وَهُوَ مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ ، وَهُوَ مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :  
« وَتُرْذُّ عَلَى أَعْتَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ » يَدْعُو عَلَيْهِمُ بِالْمَكْأَسِ حُلُمٍ وَارْتِمَادٍ وَعَوْدٍ مِنَ الزَّيْلِ  
إِلَى الْقَلْبِ . [٢] أَى اسْتِدَادًا عَلَيْكُمْ بِالْيَقِينِ وَالنَّتَاقِ .  
[٣] لِلرَّادِ : سَأَلْتُمُونِي أَنْ أُجِيبَ إِلَيْهَا . [٤] وَجِلْ تَكْدَ (بَكَرُ الْكَافِ وَفَتْحُهَا وَسُكُونُهَا) وَأَنْتَكْ  
أَى عَسَرٌ ، وَقَوْمٌ أَنْكَدَ وَمُنَاكِدٌ ، وَلَمْ أَرِ فِي كُتُبِ الْفَنِّ جَمْعَهُ عَلَى تَكْدَاءَ . [٥] أَخَفَاءُ : جَمْعُ خَفِيفٍ  
وَالْهَامِ : الرَّهْوَسُ ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ ثِقَةِ الْمَقْلِ . [٦] الْبِجْرُ ، بِالْفَتْحِ وَالضَّرُّ وَالْفَتْحُ : الشَّرُّ وَالْأَمْرُ الْعَظِيمُ ،  
وَيُرْوَى حَرَامًا . [٧] مَنَعْتَكُمْ وَحَبَيْتَكُمْ . [٨] الْعُشُورَةُ مُثَلَّثَةٌ : رُكُوبُ الْأَمْرِ عَلَى غَيْرِ يَدَانِ ،  
وَالْفَتْحُ الثَّلَاثَةُ ، وَيُقَالُ : أَوْطَأَهُ عُشُورَةً ، أَى غَرَبَتْ وَحَلَّتْ عَلَى أَنْ يَرْكَبَ أَمْرًا غَيْرَ مَسْتَيِّنٍ لِلرَّشْدِ ، فَرِمَا  
كَانَ فِيهِ عَطِيَّةٌ . [٩] دَنَاهُ وَأَدْنَاهُ : قَرَّبَهُ . [١٠] مَثَلًا .

والتقّة في أيدينا لأتقنا حين خالفنا سبيل الحق ، وأتينا بما لا يُعزف ، فيدّونا لنا بماذا نستحلون قتالنا ، والخروج من جماعتنا ؟ أن اختار الناس رجلين <sup>(١)</sup> أحلّ لكم أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ، ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم ، وتسفكون دماءهم ؟ إن هذا هو الخسران المبين ، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام ؟ »

فتنادوا لا تخاطبوا ولا تكلموا ، وتهيّئوا للقاء الرب ، الرّواح الرّواح إلى الجنة ، فزحف عليهم على فأفانهم ، وقتل ابن وهب في المعركة ، ولم يُقلّت منهم إلا عشرة (وكان ذلك سنة ٢٧ ، وقيل سنة ٣٨ هـ) .

( تلويح الطبري ٦ : ٤٧ ، والامامة والبيعة ١ : ١٠٩ ونهج البلاغة ١ : ٤٤ - ٥٤ )

## ٢٥٧ — خطبة المستورد بن علفّة

واجتمع بعد وقعة النهروان بالثخيلة جماعة من الخوارج ، ممن فارق عبد الله ابن وهب ، وعمن لجأ إلى راية أبي أيوب <sup>(٢)</sup> ، ومن كان أقام بالكوفة فقال : لا أقاتل عليّاً ولا أقاتل معه ، فواصوا فيما بينهم وتماضوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم ، فقام منهم قائم يقال له المستورد بن علفّة من بني سعد بن زيد مناة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالمدل تحقّق راياته ، مُعلّناً مقاتلته ، مُبلغاً عن ربه ، ناصحاً لأمره ،

[١] همزة الاستفهام ، مقبرة قبل أن ، أي حل اختيار الناس رجلين أحل لكم ذلك .

[٢] وذلك أن الإمام قبل أن يزحف عليهم في وقعة النهروان نصب لهم راية أمان مع أبي أيوب الأصم ، فتنادى أبو أيوب : « من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى للدائن ، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سبك دمايتكم » .

حتى قبضه الله مُخَيَّرًا مُخْتَارًا ، ثم قام الصديق فَصَدَّقَ عن نبیه ، وقَاتَلَ من ارتدَّ عن دين ربه ، وذَكَرَ أن الله عز وجل قَرَنَ الصلاة بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداهما طَعْنٌ على الأخرى ، لابل على جميع منازل الدين ، ثم قبضه الله إليه موفوراً ، ثم قام الفاروق فَفَرَّقَ بين الحق والباطل ، مُسَوِّيًا بين الناس في إعطائه ، لا مُؤَيَّرًا لِأَقَارِبِهِ ، ولا مُحْكَمًا في دين ربه ، وهاتَمَ تعلمون ما حدث ، والله يقول : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » فكلُّ أَجَابٍ وِابِعٌ <sup>(١)</sup> .  
(الكامل للبريد ٢ : ١٥٤)

## خور أصحاب الامام وتقاعسهم عن نصرته

٢٥٨ — خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة

ورأى الإمام على كَرَمَ الله وجهه بمد فثل التحكيم أن يعضى لمناجزة معاوية وأهل الشام ، فكتب إلى عبد الله بن عباس - وكان على البصرة - أن يُشَخِّصَ <sup>(٢)</sup> إليه مَنْ قَبْلَهُ من الناس ، فأمرم ابن عباس بالشخص مع الأحنف ابن قيس ، فَشَخَّصَ معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلهم ابن عباس ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يَا أَهْلَ البصرة : قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم بالمسير إليه مع الأحنف بن قيس ، فلم يُشَخِّصْ إليهم منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم

[١] وقد وجه إليهم الإمام على ، عبد الله بن عباس داعياً فأبوا ، فسار إليهم فطعنهم طعناً لم يفلت منهم إلا خمسة منهم للشورى . [٢] شخص كنته شخصاً : خرج من موضع إلى غيره ، وأشخصته أنا .

في الديوان<sup>(١)</sup> مستون ألفاء سوى أبنائكم وعبيدائكم<sup>(٢)</sup> ومواليكم ، ألا فاقشروا<sup>(٣)</sup> ، ولا يَحْمَلِ امرؤ على نفسه سبيلا ، فإن مؤقَّع<sup>(٤)</sup> يَكُلُّ من وجدته تحلف عن دعوته ، عاصيا لإمامه ، حَزْنا يُقْبِ ندمًا ، وقد أمرت أبا الأسود بحشدكم ، فلا يَلْمُ امرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه .

(الإملاء والبيعة ١ : ١٠٦ ، تاريخ الطبري ٦ : ٤٤)

٢٥٩ — خطبة الامام وقد أراد الانصراف من النهران  
ولما أراد الامام الانصراف من النهران ، قام خطيباً حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد ، فإن الله قد أحسن بلاءكم ، وأعزَّ نصركم ، فتوجهوا من قوزكم هذا إلى معاوية وأشياعه القاسطين ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما شَرُّوا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

٢٦٠ — مقال الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :  
« يا أمير المؤمنين : قَدِمْتُ نبالنا ، وكَلَّتْ سيوفنا ، ونَصَلَتْ<sup>(١)</sup> أسِنَّةُ رماحنا

[١] الديوان : الكتاب الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل المطاء ، وهو فارسي مرعب . قال الفارسي في صبح الأعشى ١ : ٩٠ « وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين : أحدهما أن كسرى ذات يوم أطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم ، وم يحسبون مع أعظم قتال « ديوانه » أي يجانين فسعى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حيث ذلك ، ثم حذف الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقل ديوان ، والثاني : أن الديوان بالفارسية اسم للثيابين ، وصلى الكتاب بذلك لفهم بالأمور ، ووقعهم على الجلي منها والحقى « اه » ومنه ترى أن الديوان كان يطلق في الفارسية على موضع الكتاب المسجلين وعلى جماعة الكتاب ، وقد أطلق في العربية على جريدة الحساب ، ثم أطلق على الحساب ، ثم على موضع الحساب ، ثم على طائفة الكتاب ، وكان ذلك عهد في عصر الدولة العباسية ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أوله من دون الديوانين في الرب سنة ٢٣ أي رب الجرائد لعمال ورجال الجيش فيها أسماء ومرتباتهم في القس وأرزائهم (انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٣) . [٢] جمع عبد . [٣] عثر إلى الشيء : أسرع إليه . [٤] سقطت .

وطأ أكثرها قصداً<sup>(١)</sup> فارجع بنا إلى مصرنا ، فَلَنَسْتَمِدَّ بِأَحْسَنِ عُذَّتِنَا ، وَلِمَلِّ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ فِي عَدَدِنَا مِثْلَ مَنْ هَلَكَ مِنَّا ، فَإِنَّهُ أَقْوَى لَنَا عَلَى عَدُونَا .  
فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِالنُّجْلَةِ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ دَخَلَ الْكَوْفَةَ .

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتلويح الطبري ٦ : ٥١ ، وروج القصب ٢ : ٢٨ ،

وشرح ابن أبي الحديد ١ : ١٧٩ )

## ٢٦١ — خطبة الإمام بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج

يستغفر الناس لقتال معاوية

وخطب الناس بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِقَاتِلَ عَدُوِّ ، فِي جِهَادِ الْقُرْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ،  
وَذَرُوكَ الْوَسِيلَةَ عِنْدَهُ ، قَوْمَ حَبَارَى عَنْ الْحَقِّ لَا يُنْصِرُونَهُ ، مُوزَعِينَ<sup>(٣)</sup> بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ  
لَا يَعْدِلُونَ بِهِ ، جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ ، نُسُكُ<sup>(٤)</sup> عَنِ الدِّينِ ، يَنْهَوْنَ<sup>(٥)</sup> فِي الطُّغْيَانِ  
وَيَنْسَكُمُونَ<sup>(٦)</sup> فِي عَمْرَةِ الضَّلَالِ ، فَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ  
رِبَاطٍ<sup>(٧)</sup> الْخَيْلِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا »

فَاتَّقَرُّوا وَلَا تَبَسَّرُوا ، فَتَرَكَهُمْ أَيْلَمَا حَتَّى إِذَا أَيْسَ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا دَعَا  
رُؤَسَاءَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ رَأْيِهِمْ ، وَمَا الَّذِي يُنْظِرُهُمْ<sup>(٨)</sup> ، فَفَهِمَ الْمُعْتَلِّ ،  
وَمِنْهُمْ الْمُتَكَبِّرُ ، وَأَقْلَهُمْ مَنْ نَشِطَ ، فَقَامَ فِيهِمْ خُطيباً فَقَالَ :

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٧٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتلويح الطبري ٦ : ٥١ )

[١] رمح : قصد ، وقصيد ، وأضداد أي متكرر . [٢] وعسكرها حين تزلها ، وأمر الناس أن  
يتركوا معه مسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يتلوا من زبارة آياتهم ولسانهم حتى يسيروا إلى  
عدوم من أهل الشام . فجاءوا يفتنون ويدخلون الكوفة ، حتى تركوها وما سه إلا غر من وجوه الناس  
يسير ، وفي المسكر خالياً فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أطمع منه سير ، فلما رأى ذلك دخل  
الكوفة . [٣] أوزعه بالقيء : أغراء فأوزع به بالقيء . [٤] من نكس عن الطريق : أي  
عدل ومال . [٥] من اللمه ( عمرك ) : وهو التحير والتردد في الضلال . [٦] فسك : مشى  
مشياً متسكفاً ، وتغير . [٧] اسم الخيل التي تربط في سبيل الله ، فقال بمعنى مقول أو مصدر سمى به  
كالمربطة أو جمع رباط قيل بمعنى مقول . [٨] يؤخرهم .

## ٢٦٢ - خطبة له أيضا في استغفارهم لقتال معاوية

« عباد الله : ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله أنما قلتم <sup>(١)</sup> إلى الأرض ! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ، وبالنيل والهوان من العز خلفا ؟ أو كلما نذبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم ، كأنكم من الموت في سكرة ، وكأن قلوبكم مألوسة <sup>(٢)</sup> فأنتم لا تعقلون ، وكأن أبصاركم كمته <sup>(٣)</sup> فأنتم لا تبصرون ، لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الثرى <sup>(٤)</sup> في الدعة <sup>(٥)</sup> ، ومعالب رواغة حين تدعون إلى البأس ! ما أنتم لي بثقة سجين الليل <sup>(٦)</sup> ، ما أنتم بركب يصال بكم ، ولا ذى عز يمتصم إليه ، لعمري الله لبئس حشاش <sup>(٧)</sup> الحرب أنتم ، إنكم تُكادون ولا تكيدون ، وتنتقص أطرافكم ولا تتحاشون <sup>(٨)</sup> ، ولا ينأى عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، إن أبا الحرب اليقظان ذو العقل ، وبات لئلا من وادع ، وغلب المتخاذلون ، والمغالوب مقهور ومسلوب ، ثم قال :

« أما بعد : فإن لي عليكم حقاً ، وإن لكم علي حقاً ، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صحتكم ، وتوفير فيكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقى عليكم ، فالوفاء بالبيعة والنصح فى الغيب والمشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم ، فإن يرد الله بكم خيراً تترغوا عما أكره ، وترجعوا إلى ما أحب ، تنالوا ما تطلبون وتدركون ما تأملون . »

( تلويح الطبرى ٦ : ٥١ ، الإمالة والبيعة ١ : ١١٠ )

[١] قتلتهم . [٢] من الأس : كفسس ، وهو الجنون واختلاط العقل ، ألس ( كنى ) فهو مألوس . [٣] كته : جمع أكة من كه بصره ( كفرح ) اعترته ظلمة تطمس عليه . [٤] الثرى : موضع تنسب إليه الأسود ، قيل هو ثرى القرات وناحيته وه غياض وآجام ومأسدة . [٥] أى فى وقت الدعة والخفض . [٦] يقال : لا أتلك سجين الليل : أى أبداً . [٧] جمع حشاش اسم فاعل من حش التار : أى أوقدها [٨] أى ولا تتبدون عن ذلك وتلافتونه بالذاع عنها من حاشية الغيب وه ناحيته كما تحول تعي منه : أى تباعد عنه من الناحية .

وروى الشريف الرضى هذه الخطبة في نهج البلاغة بصورة أخرى وهي :

### ٢٦٣ - صورة أخرى

«أَفْ لَكُمْ ، لَقَدْ سَمِعْتُ عَنَّا بَكُمْ ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْنًا ،  
وَبِالنَّدْلِ مِنَ الْمَرْخَلَفَا ؟ إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ، كَأَنَّهُمْ مِنَ الْمَوْتِ  
فِي غَمْرَةٍ <sup>(١)</sup> ، وَمَنِ النَّهْوُلُ فِي سَكْرَةٍ ، يُزَيِّجُ <sup>(٢)</sup> عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَسْتَهْوُونَ أَفْكَانَ  
قُلُوبِكُمْ مَأْلُوسَةً فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ ! مَا أَنْتُمْ لِي بِتَقَةٍ سَجِسَ اللَّيَالَى ، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنِ  
يُمَالٍ بِكُمْ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا زَوَافِرٍ <sup>(٤)</sup> عَزِيٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَالْبِلِّ نَضْلَ رُعَاتِهَا ،  
فَكُلَّمَا هَجَمَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ ، لَبَسَ لِعَمْرٍاءِ سَعْرُ <sup>(٥)</sup> نَارِ الْحَرْبِ  
أَنْتُمْ ، تُكَادُونَ وَلَا تُكِيدُونَ ، وَتُنْقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَمِضُونَ <sup>(٦)</sup> ، لَا يُنَامُ  
عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، غَلِبَ وَاللَّهِ التَّخَاذُلُونَ ، وَائْتَمَّ اللَّهُ إِنِّي لِأُظَنُّ بِكُمْ أَنْ  
لَوْ هَمَسَ <sup>(٧)</sup> الْوَعْيَى ، وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ ، قَدْ انْفَرَجَتْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، اقْرَاجَ  
الرَّأْسِ <sup>(٨)</sup> ، وَاللَّهُ إِنْ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ <sup>(٩)</sup> لَحْمَهُ ، وَيَهْتِمُّ عَظْمَهُ ،  
وَيَقْرَى <sup>(١٠)</sup> جِلْدَهُ ، لِعَظِيمِ مُعْجَزَتِهِ ، ضَعِيفُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ، أَنْتَ  
فَكَنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ <sup>(١١)</sup> فَأَمَّا أَنَا : فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبُ الْمَشْرِفَةِ <sup>(١٢)</sup>  
تَطِيرُ مِنْهُ فَرَأَيْتُ <sup>(١٣)</sup> الْهَلَامَ ، وَتَطْيِيجُ السَّوَادُ وَالْأَقْدَامَ ، وَيُفْعَلُ اللَّهُ بِدَوْلِكَ مَا يَشَاءُ .

[١] النمرة : السدة . [٢] يزلق ، والمحوار : المطورة . [٣] أي يقتد إليكم ويعمل على  
العدو بفوتكم . [٤] جمع زافرة ، والزافرة من البناء دكته ، ومن الرجل مشيرة .  
[٥] من سر الثور والحرب : كنع أو قمعها مسدود يعني اسم الفاعل ، أو هو جمع ساعر ، كفولهم : قوم  
كظم فليظ جمع كظم . [٦] أي فلا تغمضون . [٧] اشتد ، وكنا استحر ، وأصل الوعى :  
الصوت والجلبة ، ثم سميت الحرب وسمى لما فيها من الأصوات والجلبة . [٨] أي اقراجا لا التام بهمه .  
[٩] مرق العظم مرقا : أكل ملطيه من اللحم ، كتمرقه . [١٠] يرق . [١١] الخطاب طم  
لكل من أمكن عدوه من نفسه . [١٢] السيوف ، نسبة إلى مشايف النمام ، وهي قرى من أرض  
الحرب تدنو من الريف . [١٣] عظمها الرقيقة .

أيها الناس : إن لي عليكم حقاً ، ولكم عليّ حقٌّ ، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفيرُ قِيَتِكُمْ عليكم ، وتعليمُكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحةُ في الشَّهَدِ والمَغِيبِ ، والإِجابةُ حينَ أدعوكم ، والطاعة حينَ آمرُكم . ( نهج البلاغة : ١ : ٤٧ )

وزاد ابن قتيبة في الإمامة والسياسة :

« والله يا أهل المراق ، ما أظن هؤلاء القومَ من أهل الشامِ إلا ظاهرين<sup>(١)</sup> عليكم ، فقالوا : « أَيْبَلُمُ تقول ذلك يا أمير المؤمنين ؟ » فقال :

« نعم والذي فلق الحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إني أرى أمورهم قد عُلَّتْ ، وأرى أموركم قد خَبَّتْ<sup>(٢)</sup> ، وأراهم جادِّينَ في باطلهم ، وأراكم وائين<sup>(٣)</sup> في حقكم ، وأراهم مجتمعين ، وأراكم متفرقين ، وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين ، وأراكم لي عاصين ، أما والله لئن ظَهَرُوا عليكم بمدى ، لنجدنَّهم أَرْبَابَ سَوءٍ ، كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم ، وحملوا إلى بلادهم منكم ، وكأني أنظر إليكم تَكْشُونَ<sup>(٤)</sup> كَشِيشِ الضُّبَابِ ، لا تأخذون لله حقاً ، ولا تمنعون له حرمةً ، وكأني أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم ، ويُخَيِّفون علماءكم ، وكأني أنظر إليكم يَحْرِمُونَكم ويحجُبُونَكم ، ويُذَنِّونَ الناسَ دونكم ، فلو قد رأيتم الحرمانَ ، واقْتِمَ الذِّلَّ والهوانَ ، ووقعَ السيفُ ، ونزلَ الخوفُ ، لنَدِمْتُمْ وتحسرتُمْ على قَرِيطِكُمْ في جهادِ عدوكم ، وتذَكَّرْتُمْ ما أنتم فيه من الخفضِ والمافية ، حين لا ينفعكم التذكارُ .

[١] متصرين . [٢] من خبت اللز ، أي سكت وانطفت .

[٣] من وقى إذا فر وضف . [٤] كثر الضب كثيئاً : صوت

## ٢٦٤ - خطبة أبي أيوب الأنصاري

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال :

« إن أمير المؤمنين - أكرمهم الله - قد أسمع من كانت له أذن واعية ، وقلب حفيظ ، إن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابنُ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده ، يُقَفِّهكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المُحِلِّين ، فوالله لكَأَنَّكُمْ صُمٌّ لَا تَسْمَعُونَ ، وَقُلُوبُكُمْ غُلْفٌ <sup>(١)</sup> مطبوعٌ عليها ، فلا تستجيبون ، عباد الله أليس إنعما عهدُكم بالجَوْر والمُدُون أَمْسٍ ، وقد شمل العباد وشاع في الإسلام ، فَنُوْحٌ حَقٌّ تَحْرُومٌ مَشْتَوٍ عَرِضُهُ ، ومضروب ظهرُهُ ، وملطوم وجهه ، وموطوء بطنه ، ومُلَقًى بِالْعَرَاءِ <sup>(٢)</sup> ، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدَّعَ بالحق ، ونَشَرَ العدل ، وعَمِلَ بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ، وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، اشحنوا السيوف ، وجددوا آلة الحرب ، واستعدوا للجهاد ، فإذا دُعِيتُمْ فَأَجِيبُوا ، وإذا أُمِرْتُمْ فَأَطِيعُوا ، تكونوا بذلك من الصادقين » .

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٢)

## ٢٦٥ - خطبة الامام وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر

وفي سنة ٣٩ هـ فرق مساوية جيوشه في أطراف على ، فبعث النعمان ابن بشير الأنصاري في ألفين ، فأَتُوا عَيْنَ التَّمْرِ <sup>(٣)</sup> فَأَغَارُوا عَلَيْهَا ، وبها عامل

[١] جمع أغلف ، وقلب أغلف كأنما غشى خلافاً فهو لا يبى . [٢] الرءاء : القضاء لا يستتر فيه يعنى . - [٣] بلدة على الفرات شمال الكوفة .

لعلّ في ثلثائة ، فكتب إلى عليّ يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتأقلا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« يا أهل الكوفة : كلما سمعتم يخبر<sup>(١)</sup> من مناصر أهل الشام أظلكم ، انجحر<sup>(٢)</sup> كل امرئ منكم في بيته ، وأغلق بابَه ، انجحر الضبّ في جحره ، والضبع في وجارها<sup>(٣)</sup> ، المفرو من غرّ رعوه ، ولأن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، لا أحرار عند الهداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاء<sup>(٤)</sup> ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا منيت به منكم ؟ فمئى لا تبصرون ، وبكمم لا تطلقون ، وصم لا تسمعون ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! » .

( تاريخ الطبري ٦ : ٧٧ )

وروى الشريف الرضى في نهج البلاغة هذه الخطبة بصورة أخرى وهى :

## ٢٦٦ - صورة أخرى

مُنيت<sup>(٥)</sup> بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يحجب إذا دعوت ! لا أبالكم ، ما تنتظرون نصركم ربكم ؟ أمّا دين يجمعكم ، ولا حمية تحبسكم<sup>(٦)</sup> ؟ أقوم فيكم مُستصرخاً ، وأناديكم متقوّناً<sup>(٧)</sup> ، فلا تسمعون لى قولا ، ولا تُطيعون لى أمراً ، حتى تَكشِفَ الأمور عن عواقب المساءة ؟ فإيذكُ بكم نأر ، ولا يُتْلغ بكم مَرَام ؟ دعوتكم إلى نصر إخوانكم ، فجزّ جرتم<sup>(٨)</sup> جَرَجَرَةَ الجمل الأسر<sup>(٩)</sup> وتناقلتم

[١] النسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير . [٢] من انجحر الغب : أى دخل جحره .  
[٣] الوبار بالكسر والفتح : جمر الضبع وغيرها . [٤] النجاء : السرعة فى السير ، نجوت نجاه أى أسرع وسهقت ، وقاتلوا : النجاء النجاء ، والنجا النجا فموا وقفروا . [٥] بليت .  
[٦] تضبكم . [٧] قاتلا واغوثاه . [٨] المجرعة : صوت يردده البعير فى خنجرته ، وأكثر ما يكون ذلك عند الاعياء والتمب . [٩] الصاب بقاء السرر ( بالتحريك ) ، وهو وجع فى الكركرة ( دوى ذور البحر ) .

تَمَاقُلُ النَّضْوِ<sup>(١)</sup> الْأَذْبَرُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ مَنكُم جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ<sup>(٢)</sup> ضَعِيفٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .  
(نوح البلاغة ١ : ١٦)

٣٦٧ - خطبة الامام وقد أغار الضحّاك بن قيس على الحيرة<sup>(٣)</sup>

ووجه معاوية الضحّاك بن قيس فأغار على الحيرة وغنم من أموال أهلها ، وبلغ ذلك عليّاً فاستصرخ الناس ، فقاعدوا عنه ، فقام فيهم خطيباً فقال :  
« أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُم ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ<sup>(٤)</sup> الصَّلَابَ ، وَفَعْلُكُمْ يُطِيعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءُ ، تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ<sup>(٥)</sup> ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قَلْتُمْ حَيْدِي حَيَادٍ<sup>(٦)</sup> ، مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا اسْتِرَاحَ قَلْبٍ مِنْ قَلَسَاكُمْ ، أَعَالِيلُ<sup>(٧)</sup> بِأَضَالِيلِ<sup>(٨)</sup> ، دَفَاعُ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ<sup>(٩)</sup> ، هِيَاهُ لَا يَمْنَعُ الضَّيْمُ الذَّلِيلُ ، وَلَا يَذْرُوكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ ، أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَتَمَنُّونَ ؟ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تَقَاتِلُونَ ؟ الْمُرُورُ وَاقِهِ مَنْ غَرَّرَعُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاقِهِ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ<sup>(١٠)</sup> ، أَصَبَحْتُ وَاقِهِ لِأَصْدَقِ قَوْلِكُمْ ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ، وَلَا أَوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ ، مَا بِالْأَكْمِ ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ ؟

[١] النضو : البعر المهيول ، والأذبر : للدبور أي المبروح . [٢] جنيّد : تصغير جند ، ومتفائب : أي مضطرب من قولهم : تهابت الريح ، أي اضطرب هبوبها ، ومنه سمى القرب ذئبا لاضطراب متيجته . [٣] شمال الكوفة . [٤] يوهي : يشق ويحرق ، والعم : جمع أهم ، وهو الحبر الصلب للصمت . [٥] يفتح آخرها ويكر : أي كذا وكذا . [٦] حيدى حياّد : كلمة يقولها المارّب القارّ ، من حد حيدانا بمعنى مال وانحرف ، أي ابعدي وتحنى عن أيّتها الحرب ، وهي نظيرة قولهم ( نبيى فياح ) أي ائسى . [٧] الأضاليل : جمع أضلولة بالضم ، وهي الضلال ، وفي كتب اللغة : الملافة ( بالضم ) والصفة ( كتمية ) ، والصفة ( بالفتح ) ما يميل به . ولم أجد فيها كلمة أعاليل ولا فردعا ، ولا بدّ أن تكون جمع أضلولة بالضم : كأضاليل وأحاييب والأعيب . الخ ، والمعنى إن أفعالكم هذه تملأ بأبطليل لا جدوى لها . [٨] مبالغة في ماطل . [٩] سهم أفوق مكسور التوق ( بضم الفاء ) وأفوق : مدخل الوتر من السهم ، والتاسيل : العارى من النمل .

ما طِبُّكُمْ؟ القومُ رجالٌ أمثالكم! أقولُ لا بُدَّ من علمٍ، وغفلةٌ من غيرِ ورعٍ، وطمعاٌ في غيرِ حقٍّ! »

وزاد ابنُ قُتَيْبَةَ في الإمامة والسياسة :

« فَرَّقَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأَعَقَبَنِي بِكُمْ مِنْ خَيْرِ لِي مِنْكُمْ ، وَأَعَقَبَكُمْ بِمَدَى مِنْ شَرِّ لَكُمْ مِنِّي ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بِمَدَى ذُلًّا شَامِلًا ، وَسِفَاً قَاتِلًا ، وَأُثْرَةً يَتَخَذُهَا الظَّالِمُونَ بِمَدَى فِيكُمْ سُنَّةً ، تَفَرِّقُ جَمَاعَتَكُمْ ، وَتُبْكِي عَيُونَكُمْ وَتُدْخِلُ الْفَقْرَ بُيُوتَكُمْ ، تَمْتَوْنَ وَاللَّهُ عِنْدَهَا أَنْ لَوْ رَأَيْتُمُونِي وَنَصَرْتُمُونِي ، وَسَتَعْرِفُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ .

استنفرتكم فلم تَنْفِرُوا ! ونصحتُ لكم فلم تقبلوا ! وأتممتكم فلم تَمُتُوا !  
فَأَتَمَّ شُهُودَ كَأَغْيَابٍ ، وَصُمُّ ذُؤُودَ أَسْمَاعٍ ، أَتَلَّوْا عَلَيْكُمْ الْحِكْمَةَ ، وَأَعْظَمَكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ النَّافِعَةِ ، وَأَحْكَمَكُمْ عَلَى جِهَادِ الْمُحِلِّينَ <sup>(١)</sup> ، الظُّلَمَةَ الْبَاغِينَ ، فَمَا آتَى عَلَى آخِرِ قَوْلِي ، حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ ، وَإِذَا تَرَكْتُمْ عَدْتُمْ إِلَى مَجَالِسِكُمْ حَلَقًا <sup>(٢)</sup> عَزِيزِينَ <sup>(٣)</sup> ، تَضْرِبُونَ الْأَمْثَالَ ، وَتَنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ ، تَرَبَّتْ <sup>(٤)</sup> أَيْدِيكُمْ ، وَقَدْ نَسِيتُمْ الْحَرْبَ وَاسْتِعْمَادَهَا ، وَأَصْبَحَتْ قُلُوبُكُمْ فَارِغَةً عَنْ ذِكْرِهَا ، وَشَفَلْتُمُوهَا بِالْأَبَاطِيلِ وَالْأَضَالِيلِ » .

(نهج البلاغة ١ : ٣٩ ، والاملة والسياسة ٢ : ١١١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٦)

### ٣٦٨ - خطبة الامام

وقد أظار سفيان بن عوف النامدنى على الأنبار

ووجه معاوية سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ النَّامِدْنِيُّ فِي جَيْشٍ ، فَأَغَارُوا عَلَى الْأَنْبَارِ <sup>(١)</sup>

[١] أَيْ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى إِمَامِهِمْ وَاسْتَعْلَوْا عَلَيْهِ . [٢] الْمَلَقُ : مُحَرَّكَةٌ جَمْعُ حَقَّةٍ (بِكَوْنِ اللَّامِ) وَحَقَّةُ الْقَوْمِ : الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ مُسْتَدِيرِينَ . [٣] جَمْعُ عِزَّةٍ (بِالْكَسْرِ) : وَهِيَ الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ . [٤] دَعَا عَلَيْهِمْ : أَيْ خَسَرْتُمْ وَلَا أَمْسَبْتُمْ خَيْرًا ، وَأَمْلَهُ مِنْ تَرَبُّبِ الرَّجُلِ : أَيْ انْقَضَرَ كَأَنَّهُ لَمْ يَلْقَ بِالْتَّرَبُّبِ . [٥] بَلَدٌ عَلَى الْفَرَاتِ .

وقتلوا عامل عليّ عليها وهو حَسَّان بن حسان البكرى ، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموال أهلها ، وانتهى الخبر إلى عليّ فخرج مُنْضِبًا ، حتى أتى النخيلة ، واتبعه الناس فرقي رَجَاوَةٌ <sup>(١)</sup> من الأرض ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصّة أوليائه ، وهو لباسُ التقوى ، ودِرْعُ الله الحصينة ، وَجُتَّةُ <sup>(٢)</sup> الوثيقة ، فمن تركه وغِبَةً عنه ، ألبسه الله ثوبَ الذل ، وشَمَلَهُ البلاء ، ودُبَّتْ <sup>(٣)</sup> بالصغار والقماء <sup>(٤)</sup> ، وَضُرِبَ على قلبه بالإسهاب <sup>(٥)</sup> ، وأُذِلَّ <sup>(٦)</sup> الحقُّ منه بتضييع الجهاد ، وسِمَ الحَسَفَ <sup>(٧)</sup> ، ومُنِعَ النِّصْفَ <sup>(٨)</sup> ، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم اغزوم من قبل أن يغزوك فوالله ما غزى قوم قطُّ في عُقْرِ <sup>(٩)</sup> دارهم إلا ذُلُّوا ، فتخاذلتم وتواكلتم وتَقَلَّ عليكم قولي ، واتخذتموه وراءكم ظهرياً ، حتى شُئْتُ <sup>(١٠)</sup> عليكم الفارات ، ومثلكت عليكم الأوطانُ ، هذا أخو غامد <sup>(١١)</sup> قد وردت خيلُهُ الأنبار ، وقتل حسان بن حسان البكرى ، ورجالاً منهم كثيراً ونساءً ، وأزال خيلكم عن مسالحهما <sup>(١٢)</sup> .

[١] الرِجَّة والرِجَّة مثنى : ما أودع من الأرض . [٢] وقائمه . [٣] ذل ، وأصله من ذات النوى من باب باع لأن وسيل ومنه الحديث ، وهو الرجل الذي لا غيرة له على أهله ، والصغار : القتل . [٤] قما : يجمع وكرم ، قماءة : قلاء وصمر . [٥] حكنا في رواية ابن أبي الحديد من أسبب بالنفس أي ذهب عقله ، وفي نهج البلاغة : ( طبع التام ) بالأسفاد . [٦] من أداه الله من عدوه ، أي ضره عليه ، والبلاء في قوله : بتضييع الجهاد « السبية » . [٧] أي أولى القتل والقيم ، وفي رواية البرد « وسبى الحنف » بالإضافة ، والسبى : العلامة قال للبرد : حكنا حدثونا وأظنه سيم الحنف من قول الله عز وجل « يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ » [٨] النصف بالكسر ويثنت ، والنصف والنصفه محرakin الإيصال . [٩] وسطها وأصلها . [١٠] شئ النار عليهم : صبرا من كل وجه ، من شئ الماء على رأسه إذا صبه . [١١] يريد سقيان بن عوف الغامدي قائد الحلة على الأنبار . [١٢] جمع مسلمة بالفتح : وهي التمر

والذى نفسى يده ، لقد بنى أنه كان يُدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى  
المُعامدة<sup>(١)</sup> ، فَيَتَزَعُ حَبْلَهَا<sup>(٢)</sup> وَقَلْبَهَا<sup>(٣)</sup> ، وَقَلَانُهَا وَرُغْمُهَا<sup>(٤)</sup> ، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا  
بِالِاسْتِرْجَاعِ<sup>(٥)</sup> وَالِاسْتِرْحَامِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرَيْنِ<sup>(٦)</sup> ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمَ<sup>(٧)</sup> ،  
وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمَ ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ دُونَ هَذَا أَسْفًا ، مَا كَانَ عِنْدِي فِيهِ  
مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا .

يَا عَجِبًا كُلَّ الْعَجَبِ ! عَجِبُ يُمِيتُ الْقَلْبَ ، وَيَسْفَلُ الْقَهْمَ ، وَيُكَثِّرُ الْأَحْزَانَ !  
مَنْ تَصَافَرِ<sup>(٨)</sup> هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَفَشَلِّكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، حَتَّى أَصْبَحْتُمْ<sup>(٩)</sup>  
غَرَضًا تَرْمُونَ وَلَا تَرْمُونَ ، وَيَنَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُنِيرُونَ ، وَيُعَصَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
فِيكُمْ وَتَرْضَوْنَ ، إِذَا قُلْتُ لَكُمْ اغْزُومَ فِي الشَّتَاءِ ، قُلْتُمْ هَذَا أَوَانُ قُرٍّ<sup>(١٠)</sup> وَصِرَ ،  
وَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ اغْزُومَ فِي الصَّيْفِ ، قُلْتُمْ هَذِهِ سَحَابَةٌ<sup>(١١)</sup> الْقَيْظِ ، أَنْظِرْنَا<sup>(١٢)</sup>  
يَنْصَرِمِ الْحَرَعْنَا ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ تَقْرُونَ ، فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ  
أَفْرَأُ ! يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالِ ! وَيَا طَفَافَ<sup>(١٣)</sup> الْأَحْلَامِ ! وَيَا عَقُولَ رَبَّاتِ

[١] للمأهدة : ذات العهد ، وهي القمية . [٢] الجبل بالكسر والفتح : الخلدان ، وصمى القيد  
حبلًا لأنه يكون مكان الخلدان . [٣] القلب : سوار المرأة . [٤] الرغمة بالفتح : القُرط ، والجمع  
رطاح بالكسر ، وجمع الجمع رعت يمتعين . [٥] قول : إنا لله وإنا إليه راجعون .  
[٦] أى تأمين ، وفي رواية للبرد : « موفورين » أى لم يزل أحدهما منهم بأن يرزأ في بدن ولا مال .  
[٧] جرح . [٨] تصاون وتناصر . [٩] وفي رواية نهج البلاغة : « فقبضاً لكم وترحاً  
حين صرتم غرضاً يرمى » وزادت رواية الماحظ بعد ذلك : « وفيما ينب » ، والترح : حركة الهم ،  
والنرض : الهدف . [١٠] انظر مثله التاف : البرد ، والحر : شدة البرد ، وفي التهج : « وإذا  
أمرتكم بالبر إليهم في الشتاء ، قلتم هذه صابرة أفر » . أمهلنا : ينسلخ عنا البرد ، وصلوة الشتاء بتعديد  
الراء : شدة برده . [١١] شدة الحر . [١٢] أى أمهلنا حتى ينسلخ الحر ، وفي رواية التهج :  
« أمهلنا يسخ عنا الحر » بتعديد الاء بالفتحة أى يخف ويسكن ، وكل من خفف عنه شيء فقد يسخ عنه ،  
ومنه قولهم : اللهم يسخ عني الحمي : أى خففها . [١٣] أولاد الناس ومن لا عقل له ولا معرفة عنده ،  
والأحلام القول : جمع حلم بالكسر ، ويجمع أيضاً على حلوم ، وفي رواية التهج : « حلوم الأفعال » .

الْحِجَالُ<sup>(١)</sup> ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكَمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ، مَعْرِفَةُ اللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا ، وَأَعْقَبَتْ  
سَدَمًا<sup>(٢)</sup> ! قَاتِلَكُمْ اللَّهُ ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْنًا<sup>(٣)</sup> ، وَشَحْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا ،  
وَجَرَّ عَثْمُونِي نُسَبَ التَّهْمَامِ أَفْهَامًا<sup>(٤)</sup> ، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْمَصِيانِ وَالْحِذْلَانِ ،  
حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قَرِيشٌ : إِنْ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لَهُ فِي  
الْحَرْبِ ! اللَّهُ دَرَّهْمٌ<sup>(٥)</sup> ! وَمَنْ ذَا يَكُونُ أَعْلَمُ بِهَا مَنِي ، أَوْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا ؟ فَوَاقَهُ  
لَقَدْ نَهَضَتْ فِيهَا وَمَا بَلَغَتْ الْعَشْرِينَ ، وَلَقَدْ نَفَيْتُ<sup>(٦)</sup> الْيَوْمَ عَلَى السَّيْنِ ، وَلَكِنْ  
لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ ( يَقُولُهَا ثَلَاثًا ) .

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَمَعَهُ أَخُوهُ<sup>(٧)</sup> فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا وَأَخِي هَذَا ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ  
إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ) قَرُّنَا بِأَمْرِكَ ، فَوَاقَهُ لَنَنْتَهِيَنَّ إِلَيْهِ ، وَلَوْ حَالَ بَيْنَنَا وَيَتَهُ جَر  
النَّفْصَا<sup>(٨)</sup> ، وَشَوْكُ الْقِتَادِ<sup>(٩)</sup> » فَدَعَا لهُمَا بِخَيْرٍ ، ثُمَّ قَالَ لهُمَا : « وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا  
أُرِيدُ ؟ » ثُمَّ نَزَلَ .

( نهج البلاغة : ١ : ٣٥ ، الكامل للبرد : ١ : ١١ ، البيان والبيان : ٢ : ٢٥ ، والأفاق : ١٥ : ٤٣ )

- 
- [١] الحِجَال : جمع حيلة بالتحريك ، وهي القبة ، وموضع يزين بالسُتُور والستائر المروسة - كناية  
عن النساء . [٢] السدم : الهم ، أو مع ندم ، أو غيظ مع حزن . [٣] قَيْنٌ : ما يكون في القربة  
من صديعها ، وشحتم : ملأتم ، وفي رواية الكامل : « وَلَقَدْ مَلَأْتُمْ جَوْقِي غَيْظًا » .  
[٤] التنب : جمع تبة بالفتح والضم ، وهي الجرعة ، والتهام : الهم ، وأفهامًا أي جرعة بعد جرعة ،  
يقال : أكرع في الإثاء عشرين أو ثلاثة . [٥] دَرَّهْمٌ : أي عمله ، والدرّ أيضًا : العن ، أي لله  
الذي الذي رضه ، وهو لم يجب أريد به التكم ، وفي رواية النهج : « قَدْ أَبُومَ » !  
[٦] نَفَيْتُ : زدت ، ورواية النهج : « وَمَا تَنَا تَدْرُفَتْ عَلَى السَّيْنِ » أي زدت أيضًا .  
[٧] الرجل وأخوه : هِرَاقَانِ بَابِي عَقِيفٍ مِنَ الْأَنْصَارِ . [٨] شجر جره يقي طولًا .  
[٩] شجر صلب له شوك كالإبر .

## ٢٦٩ - خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة

اعتل الإمام علي كرم الله وجهه يوماً ، فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً ، فوالذي بعث محمداً بالحق ، لا يَنْتَقِصُ من حقنا أهل البيت أحدٌ ، إلا نقصه الله من عمله مثله ، ولا يكون علينا دولةٌ ، إلا وتكون لنا العاقبة ، ولتَعْلَمُنَّ بآء بعد حين » .

( سراج النبأ : ٢ : ٥٣ )

## ٢٧٠ - خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر

ولما نَمَى إلى معاوية هلاك الأشتر النخعي <sup>(١)</sup> ، قام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنه كانت لعلى بن أبي طالب يدان عيمان ، قُطِعَتْ إحداها يوم صفين ( يعني عمار بن ياسر ) ، وقُطِعَتْ الأخرى اليوم ( يعني الأشتر ) » .

( تاريخ الطبري ٦ : ٥٤ )

[١] هو مالك بن الحارث بن عبد يفيث النخعي توفى سنة ٣٨ هـ . روى المؤرخون أنه مات مسموماً منه معاوية ، وذلك أن الإمام علياً كان قد ولي على مصر محمد بن أبي بكر فقصت عليه ، وخرجت عليه بها خوارج ، فبعث إليها الأشتر وأتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر ، فعظم ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فلم أنه إن قدمها كان أشد عليه من ابن أبي بكر ، فبعث إلى الجليستار ( رجل من أهل الحراج ) ، فقال له إن الأشتر قد ولي مصر ، فإن أنت كفيته لم آخذ منك خراجاً ماغيث ( وقيل قال له أترك خراجك عشرين سنة ) فانتل له بما قدرت عليه ، وخرج الأشتر من الرقاق إلى مصر ، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجليستار ، فقال : هذا منزل وهذا طعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الحراج ، فنزل به الأشتر ، وسأل النعمان أي الطعام والشراب أحب إليه ؟ قيل العسل ، فأهدى له عسلاً قد جعل فيه سمّاً وقال : إن من شأه كذا وكذا ، فتناول منه شربة ، فما استقرت في جوفه حتى تاف ، وأتى من كان معه على النعمان ومن معه ، فبلغ ذلك علياً ، فقال : « ليدن والله » وبلغ معاوية ، فقال : « إن لله جنوداً منها السمل » .

## فتنة البصرة

تسير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله

لما قُتل محمد بن أبي بكر بمصر وظهر معاوية عليها ( سنة ٣٨ هـ ) دعا عبد الله ابن عامر الحضرمي ، فقال له : « سير إلى البصرة فلنْ جُلَّ أهلها يرون رأينا في عثمان ، ويُظلمون قتله ، وقد قُتلوا في الطلب بدمه ، فهم مَوْتُورُونَ حَتَقُونَ لِمَا أصابهم ، ودُّوا لَوْ يَجِدُونَ من يدعوم ويجمعهم ، وينهض بهم في الطلب بدم عثمان ، ودفع إليه كتاباً ، وأمره إذا قدم أن يقرأه على الناس <sup>(١)</sup> ، فضى حتى نزل البصرة في بني تميم ، فسمع بقدمه أهل البصرة ، فجاءه كل من يرى رأى عثمان ، فاجتمع إليه روس أهلها .

٢٧١ - خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فإنَّ إمامكم إمامَ الهدى عثمانَ بن عفان ، قتله على بن أبي طالب ظالماً ، فطلبتم بدمه ، وقَاتَلْتُم من قتله ، فجَزَاكم الله من أهل مصر خيراً ، وقد أصيب منكم اللَّأْلَأُ الأخيار ، وقد جاءكم اللهُ بِإِخوانٍ لكم ، لهم بَأْسٌ مُتَّقٍ ، وعددٌ لَا يُحْصى ، فلقوا عدوكم الذين قتلوكم ، فلبثوا الناية التي أرادوا

---

[١] وكان القى سدد لمعاوية رأيه في تسريح ابن الحضرمي كتاب كتبه إليه عيسى بن صهار البدي ، وفيه : « أما بعد : فقد لبثنا وقتك بأهل مصر الذين بقوا على إيمانهم ، وقتلوا خليفهم طمأً وبنياً ، فزرت بذلك البيوت ، وشفيت بذلك النفوس ، وبردت أقددة أنفوس كانوا لجلل عثمان كلامين ، ولسموة مفارقين ، ولكم موالين ، ولكم راضين ، فإن رأيت أن تبيت إلينا أميراً طلياً ذكياً ذا عفاف ودين إلى الطلب بدم عثمان فلت ، فإنني لا إخلال للناس إلا بحمين عليك ، وإلا ابن عباس . غائب عن المعسر والسلام » فكتب إليه معاوية « أما بعد : فقد قرأت كتابك ، فمرفت فصحك ، وقلت مشورك . رحمة الله وسدقه ، اثبت هناك الله على رأيك الرشيد ، فكأنك بالرجل القى سألت قد أنك ، وكأنك بالجنس قد أفل عليك ، فسررت وحيث والسلام .

صايرين، وَرَجَعُوا وَقَد نَالُوا مَا طَلَبُوا، فَالْتَمُوا<sup>(١)</sup> وَسَاعِدُوا، وَتَذَكَّرُوا تَأْرِكُمْ، لِقَشْفُوا صُدُورَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ .

## ٢٧٢ — خطبة الضحاك بن عبد الله الهلالي

فَقَامَ إِلَيْهِ الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالِيُّ فَقَالَ :

. « قَبِّحَ اللَّهُ مَا جِئْنَا بِهِ ، وَمَادَعَوْتَنَا إِلَيْهِ ، جِئْنَا وَاللَّهُ بِمَثَلِ مَا جَاءَ بِهِ صَاحِبَاكَ : طَلْحَةَ وَالزَّيْرَ ، أَتَيْنَاكَ وَقَدْ بَايَعْنَا عَلَيْكَ وَاجْتَمَعْنَا لَكَ ، فَكَلَّمْتَنَا وَاحِدَةً ، وَنَحْنُ عَلَى سَبِيلِ مُسْتَقِيمٍ ، فَدَعَوَانَا إِلَى الْفُرْقَةِ ، وَقَامَا فِينَا بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ ، حَتَّى ضَرَبْنَا بَعْضُنَا بِيَمَضِ عُدُونَانَا وَظُلْمًا ، فَاقْتَلْنَا عَلَى ذَلِكَ ، وَابْتِغَاءَ اللَّهِ مَا سَلِمْنَا مِنْ عَظِيمٍ وَبِالِ ذَلِكَ ، وَنَحْنُ الْآنَ مُجْمِعُونَ عَلَى بَيْعَةِ هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، الَّذِي أَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَعَفَا عَنْ الْمَسِيءِ ، وَأَخَذَ بَيْعَةَ غَائِبَتِنَا وَشَاهَدَنَا ، أَفْتَأْرُنَا الْآنَ أَنْ نَخْتَلَعَ أَسْيَافَنَا مِنْ أَعْمَادِهَا ، ثُمَّ يَضْرِبَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، لِيَكُونَ مَعَاوِيَةَ أَمِيرًا ، وَتَكُونَ لَهُ وَزِيرًا ، وَتَعْدِلَ بِهَذَا الْأَمْرِ عَنْ عَلِيٍّ ؟ وَاللَّهِ لَيَتَوَمَّنُ مِنْ أَيَّامِ عَلِيٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، خَيْرٌ مِنْ بِلَاءِ مَعَاوِيَةَ وَآلِ مَعَاوِيَةَ ، لَوْ بَقُوا فِي الدُّنْيَا ، مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ<sup>(٢)</sup> . »

فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَازِمِ السُّلَمِيِّ ، فَقَالَ لِلضَّحَّاكِ : « اسْكُتْ فَلَسْتُ بِأَهْلٍ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ » ثُمَّ أَجَبَ عَلِيَّ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ ، فَقَالَ : « نَحْنُ يَدُكَ وَأَنْصَارُكَ ، وَالْقَوْلُ مَا قُلْتَ ، وَقَدْ فَعِمْنَا عَنْكَ ، فَادْعُنَا أَتَى شَتَّى » فَقَالَ الضَّحَّاكُ لِابْنِ حَازِمٍ : « يَا بْنَ السُّودَاءِ<sup>(٣)</sup> ، وَاللَّهِ لَا يَسِرُّ مَنْ نَصَرْتَ ، وَلَا يَذَلُّ بِخِذْلَانِكَ مَنْ

خَذَلْتَ » فَتَشَامَعَا

[١] سَاعِدُوا . [٢] مَا ظَرَفِيَّةٌ ، أَيْ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا بَاقِيَةً .

[٣] وَكَانَتْ أُمُّهُ سُودَاءَ حِشْيَةٍ يُقَالُ لَهَا عَجَلِي .

## ٢٧٣ - خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي

فقام عبد الرحمن بن عُمر بن عثمان القرشي التيمي فقال :

« عبادَ الله : إننا لم ندعكم إلى الاختلاف والفرقة ، ولا نريد أن تقتلوا وتتنازوا <sup>(١)</sup> ، ولكننا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلتكم ، وتوازرُوا إخوانكم الذين هم على رأيكم ، وأن تملؤوا شَمْعَكُمْ ، وتُصلِحُوا ذاتَ بينكم ، فَمَهْلًا مَهْلًا رحمكم الله ، استمعوا لهذا الكتاب ، وأطيعوا الذي يقرأ عليكم » .

فلما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : « سمعنا وأطعنا » وقال الأحنف ابن قيس : « أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل <sup>(٢)</sup> » ، واعتزل أمرهم ذلك ، وقال عمرو بن مرحوم من عبد القيس : « أيها الناس ، الزموا طاعتكم ، ولا تنكثوا بَيعَكُمْ ، ففزع بكم واقعة <sup>(٣)</sup> ، وتصيبكم قارعة <sup>(٤)</sup> ، ولا يكن بعدها لكم بقية ، ألا إني قد نصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين » .

\* \*

ثم إن الناس أقبلوا إلى ابن الحضرمي وكثر تبعه - وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد ابن أبيه استخلفه عبد الله بن عباس وقدم الكوفة على علي عليه السلام يزيه عن محمد بن أبي بكر - فأفزع ذلك زياداً وهاله ، وخَلَّ قصر الإمارة ، واستجار بالأزد فأجاروه ، وكتب إلى ابن عباس بالأمر ، وطلب إليه أن يرفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليرى فيه رأيه ، وغلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصرة وجبأها ، وأجمعت الأزد على زياد ، وأعدوا له متبراً ومسيراً وشُرطاً .

[١] التناز : معركة القتب ، والتناز : التنازع والتداعي بالألقاب . [٢] أصل التل للعارث بن عباد البكري حين قتل جاس بن مرة كلياً ، وهاجت الحرب بين بكر وقتل ( حرب البسوس ) وكان الحارث قد اعتزلها ، والفتنة مشهورة . [٣] داهية .

## ٢٧٤ — خطبة زياد بن أبيه

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا معشر الأزد : إنكم كنتم أعدائي ، فأصبحتم أوليائي وأولى الناس بي ، وإني لو كنت في بني تميم ، وابنُ الحضرمي فيكم ، لم أطلع فيه أبداً ، وأنتم دوني ، فلا يطمع ابن الحضرمي فيّ وأنتم دوني ، وليس ابنُ آكلَةَ الأكباد - في بقية الأحزاب وأولياء الشيطان - بأدنى إلى التدبئة من أمير المؤمنين في المهاجرين والأنصار ، وقد أصبحتُ فيكم مضموناً ، وأمانةً مؤداةً ، وقد رأينا وفقتكم يوم الجمل ، فاصبروا مع الحق صبركم مع الباطل ، فإنكم لا تحمدون إلا على النجدة ، ولا تتمدرون على الجبن » .

## ٢٧٥ — خطبة شيان الأزدي

فقام شيان الأزدي - ولم يكن شهد يوم الجمل وكان غائباً - فقال :

« يا معشر الأزد : ما أبقت عواقب الجمل عليكم إلا سوء الذكر ، وقد كنتم أمس على علي عليه السلام ، فكونوا اليوم له ، واعلموا أن إسلامكم<sup>(١)</sup> له ذلٌّ ، وخِذْلَانُكُمْ إياه عار ، وأنتم حتى مضماركم الصبر ، وعاقبتكم الوفاء ، فإن سار القوم بصاحبهم فسيروا بصاحبكم ، وإن استمدوا معاوية فاستمدوا علياً عليه السلام ، وإن وادعوك فوادعهم » .

## ٢٧٦ — خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه ، فقال :

« يا معشر الأزد : إنا قلنا يوم الجمل نمنع مضرتنا ، ونطيع أمتنا ، ونطلب دم

خليفةنا المظلوم ، جَدَدْنَا فِي الْقِتَالِ ، وَأَقْنَا بَعْدَ انْهِزَامِ النَّاسِ ، حَتَّى قُتِلَ مِنَّا مَنْ لَا خَيْرَ فِيْنَا بَعْدَهُ ، وَهَذَا زِيَادُ جَارِكُمُ الْيَوْمَ ، وَالْجَارُ مَضْمُونٌ ، وَلَسْنَا نَخَافُ مِنْ عَلِيٍّ مَا نَخَافُ مِنْ مَعَاوِيَةَ ، فَهَبُوا لَنَا أَنْفُسَكُمْ ، وَامْنُوا جَارِكُمْ ، أَوْ فَايَلَيْتُوهُ مَا مَنَّهُ .  
فَقَالَتِ الْأَزْدُ : « إِنَّمَا نَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ فَاجْبِرُوهُ » .

## ٢٧٧ — خطبة الامام علي

وَاسْتَنْفَرَ عَلِيٌّ بَنِي تَيْمٍ أَيْلَمَا لِيَنْهَضَ مِنْهُمْ إِلَى الْبَصْرَةِ مَنْ يَكْفِيهِ أَمْرُ ابْنِ الْحَضَرِيِّ ، وَبِرْدٌ عَادِيَةٌ بَنِي تَيْمٍ الَّذِينَ أَجَارُوهُ بِهَا ، فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ ، فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ :  
« أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَنْصُرَنِي الْأَزْدُ <sup>(١)</sup> ، وَتَحْذَرُنِي مُضَرَ ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ تَقَاعُدُ تَيْمِ الْكُوفَةِ بِي ، وَخِلَافُ تَيْمِ الْبَصْرَةِ عَلَيَّ ، وَأَنْ أَسْتَجِدَّ بِطَائِفَةٍ مِنْهَا تَشْخَصَ إِلَى إِخْوَانِهَا فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّشَادِ ، فَإِنْ أَجَابَتْ وَإِلَّا فَلِلْمَانِئَةِ وَالْحَرْبِ ، فَكَأَنِّي أَخَاطَبُ مُصَمًّا بِكُفْمَا لَا يَفْقَهُونَ حِوَارًا ، وَلَا يُحْيِيُونَ نَدَاءَ كُلِّ هَذَا جُبْنًا عَنِ الْبَأْسِ ، وَحُبًّا لِلْحَيَاةِ ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا ، وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا <sup>(٢)</sup> ، مَا يَرِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ <sup>(٣)</sup> ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْمَدُونِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ <sup>(٤)</sup> تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ <sup>(٥)</sup> أَقْسَمَهُمَا ، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَوْتِ ، فَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُونَا ،

[١] م من العرب الجاهليين . [٢] ظلم الأعداء في ذات الله كثير ، قتل علي عليه السلام الجيم الغير من بني عبد مناف وبني عبد العاز في يوم بدر وأحد وم عشرينه وبني عمه ، وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر علة الناس بن هاشم بن النخيلة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شيعة بن ربيعة يوم بدر وهو ابن عمه ، ومثل ذلك كثير مذكور في كتب الشيعة . [٣] لهم الطريق : المباداة الواضحة منها .

[٤] التناول : أن يصول كل من الفريقين على صاحبه .

[٥] التنازل : التنازل ، أي يبي كل أن يلب روح الآخر .

وَمَرَّةً لَمَدُونَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أُنْزِلَ بِعَدُونَا الْكَتَبَ <sup>(١)</sup> ، وَأُنْزِلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ <sup>(٢)</sup> ، وَتُتَبَوَّنَا أَوْطَانَهُ ، وَلَمْعَرَى لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ ، وَإِيمَ اللَّهِ لَتَحْتَظِبُنَّهَا دَمًا <sup>(٣)</sup> ، وَلَتَذُبُّنَّهَا نَدْمًا .

فَقَامَ إِلَيْهِ أَعِينُ بْنُ ضُبَيْعَةَ الْمَجَاشِعِيِّ <sup>(٤)</sup> فَقَالَ :

« يَا أَبَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَكْفَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْخَطْبُ ، وَأَتَكْفُلُ لَكَ بَقْلَ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، أَوْ إِخْرَاجَهُ عَنِ الْبَصْرَةِ » فَأَمَرَهُ بِالْتِهِيؤِ لِلشَّخْصِ ، فَشَخَّصَ إِلَى الْبَصْرَةِ .

### ٢٧٨ — خطبة أعين بن ضبيعة

فَلَمَّا قَدِمَهَا دَخَلَ عَلَى زِيَادَ ، وَهُوَ بِالْأَزْدِ مَقِيمٌ فَأَخْبَرَهُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَى رَحْلَهُ ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« يَا قَوْمَ : عَلَى مَاذَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ، وَتُهَرِّقُونَ دِمَاءَكُمْ ، عَلَى الْبَاطِلِ مَعَ السَّفَهَاءِ الْأَشْرَارِ ؟ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا جِئْتُكُمْ حَتَّى عُيِّنَتْ إِلَيْكُمْ الْجُنُودُ ، فَإِنْ تُنْبِئُوا إِلَى الْحَقِّ يُقْبَلْ مِنْكُمْ وَيُكَفَّ عَنْكُمْ ، وَإِنْ أُيْتِمَ فَهُوَ وَاللَّهِ اسْتِنصَالُكُمْ وَيَوَارِكُمْ . »

فَقَالُوا بَلْ نَسْمَعُ وَنَطِيعُ ، فَتَهَضُّ بِهِمْ إِلَى جَمَاعَةِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ مَعَ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ وَوَاتَقَهُمْ عَامَةً يَوْمَهُ يَنَاشِدُهُمُ اللَّهُ وَيَقُولُ : « يَا قَوْمَ لَا تُنْكُثُوا يَمِينَكُمْ ، وَلَا تُخَالِفُوا إِمَامَكُمْ ، وَلَا تَجْمَعُوا عَلَى أَنْتُمْكُمْ سَبِيلًا ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ وَجَرْتُمْ كَيْفَ

[١] الْإِذْلَال . [٢] جِرَانُ الْبَجْرِ : مَقْدَمُ عَقْدِهِ ، وَهُوَ كِتَابَةٌ عَنِ التَّكْنِ كَالْبَعِيرِ يَلْقَى جِرَانَهُ عَلَى الْأَرْضِ . [٣] يَقَالُ لِمَنْ أَسْرَفَ فِي الْأَمْرِ : لَتَحْتَظِبَنَّ دَمًا ، وَأَسَالَهَا الْثَاقِفُ يَغْرُطُ فِي حَلْبِهَا فَيُغْلِبُ الْمَالِبَ الدَّمَ . [٤] مَجَاشِعُ بْنُ دَارِمٍ أَبُو قَبِيلَةٍ مِنْ تَيْمٍ ، وَأَعِينُ بْنُ ضُبَيْعَةَ ، هُوَ الَّذِي دَفَعَ الْجَلَّالَ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ طَائِفَةُ يَوْمِ الْجَلِّ .

صنع الله بكم عند نكثكم ينعكم وخلافكم»

فكفوا عنه وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه فانصرف عنهم ، فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة قَرَّ يظن الناس أنهم خوارج قتلوه ، وكتب زياد إلى الإمام بذلك ، فأشخص إليهم جارية بن قدامة .

### ٢٧٩ — خطبة جارية بن قدامة

فلما دخل البصرة بدأ زياد ، فناهجه ساعة وسأله ، ثم خرج من عنده ، فقام في الأزد فقال :

« جزاكم الله من حيٍّ خيراً ، ما أعظم غناءكم <sup>(١)</sup> ، وأحسن بلاءكم ، وأطوعكم لأمركم ، لقد عرفتم الحق إذ ضيَّعُ من أنكره ، ودعوتهم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه » ثم قرأ عليهم كتاب علي عليه السلام ، فقام صبرة بن شيان ، فقال : « سمعنا وأطعنا ، ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ، ولن سالم سليم » ، إن كفيت يا جارية قومك بقومك فذاك ، وإن أحييت أن تنصرك نصرك » وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ، فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه ، ومضى نحو بني تميم .

### ٢٨٠ — خطبة زياد

فقام زياد في الأزد فقال :

« يا معشر الأزد : إن هؤلاء كانوا أمس سلماً ، فأصبحوا اليوم حرباً ، وإنكم كنتم حرباً فأصبحتم سلماً ، وإني والله ما اخترتكم إلا على التجربة ، ولا أقت فيكم إلا على الأمل ، فاصبرتم أن أجرتوني ، حتى نصبت لي منبراً وسريراً ،

وجعلتم لى شُرطا وأعوانا ومُناديا وُجْمَة ، فاقفدتُ بحضرتكم شيئا إلا هذا  
الدرم لا أجيبه اليوم ، فإن لم أجبه اليوم أجبه غداً إن شاء الله ، واعلموا أن  
حربكم اليوم معاويةَ أيسرُ عليكم في الدنيا والدين من حربكم أمسٍ علياً ، وقد قدّم  
عليكم جاريةً بن قدامة ، وإنما أرسله على ليصدّع أمر قومه ، والله ما هو بالأمير  
المطاع ، ولو أدرك أمله في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين ، ولكن لى تبعا ، وأنتم  
الهمةُ العظمى ، والجعزة الحامية ، فقدموه إلى قومه ، فإن اضطرُّ إلى نصركم ،  
فسيروا إليه إن رأيتم ذلك .

## ٢٨١ — خطبة أبي صبرة شيان

فقام أبو صبرة شيان فقال :

« يا يزيد ، إني والله لو شهدت قومي يوم الجمل رجوت ألا يقاتلوا علياً ، وقد  
مضى الأمر بما فيه ، وهو يوم يوم ، وأمر بأمر ، والله إلى الجزاء بالإحسان  
أسرع منه إلى الجزاء بالسّيئ ، والنوبة مع الحق ، والمفومع الندم ، ولو كانت هذه  
فتنة لدعونا القوم إلى إبطال الدماء ، واستئناف الأمور ، ولكنها جماعة ، دماؤها  
حرام ، وجروحها قصاصٌ ، ونحن معك نحب ما أحييت  
فعجب زياد من كلامه ، وقال : « ما أظنُّ في الناس مثل هذا »

## ٢٨٢ — خطبة صبرة بن شيان

ثم قلم صبرة ابنه فقال :

« إنا والله ما أصبنا بمصيبة في دين ولا دنيا ، كما أصبنا أمسٍ يوم الجمل ،

وإنا لترجو اليوم أن يُمَحَّصَ<sup>(١)</sup> ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، وأما أنت يا زياد ، فوالله ما أدركت أملك فينا ، ولا أدركنا أملنا فيك ، دون ردك إلى دارك ، ونحن رادوك إليها غداً إن شاء الله تعالى ، فإذا قلنا فلا يكن أحد أولى بك منا ، فإنك إلا تفعل لم تأت ما يُشبهك ، وإنا والله نخاف من حرب علي في الآخرة ، ما لا نخاف من حرب معاوية في الدنيا ، فقدّم هواك ، وأخر هوانا ، فنحن معك وطوّعك .

### ٢٨٣ — خطبة خنفر الحِماني

ثم قام خنفر الحِماني فقال :

« أيها الأمير : إنك لو رضيت منا بما رضى به من غيرنا ، لم نرض ذلك لأنفسنا ، سربنا إلى القوم إن شئت ، وإيم الله ما لقينا يوماً قط إلا اكتفينا بعقوبنا<sup>(٢)</sup> دون جُهدنا ، إلا ما كان أمس »

أما جارية فإنه كلم قومه فلم يحببوه ، وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه ، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ، فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمي وعلى خيله عبد الله بن حازم السلمي ، فاقتتلوا ساعة ، فالبثوا بني تميم أن هزموم ، وحصروا ابن الحضرمي في إحدى دور البصرة ، في عِدَّة من أصحابه ، وحرقت جارية الدار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً ، وسارت الأزد بزياد ، حتى أوطنوه قصر الإمارة ومعه بيت المال ، وقالوا له : هل بقي علينا من جوارك شيء ؟ قال : لا ، فانصرفوا عنه ، وكثب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام . ( شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٣٤٨ ، ونهج البلاغة ١ : ٥٣ )

[١] من محس القصب بالنازك قطع أخذه مما يشوبه . [٢] الغر : الزيادة .

## ٢٨٤ - صعصعة بن صوحان ومعاوية

أرسل على كرم الله وجهه إلى معاوية بالشام كتاباً مَحْبَةً صَعَصَعَةَ بن صُوحَانَ ، فسار به حتى أتى دمشق ، فَأَتَى باب معاوية ، فقال لِأَدْنَاهُ ، اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَبِالْبَابِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ - فَأَخَذَتْهُ النُّعَالُ وَالْأَيْدِي ، لقوله « أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْجَلْبَةُ ، فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِمَعَاوِيَةَ ، فَأَذَنَ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فقال : السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فقال معاوية : أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَتْ الرِّسَالُ تُقْتَلُ فِي جَاهِلِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامٍ لَقُتِلَتْكَ ، ثُمَّ اعْتَرَضَهُ مَعَاوِيَةُ فِي الْكَلَامِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَخْبِرَهُ ، لِيَعْرِفَ طَبْعًا أَوْ تَكَلُّفًا ، فقال له مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قال مِنْ زِرَّارٍ ، قال وَمَا كَانَ زِرَّارٌ ؟ قال كَانَ إِذَا غَزَا أَنْكَشَ <sup>(١)</sup> ، وَإِذَا لَقِيَ افْتَرَشَ <sup>(٢)</sup> ، وَإِذَا انْصَرَفَ اخْتَرَشَ <sup>(٣)</sup> ، قال فَمَنْ أَيْ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قال مِنْ رَيْبَعَةٍ ، قال وَمَا كَانَ رَيْبَعَةٍ ؟ قال : كَانَ يُطِيلُ النَّجَادَ <sup>(٤)</sup> ، وَيَعْمَلُ الْعِبَادَ ، وَيَضْرِبُ بِقَاعِ الْأَرْضِ الْعِمَادَ ، قال : فَمَنْ أَيْ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قال مِنْ جَدِيلَةٍ ، قال وَمَا كَانَ جَدِيلَةٍ ؟ قال كَانَ فِي الْحَرْبِ سَيْفًا قَاطِعًا ، وَفِي الْمَكْرُمَاتِ غِيثًا نَافِعًا ، وَفِي الْإِقْدَاءِ لَهَبًا سَاطِعًا ، قال فَمَنْ أَيْ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قال مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، قال وَمَا كَانَ عَبْدِ الْقَيْسِ ؟ قال كَانَ حَسَنًا أَيْضَ <sup>(٥)</sup> وَهَبًا ، يَقْدَمُ لَضَيْفِهِ مَا وَجَدَ ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا فَقَدَ ، كَثِيرَ الْمَرْقِ ، طَيِّبَ الْمَرْقِ ، يَقُومُ لِلنَّاسِ مَقَامَ النِّثِثِ مِنَ السَّمَاءِ ، قال وَيَحْكِي يَا بْنَ صُوحَانَ ! فَمَا تَرَكْتَ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قَرِيشٍ مُجَدًّا وَلَا غَجْرًا ؟ قال بَلَى وَاللَّهِ يَا بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ! تَرَكْتُ لَهُمْ مَا لَا يَصْلُحُ

[١] انكش وتكش : أسرع والكيش الرجل السريع . [٢] افترش فلانا : غلبه وصرعه .

[٣] اخترش الشيء : جمه وكبه . [٤] حذل السيف ، وهو كناية عن طول القلمة .

[٥] أبيض اللون كناية عن أنه حرّ لادبقي أو أبيض المرض فيه .

إلّا لهم ، تركت لهم الأحمر والأبيض والأصفر<sup>(١)</sup> ، والسريبر والمِنْبَر<sup>(٢)</sup> ، والمالك إلى المحشر ، فخرج معاوية ، وظن أن كلامه يشتمل على قرئش كلها ، قال صدقت يا بن صوحان ، إن ذلك لكذلك ، فعرف صمصمة ما أراد ، فقال ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد<sup>(٣)</sup> ، بَعُدْتُمْ عَنْ أَثْفِ<sup>(٤)</sup> المرعى ، وعلوتم عن عذب الماء ، قال ولم ذلك ؟ ويحك يا بن صوحان ! فقال الويل لأهل النار ، ذلك لبنى هاشم ، قال قم ، فأخرجوه . فقال صمصمة : الوعد بيني وبينك لا الوعيد ، من أراد المناجزة ، يقبل المناجزة<sup>(٥)</sup> ، فقال معاوية لشيء ما سوّده قومه ، وودت أنى من صلبه ، ثم التفت إلى بنى أمية فقال : هكذا فلتكن الرجال !

( صبح الأعشى ١ : ٢٥٤ ، وصدوح الذهب ٢ : ٧٧ )

\* \* \*

وروى أبو على القالى هذا الخبر فى الأمالى بصورة أخرى ، قال :  
« دخل صمصمة بن صوحان على معاوية أوّل ما دخل عليه . وقد كان يتلغى معاوية عنه ، فقال معاوية : بمن الرجل ؟ فقال رجل من زرار ، قال : وما زرار ؟ قال : كان إذا غزا انحوش<sup>(١)</sup> ، وإذا انصرف أنكش ، وإذا لقي افترش ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيـل ، ويُغِيرُ بالليل ، ويحجود بالليل ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أمهر<sup>(٢)</sup> ،

[١] الأحمر : القعب ، والأبيض : الفضة ( والسيف أيضا ) والأصفر : القعب . كناية عن النقى والثروة ( وقد كان قرئش فى الجاهلية مركز تجارى هام ) . [٢] كناية عن الملك والقدرة الحظائية .

[٣] أورد إليه الماء . وأسدرها ردّما وأرجعها . [٤] روضة أثف لم ترع .

[٥] وفى مروج الذهب : « من أراد المناجزة قبل المحاورة » والواروى الأمثال : « المناجزة قبل المناجزة » أى للسالمة قبل للمناجزة فى القتال ، يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال .

[٦] لم أجد هذه الكلمة فى كتب اللغة ، وأرى أنها محرقة عن ( استرش ) كما ورد فى رواية صبح الأعشى ، وإن اختلف تأليف الجمل فى الروايتين . [٧] وفى نسخة : « من أسد ، قال وما أسد ؟ »

قال : وما أمر ؟ قال : كان إذا طلب أفضى <sup>(١)</sup> ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا آب أنضى <sup>(٢)</sup> ، قال : فن أىّ ولده أنت ؟ قال : من جديلة ، قال : وما جديلة ؟ قال : كأن يطيل النجاد <sup>(٣)</sup> ، ويمد الجياد ، ويحيد الجلاد ، قال : فن أىّ ولده أنت ؟ قال : من دُعجى ، قال : وما دُعجى ؟ قال : كأن ناراً ساطعاً ، وشرّاً قاطعاً ، وخيراً نافعاً ، قال : فن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أفضى ، قال : وما أفضى ؟ قال : كأن ينزل القارات <sup>(٤)</sup> ، ويكثر النارات ، ويختفي الجارات ، قال : فن أىّ ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس ، قال : وما عبد القيس ؟ قال : أبطال ذادة <sup>(٥)</sup> ، جحاجة <sup>(٦)</sup> سادة ، صناديد قادة ، قال : فن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أفضى ، قال : وما أفضى ؟ قال : كانت رماحهم مشرعة <sup>(٧)</sup> ، وقُدُورُهُمْ مُثْرَعَة <sup>(٨)</sup> ، وَجِفافُهُمْ مُفْرَغَة ، قال : فن أىّ ولده أنت ؟ قال : من لُكَيْزٍ ، قال : وما لُكَيْزٍ ؟ قال : كأن يباشر القتال ، ويماتق الأبطال ، ويبدد الأموال ، قال : فن أىّ ولده أنت ؟ قال : من عجل ، قال : وما عجل ؟ قال : الليوثُ الصَّرَاغِمَة <sup>(٩)</sup> ، الملوكُ القَمَاقِمَة <sup>(١٠)</sup> ، الثُرُومُ القَشَاعِمَة <sup>(١١)</sup> ، قال : فن أىّ ولده أنت ؟ قال : من كعب ، قال : وما كعب ؟ قال : كأن يُسَمَّرُ <sup>(١٢)</sup> الحرب ، ويحيد الضرب ، ويكشف الكرب ، قال : فن أىّ ولده أنت ؟ قال : من مالك ، قال : وما مالك ؟ قال :

[١] أفضى إلى الشيء : وصل إليه . [٢] أنضى بغيره : هزله ، وأضى الثوب : أبله .

[٣] حامل السيف . [٤] القارات : جمع ظرة ، وهي الجبل الصغير . [٥] جمع ذائد ،

وهو اللامع . [٦] جمع يهيج : وهو اليد ، كالجمباح . [٧] مسددة . [٨] مملوءة .

[٩] جمع خرطوم ، وهو الأسد . [١٠] جمع ققام بالفتح ويضم ، وهو الببد .

[١١] الفروم ، جمع قرم : كشم ، وهو الببد ، والقشاعة : جمع قشم ، بكسر ، وهو الرجل اللين

(كناية عن كثرة التجرية) والأسد . [١٢] سر الحرب : كعب ، وسمرها : أوقدها .

هو الهمم للهمم ، والقمقام للقمقام ، قال معاوية : ما تركت لهذا الحي من قريش شيئاً ، قال : بل تركتُ أكثره وأحبّه ، قال : وما هو ؟ قال : تركت لهم الوَيْرَ والمَدَرُ <sup>(١)</sup> والأبيض والأصفر ، والصفا والمَشَرَّ <sup>(٢)</sup> ، والقبة والمَفْخَر ، والسريّر والمنبَر ، والمَلَأَ إلى المَخْشَر ، قال : أما والله لقد كان يسوءني أن أراك أسيراً ، قال : وأنا والله لقد كان يسوءني أن أراك أميراً ، ثم خرج فبعث إليه ، فَرَدُّ ، ووصله وأكرمه .

(الأمال ٢ : ٢٣٠)



وروى السمودي في مروج الذهب قال :

« قال معاوية يوماً وعنده صمصمة ، وكان قدّم عليه بكتاب عليّ ، وعنده وجوه الناس : « الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فآخذُ من مال الله فهو لي ، وما تركت منه كان جأزاً لي » فقال صمصمة :

تَمَتَّيْكَ قَسْكَ مَا لَا يَكُونُ      نَجَلًا ، مُعَاوِي لَا تَأْتِمُرْ

فقال معاوية : يا صمصمة تملّنت الكلام ، قال : العلم بالتعلم ، ومن لا يعلم يَحْمَلُ ، قال معاوية : ما أحوجتك إلى أن أذيقك وبَالَ أَمْرِكَ ، قال : ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذي لَا يُؤَخَّرُ قَسًا إذا جاء أجلها ، قال : ومن يَحْمُولُ بيني وبينك ؟ قال : الذي يَحْمُولُ بين المرء وقلبه ، قال معاوية : اتسع بطنك

---

[١] كناية عن البادية ، والدر : اللبن والمخر : [٢] شعار الحج بالكسر : مناسك وعلاماته ، والشميرة والتجارة بالفتح ، والتمر موضعها ، والتمر الحرام : بالزبدقة .

للكلام كما اتسع بطن البعير للشعر، قال : اتسع بطن من لا يشبع <sup>(١)</sup> ، ودعا عليه من لا يتجمع <sup>(٢)</sup> .  
(مروج الذهب ٢ : ٧٩)

٢٨٥ — خطبة عبد الله بن مسعود ( المتوفى سنة ٣٢ هـ )

أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق الميثاق كلمة التقوى . أكرم المثل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم . خير الأمور أوساؤها ، وشر الأمور مُخَدَّنَاتُهَا . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . خير الفنى غنى النفس ، وخير ما أُلقي في القلب اليقين . الحرج جامع الآثام . النساء حيلة الشيطان . الشباب شعبة من الجنون . حب الكفاية مفتاح المعجزة . شر الناس من لا يأتي الجماعة إلا دُبْرًا ، ولا يذكر الله إلا هَجْرًا <sup>(٣)</sup> . أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، سياب المؤمن فسق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه مَعْصية . من يثأل <sup>(٤)</sup> على الله يكذبه ، ومن يغفر يغفر له . مكتوب في ديوان المحسنين : من عفا عفا الله عنه . الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره . الأمور بمواقبها . ملاك العمل

[١] يَرْضَى بِمَاوِيَةِ إِذْ كَانَ مَبْطَأًا ( أَى أَكُولًا ) وَكَانَ أَيْضًا بَطْنًا ( أَى عَظِيمَ الْبَطْنِ ) ، وَتَدْعَاهُ فِيهِ سَيْدَةً عَلَى فِى وَقْتِهِ صَفِين :

أُشْرِبُهُمْ وَلَا أَرَى مَاوِيَةَ . الملاحظ العين العظيم الماوية  
( والماوية ما تحوى من الأساء أَى العظيم البطن ) . [٢] دعا عليه : مطوف على لا يشبع  
أَى اتسع بطن من دعا عليه من لا يجمع ، وللرأى بن لا يجمع التي عليه الصلاة والسلام ، وقد دعا على ماوية  
بأنهم وعدم الشبع ، ومعنى لا يجمع أَى لا يجمع الدنيا ولا يجمع إليها ، وهو تعريض آخر بماوية ، أما دعاء  
رسول الله عليه فقد روى ابن الأثير في أسد الغابة — ٤ : ٣٨٦ — قال : « عن ابن عباس رضى الله عنه قال :  
« كنت ألب مع المبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال فجاء ، فخطأ خطاة  
— والمطو : تحريك التي من غير عا — وقال اذهب فادع لى ماوية ، قال فجت فقلت هو يأكل ، ثم قال :  
اذهب فادع لى ماوية ، قال : فجت فقلت هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه ، أخرج مسلم هذا  
الحديث بعينه لماوية » . [٣] المجر ككتف الذى يعنى متفلا ضئيفا : أَى لا يعرف الله إلا وقت  
الشدة . [٤] ثأل : أقم .

خواتيمه . أشرف الموت الشهادة ، من يعرف البلاء يصبر عليه . ومن لا يعرف البلاء ينكره . ( إيجاز القرآن ١٢٢ ، اللقد الحريد ٢ : ١٥٦ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٧ )

## ٢٨٦ — وصية دريد بن الصمة

قال دريد بن الصمة لمالك بن عوف النصري قائد هوازن يوم حنين<sup>(١)</sup> :  
 « يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم له ما بعده من أيام ، مالى أسمع زفاه البعير ، وتهيق الحمير ، وبكاء الصغير ؟ ويعار<sup>(٢)</sup> الشاء . قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ، ليقاتل عنهم ، فأفقتض به<sup>(٣)</sup> ، ثم قال راعى<sup>(٤)</sup> شأن الله ، وهل يرد المنهزم شئ ؟ إنها إن كانت لك ، لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك ، فوضعت في أهلك ومالك ، ويحك ، إنك لم تصنع بتقديم اليضة<sup>(٥)</sup> هوازن إلى نخور الخيل شيئاً ، ارضهم إلى ممتنع بلادهم ، وعلياء قومهم ، ثم ألق الصبا<sup>(٦)</sup> على متون الخيل ، فإن كانت لك ، لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ، كنت قد أحرزت أهلك ومالك . قال لا والله ما أفعل ، إنك قد كبرت وذهل عقلك . قال دريد هذا يوم لم أشهده ، ولم يفتني ، ثم أنشأ يقول :

[١] غزوة حنين كانت بين المسلمين وبين هوازن وتحيف سنة ثمان بعد الفتح انهزم فيها المسلمون أو لا ثم لما شتمهم وشددوا على عدوهم فهزمهم . [٢] اليار : صوت النمر أو للزى أو التديد من أصوات الشاء . [٣] يقال أفض أصابعه : ضرب بها لتصوت ، وأفض بالهابة : المسق لسانه بالملك ثم صوت في حاجته . [٤] يضرب به التل في الحق فيقال : « أحق من راعي شأن » . [٥] يضة الثور : جماعته وأصله : « ولا تسلط عليهم عدوا من عدوهم فينتج يرضهم » . [٦] أى ذوى الصبا : أى الشبان .

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعْتُ أَخْبَ فِيهَا وَأَضَعْتُ<sup>(١)</sup>

أَقُودَ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنهَا شَاةٌ صَدَعْتُ<sup>(٢)</sup>

(سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، القد الفرزدق ١ : ٤١)

## ٢٨٧ - وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه

أوصى عمير بن حبيب بنيه فقال :

« يَا بَنِي إِيَّاكُمْ وَمَخَالَطَةَ السُّفَهَاءِ ، فَإِنْ مَجَّالَسْتَهُمْ دَاءٌ ، وَإِنْ مِنْ يَحْلُمُ عَنْ  
السُّفِيهِ يُسْرِجِلْهُ ، وَمَنْ نَجَّيْتَهُ يَنْدَمُ ، وَمَنْ لَا يَقَرُّ بِقَلِيلٍ مَا يَأْتِي بِهِ السُّفِيهِ ، يَقَرُّ  
بِالكَثِيرِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَلْيُوطِئْ قَبْلَ  
ذَلِكَ عَلَى الْأَذَى ، وَلْيُوقِنْ بِالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنْهُ مَنْ يَوْقِنُ بِالثَّوَابِ مِنْ  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَحْدُثُ مَسَّ الْأَذَى » . (الأمال ٢ : ٦٠)

## ٢٨٨ - وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه

أوصى قيس بن عاصم المنقري بنيه فقال :

« يَا بَنِي ، خُذُوا عَنِّي ، فَلَا أَحَدَ أَصْلَحَ لَكُمْ مِنِّي ، إِذَا دَفَعْتُمُونِي فَأَنْصَرِفُوا إِلَى  
رِحَالِكُمْ ، فَسُودُوا أَكْبَرَكُمْ ، فَإِنْ الْقَوْمُ إِذَا سُودُوا أَكْبَرُمْ خَلَقُوا أَبَامَ ، وَإِذَا  
سُودُوا أَصْغَرُمْ ، أَرَى ذَلِكَ بِهِمْ فِي أَكْفَائِهِمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَقَطِيعَةِ  
الرَّحِمِ ، وَتَعَسُّكِ بَطَاعَةِ أُمَّرَائِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ مِنْ رَضُوا ارْتَقَعَ ، وَمَنْ وَضَعُوا انْضَعَّ ،  
وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا الْمَالِ فَأُجْلِبْجُوهُ ، فَإِنَّهُ مَتَبَّهَةٌ لِلْكَرِيمِ ، وَجَنَّةٌ لِعِرْضِ اللَّيْمِ ، وَإِيَّاكُمْ

[١] الحبيب : ضرب من العدو ، ووضعت الناقة وأوضعت : أسرعت في سيرها .

[٢] الوطف : كثرة شر الملايين والبيتين ، والزمع جمع زمة ، وهي مئة زائنة وراء الظلف أو  
الشعرات للدلاء في مؤخر وجل للثقة ، والصدع : من الأولم والاييل لفتى الشاب اتموى .

والمسألة ، فإنها آخر<sup>(١)</sup> كَسْبَ الرجل ، وإن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ، وادفونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم بكربن وأثلى بمدفنى ، فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام ، وأخاف أن يُدْخِلُوا عليكم بنى عاراً ، وخذوا عنى ثلاث خصال : إياكم وكلَّ عِرْقٍ لثيم أن تلبسوه ، فإنه إن يَسْرُرْكم اليوم ، يَسُوءْكم غداً ، واكْظِمُوا الغيظ ، واحذروا بنى أعداء آبائكم ، فإنه هم على منهاج آبائهم ، ثم قال :

أحيا الضغائنَ آباءَ لنا سلفوا فلن تبيدَ وللآباءِ أبناءُ

(مرح ابن أبي الميديد ٤ : ١٠٠ ، وتهذيب الكامل ١ : ١١)

٢٨٩ - وصية العباس بن عبد المطلب (المتوفى سنة ٣٢ هـ)

لابنه عبد الله

قال عبد الله بن عباس : قال لى أبى :

يا بُنَيَّ ، إني أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار ، فاحفظ عنى ثلاثاً : لا يُحَرِّبَنَّ عليك كذباً ، ولا تَغْتَبِ عنده مُسْتَلماً ، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرّاً . قال فقلت يا أبه . كلَّ واحدة منها خير من ألف ، فقال : كلَّ واحدة منها خير من عشرة آلاف . (تهذيب الكامل ١ : ١٥)

٢٩٠ - خطبة أكرم بن صيفى يدعو قومه إلى الاسلام

لما ظهر النبي عليه الصلاة والسلام بمكة ، ودعا الناس إلى الإسلام بعث أكرم بن صيفى ابنه حَيْثَسَا ، فأتاه بنجره ، فجمع بنى تميم وقام فيهم خطيباً فقال :

[١] أخر بصر الهزلة لغير : أى أذى وأرذل ، ومن رواه بلداً أخطأ .

« يا بني عيم : لَا تُخْضِرُونِي سَفِيهَا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَسْمَعُ يَحْلَ »<sup>(١)</sup> ، إن السفيه يوهن من فوقه ، وَيَتَّبِعُ مَنْ دُونَهُ<sup>(٢)</sup> . لا خير فيمن لا عقل له . كبرت سنّي ودخلتني ذلّة ، فإذا رأيتم مني حسناً فاقبلوه ، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني أَسْتَقِيم . إن أبني شافه هذا الرجل مشافهة ، وأتاني بخبره ، وكتابه يأمر فيه بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحية الله تعالى ، وَخَلَعَ الْأَوْتَان ، وترك الحلف بالنيران ، وقد عرف ذوو الرأي منكم أَنَّ الْفَضْلَ فيما يدعو إليه ، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه ، إن أحق الناس بعمونة محمد - صلى الله عليه وسلم - ومساعدته على أمره أتم ، فإن يكن الذي يدعو إليه حقاً ، فهو لكم<sup>(٣)</sup> دون الناس ، وإن يكن باطلاً كنتم أحق الناس بالكف عنه وبالستر عليه ، وقد كَانَ أُسْقُفُ نَجْرَانَ يُحَدِّثُ بصفته ، وكان شفيان ابن مُجَاشَعٍ يحدث به قبله ، وَصَمِي ابنة محمدًا ، فكونوا في أمره أولاً ، ولا تكونوا آخرًا ، اثنا طائعين قبل أن تأثوا كارهين ، إن الذي يدعو إليه محمد - صلى الله عليه وسلم - لو لم يكن دينًا كَانَ في أخلاق الناس حسناً ، أطيعوني واتبِعُوا أمرى ، أسأل لكم أشياء لَا تُنْزَعُ منكم أبدًا ، وأصبحتم أعزَّ حَيٍّ في العرب ،

[١] قال : ظن ، ومضارعه إخال بالكسر وهو الأصح ، وبتر أسد يقولون إخال بالفتح وهو القياس ، وقوله « من يسع يخل » مثل ، مناء من يسع أخبار الناس وصايهم يقع في همه عليهم المكره .

[٢] في جمع الأمثال « وبيت من دونه » من أتته أي أغتته بالجراح ، وللمنى ينصف ويوهن ، ومنه قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ » ليثبتوك أي ليخرجوك جراحة لا تقوم معها أو ليمسوك ، وفي شرح البيهقي « وبتب من دونه » من تبه بالقتيد أي أهلكه ، ومنه قوله تعالى : « وَمَا زَاكُوهُمْ عَنْ تَبْيِيبٍ » .

[٣] يريد العرب .

وأكثرهم عدداً، وأوسعهم داراً، فإني أرى أمراً لا يَحْتَبِه عِزُّكَ، ولا يَكْزِمُه ذِلُّكَ إلا عِزٌّ، إن الأول لم يدع للآخر شيئاً، وهذا أمر له ما بعده، من سبق إليه غمر المال<sup>(١)</sup>، واقتدى به التالي، والزرعة حزم، والاختلاف عجز». فقال مالك<sup>(٢)</sup> بن نويرة: قد خَرِفَ شيخكم، فلا تعرضوا للبلاء، فقال أكرم: ويل للشجي من الخلي، والهنفي على أمرٍ لم أشهدته ولم يَسْمَعْ<sup>(٣)</sup>. ثم رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتى في الطريق، وبعث بإسلامه مع من أسلم ممن كان معه<sup>(٤)</sup>. (مع الأبطال ٢: ٢١٨، شرح السيوطي ١٤)

## ٢٩١ - وصية أبي طالب لوجه قريش عند موته

لما حضرت أبا طالب<sup>(١)</sup> الوفاة، جمع إليه وجه قريش فأوصاهم فقال: «يا معشر قريش: أتمم صفة الله من خلقه، وقَلْبُ العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم القُدَامُ الشجاع، والواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب، وعلى حربكم ألب<sup>(٢)</sup>، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعني الكعبة - فإن فيها عزة للرب، وقواماً

[١] من غمره الماء: أي غطاه. [٢] وقد أسلم ثم ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم في بعض بني تميم، وسار إليه خالد بن الوليد فقتله، وهنته في التاريخ مشهورة.

[٣] وفي شرح السيوطي: ولم يسمع. [٤] وذكر عن ابن عباس أن قوله تعالى: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوَيْلُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ» على الله عز وجل في أكرم ومن تبعه من أصحابه. [٥] توفي في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن سبع وثمانين سنة، وإسلامه مختلف فيه «أقرأ طويلاً في ذلك في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣١١».

[٦] أي ذؤوب ألب، والألب: التدبير على العدو من حيث لا يعلم.

للعماش ، وثباتاً لِقَوْلَةِ ، صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنْ فِي صَلَاةِ الرَّحِمِ مَنَسَّةٌ <sup>(١)</sup> فِي الْأَجَلِ ، وزيادة في المدد ، اتركوا البُنىَ والمقوق ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيوا الداعي ، وأعطوا السائل ، فَإِنْ فِيهِمَا شَرَفَ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ ، وَعَلَيْكُمْ بِصَدَقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، فَإِنْ فِيهِمَا عِبَةٌ فِي الْخَاصِّ ، وَمَكْرُمَةٌ فِي الْعَامِّ .

وإني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، وَالصَّدِّيقُ فِي الْعَرَبِ ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلِّ مَا أَوْصَيْتُمْ بِهِ ، وَقَدْ جَاءَنَا بِأَمْرِ قَبِيلَةِ الْجَنَانِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَنْكَرَهُ اللِّسَانُ ، غَخَافَةُ الشَّكَّانِ <sup>(٣)</sup> ، وَأَيْتُمُ اللَّهُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِكَ الْعَرَبِ وَأَهْلِ الْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَعَظَّمُوا أَمْرَهُ ، نَخَاضَ بِهِمْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ، وَصَارَتْ رُؤُوسُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَابًا ، وَدُورُهَا خِرَابًا ، وَضَعُفَاؤُهَا أَرْبَابًا <sup>(٤)</sup> ، وَإِذَا أَعْظَمَهُمْ عَلَيْهِ أَخَوُجُهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَبْغَضَهُمْ مِنْهُ أَخْطَأَهُمْ عِنْدَهُ ، قَدْ مَحَضَّتْهُ <sup>(٥)</sup> الْعَرَبُ وَدَادَهَا وَأَصْفَتْ لَهُ بِلَادَهَا ، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا ، يَامَعِشْرَ قُرَيْشٍ : كُونُوا لَهُ وُلَاةً ، وَلِحِزْبِهِ حِمَاةً ، وَاللَّهُ لَا يَسْلُكُ أَحَدَ سَبِيلَهُ إِلَّا رَشْدًا ، وَلَا يَأْخُذُ بِهِذِيرَ أَحَدٍ إِلَّا سَعِيدًا ، وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مَدَّةٌ ، وَفِي أَجَلِي تَأْخِيرٌ ، لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَزَامَ <sup>(٦)</sup> ، وَلِدَافَعْتُ عَنْهُ اللَّتَوَاهِيَّ .

( بلوغ الأرب ١ : ٢٢٧ )

## ٢٩٢ - خطبة مالك بن نخط

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقدم وفد محمدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم مالك بن نخط أبو ثور فقام بين يديه ثم قال :

[١] أى فسخة واستمداً من لسان أى آخره . [٢] القلب . [٣] البش والكرامية . [٤] سادة . [٥] محضه الود ، وأعنه : أخلعه . [٦] الهزائم والهزيمة : تحريك البلايا والحروب الناس .

« يا رسول الله، نَصِيَّةٌ <sup>(١)</sup> من مَهْدَانٍ ، من كل حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَتَوَكَّ عَلَى قُلُوبِ نَوَاجٍ <sup>(٢)</sup> ، متصلةٌ بِجبالِ الاسلام ، لا تأخذُ في الله لومة لائم ، من خِلَافٍ <sup>(٣)</sup> خَافٍ <sup>(٤)</sup> ، وَبَاطِلٍ ، وَشَاكِرٍ ، أَهْلُ السَّوَادِ وَالْقُرَى ، أَجَابُوا دَعْوَةَ الرِّسُولِ ، وَفَارَقُوا آلِهَةَ الْأَنْصَابِ <sup>(٥)</sup> ، عَهْدُهُمْ لَا يَنْقُضُ ، مَا أَقَامَ لَعْنَهُ <sup>(٦)</sup> ، وَمَا جَرَى الْيَحْفُورُ بِصُلْعٍ <sup>(٧)</sup> . » .  
(صح الأئمة ٢ : ٢٤٤)

## ٢٩٣ - سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

حَدَّثَ الْإِمَامُ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ قَالَ : لَمَّا أَتَيْنَا بِسَبَايَا طَيْفٍ ، كَانَتْ فِي النِّسَاءِ جَارِيَةٌ جَمِيلَةٌ - وَهِيَ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ <sup>(١)</sup> - فَلَمَّا رَأَتْهَا أُعْجِبَتْ بِهَا ، فَقُلْتُ لِأُطْلِبْنَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَجْمَلَهَا مِنْ فَيْئِي ، فَلَمَّا تَكَلَّمْتُ أَنْسَيْتُ جَمَالَهَا ، لَمَّا سَمِعْتُ مِنْ فَصَاحَتِهَا ، فَقَالَتْ :

« يَا مُحَمَّدُ : هَلَكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَالِدُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تُحَلِّيَ عَنِّي ، فَلَا تُشْمِتْ بَنِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَإِنِّي بِنْتُ سَيِّدِ قَوْمِي <sup>(٢)</sup> . كَانَ أَبِي يَهْكُ الْمَانِي <sup>(٣)</sup> ، وَيُحْمِي الْقَمَارَ ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ ، وَيُخْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيُعْطِمُ الطَّعَامَ ، وَيُقَشِّي السَّلَامَ ، وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ ، أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ طَيْفٍ »

[١] النصيّة من التّوبه : الحيار ، ومهدان : من عرب اليمن . [٢] القلس : جمع قلس ، وهي من الإبل الثّابة أو الباقية على السّير ، والنّواحي : جمع ناحية ، وهي الممرّة في الدّير . [٣] الخلف : الكورة . [٤] خاف : لقب ملك بن عبد الله أبي قبيّة من ممدان ، وبم ، وشاكر ، قينان من ممدان باليمن . [٥] الأنصاب : جمع نصب يمثّلين ، وهو حجر نصب ويعد من دون الله ، وقيل النصب جمع واحداً فهاب ، قيل في الأسنام وقيل غيرها . [٦] اسم جبل . [٧] اليعفور : وله البقرة الوحشية ، والصّلع : للوضع لا يثبت شيئاً .

[٨] الخفاة في الأصل : القوْلوة . [٩] جواب الشرط محذوف وهذا تعليل له أي فاضل غانٍ .... [١٠] الماني : الأسير .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جارية هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلامياً ترضعنا عليه ، خلّوا عنها ، فإن أباهما كان يجب مكارم الأخلاق ، والله يجب مكارم الأخلاق » . (الأغاني : ١٦ : ٩٣)

## ٢٩٤ - خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء

. روى أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في عام جدب ، فقال : أتيناك يا رسول الله ، ولم يبق لنا صبي يرتضع ، ولا شارب<sup>(١)</sup> ، تَجَرَّه<sup>(٢)</sup> ، ثم أنشده :

أَتَيْنَاكَ وَالْمَدْرَاءَ يَدْمَى لَبَانُهَا<sup>(٣)</sup>      وَقَدْ شُعِلَتْ أُمُّ الرَضِيعِ عَنِ الطُّفْلِ  
وَأَتَى بِكَيْفِيَةِ الْفَتَى لَاسْتِكَامَةٍ      مِنَ الْجُوعِ حَتَّى مَا يُمِيزُ وَلَا يُخْلِي<sup>(٤)</sup>  
وَلَا شَيْءَ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا      سِوَى الْخَنْظَلِ الْعَايِ وَالْعِلْهِزِ الْفَسْلِ<sup>(٥)</sup>  
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا      وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرَّسْلِ ؟

فقام النبي ﷺ يجرُّ رداءه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُفَيْثًا ، مَرِيثًا هَنِيئًا تَرِيثًا<sup>(٦)</sup> ، سَحًّا سِجَالًا<sup>(٧)</sup> ، غَدَقًا<sup>(٨)</sup> طَبَقًا<sup>(٩)</sup> ، دِيمًا دِرْرًا<sup>(١٠)</sup> ، تُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ ، وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ ، وَتُبْدِرُ بِهِ الضَّرْعَ ،

[١] الشارف من التوق : للسنة المبرمة كالشارفة . [٢] أي يدى صدرها لامتصاصها في الحمة حيث لا تجد ما يطعمه من مخرجها من الجذب وشدة الزمان . [٣] أي مايفر وماينفع ، أو مايتأتى بكلمة ولا فلة مرة ولا حلوة . [٤] العاي : الذي أتى عليه عام ، قال الشاعر : « من أن شباك طلل طامى » والعلز : طعام من الدم والوبر كن يحنق الإغاة ، والفسل : الردى ، الرذل من كل شيء .

[٥] للربح الخصب ، أي تخصب به الأرض التي يخل عليها . [٦] أي متداولاً بين البلاد ، يقال كل منها نصيبه منه ، والسجل بالفتح : النصيب والعلو للعلوة العظيمة ، ويقال للرب سجال : أي نصرتها بين القوم متداولة سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء . [٧] البق : الماء الكثير .

[٨] أي ماثلاً للأرض منفيلاً لها ، يقال غيث طبق : أي طام واسع يطبق الأرض . [٩] موجه دوة بالكسر يقال لسحاب دوة : أي صب وانفاق ، وقيل البرد : الغار ، كقوله تعالى :

« دِيمًا قِيًّا » أي قائماً .

واجمله سُقْيَا نَافِةً ، طابلا غير رَائِي (١) ،

فوالله ما ردَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى نَحْرِهِ ، حتى أَلْقَت السماء أُرْوَاتَهَا (٢) ، وجاء الناس يَصِحُّونَ : الفرقَ الفرقَ يا رسول الله ، فقال : اللهم حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ! فَأَجَابَ (٣) السحاب عن المدينة ، حتى استدار حولها كالإِكْلِيل ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه (٤) .

(شرح ابن أبي الحديد ٢ ص ٢١٦)

## ٢٩٥ - أبو زيد الطائي يصف الأسد

قال عثمان بن عفان رضى الله عنه يوماً لأبي زَيْدٍ : حَرَمَلَةُ بن المنذر الطائي - وكان نصرانياً - يا أُنْتَ تَبِعَ الْمَسِيحَ ، أَتَمَعْنَا بِمَضْ قَوْلِكَ ، فَقَدْ أَنْبِئْتُ أَنَّكَ تَجِيدُ ، فَأَنْشِدْهُ قَصِيدَةً لَهُ فِي وَصْفِ الْأَسَدِ ، فقال عثمان : تَاللهُ نَفَقْتُ تَذَكُّرَ الْأَسَدِ مَا حَيَّيْتُ ! وَاللهُ إِنِّي لِأَحْسِبُكَ جَبَانًا هَرَبًا ، قَالَ : كَلَّا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ مِنْهُ مَنْظَرًا ، وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا ، لَا يَنْزُحُ ذِكْرُهُ يَتَجَدَّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي ، وَمَعْدُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : وَأَنْتَى كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « خَرَجْتُ فِي صِيَابَةٍ (٥) أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، ذَوِي هَيْئَةٍ وَشَارَةِ (٦) حَسَنَةٍ ، تَرْمِي بَنَاءَ الْمَهَارَى (٧) بِأَكْسَائِهَا (٨) ، وَنَحْنُ نَزِيدُ الْحَارِثِ ابْنِ أَبِي شَمْرَةَ النَّسَائِي مَلِكِ الشَّامِ ، فَانْخَرُوطُ (٩) بَنَاءَ السَّيْرِ فِي حِمَارَةِ الْقَيْظِ ، حَتَّى

[١] أى غير بلى . [٢] أَلْقَت السحابة أُرْوَاتَهَا أى مطرها ووبلها .

[٣] انكشف . [٤] التواجد : أفضى الأخراس .

[٥] الصيابة بالفتح والتعديد وتخفف : الخالص والصم والخيار من الصبي . . . [٦] الشارة : الميتة والباس والرينة ، والجمال . [٧] مهرة بن حيدان (بفتح اللام والماء) : حتى تنسب إليه الإبل للمهرة ، وجمعها مهادى (بفتح اللام والراء) ومهادى (مقوصاً) ومهادى . [٨] الأكساء : جمع كساء . [٩] انخروط (كقفل وعق) وكس كل شيء : مؤخره . [١٠] انخروط بهم الطريق : طلال واسع .

إِذَا عُصِبَتِ الْأَفْوَاحُ ، وَذَبِلَتِ الشَّفَاهُ ، وَشَالَتِ<sup>(١)</sup> الْمِيَاهُ ، وَأَذَكَّتِ الْجَوَازِءُ  
الْمِرْءَاءُ<sup>(٢)</sup> ، وَذَابَ الصَّيْهَبُ<sup>(٣)</sup> ، وَصَرَ الْجُنْدُبُ<sup>(٤)</sup> ، وَأَصَافَ الْمُصْغُورُ الضَّبَّ<sup>(٥)</sup>  
فِي وَكْرِهِ ، وَجَاوَرَهُ فِي جُفْرِهِ ، قَالَ قَاتِلُ : أَيُّهَا الرِّكْبُ ، غُورُوا<sup>(٦)</sup> بِنَا فِي دَوْحِ  
هَذَا الْوَادِي ، وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَلْنَا كَثِيرَ الدَّغْلِ<sup>(٧)</sup> ، دَائِمَ الْغُلْلِ<sup>(٨)</sup> ، أَشْجَارُهُ  
مُتَنَّةٌ<sup>(٩)</sup> ، وَأَطْيَارُهُ ثُرْنَةٌ<sup>(١٠)</sup> ، حَقَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأَصُولِ دَوَحَاتٍ كَتَمْتُ بِلَاتٍ<sup>(١١)</sup> ،  
فَأَصْبَنَّا مِنْ فَضْلَاتِ الْمَزَاوِدِ ، وَاتَّبَعْنَاهَا الْمَاءَ الْبَارِدَ ، فَإِنَّا لَنَصِيفُ حَرِيَّيَوْمَنَا وَمُحَاطَلَتَهُ ،  
إِذْ صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أَذْنِيهِ<sup>(١٢)</sup> ، وَخَصَّ الْأَرْضَ يَدِيهِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ جَالَ ،  
ثُمَّ تَحَمَّصَ<sup>(١٣)</sup> فَبَالَ ، ثُمَّ فَعَلَ فَعْلَهُ الْفَرَسُ الَّذِي يَلِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، فَتَضَعَضَعَتْ  
الْخَيْلُ ، وَتَكْفُكُمَكَّتِ<sup>(١٤)</sup> الْإِبِلُ ، وَتَقَهْقَرَتِ الْبَنَالُ ، فَمِنْ نَافِرٍ بِشِكَالِهِ<sup>(١٥)</sup> ،  
وَنَاهِضٍ بِمِقَالِهِ ، فَلَمْنَا أَنْفَادَ أَتِينَا ، وَأَنَّهُ السَّبْعُ لَاشْكَ فِيهِ ، فَفَزِعَ كُلُّ وَاحِدِنَا إِلَى  
سَيْفِهِ ، فَاسْتَلَّهُ مِنْ جُرْبَانِهِ<sup>(١٦)</sup> ، ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أُرْسَالًا<sup>(١٧)</sup> ، وَأَقْبَلَ أَبُو الْحَارِثِ مِنْ

- [١] ظَلَّ . [٢] أَذَكَّتْ : أَشْمَتْ ، وَالْمِرْءَاءُ مِنَ الْمَرْزِ بِالْحَرَكِ : وَهُوَ الصَّلَابَةُ ، مَكَانُ أَسْرِ  
وَأَرْضِ مِزَاءٍ ، كِتَابَةٌ عَنْ اشْتِدَادِ الْحَرِّ . [٣] الصَّيْهَبُ : الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ وَالْمَوْذِعُ الشَّدِيدُ وَكُلُّ مَوْضِعٍ  
تَحْمِي عَلَيْهِ الشَّمْسُ حَتَّى يَنْتَوِي الْأَحْمَ عَلَيْهِ . [٤] نَوْعٌ مِنَ الْجِرَادِ ، وَصَرَ : صَوْتٌ .  
[٥] النُّورُ وَالنُّشُورُ : الْخُيُولُ فِي اللَّيْلِ ، وَالنُّوْحُ : جَمْعُ دَوْحَةٍ وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْعَالِيَةُ .  
[٦] الدَّغْلُ : الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُتَفَشِّ ، وَاشْتِقَاقُ النَّبْتِ وَكَثْرَتُهُ . [٧] الظِّلُّ وَالنَّظِيلُ وَالنَّلَّةُ :  
الطَّشُّ أَوْ شِدَّتُهُ أَيْ دَائِمُ الطَّشِّ إِلَى الْمَاءِ . [٨] أَغْنَى الْقِيَابَ صَوْتٌ ، وَيُقَالُ : وَادٍ مَغْنً ، وَهُوَ الْغَى  
حَارٌّ فِيهِ صَوْتُ الْقِيَابِ ، وَلَا يَكُونُ الْقِيَابُ إِلَّا وَادٍ مَغْنَبٌ مَغْنَبٌ ، وَالغَنَّةُ ( بِالْفَتْحِ ) صَوْتُ فِي الْخَيْشُومِ ،  
وَالْأَغْنُ : الَّذِي يَتَكَلَّمُ مِنْ قَبْلِ خِيَاشِيهِ غِنً مِنْ بِالْفَتْحِ فَهُوَ أَغْنً ، وَمِنْهُ نَقَرُوا وَادٍ أَغْنً أَيْ كَثِيرَ الْمَغْنَبِ  
لَأَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ أَغْنَى الْقِيَابَ وَفِي أَصُولَاتِهَا غَنَّةٌ ، وَرَوْدَةٌ غَنَاءٌ كَذَلِكَ ، أَوْ تَمَرٌ فِيهَا الرِّيحُ غَيْرُ صَافِيَةٍ  
الصَّوْتِ لِكثَافَةِ حَشَايَا . [٩] رَنَتْ وَأَوْنَتْ : صَاحَتْ . [١٠] الْكُتَيْبُ : شَجَرٌ عَظَامٌ ، وَالْمَزَاوِدُ :  
جَمْعُ مَزُودٍ كَثِيرٍ ، وَهُوَ وَطَاءُ الْزَادِ . [١١] صَرَ الْجَوَابِذُ وَصَرَهَا وَأَمْرِيهَا : سَوَاهَا وَنَصَبَهَا لِلِاسْتِغَاةِ .  
[١٢] الْحَمِجَةُ وَالْمُتَحَمِّصُ : صِيَاغُ الْفَرَسِ حِينَ يَضْرِبُ فِي السَّبِيلِ وَيَسْتَبِينُ بِنَفْسِهِ ، وَصَوْتُهُ إِذَا طَلَبَ الْمَلْفَ .  
[١٣] خَلَفَتْ وَفَرَعَتْ : كَمَكَّتْهُ فَتَكَمَّكِعُ : جِيَنَتْ وَخَوْفَتْهُ . [١٤] الشِّكَالُ : الْجَبَلُ الَّذِي تَقْدُّ بِهِ  
قِرَامُ الدَّابَّةِ . [١٥] الْمِرْيَانُ : عِمْدُ السَّيْفِ . [١٦] الرِّزْدَقُ : الصَّفُّ مِنَ النَّاسِ ، وَالْأُرْسَالُ :  
جَمْعُ رَسَلٍ كَسِبَ وَهُوَ الْقَطِيعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

أَجْتَه ، يَتَظَالَعُ <sup>(١)</sup> فِي مِشْيَتِهِ ، كَأَنَّهُ يَجْتُنِبُ أَوْ فِي هِجَارٍ <sup>(٢)</sup> ، لِيَصْدَرَهُ نَحِيْطٌ <sup>(٣)</sup> ،  
وَلِيَبْلَاغِيهِ عَظِيْطٌ <sup>(٤)</sup> ، وَلِيَطْرَفَهُ وَمِيْضٌ ، وَلِأَرْسَائِهِ نَقِيْضٌ <sup>(٥)</sup> ، كَأَنَّمَا يَجْتَبِهُ  
هَشِيْمًا ، أَوْ يَطْلَأُ صَرِيْعًا <sup>(٦)</sup> ، وَإِذَا هَامَتْ كَالْمَجْنُ <sup>(٧)</sup> ، وَخَذَّ كَالْمَسْنُ ، وَعَيْنَا  
سَجْرَاوَانِ <sup>(٨)</sup> كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَقَدَّانِ ، وَقَصْرَةٌ رَبِيْعَةٌ <sup>(٩)</sup> ، وَلِجَزْمَةٍ رَهْلَةٌ <sup>(١٠)</sup> ،  
وَكَتْدٌ مُغْبِطٌ <sup>(١١)</sup> ، وَزَوْزٌ مُفْرَطٌ <sup>(١٢)</sup> ، وَسَاعِدٌ مُجْدُولٌ ، وَعَضْدٌ مُقْتُولٌ ، وَكَهْ  
شَتْنَةُ الْبَرَاثَنِ <sup>(١٣)</sup> إِلَى غَالِبٍ كَالْمَحَاجِنِ <sup>(١٤)</sup> ، فَضْرَبَ يَدِيْهِ فَارْهَجَ <sup>(١٥)</sup> ،  
وَكَشَرَ <sup>(١٦)</sup> فَافْرَجَ عَنْ أُنْيَابٍ كَالْمَالُولِ ، مُصْقُوْلَةٌ ، غَيْرُ مُقَالُوْلَةٍ ، وَقَمَّ أَشْدَقُ <sup>(١٧)</sup> ،  
كَالْفَارِ الْأَخْوَقِ <sup>(١٨)</sup> ، ثُمَّ تَمَطَّى فَاسْرَعَ يَدِيْهِ ، وَحَقَرَ <sup>(١٩)</sup> وَرَكِيْهِ بِرَجْلِيْهِ ، حَتَّى  
صَارَ ظِلُّهُ مِثْلِيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَى <sup>(٢٠)</sup> فَاقْشَعَرَ ، ثُمَّ مَثَلَ فَكَفَهَرَ <sup>(٢١)</sup> ، ثُمَّ تَجَهَّمَ فَازْبَارَ <sup>(٢٢)</sup> ،  
فَلَا وَدُو <sup>(٢٣)</sup> يَتُّهُ فِي السَّمَاءِ ، مَا اتَّقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَخْرِ لَنَا مِنْ فَرَاةٍ ، كَأَن ضَخْرَ

- [١] مَنْ ظَلَمَ كُنْهُ إِذَا غَزَرَ فِي مَشْيِهِ . [٢] جَنْبُهُ : قَادَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَهُوَ جَنْبٌ وَجَنْبٌ وَجَنْبٌ  
وَالْهِجَارُ : حَبْلٌ يَنْشُدُ فِي رَسْغِ رَجُلٍ الْبَيْرِ ثُمَّ يَنْشُدُ إِلَى حَقْوِهِ ، وَإِنْ كَانَ مَرْحُولًا شَدَّ إِلَى الْحَقْبِ .  
[٣] النَحِيْطُ : الْوُزِيرُ ، وَالنَّاحِطُ : مَنْ يَحِلُّ شَدِيدًا . [٤] قَطَطَ الْبَيْرِ شَطِيْطًا هَدَرًا ، وَالتَّامُّ  
صَوْتٌ وَكَذَا الْمَذْبُوحُ وَالْمَحْنُوقُ . [٥] غِيْشُ الْأَصَابِعِ وَالْأَضْلَاعِ وَالْمَفَاصِلِ : أَصْوَاتُهَا .  
[٦] نَحَرَ صَرَمَ : أَيْ مَقْطُوعَ . [٧] الْمَجْنُ : الْإِنْسُ . [٨] عَيْنِ سَجْرَاءَ : خَالَطَتْ بِيَاضَ  
حُمْرَةٍ . [٩] الْقَصْرَةُ : أَصْلُ السَّقَى ، وَالرَّيَالَةُ بِالْفَتْحِ : كَثْرَةُ الْهَمِّ وَهِيَ رَهْلَةٌ وَمُتْرَبَلَةٌ .  
[١٠] الْهَزْمَتَانِ هَتَانٌ تَحْتَ الْأُذُنَيْ ، وَالْمَجْعُ لَهَا زَمْ ، وَرَهْلٌ لُحْمٌ : كَفَرَحَ اخْتَضَعَ وَوَرَمَ مِنْ غَيْرِ دَاءٍ  
[١١] الْكَتْدُ : مَجْمَعُ الْكَتْفَيْنِ ، أَوْ الْكَامِلُ ، أَوْ مَا بَيْنَ الْكَامِلِ إِلَى الظَّهْرِ ، وَأَغْبَطَ النَّبَاتُ  
غَطِيَّ الْأَرْضِ ، وَكَتَفٌ وَتَدَانِيٌّ ، وَأَرْضٌ مُنْبِطَةٌ يَفْتَحُ الْبَاءُ ، أَيْ وَكَلَّمُ مُطْلَى بِالْشَّرِّ .  
[١٢] مَنْ أَفْرَطَهُ إِذَا مَلَأَهُ حَتَّى أَسَالَ الْمَاءُ فَهُوَ مُفْرَطٌ . [١٣] شَتْنَةٌ : أَيْ غَلِيْظَةٌ خَشَنَةٌ ، شَدَّ  
كَفَهُ : كَفَرَحَ وَكَرَمَ ، وَالْبَرَاثَنِ : جَمْعُ بَرَثٍ كَبْرَقَ وَهُوَ يَخْلِبُ الْأَسَدُ . [١٤] الْمَحَاجِنُ : جَمْعُ مَحَجٍّ كَذِ  
وَمَكْنَةٍ : الْمَا الْمَوْجَةُ ، وَكُلٌّ مَسْطُوفٌ مَوْجٌ . [١٥] أَرْهَجَ : أَثَارَ الْفَرَارِ ، وَالرَّهَجُ ( كَشَمٌ  
وَسَبَبٌ ) لِلنَّبَارِ . [١٦] كَشَرَ عَنْ أَسْتَانِهِ : أَكْبَدَى . [١٧] مِنَ الشَّدَقِ ( كَسِبَ ) وَهُوَ سَا  
الشَّدَقُ . [١٨] مِنَ الْحَوَقِ ( كَسِبَ أَيْضًا ) وَهُوَ السَّحَابَةُ وَمِنْهُ مَقَاوِزُ خَيْفَاءَ . [١٩] حَقَرَ  
دَفْعَهُ . [٢٠] أَقْبَى : جَلَسَ عَلَى أَسْتِهِ مَقَرَّشًا رَجُلُهُ تَصَابِيْدِيهِ . [٢١] مَثَلَ : قَامَ مُتَتَبِعًا  
وَالْمَكْهَرُ مِنَ الْوَجْهِ : الْغَابِرُ لَوْنُهُ إِلَى الثَّوْبَةِ مَعَ قَلْظٍ ، وَالْمَتَبَسُّ . [٢٢] تَجَهَّمَ وَجْهَهُ ( كَذِ  
وَصَحَّ ) اسْتَقْبَلَ وَجْهَهُ كَرِهًا ، وَازْبَارَ : تَنَفَّسَ . [٢٣] ذُو : يَمْنَى لَقَى فِي لُقَّةٍ طَيِّبَةٍ .  
« غَضِيٍّ مِنْ ذُو ضَمَمٍ مَا كَفَانِيَا » .

الجزارة <sup>(١)</sup> ، فَوَقَّصَهُ <sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ نَقَضَهُ نَقْضَةً ، فَقَضَقُضَ <sup>(٣)</sup> مَتْنِيهِ ، فَعَمِلَ يَلْتَمِسُ فِي دَمِهِ ، فَذَرَّتْ <sup>(٤)</sup> أَصْحَابِي ، فَبَعَدَ لَأَيُّ مَا اسْتَقْدَمُوا ، فَهَبَّحْنَا <sup>(٥)</sup> بِهِ ، فَكَّرَ مَقْشِرَ الزُّبُرَةِ <sup>(٦)</sup> ، كَأَنَّهُ شَيْئُهُمَا <sup>(٧)</sup> حَوْلِيًّا ، فَاخْتَلَجَ <sup>(٨)</sup> رَجُلًا أُعْجِرَ ذَاخَوَايَا ، فَنَقَضَهُ نَقْضَةً تَرَايَلَتْ مِنْهَا مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ تَهَمَّ فَقَرَّ قَرَّ <sup>(٩)</sup> ، ثُمَّ زَفَرَ قَبْرَ بَرِّ <sup>(١٠)</sup> ، ثُمَّ زَارَ جَفْرَ جَرَّ <sup>(١١)</sup> ، ثُمَّ لَحَظَ ، فَوَاللَّهِ لَخَلْتُ الرِّقَّ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جَفْوَنِهِ ، عَنْ شِمَالِهِ وَعَيْنِهِ ، فَأَزْغَشَتِ الْأَيْدِي ، وَأَصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ ، وَأَطَلَتْ <sup>(١٢)</sup> الْأَصْلَاعُ ، وَارْتَجَّتِ الْأُصْمَاعُ ، وَشَخَّصَتِ <sup>(١٣)</sup> الْعَيُونُ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَانْخَزَلَتْ <sup>(١٤)</sup> الْمُنُونُ ، وَلَحِقَتْ الظُّهُورُ بِالْبَطُونُ ، ثُمَّ سَاعَتِ الظُّنُونُ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أَرَعِبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . ( الْأَغْنَى : ١١ : ٢٣ ، وَالْحَاسِنُ وَالْأَسَدُادُ ص ١١٢ )

## ٢٦٦ — تَمَّةٌ فِي الْحُكْمِ <sup>(١٥)</sup>

من كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

« إِنْ اللَّهُ قَرَنَ وَعْدَهُ بِوَعِيدِهِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا وَرَاهِبًا . لَيْسَتْ مَعَ الْعَزَاءِ مُصِيبَةٌ . الْمَوْتُ أَهْوَنُ مِمَّا بَعْدَهُ وَأَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهُ . ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ :

[١] الجزارة : بالضم الياء والرجاء والفتح . [٢] وقص عقه : كسرهما . [٣] من قض البناء أى مده ، وقضض : مرق . [٤] القسر : الملازمة ، والحض : التهديد . [٥] اللأى : الإبطا ، والاختباس . [٦] هبجج بالأسد : صاح . [٧] الزبيرة ( كفرمة ) هى الثمرات تنبع بين كفتي الأسد . [٨] الشهم : ما عظم شوكة من ذكران تقتاذ ، والحول : ما ألقى عليه حول . [٩] اختلج : جذب وانتزع ، والأعجر : السمين ، عجر : كفرح غلظ ومن وضع يده ، والخوايا : جمع حاوية ، وهى ما تحوى من الأسماء أى استدار ، والحنى أنه عظيم البطن . [١٠] المهمة : تردد الزئير فى السمر ، وكل صوت منه يبح ، والفرقة : هدير البعير . [١١] البريرة : الحلبة والصباح . [١٢] الجرجرة : صوت يردد البعير فى خنبرته . [١٣] الأطليط : صوت الرجل والإبل إذا أنت قبا أو خينا ، وصوت الظهر ، والجرف من الموضع . [١٤] شخص جبره كنع : فتح عينه وجعل لا يطرف . [١٥] الانخزال والنزول : مشية فى تناقل . ومتنا الظهر : مكتفا الصلب عن عينه وشماله . [١٦] فى كتب الحديث الشريف مأثور أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه ، وفى نيج البلاغة ، وشرح ابن أبي الحديد عليه وغيرهما كثير من حكم الإمام على كرم الله وجهه فافرا أما هناك .

الْبَنِيِّ، وَالنَّكَتِ، وَالْكَر. ذَلِكَ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُ إِلَى امْرَأَةٍ، لَا يَكُونُ قَوْلُكَ  
لَنَفْسٍ فِي غَفْوٍ وَلَا عَقُوبَةٍ. إِذَا قَاتَكَ خَيْرٌ فَأَدْرِكْهُ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ شَرٌّ فَاسْبِقْهُ.  
إِنْ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ عِيُونَ تَرَكَ. احْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوَهِّبَ لَكَ الْحَيَاةَ. - قَالَ خَالِدُ  
ابْنُ الْوَلِيدِ حِينَ بَشَّهَ إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ - رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً أَعَانَ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ. أَطْوَعُ  
النَّاسَ اللَّهُ أَشَدُّمْ بِنَفْسٍ لِمَعْصِيَتِهِ. إِنْ اللَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مَا يَرَى مِنْ ظَاهِرِكَ،  
إِنْ أَوَّلَى النَّاسَ بِاللَّهِ أَشَدُّمْ تَوَلَّيَا لَهُ. لَا تَجْعَلْ سِرَّكَ مَعَ عَلَانِيَتِكَ، فَيَمْرُجَ (١)  
أَمْرُكَ، خَيْرَ الْمُخْصَلَتَيْنِ لَكَ أَنْفُسُهُمَا إِلَيْكَ. صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ.  
وَمِنْ كَلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

« مِنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ. أَشَقُّ الْوَلَاةِ مِنْ شَقِيَّتٍ بِهِ رَعِيَتُهُ. اتَّقُوا  
مَنْ تُبَغِّضُهُ قُلُوبُكُمْ. أَعْقِلِ النَّاسَ أَعْزَمُ لِلنَّاسِ. لَا تُؤْجِلْ عَمَلُ يَوْمِكَ لَعَنُوكَ.  
مَنْ لَمْ يَسِرْفِ الشَّرَّ كَانَ جَدِيرًا أَنْ يَقَعَ فِيهِ. مَا الْحَمْرُ صِرْفًا بِأَذْهَبَ لِلْمَقُولِ مِنْ  
الطَّمْعِ. قَلِمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ. مُرْ ذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا.  
نَحْمَضُ عَنِ الدُّنْيَا عَيْنَكَ وَوَلَّ عَنْهَا قَلْبَكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تُهْلِكَ كَمَا أَهْلَكَتَ مَنْ كَانَ  
قَبْلَكَ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَصَارِعَهَا، وَعَايَنْتَ سُوءَ آثَارِهَا عَلَى أَهْلِهَا، وَكَيْفَ عَرَى مِنْ  
كَسَّتْ، وَجَاعَ مِنْ أَطْعَمَتْ، وَمَاتَ مِنْ أَحْيَتْ. احْفَظْ مِنَ النِّعْمَةِ احْفَظْ ظِلَّكَ  
مِنَ الْمَصِيبَةِ، فَوَاللَّهِ لَمْ يَأْخُوفْهُمَا عِنْدِي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَدْرِكَ وَتَخْذَعَكَ. الدُّنْيَا  
أَمَلٌ مَحْتَرَمٌ وَأَجَلٌ مُتَقَصٌّ، وَبَلَاغٌ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا، وَسِيرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ  
تَسْرِيحٌ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً فَكَّرَ فِي أَمْرِهَا، وَنَصَحَ لِنَفْسِهَا، وَرَاقِبَ رَبَّهَا، وَاسْتَقَالَ  
ذَنْبَهَا. إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ، مَفْسَدَةٌ لِلْجَوْفِ، مُؤْدِيَةٌ إِلَى السَّقَمِ.  
رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً أَهْدَى إِلَى عِيُوبِي، أَفْلَحَ مِنْ حَفَظَ مِنَ الطَّمْعِ وَالنَّصَبِ وَالْهَوَى نَفْسَهَا. »

ومن كلام عثمان رضى الله عنه :

« مَا يَزَعُ <sup>(١)</sup> اللهُ بالسُّلْطَانِ أَكْثَرَ مِمَّا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ . يَكْفِيكَ مِنَ الْحَاسِدِ أَنَّهُ يَنْتَمِ قَوْلُ سُرُورِكَ . أَتَمُّ إِلَى إِمَامٍ فَقَالَ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَوْلَالِ - قَالَ يَوْمَ صَعِدَ الْمَنْبَرُ فَأَرْتَجِحُ عَلَيْهِ . »

. ومن كلام ابن عباس رضى الله عنه :

« صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ لَا يَقَعُ ، فَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُسْكَا . الْحِرْمَانُ خَيْرٌ مِنَ الْإِمْتِنَانِ . مِلَاكَ أَمْرِكُمُ الدِّينَ ، وَزِينَتُكُمُ الْعِلْمَ ، وَحَصُونُ أَعْرَاضِكُمُ الْأَدَبُ ، وَعِزُّكُمْ الْحِلْمُ ، وَحِلْيَتُكُمْ الْوَفَاءُ . الْقِرَابَةُ تُقَطِّعُ ، وَالْمَعْرُوفُ يُكْفِرُ ، وَلَمْ يَزَلْ كَالْمُودَةِ . لَا تُحَارِ سَفِيهًا وَلَا حَلِيلًا ، فَإِنَّ السَّفِيهَ يُؤْذِيكَ ، وَالْحَلِيلَ يَقْذِيكَ <sup>(٢)</sup> ، وَاعْمَلْ عَمَلًا مِنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجْزِيٌّ بِالْحَسَنَاتِ ، مَا خُوِذَ بِالسَّيِّئَاتِ . »

ومن كلام ابن مسعود رضى الله عنه :

« مَا أَلْذَنُ خَانٍ عَلَى النَّارِ بِأَدَلٍّ مِنَ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ ، الدُّنْيَا كُلُّهَا غَمُومٌ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا فِي سُرُورٍ فَهُوَ رِيحٌ . »

ومن كلام الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ :

« إِنْ الْمَرْفَقَةُ لَتَنْفَعُ عِنْدَ الْكَلْبِ الْعَقُورَ ، وَالْجُلُ الصُّثُولُ <sup>(٣)</sup> ، فَكَيْفَ بِالرَّجُلِ الْكَرِيمِ ! »

ومن كلام أَبِي الدَّرْدَاءِ :

« السُّودَدُ اصْطِنَاعُ الْبَشِيرَةِ ، وَاحْتِمَالُ الْجَرِيرَةِ ، وَالشَّرَفُ كَفُّ الْأَذَى ، وَبِذَلُّ النَّدَى ، وَالغَنَى قَلَّةُ التَّمَنَّى ، وَالْفَقْرُ شَرُّ النَّفْسِ »

[١] يَكْف . [٢] يَخْذُكَ . [٣] مَوْءِلُ الْجِلْدِ : وَابْنُ النَّاسِ أَوْ صَاحِبُ يَتْلَاهُمْ وَيَسْمَعُ عَلَيْهِمْ .

ومن كلام أبي ذرٍّ :

« إن لك في مالك شريكين : الحِذَنَانُ <sup>(١)</sup> والوارث ، فإن قَدَرْتَ ألا تكون  
أخسَّ الشركاءَ حظاً فاقبل . » (مع الأئمة للبيان ٢ : ٢٧٦ ، ونهاية الأرب ٢ : ٤ )

استدراك ما فات من .

## العَصْرُ الْحَبَشِيُّ

سقط بعض اللوضعات من العصر الجاهلي في أثناء الطبع ، ولم أكتب لها إلا بعد البدء  
في طبع عصر صدر الإسلام ، فرأيت إرجاءها إلى آخر الجزء محافظة على انتظام سلسلة الترقيم ،  
وهاهي ذى :

٢٩٧ — خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة

تنافرت قريش وخزاعة <sup>(٢)</sup> إلى هاشم بن عبد مناف ، غطبهم بما أذعن  
له الفريقان بالطلعة ، فقال في خطبته :

« أيها الناس ، نحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النضر بن كِنَانَةَ <sup>(٣)</sup>  
وبنو قُصَيٍّ بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسُكَّانَ الحَرَمِ ، لنا ذروة الحَسَبِ ، ومعدن  
المجد ، ولكُلِّ في كُلِّ حِلْفٍ <sup>(٤)</sup> يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادما

[١] حذَنَانُ الفهر : نوبه وأحداثه . [٢] خزاعة : حى من الأزد ، سوا ذلك لأنهم تخزعوا  
عن قومهم ( أى تخلفوا عنهم واغططوا ) في إقبالهم من اليمن ، وذلك أنه لما فرقت الأزد من اليمن في البلاد  
نزل بنو مازن على ماء بين زيد وزيح ، وأقبل بنو عمرو بن عامر فالتحقوا بهم فغلبواهم فغلبواهم .  
[٣] النضر : الجد الثاني عشر لئن صلى الله عليه وسلم ، وقضى الجد الرابع . [٤] الحلف : العهد  
بين القوم والصداقة ، والصديق يحلف لصاحبه أن لا يندوبه ، وقوله « لكل في كل » أى لكل في  
صاحبه صديق يجب عليه نصرته .

إلى حقوق عشيرة ، وقَطَعَ رَحِمَ ، يابني قصي : أتم كفنني شجرة أيهما كسِرَ  
أوحش صاحبه ، والسيف لا يصابن إلا بَعْدَهُ ، وراى العشيرة يصيبه سهْمُهُ ،  
ومن أَمَحَكَه <sup>(١)</sup> اللجاجُ أخرجه إلى البنى .

أيها الناس ، الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كثر ، والجود سُودُودُ  
والجهل سَفَه ، والأيام دُول ، والبر غير <sup>(٢)</sup> ، والمرء منسوب إلى فعله ، ومأخوذ  
بفعله ، فاضطنموا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تُجَانِبُكُمْ السفهاء ،  
وأكرموا الجليس يَغْتَرُّ نَادِيَكُمْ ، وحاموا الخَلِيطَ يُزْغَبُ في جواركم ، وأنصفوا  
من أنفسكم يُوثَقَ بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رُفْعَةٌ ، وإياكم والأخلاق  
الدَنِيَّةَ فإنها تضع الشرف ، وتهدم الحمد ، وإن نَهْنَهَ <sup>(٣)</sup> الجاهل أهون من  
جَرِيرَتِهِ <sup>(٤)</sup> ، ورأس العشيرة يحمل أفعالها ، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به .  
فَقَالَتْ قريش : « رضينا بك أبا نَضْلَةَ » ، وهى كنيته .

(بلوغ الأرب ١ : ٢٢٢)

٢٩٨ - منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية <sup>(١)</sup>

تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة ، فأبى

[١] أغضبه . [٢] أى ذو غير ، وغير الفهر : أحداثه للنيرة ، جمع غيرة بالكسر ، أو مفرد  
وجه أغيار . [٣] تنبه عن الأمر : كفه وزجره . [٤] فى الأول « حزيته » ، وفى  
كتب القصة : « حزرة للمال ، وحزيرته : خياره » ، ولامنى لها هنا ، وأرى أنها مصحفة عن « حزيته » .  
[٥] وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودى يقال له أذينة ، يتجر وله مال كثير ، فناظ ذلك  
حرب بن أمية ، وكان نديم عبد المطلب ، فأغرى به فتياناً من قريش ليخطوه ، وبأغفوا ماله ، فقتله طامس بن  
عبد مناف بن عبد الدار ، وصخر بن عمرو بن كعب التيمي ، جد أبى بكر رضى الله عنه ، فلم يعرف  
عبد المطلب قاتله ، فلم يزل يبحث حتى عرفها ، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية ، فأبى حرباً ولامه  
وطلبها منه فأغفاهما ، فقتلها فى القول ، حتى تنافرا إلى النجاشي فلم يدخل بينهما ، فجلا بينهما فليل بن  
عبد المزى جد عمر بن الخطاب ففر عبد المطلب عليه ، فترك عبد المطلب مائة حرب ، ونام جد الله بن  
جدعان التيمي ، وأخذ من حرب مائة ناقة ، فدفعا إلى ابن عم اليهودى ، وأرجع ماله لإشيتاً ملك ، ففرمه  
من ماله .

أَنْ يَنْفَرُ<sup>(١)</sup> يَنْفَرُ ، فَمَلَا بَيْنَهُمَا نُفَيْلُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ رِيَّاحٍ ، فَقَالَ لِحَرْبٍ :  
 « يَا أَبَا عَمْرٍو : أَتَنْفَرُ رَجُلًا هُوَ أَطْوَلُ مِنْكَ قَامَةً ، وَأَعْظَمُ مِنْكَ هَامَةً ،  
 وَأَوْسَمُ مِنْكَ وَسَامَةً<sup>(٢)</sup> ، وَأَقْلُ مِنْكَ مَلَامَةً ، وَأَكْثَرُ مِنْكَ وَلَدًا ، وَأَجْزَلُ صَفْدًا<sup>(٣)</sup>  
 وَأَطْوَلُ مِنْكَ مَذْودًا<sup>(٤)</sup> ، وَإِنِّي لَأَقُولُ هَذَا وَإِنَّكَ لِبَعِيدُ الْقَضَبِ ، رَفِيعُ الصَّوْتِ  
 فِي الْعَرَبِ ، جَلْدُ الْمَرْيَةِ<sup>(٥)</sup> ، جَلِيلُ الْعَشِيرَةِ ، وَلَكِنَّكَ نَافَرْتَ مُنْفَرًا » .  
 فَغَضِبَ حَرْبٌ وَقَالَ : إِنْ مِنْ أَتَكَاسٍ<sup>(٦)</sup> الزَّمَانُ أَنْ جُعِلْتَ حَكَمًا ..

(تَرْجُمُ الْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٦ ، وَتَرْجُمُ الطَّبْرِيُّ ٢ : ١٨١)

## ٢٩٩ - مَقَالُ قَيْصَةَ بْنِ نَعِيمٍ لَامِرِيِّ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ

قَدِمَ عَلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيِّ بَدْمُ مَقْتُلِ أَبِيهِ رَجَالٌ مِنْ قِبَائِلِ  
 بَنِي أَسَدٍ ، وَفِيهِمْ قَيْصَةُ بْنُ نُعَيْمٍ يَسْأَلُونَهُ الْعَفْوَ عَنْ دَمِ أَبِيهِ<sup>(١)</sup> ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي  
 قَبَاءٍ وَخُفٍّ وَعِمَامَةٍ سَوْدَاءٍ - وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا تَنْتَمُ بِالْأَسْوَدِ إِلَّا فِي التَّرَاتِ -  
 فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ قَامُوا لَهُ ، وَبَدَرُوا إِلَيْهِ قَيْصَةَ فَقَالَ :

« إِنَّكَ فِي الْمَحَلِّ وَالْقَدَرِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ ، وَمَا تُحْدِثُهُ أَيَّامُهُ ، وَتَتَنَقَّلُ  
 بِهِ أَحْوَالُهُ ، بِحَيْثُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَذَكِيرٍ مِنْ وَاعِظٍ ، وَلَا تَبْصِيرٍ مِنْ مَجْرِبٍ ،  
 وَلَكِنْ مِنْ سُودَدٍ مَنَصِّبِكَ ، وَشَرَفٍ أَعْرَافِكَ<sup>(٢)</sup> ، وَكَرَمٍ أَصْلِكَ فِي الْعَرَبِ ،  
 تَحْتَدُّ<sup>(٣)</sup> يَحْتَمِلُ مَا مُحْمَلٌ عَلَيْهِ ، مِنْ إِقَالَةِ الْعَثَرَةِ ، وَرَجُوعٍ عَنِ الْهَفْوَةِ ، وَلَا تَجَاوِزُ

[١] غَرِهَ عَلَيْهِ : قَضَى لَهُ عَلَيْهِ بِالْعَبَاةِ . [٢] الْوَسَامَةُ : الْحَسَنُ وَالْجَمَالُ . [٣] الصَّفْدُ : السَّيْفُ .  
 [٤] لِلنُّوْدِ : الْقَسَانُ . [٥] الرِّيَّةُ : الْحَبْلُ الْعَشِيدُ لِلْقَتْلِ ، وَالزَّرْعَةُ . [٦] أَيْ اخْتِلَافُ الزَّمَانِ  
 مِنْ أَتَكَاسٍ أَيْ وَقَعَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَفِي الطَّبْرِيِّ : أَتَكَاسٌ بِالتَّاءِ مِنْ أَتَكَاسَ الْحَبْلُ وَهُوَ انْقِطَاعُهُ .  
 [٧] وَكَانَتْ بَنُو أَسَدٍ ( وَمِنْهُمْ لِلْغُرَةِ ) خَاضِعَةً لِقُوَّةِ كِنْدَةَ ، وَآخِرُ مَلِكٍ عَلَيْهِمْ هُوَ حَجْرُ أَبُو  
 أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَقَدْ ثَارُوا عَلَيْهِ وَتَوَلَّوْهُ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ عَصَى فِي حَكْمِهِ لَهُمْ ، وَاشْتَطَطَ عَلَيْهِمْ فِي الْإِثْمَةِ الَّتِي  
 يَزِيدُونَهَا إِلَيْهِ . [٨] الْأَعْرَاقُ : جَمْعُ عَرَقٍ وَهُوَ أَسَلُ كُلِّ شَيْءٍ . [٩] الْحَدُّ : الْأَسْلُ .

المهم إلى غايةٍ إلا رَجَعْتَ إليك ، فوجدتُ عندك من فضيلة الرأي ، وبصيرة  
الفهم ، وَكَرَّمَ الصَّفْحَ ، ما يطول رَغَبَاتِهَا ، ويستغرق طَلِبَاتِهَا ، وقد كَانَ الذي  
كَانَ من المَخْطَبِ الجَلِيلِ ، الذي نَمَتَ رزِيتهُ نِزَاراً واليمن ، ولم تُخْصَصْ بذلك  
كِندةٌ دوننا ، للشرف البارِعِ كَانَ لِحُجْرٍ ، التاجُ والعِمَّةُ فوق الجبين الكريمِ ،  
وإخاءُ الحمد وطيب الشِّيمِ ، ولو كَانَ يُقْدَى هَالِكٌ بالانْقِسَاءِ الباقيةُ بدمه لما بَخَتَ  
كَرَأْمُنَا بها على مثله ، ولكنه مَضَى به سبيلٌ لا يرجعُ أخراه على أولاه ، وَلَا  
يُلْحَقُ أَقْصَاهُ أَدْنَاهُ .

فأحمدُ الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث :  
إِمَّا أَنْ اخْتَرْتَ من بنى أَسَدَ أَشْرَفَهَا بَيْتاً ، وأَعْلَاهَا في بناء المَكْرُمَاتِ صَوْتاً ،  
فَقَدْ نَاهُ إِلَيْكَ بِنِسْمَةٍ <sup>(١)</sup> ، تذهب مع شَفَرَاتِ حُسَامِكَ يَبَاقِي قَصْرَتِهِ <sup>(٢)</sup> ،  
فتقول : رجلٌ امْتَنَحَ بِهَالِكٍ عَزِيزٍ ، فلم يَسْتَلْ سَخِيَّتَهُ <sup>(٣)</sup> إِلَّا تَمَكَّنَ مِنَ الْإِنْتِقَامِ ،  
أَوْ فِدَاءِ بِنَايِرُوحٍ <sup>(٤)</sup> على بنى أَسَدٍ من نَعْمَا ، هِيَ أَلُوفٌ تَجَاوِزُ الْحِسْبَةَ ، فكان ذلك  
فِدَاءً رَجِمَتْ بِهِ الْقُضْبُ <sup>(٥)</sup> إلى أَجْفَانِهَا ، لم يرددها تَسْلِيطُ الْإِخْنِ <sup>(٦)</sup> على الْبِرَاءِ ،  
وإِمَّا أَنْ وَادَعْتَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَوَامِلَ ، فَتُسْذِلَ الْأُزُرَ ، وَتُعْقِدَ الْخُمُرَ فَوْقَ الرَايَاتِ .  
فبَكَى امرؤُ الْقَيْسِ سَاعَةً ، ثم رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ :

٣٠٠ - رَدَا مَرِيَّ الْقَيْسِ عَلَيْهِ

« لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا كُفَّءَ لِحُجْرٍ فِي دَمٍ ، وَأَنِّي إِنِ اعْتَاضَ بِهِ جَمَلًا وَلَا

[١] النسم : سبير عريضٌ تُشدُّ بهِ الرجلُ ، والقطعة منه نَسْمَةٌ . [٢] القصرة : أصل النقي .  
[٣] السخية : المهد . [٤] يرجع ، ولأرواح الإبل : ودعا إلى اللراح بالضم أى للأوى ، والنسم :  
الإبل والشاة أَدْخَسَ بِالْإِبِلِ ، وهو للراد هنا . [٥] السيوف . [٦] الإخْن : جمع إحنة ،  
ومى المهد .

نافة ، فأكتب به شبة الأبد ، وقت المضد<sup>(١)</sup> ، وأما النظرة<sup>(٢)</sup> فقد أوجبتها  
الأجنة في بطون أمهاتنا ، وإن أكون لمطلبها سبباً ، وستفرون طلائع كيندة  
من بعد ذلك ، تحمل في القلوب حقاً ، وفوق الأسته علقاً<sup>(٣)</sup> :

إذا جالت الحرب في مازق تُصافح فيه المنايا النفوسا  
أتقيمون أم تنصرفون ؟

قالوا : « بل تنصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار ، بمكروه وأذية ،  
وحرب وبليّة » ثم نهضوا عنه وقبضة يمثل :

لملك أن تستوخم الورود إن عدت كَتَابُنَا في مازق الحرب تُغَطّر<sup>(٤)</sup>  
فقال امرؤ القيس : « لا والله ، ولكن أستعذبه ، فرؤيدا ، ينفرج لك دُجَاهَا  
عن فرسان كيندة وكتائب جَهر ، ولقد كان ذكر غير هذا بي أولى ، إذ كنت  
نازلاً برَبِّي<sup>(٥)</sup> ، ولكنك قلت فأوجبت » فقال قبضة : « ما يتوقع فوق  
قدر المأثبة والإعتاب<sup>(٦)</sup> » فقال امرؤ القيس : « هو ذلك » .

( صبح الأعشى ٢ : ٢٦٦ والأغانى ٨ : ٧٢ )

٣٠١ - بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيان

لما قتل جَسَّاس<sup>(٧)</sup> بن مرة بن ذهل الشيباني كَلِيب<sup>(٨)</sup> بن ربيعة التَّمَلِيّ ،

[١] فته : كسره ، وهو كناية عن العنف والوعن . [٢] الإيهال . [٣] أى دعاً .

[٤] تستوخم : أى تجده وخيما . [٥] الريح : للزلزل .

[٦] أعتبه : أرواه . [٧] وسبب ذلك أن اليوس بنت مخذ القبية خلف جساس كان لها جار من  
جرم يقال له سعد بن شيبس ، وكانت له ثقة يقال لها سراب ، وكان كليب قد حى أرضاً من أرض العالية ،  
في آنف الريح ، فلم يكن يرطاه أحد إلا إلى جساس لمصاهرة بينهما - وكانت جليلا بنت مرة أخت جساس  
تحت كليب - فخرجت سراب في إبل جساس ترمي في حى كليب ، ونظر إليها كليب فأفكرها فرماها بهم  
فأصاب ضرعها ، فوثق حتى يركب بغناه صاحبها وضرعها يتخب دعاً وإناً : فلما نظر إليها صرخ بأقلى ،  
فغريت اليوس فضربت يدها على رأسها ، وتادت وإذلاء ومهما جساس فستبها ، وقال لها : لئمتن غداً  
على أعظام من نافة جارك ، ولم يزل يتوقع غرة كليب حتى أمكنته منه الفرصة فقتله ، ونشيت من أجل ذلك  
الحرب ( حرب اليوس ) بين بكر وتقلب ابني وائل أربين سنة « وبني شيان بطن من بكر » .

[٨] اسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جهم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن قلب بن وائل

تَشْتَرِ أَخُوهُ مُهْلِيلٌ<sup>(١)</sup>، واستعد لحرب بكر، وجمع إليه قومه، فأرسل رجالاً منهم إلى بني شيبان، فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان (أبا جساس) وهو في نادى قومه، فقالوا له :

« إِنَّكُمْ أَنْتُمْ عَظِيمًا بِقَتْلِكُمْ كَلِيًّا بَنَابٍ<sup>(٢)</sup> مِنْ الْإِبِلِ ، قَطَّعْتُمْ الرِّحِمَ ، وَاتَّهَكْتُمْ الْحُرْمَةَ ، وَإِنَّا كَرِهْنَا الْعَجَلَةَ عَلَيْكُمْ دُونَ الْإِعْذَارِ إِلَيْكُمْ ، وَنَحْنُ نَعْرِضُ عَلَيْكُمْ خِلَالًا أَرْبَا ، لَكُمْ فِيهَا مَخْرَجٌ ، وَلَنَا فِيهَا مَقْتَعٌ ، فَقَالَ مَرَّةٌ : وَمَاهِي ؟ قَالُوا : نُخَيِّبُ لَنَا كَلِيًّا ، أَوْ تَدْفَعُ إِلَيْنَا جَسَاسًا قَاتِلَهُ فَنَقْتُلُهُ بِهِ ، أَوْ هَمَامًا<sup>(٣)</sup> فَإِنَّهُ كُفٌّ لَه ، أَوْ تَمَكِّنْتَنَا مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنْ فِيكَ وَفَاءٌ مِنْ دَمِهِ ، فَقَالَ : « أَمَّا إِحْيَائِي كَلِيًّا ، فَهَذَا مَا لَا يَكُونُ ، وَأَمَّا جَسَاسٌ فَإِنَّهُ غَلَامٌ طَمَنَ طَمَنَةً عَلَى عَجَلٍ ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ ، فَلَا أَدْرِي أَىُّ الْبِلَادِ احْتَوَى عَلَيْهِ ، وَأَمَّا هَمَامٌ فَإِنَّهُ أَبُو عَشْرَةٍ ، وَأَخُو عَشْرَةٍ ، وَعَمَّ عَشْرَةٍ ، كُلُّهُمْ فُرْسَانٌ قَوْمُهُمْ ، فَلَنْ يَسْلَمُوهُ لِي ، فَأَدْفَعُهُ إِلَيْكُمْ يُقْتَلُ بِمِجْرِيرَةٍ<sup>(٤)</sup> غَيْرِهِ ، وَأَمَّا أَنَا فَيُفْلِهُ هُوَ إِلَّا أَنْ تَجُولَ الْخَيْلُ جَوَلَةً غَدًا ، فَأَكُونَ أَوَّلَ قَتِيلٍ يَنْتَهِيهَا ؟ فَا أَمْعَلُ الْمَوْتَ ، وَلَكِنْ لَكُمْ عِنْدِي خَصْمَتَانِ ، أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَهَؤُلَاءِ بَنُو الْبَاقُونَ ، فَمَلِّقُوا فِي عُنُقِ أَهْلِهِمْ شَتْمَ نِسْعَةٍ ، فَانْطَلِقُوا بِهِ إِلَى رَحَالِكُمْ ، فَادْبَحُوهُ ذَبْحَ الْجَزُورِ ، وَإِلَّا فَأَلْفُ نَافَةِ سُودِ الْحَدَقِ ، مُخَرُّ الْوَبَرِ ، أَقِمْ لَكُمْ كَفِيلًا مِنْ بَنِي وَائِلٍ ، فَغَضِبَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : لَقَدْ أَسَأْتَ ، تَبَذَّلْنَا وَلَدَكَ ، وَتَسَوَّمْنَا الْإِبِلَ مِنْ دَمِ كَلِيْبٍ ؟ وَنَشِبَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ » .

( القد القريد ٣ : ٧٨ ، والكلان لابن الأمير ١ : ١٩٠ ، والأغاني ٤ : ١٤١ )

وإنما لقب كليباً لأنه كان إذا سار أخذ معه جروكيباً ، فإذا مرَّ بروضَةٍ أو موضعٍ يسبحه ، ضربه ثم ألقاه في ذلك المكان وهو يصبح ويصيح . فلا يسمع هواء أحد إلا تجنبه ولم يقربه ، وكان يقال كليب وائل ثم اختصروا فقالوا كليب فظب عليه . [ ١ ] اسمه عدي بن ربيعة ، وإنما قيل له المهلهل لأنه أول من حامل الشعر أى أrote . [ ٢ ] النافعة اللسنة . [ ٣ ] هو همام بن مرة أخو جساس ، وكان نديماً لمهلهل . [ ٤ ] الجريرة : الجرعة .

## ٣٠٢ - ما دار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر

وبين عامر بن جوين الطائي

وقد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر ، جد النعمان بن المنذر ، وذلك بعد اقتضاء ملك كِنْدَةَ ، ورجوع الملك إلى نَحْم ، وكان عامر قد أجار امرأ القيس بن حُجْر ، أيام كَانَ مقيماً بِالْجَبَلَيْنِ <sup>(١)</sup> ، وقال كلمته التي يقول فيها :

هَذَاكَ لَا أُعْطِي مَلِيكَاً ظُلُمَةً وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ <sup>(٢)</sup>

[١] الجبلان : سلسى وأجأ ( بكسر الجيم ) شرق المدينة ، وما لطيم ، قال رجل من بني سلامان جاور في طيم :  
أفقت مساكن الجبلين إني رأيت الثوب يأفقه الغرب

( والثوب قبيلة من طيم ) . [٢] قال صاحب اللسان : « ابن مندلة رجل من سادات العرب ، قال عمرو بن جوين فيما زعم البرقي ، أو امرؤ القيس فيما حكى الفراء :

وَأَلَيْتَ لَا أُعْطِي مَلِيكَاً مُنَادِيً وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ »

وقال الميداني في شرح اللؤلؤ « لا غزو إلا التقيب » - ج ٢ : ص ١٣١ - : « يقال عقب الرجل : وهو أن يتزوجه ثم يني من سنته ، وأول من قال ذلك حجر بن المارث بن عمرو آكل الرار ( أبو امرئ القيس ) وذلك أن المارث بن مندلة ملك الشام ، وكان من ملوك سُلَيْمٍ من ملوك الضحاجم ( سُلَيْمٍ بكسر السين ) قبيلة بلعين ، والضراعم كانوا ملوكاً بالشام ) وهو الذي ذكره مالك بن جوين الطائي في شعره قال :  
هَذَاكَ لَا أُعْطِي رَيْساً مُقَادَةً وَلَا مَلِكاً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ

وكان قد أغلر على أرض نجد ، وهي أرض حجر بن المارث هنا ، وذلك على عهد بهرام جور ، وكان بها أهل حجر فوجد القوم خلواً ( الخلو فبالهم : القرن ذهبوا من الهوى ، ومن حفر منهم أيضاً ) ووجد حجراً قد غزا أهل نجران ، فاستاق ابن مندلة مال حجر ، وأخذ امرأته هند الهنود ( وهي هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن مازنة ) ووقع بها ما عجبها ، وكان آكل الرار شيئاً كبيراً ، وابن مندلة شاباً جليلاً ، فقالت له : النجا . النجا ، فإن وراءك طالباً حثيثاً ، وجماً كثيراً ، ورأياً صلياً ، وحزماً وكيداً ، فخرج ابن مندلة منقاداً إلى الشام ( أي مسرعاً ) فلما رجع خبر وجد ماله قد استحق ، ووجد هنداً قد أخذت ، قال : من أغار عليكم ؟ قالوا ابن مندلة ، قال : مذكم ؟ قالوا : نعماني ليل ، قال حجر : لا غزو إلا التقيب ، فأرسلها متلاًجى غزوه الأول والثاني .

ثم جدد في طلب ابن مندلة ، حتى دفع إلى واد دوق منزل ابن مندلة فكن فيه ، وبث سدوس ابن شيان ، فقال له : اذهب متكرراً إلى القوم حتى قلم لنا ظلمهم ، فانطلق حتى انتهى إلى ابن مندلة ، ثم وجع إلى حجر فحدثه بمحدث أمراته مع ابن مندلة ، فغضب حجر يده على الرار ( والرار ككراب : شجرة

وكان المنذر ضغناً عليه ، فلما دخل عليه قال له : يا عامر ، لساء منوى أوتيته ربك  
 وثوبك <sup>(١)</sup> ، حين حاولت إصباها طلتني <sup>(٢)</sup> وخالفته إلى عشيره ، أما وافقوا كنت كريمًا  
 لأتوبته مكرماً مؤقراً ، ولجانته مسلماً ، فقال له : آيت اللعن <sup>(٣)</sup> لقد علمت  
 أبناء أدد <sup>(٤)</sup> إني لأعزها جاراً ، وأكرها جواراً ، وأمنها داراً ، ولقد أقام وافرأ ،  
 وزال شاكرأ ، فقال له المنذر : يا عامر ، وإنك لتخال هضبات أجا ذات  
 الوبار <sup>(٥)</sup> ، وأفنيات سلمى ذات الأغفار <sup>(٦)</sup> ، مانعاتك من المجر <sup>(٧)</sup> الحرار ،  
 ذى المدد الكثار <sup>(٨)</sup> ، والحصن والمهار <sup>(٩)</sup> ، والرماح الحرار <sup>(١٠)</sup> ، وكل ماضى  
 الفرار <sup>(١١)</sup> ، يد كل مسعر كريم التجار <sup>(١٢)</sup> ؟ قال عامر : آيت اللعن ، إن بين

مرء إذا أكلت منها الإبل هلمت مشافرها ( فأكل منها من النضب ، فسمته العرب آكل اللرار ،  
 (وقيل : آكل اللرار هو أبوه الحارث) ، ثم خرج حتى أغار على ابن منده فقتله ثم قتل مندا وأنشأ يقول :

إن من يأمن النساء بشيء بعد هند لجلال منور

كل أتى وإن تبيت منها آية الحب ، حيا خيتور

( والخيتور : كل شيء لا يدوم على حلة واحدة ، ويضعل كالسراب ، وكأني ينزل من الهواء في شدة  
 الحر كفسج التنكوت ) .

وذكر أبو الفرج الأصماني هذه القصة في الأذني ( ١٥ : ٨٢ ) ولكنه روى أن الذي أغار على

حبر هو زياد بن الهبولة قال : « ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن نجيم بن حاطة بن سعد  
 ابن سليح النضائي أغار عليه وهو ملك في ويمة بن نزل ، وكان قد غزا بريمة البحرين فبلغ زيادا غزاه  
 فأقبل حتى أغار في مملكة حبر فأخذ مالا كثيرا وسبي امرأة حبر . . . . . إلى آخر القصة » .

[ ١ ] ثوبى للكان وبه : نزل ، وأتواه : أضناه ، وللثوبى : اللزل ، والثوبى : كنى البيت للمأله ،  
 والضيف وهو للراد هنا . [ ٢ ] الطلة العجوز ، وسبا الرجل ماله إلى الجهل والفتنة وأصبه المرأة ،  
 وللراد حلوت ودعه السالف إليه . [ ٣ ] آيت اللعن تحية جاهلية أى آيت أن تأتي ما تاتى به .

[ ٤ ] هو أدد بن زيد بن يشجب ( بنهم الميم ) بن عريب ( بنح البين ) بن زيد بن كهلان بن سبأ  
 ابن يشجب بن يرب بن قطاط ، وبنو أدد : هبندج وطى والأشعر .

[ ٥ ] الوبار : شجرة حلوة شائكة . [ ٦ ] النفر بالتحريك سنار الكلا .

[ ٧ ] المجر : الجيش العظيم . [ ٨ ] الكثير . [ ٩ ] الحصن : جمع حصان وهو الفرس الذكر  
 وللهد : جمع مهر وهو ولد الفرس . [ ١٠ ] الحرار والأحرار : جمع حر وهو خيار كل شيء .

[ ١١ ] الفرار : جمع فر وهو ولد الفرس . [ ١٢ ] يقال هو مسعر حرب أى موقد نارها كأنه  
 آلة لسر الحرب أى إيقادها ، والتجار : الأسل .

تلك المصنبتات والرَّعَان<sup>(١)</sup> ، والشَّعَابِ والمُصْدَان<sup>(٢)</sup> ، لَقَيْتَانَا أَبْطَالَا ، وكهولا  
أَزْوَالَا<sup>(٣)</sup> ، يضرِّبون القَوَانِسَ<sup>(٤)</sup> ، ويستزلون الفوارس ، بالرماح المَدَاعِسِ<sup>(٥)</sup>  
لم يَقْبَحُوا الرِّقَاءَ<sup>(٦)</sup> ، ولم تُرْسَحْهُمْ<sup>(٧)</sup> الإِماء ، فقال الملك : يا عامر لو قد تجاوبت  
الخليل في تلك الشَّعَابِ صهيلا ، كانت الأصوات قَعْمَقَةً<sup>(٨)</sup> وصليلا ، وَقَعَرَّ  
المَوْتُ<sup>(٩)</sup> ، وأعجز القَوْتُ ، فقارشت الرِّمَاحَ<sup>(١٠)</sup> ، وحَمَى السلاح ، لَتَسَاقَى  
قَوْمُكَ كَأَسَا لَا صَحْوَ بَعْدَهَا ، فقال : مهلاً أَيَّت اللمن ، إن شَرَابِنَا وَبَيْلَ ،  
وَحَدَنَّا أَيْلَ<sup>(١١)</sup> ، وَمَمَجَّنَا صَلِيبَ<sup>(١٢)</sup> ، ولقاءنا هَيِّبَ ، فقال له : يا عامر ، إنه  
لقليلُ بَقَاءِ الصَّخْرَةِ الصَّرَاءِ<sup>(١٣)</sup> على وقع المَلَّاطِيسِ<sup>(١٤)</sup> ، فقال : أَيَّت اللمن ،  
إِنْ صَفَاتْنَا عِزُّ المَرَادِيسِ<sup>(١٥)</sup> ، فقال : لَأَوْقِظَنَّ قَوْمَكَ مِنْ سِنَةِ الغفلة ، ثم  
لأَعْقِبَهُمْ بَعْدَهَا رَقْدَةً لَا يَهْبُ رَاقِدُهَا ، ولا يَسْتَقِظُ هَاجِدُهَا<sup>(١٦)</sup> ، فقال له

- [١] الرَّعَان : جمع رعن (كنس) وهو أرق يقدم الجبل ، والجبل الطويل ويجمع أيضا على دعون .  
[٢] الشَّعَاب : بالفتح الجبل وبالكسر الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج  
بين الجبلين ، السد (كنس وكنف) والصلاد (كشعب) الهضبة العالية وجهه أمصة ومصدان .  
[٣] أزوال : جمع زول ، وهو الشجاع . [٤] القوانس : جمع قونس كجفر ، والقونس  
والقونوس : أعلى بيضة الحديد . [٥] المداعس جمع مدعس ، وهو الرمح الذي لا ينفق .  
[٦] الرقاع : بالضم والكسر ، الرعاة : جمع راع . [٧] الترشيح : التزينة .  
[٨] القعقة حكاية صوت السلاح ، وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت .  
[٩] أي وفر الموت فاه : أي قتله . [١٠] قارشت الرماح تماخضت في الحرب .  
[١١] حد ، والله تأيلا حده . [١٢] عجم العود كنصر إذا عضه ليرف صلاته من خوده  
وللجم اسم مكان منه وصيلب أي صلب وهو كناية عن شدتهم ومنعهم . [١٣] صخرة صرراء : صماء .  
[١٤] اللطاس : كثير ، واللطاس : المولود القليل لكسر الحيازة .  
[١٥] الصفاة : الحبر الصلب اللين ، ويقال ناقة عبر أسفار ( بتحت العين ) أي قوية على السفر تنشق  
ما حرت به ، وتخطئ الأسفار عليها ، وكذا الرجل الجريء على الأسفار للجان في القوي عليها ، وللدس  
والرداس : شيء صلب مريض تدك به الأرض ، وردسها دكها ، وردس الحجر بالحجر (كنصر وضرب)  
كسره ، وسق البكرة لأن صفاتها تحتل ذلك المراديس فلا تنطم تحتها ، كناية عن صلابتهم وشدتهم .  
[١٦] المجهود : النوم .

حاصر : إن البنى أباد تمحراً<sup>(١)</sup> ، وصَرَخَ حُجْرًا<sup>(٢)</sup> ، وكانا أعزَّ منك سلطاناً ، وأعظم شاكناً ، وإن لَقَيْتَنَا لم تَلَقْ أَنْكَاساً ولا أَغْسَاساً<sup>(٣)</sup> ، فَهَبْشَ وَصَانِمَكَ وَصَانِمَكَ<sup>(٤)</sup> ، وَهَلُمَّ إِذَا بَدَا لَكَ ، فَحَنِ الْأَلَى قَسَطُوا<sup>(٥)</sup> عَلَى الْأَمْلَاكِ قَبْلَكَ ، ثُمَّ أَتَى رَاحِلَتَهُ فَرَكَبَهَا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

تَعَلَّمْ (أَيُّنْتَ اللَّعْنَ) أَنْ قَنَاتَنَا      تَزِيدُ عَلَى عَمْرِِ الثَّقَافِ تَصَعُّبًا<sup>(٦)</sup>  
أَتُوْجِدُنَا بِالْحَرْبِ ؟ أَثُمَّكَ هَابِلٌ      رُوَيْدُكَ بَرَقَا ، لَا أَبَاكَ ، خُبَلَا<sup>(٧)</sup>

[١] هو عمرو بن اللذان بن ماء السباء ملك الحيرة ، وكان يقبض مضط الحجابة لشدة ملكه ، وقوة سياسته ( وهو عمرو بن هند ) وأمه هند بنت الحارث بن عمرو عمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث ، وكان سبب قتله أنه قال يوماً لجلسائه : هل تعلمون أن أحداً من العرب يأتي أن يخدم أمه أمي ؟ قالوا : ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التيمي ، فإن أمه ليلي بنت مهمل بن ربيعة ، ومهما كليب وائل ، وزوجها كلثوم بن هذيل ، وابنها عمرو ، فسكت مضط الحجابة على ما في نفسه وبنت إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويأله أن تزور أمه أمه ، فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ، ومعه أمه ليلي ، فزل على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدمه ، فأمر فضربت خيلهم بين الحيرة والفرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته ، فضع لهم طعاماً ، ثم دعا الناس إليه ففرب إليهم الطعام على باب السراق ، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السراق ، ولأمة هند قبة في جانب السراق ، ويلي أم عمرو ابن كلثوم معها في القبة ، وقد قال مضط الحجابة لأمة إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف فتحي خديك منك ، فإذا دنا الطرف فاستندي لي ورميها فتناولك التي بعد التي ، فسكت هند ما أمرها به ابنها ، فلما استدعى الطرف ، قالت هند ليلي : ناولني ذلك الطبق ، قالت نعم صاحبة الحاجة إلى حاجتها ، فألحت عليها ، فقالت ليلي وأذلاه يأكل تغلب فسمها ولها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه والقوم يشربون ، فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه ، وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو مطلق في السراق وليس هناك سيف غيره فأخذ ، ثم ضرب به رأس مضط الحجابة قتله ، وخرج نادياً يأكل تغلب فاتهبوا له وخيله ، وسبوا النساء ، وساروا فلقوا بالحيرة ( تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٩٧ )

[٢] هو حجر بن الحارث ( أبو امرئ القيس ) وقد تقدم خبره .  
[٣] الانكاس : جمع نكس بالكسر وهو الضيف ، والأغساس : جمع غس بالضم وهو الضيف أيضاً .  
[٤] هبش : جمع ، والمواشع : جمع وضية ، أثقال القوم وما يأخذه السلطان من الخراج والمنتور ، والصنائع : جمع صنيفة : يقال صنيفة فلان ، وصنفته إذا أسطنه وأدبه وخرجه ورماه ، واللقى : فتجهز للحرب ، واجمع الأموال اللازمة لقتله واحشد رجلك للبرزين على القتال . [٥] أي جلوا .  
[٦] التفاف : ماتسوى به الراح . [٧] حبله أمه ( كفرح ) قدته ، والبرق الخلب : الطمع الخلف .

إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيلَةً بِالْقَنَّا      وَتَمَتَّ رِجَالُ الْقَوْتِ دُونِي تَحْدَبًا (١)  
أَيُّتُ الَّتِي تَهْوَى ، وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِي      تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبًا (٢)  
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرْدَارَافَاتٍ تَعْتَرِفَ      رِجَالًا يُذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعْتَرِبَا (٣)  
وَأَنْتَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَالِهِمْ      رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا كَشِيفًا وَكَوَكِبَا (٤)  
وَذَكَرْتُكَ الْعَيْشَ الرَّخِيَّ جِلَادُهُمْ      وَمَلَعَى بِأَكْنَافِ السَّيْرِ وَمَشْرَبَا (٥)  
فَأَغْضَى عَلَى غِيظٍ وَلَا تَرْمِ الَّتِي      تُحْكِمُ فِيكَ الزَّاعِيَّ الْمَجْرَبَا (٦)  
(ذيل الأملال ص ١٧٩)

### ٣٠٣ - قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني

كَانَ قَيْسُ بْنُ رِفَاعَةَ يَفْدُ سَنَةً إِلَى الثُّعْمَانِ الْأَخْمِيِّ بِالْمِزَابِ ، وَسَنَةً إِلَى  
الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرِ النَّسَّانِيِّ بِالشَّامِ (٧) ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَهُ : يَا بَنَ رِفَاعَةَ ،  
بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَفْضِلُ الثُّعْمَانَ (٨) عَلَى ؟ قَالَ :

[١] خطر الرجل سيفه ورعاه رضعه أخرى ، وجديلة والثوب من طلي ،  
وتحذب به تملق ، وتحذب عليه تطف . [٢] المخرج كسب لوتان من ياش وسواد خرج كفرح فهو  
أخرج ، وظلم أخرج وهو القى لون سواده أكثر من ياشه كلون الرمل ، والكهبة: الذمعة ( السواد )  
أو غبرة مشربة سوادا ، كهب كفرح وكرم فهو أكهب وكاهب . [٣] ازداره : ولوه ( انتل من  
الزبارة ) واعترف الشيء عرفه ، وأذال ثوبه إذا أطال ذيله قال كثير :

على ابن أبي السامي دلاص حبيبة أجاد للسدى سردها فأذاها

والحديد : الدروع ، وشى : مغرب : أى موج مطوف ، يريد أنها دروع مزودة ( الزود والسرود  
بالفتح تداخل حلق الدروع بعضها فى بعض ) والمضى تجدد أبطالا قد لبسوا الدروع السابعة للزودة ، وهالك  
مضى آخر وهو : يقال أذال فرسه إذا أهانه ، والحديد : أى الفرس الحديد السير أى السريع ، والتعزب  
الشديد الخلق اغتشمه . وحمار مغرب الخلق أى ملوؤ مجتمع شديد ، فالقى : تجدد أبطالا يجهدون فى ميدان  
القتال أفراسهم كرا وصولا على الأعداء . [٤] الكوكبة : الجلبة . [٥] اللدير والمخورق :  
ضراخ بناها النسان الأكبر بالحيرة . [٦] الرمح الزاعى : هو القى إذا مز كان كمره يجرى  
بعضها فى بعض لينة ، والحرب : الحدد .

[٧] كان الناذرة ملوك الحيرة من لحم ، والفلسنة : ملوك الشام من الأزده . فكلامهما من أصل يبنى ،  
وكان بينهما أحقاد وأصقان وحروب . [٨] الثمان بن النضر .

« وكيف أفضله عليك أيتها اللمن ؟ فوالله لقفاك أحسن من وجهه ،  
ولأثمك أشرف من أيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أجود من  
يمينه ، ولجزمانك أنفع من نداءه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، ولجأذك<sup>(١)</sup> أغزر  
من غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجدولك أغمر من بحوره ، وليومك  
أفضل من شهره ، ولشورك أمد من حوله ، ولحولك خير من حقه<sup>(٢)</sup> ، ولزندك  
أورى من زنده ، ولجندك أغر من جنده ، وإنك لمن غسان أرباب الملوك ، وإنه  
لن لحم الكثيرى النوك<sup>(٣)</sup> ، فكيف أفضله عليك<sup>(٤)</sup> ؟ » .

(الأمال : ١ : ٢٦١ ومروج الذهب : ١ : ٢٩٨)

### ٣٠٤ — قس بن ساعدة عند قيصر

وكان قس بن ساعدة يمد على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل  
المقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند  
علمه ، قال : فما أفضل المرأة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال : فما  
أفضل المال ؟ قال : ما قضى به الحقوق . (الأمال : ٢ : ٦٣)

### ٣٠٥ — رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعى

عن أشياخ من بنى الحرث بن كعب قالوا :  
« أجذبنا بلاد مذحج فأرسلوا رواداً<sup>(١)</sup> ، من كل بطن رجلاً ، فبعثت  
بنوزيد رائداً ، وبعثت النخع رائداً ، وبعثت جعني رائداً ، فلما رجع الرواد قيل

[١] الخاد : الماء قليل لامتداده له . [٢] الحب بالضم وضمين : ثمانون سنة أو أكثر ،  
والهجر ، والسنة أيضاً . [٣] النوك بالضم والنخع : الخنق . [٤] وذكر السدوى أن هذا  
الحديث كان بين حسان بن ثابت الأنصاري ، وبين الحارث بن أبي شمر .  
[٥] الرواد : جمع رائد ، وهو المرسل في طلب الكلاء .

لرائد بني زبيد ماوراءك؟ قال: رأيت أرضاً مؤشمة<sup>(١)</sup> البقاع، ناتحة النقا<sup>(٢)</sup>،  
مستحلبة النيطان<sup>(٣)</sup> ضاحكة القرينان<sup>(٤)</sup> واعدة<sup>(٥)</sup> وأخر بوقاها، راضية أرضها  
عن صمائها. وقيل لرائد جمعي: ما وراءك؟ قال: «رأيت أرضاً جمعت السماء»<sup>(٦)</sup>  
أقطارها، فأترعت أصبارها<sup>(٧)</sup>، ودبنت أوعارها<sup>(٨)</sup>، فبطنانها غمقة<sup>(٩)</sup>،  
وظهراتها غدة<sup>(١٠)</sup>، ورياضها مستوسقة<sup>(١١)</sup>، ورقاقها رائخ<sup>(١٢)</sup>، وواطئها  
سائح<sup>(١٣)</sup>، وماشيها<sup>(١٤)</sup> مسرور، ومضربها<sup>(١٥)</sup> محسور. وقيل للنخعي  
ماوراءك؟ فقال: «مداحي»<sup>(١٦)</sup> سيل، وزهاء<sup>(١٧)</sup> ليل، وغيل<sup>(١٨)</sup> يواصي غيلاً،  
قد ارتوت أجزأها<sup>(١٩)</sup>، ودومت عزأها<sup>(٢٠)</sup>، والتبدت أقوازها<sup>(٢١)</sup>، فرأئها

- [١] أوشمت الأرض: إذا بدا فيها شيء من النبات (وأوشمت السماء: إذا بدا فيها برق).  
[٢] النقا: جمع نق (كشمس) وهو الأرض الحرة الطين يستقر فيها الماء، وناتحة: راشعة، من الترح وهو خروج الرق من الجلب.  
[٣] النوط، والنيط، والفاط، والفائط اللطيف الوسع من الأرض وجهه غيط (ياض) وأغواط  
وغيطان، وغياط، واستحلب البت إذا غطي الأرض أو كاد يغطيها. [٤] القرينان: مجاري للماء  
من الروابي الرياض جمع قرى كقفي. [٥] أي تد تعلم نباتها وخبرها، وأخر: أخلق.  
[٦] السماء هنا المطر، يريد أن المطر جاد بها، فظال البت، فصار المطر كأنه قد جمع أكنافه.  
[٧] مرع الوادي مثل الراء مراة وأمرع: أعشب وأخضب فهو مرع ومرع، وأصبارها: نواحيها  
جمع صبر بالكسر والضم. [٨] دبنت: لينت. [٩] البطنان: جمع بطن، وهو الدامض من  
الأرض أي اللطيف منها، وغمة: غدة. [١٠] الظهران: جمع ظهر، وهو ما ارتفع يسيراً، وغدة:  
كثير تاليل والماء. [١١] منتظمة. [١٢] الرقاق: الأرض البنية من غير رمل، ورائخ: مفرط  
اللين، يقال: ربحت السبين إذا كثرت مائه، وراخ السبين يربخ. [١٣] أي تسوخ وجلاه في الأرض  
من لينها، وتسوخ وتسوخ واحد. [١٤] اللاشي: صاحب المشية، شى الرجل وأمشى: كثرت  
ماشيته. [١٥] المصم: القفير القل. [١٦] مداحي: جمع مدحى اسم مكان من دحا الأرض يدحوها  
ويدسها دحوا: أي يسطها. [١٧] أي الزهاء الشص وإعما جل نباتها زهاء ليل لثدة خفرتها.  
[١٨] الغيل: الماء الجارى على وجه الأرض، ويواصي: يواصل. [١٩] الأجزاء: جمع جزز  
(بضمين) وهي التي لم يصبها المطر، أو التي قد أكل نباتها، أو التي لا تبت. [٢٠] دمت: لينة  
(دروى دمت كفرح) ودمت لآن، والفرز: الأرض المليحة. [٢١] الأنواز: جمع فوذ  
(كشمس) وهو المستدير من الرمل.

أَتَقِ<sup>(١)</sup> ورَاعِيهَا سَتَقِ<sup>(٢)</sup> فَلَا قَضَضَ<sup>(٣)</sup> وَلَا رَمَضَ<sup>(٤)</sup> طَارِبُهَا<sup>(٥)</sup> لَا يُفْزَعُ ،  
وَوَارِدُهَا لَا يُنْكَعُ<sup>(٦)</sup> ، فَاخْتَارُوا مَرَادَ<sup>(٧)</sup> النَّمْيِ . ( الأمل : ١ : ١٨٤ )

### ٣٠٦ - إحدى ملكات اليمين وخاطبوها

وَذَكَّرُوا أَنَّ مَلَكَةً كَانَتْ يَسْبَأُ<sup>(٨)</sup> ، فَأَتَاهَا قَوْمٌ يَخْطُبُونَهَا ، فَقَالَتْ : لِيَصِفْ  
بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ نَفْسَهُ ، وَلِيَصْنُقْ وَلِيُوجِزْ ، لِأَتَقَدَّمَ إِنْ تَقَدَّمْتُ ، أَوْ أَدَعَيْتُ إِنْ  
تَرَكْتَنِي عَلَى عِلْمٍ ، فَتَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ مُذْرَكٌ ، فَقَالَ : « إِنْ أَبِي كَانَ فِي  
الْعَزِّ الْبَاذِخِ<sup>(٩)</sup> ، وَالْحَسَبِ الشَّامِخِ ، وَأَنَا شَرِّسُ الْخَلِيقَةِ ، غَيْرِ رَعِيدٍ<sup>(١٠)</sup> » عِنْدَ  
الْحَقِيقَةِ . قَالَتْ : لَا عِتَابَ عَلَى الْجَنْدَلِ فَأَرْسَلْتُهَا مِثْلًا<sup>(١١)</sup> ، ثُمَّ تَكَلَّمَ آخَرُ مِنْهُمْ  
وَيَقَالُ لَهُ ضَيِّيسُ بْنُ شَرِّسٍ فَقَالَ : « أَنَا فِي مَالٍ أَثْنَيْ<sup>(١٢)</sup> ، وَخَلْقٍ غَيْرِ خَيْثٍ ،  
وَحَسْبٍ غَيْرِ عَيْثٍ<sup>(١٣)</sup> ، أَحْذُوا النَّمَلَ بِالنَّمْلِ ، وَأَجْزَى الْقَرْضِ<sup>(١٤)</sup> بِالْقَرْضِ »  
فَقَالَتْ : لَا يَسْرُكُ غَائِبًا مَنِ لَا يَسْرُكُ شَاهِدًا ، فَأَرْسَلْتُهَا مِثْلًا . ثُمَّ تَكَلَّمَ آخَرُ  
مِنْهُمْ ، يَقَالُ لَهُ شَمَّاسُ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : « أَنَا شَمَّاسُ بْنُ عَبَّاسٍ ، مَعْرُوفٌ بِاللَّذَى  
وَالْبَاسِ ، حَسَنُ الْخَلْقِ فِي سَجِيَّةٍ ، وَالْمَدْلُ فِي قَضِيَّةٍ ، مَالِي غَيْرُ مَعْظُورٍ عَلَى الْقُلَّةِ  
وَالْكُتْرِ ، وَبَابِي غَيْرُ مَحْجُوبٍ عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ » قَالَتْ : الْخَيْرُ مَتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورٌ

- 
- [١] أى معجب بالرمي . [٢] من سبق كفرح أى بشم وانهم ، وراعيا : الذى يرعاهما .  
[٣] القفض : الحصى الصغار ، يريد أن الثبات قد غطى الأرض فلا ترى هناك قضاضاً ، والرمض : أن  
يحمى الحصى والحجارة من شدة الحر ، يقول : ليس هناك رمض لأن الثبات قد غطى الأرض .  
[٤] الطارب : الذى يهرب بأبله أى يمد يداً فى المرمى . [٥] أى لا يمنع . [٦] أى مرمى .  
[٧] سبأ : بلدة باليمن . [٨] المال . [٩] الرعيد : الجبان . [١٠] قال الميداني :  
« يضرب فى الأسر الذى إذا وقع لأمرد له ، قاله أبو عمرو » . [١١] كثير : عظيم .  
[١٢] لم أجد فى كتب اللغة وصفاً من مادة عث على ضيل ، وإنما الذى فيها « رجل عثّ يشق الدين أو  
مثيل الجلم » وسياق الفواصل يرجح أن الوصف الذى هنا ضيل ، وأرى أن سناء مشين مريب من عث  
اللة الصوف إذا أكلته فهو عثيث بمعنى مشوث . [١٣] القرض : القطع .

فأرسلتها مثلاً . ثم قالت : اسمع يا مدرك ، وأنت يا ضئيس ، لن يستقيم معك معاشرته لمشير حتى يكون فيكما لين عريكة <sup>(١)</sup> ، وأما أنت يا شماس ، فقد حلت منى محل الأمزع <sup>(٢)</sup> من الكنانة ، والواسطة <sup>(٣)</sup> من القلادة ، ليمانة <sup>(٤)</sup> خلقك ، وكرم طباعك ، ثم اسع بحذ أدع ، فأرسلتها مثلاً ، وتزوجت شماسا .  
(نجم الأمثال ٢ : ١١٨)

٣٠٧ - خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته .  
خطب صمصمة بن معاوية إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته عمرة فقال :  
« يا صمصمة إنك جئت تشتري منى كبدي ، وأرحم ولدي عندي ، منعتك ، أو بعتك ، النكاح خير من الأئمة <sup>(٥)</sup> ، والحسيب كفاء الحسيب ، والزوج الصالح أبٌ بعد أب ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفر من السرايى العلانية ، أنصح ابنا ، وأودع ضعيفاً قوياً ، ثم أقبل على قومه فقال :  
« يا معشر عدوان : أخرجت من بين أظهركم كريمتكم ، على غير رغبة عنكم ، ولكن من خط له شيء جاءه ، رب زارع لنفسه صديقاً سواء ، ولولا قسم الحظوظ على قدر الجود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ، ولكن الذى أرسل الحيا <sup>(٦)</sup> ، أثبت المرعى ، ثم قسمه أكلاً <sup>(٧)</sup> ، لكل فم بقلة ، ومن الماء جرعة ، إنكم ترون ولا تعلمون ، لن يرى ما أصف لكم إلا كل ذى قلب واع <sup>(٨)</sup> .

[١] الريغة : الطيبة ورجل لين الريغة : أى سلس الخلق . [٢] الأمزع آخر سهم فى الكتانة ردياً كان أو جيداً أو هو أفضل سهمها لأنه يذخر لشدة أو هو أردوها ، والراد هنا الثانى .  
[٣] واسطة القد : الجوهرة الفاخرة التى تحمل وسطه . [٤] اليمانة : السهولة .  
[٥] الأئمة : الذين لأنزواج لهم من الرجال والنساء الواحد منهما : أيم يجيد سواء كان تزوج من قبل لم لم يتزوج ، ولمرأة أيم بكراً كانت أو ثيباً ، وقد آمنت ثيباً أئمة وأيموا ، وفى الحديث : « أنه كان يتود من الأئمة » . [٦] الحيا : المر . [٧] الأكل : ما يؤكل والرزق .  
[٨] حافظ .

ولكل شيء راعٍ ، ولكل رزق ساعٍ ، إما أكيسُ وإما أحمقُ ، وما رأيت شيئاً إلا سمعت حسبه ، ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جائئاً إلا داعياً ، ولا غائماً إلا خائباً ، ولا نعمة إلا ومعها يؤس ، ولو كان يُعِيتُ الناسَ الدَّاءَ ، لأحياهم الدواءَ ، فهل لكم في العلم العليم ؟ قيل ما هو ؟ قد قلتِ فأصبتِ ، وأخبرتِ فصددتِ ، فقال : أموراً شتى ، وشيئاً شيئاً ، حتى يرجع الميت حياً ، ويعود لا شيء شيئاً ، ولذلك خلقت الأرض والسموات ، فتولوا عنه راجعين ، فقال : وَيْلُهَا <sup>(١)</sup> نصيحة لو كان من يقبلها .

( بحج الأمثال ١ : ٢١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٣٧ ، والقصد الفريد ٣ : ٢٢٣ )

### ٣٠٨ — وصية عامر بن الظرب العدواني لقومه

وَكَانَ عامر بن الظرب العدواني سيدَ قومه ، فلما كبر وخشى عليه قومه أن يموت ، اجتمعوا إليه ، وقالوا : إنك سيدنا وقائِلنا وشرفنا ، فاجعل لنا شريكاً وسيداً وقائلاً بعدك ، فقال :

« يا معشر عدوان : كلفتُموني بشياً ، إن كنتم شرفتموني فَإِنِّي أُرِيكُمْ ذلك من نفسي ، فَإِنِّي لَكُمْ مثلي ؟ افهموا ما أقول لكم ، إنه من جمع بين الحق والباطل لم يجمعهما له ، وكان الباطلُ أَوْلَى به ، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق .

يا معشر عدوان : لَا تَشْمَتُوا بِالَّذِلَّةِ ، وَلَا تَهْرَحُوا بِالْعَزَّةِ ، فبكل عيش يعيش الفقير مع الغنى ، ومن يَرَّ يوماً يُرَّ به <sup>(٢)</sup> ، وأعدوا لكل امرئ جوابه ، إن مع

[١] يقال تستجد إليه : أي ويل لأمة ، كقولهم : لا ب لك يريدون لا أب لك فركبوه وجعلوه كالنبي الواحد . [٢] أي من رأى يوماً على عدوه رأى مثله على نفسه .

السفاهة الندامة ، والمقوية نكال وفيها ذمامة <sup>(١)</sup> ، وليلد النلما <sup>(٢)</sup> العاقبة  
والقود <sup>(٣)</sup> راحة ، لالك ولا عليك ، وإذا شئت وجدت مثلك ، إن عليك كما أن  
لك ، وللكثرة الرعب ، وللعبر الغلبة ، ومن طلب شيئاً وجده ، وإن لم يجده  
يوشك أن يقع قريباً منه . (مع الأمتال ٢ : ١٨٣)

### ٣٠٩ — وصية دويد بن زيد لبنيه

لما حضرت دُوَيْدُ <sup>(١)</sup> بن زيد الوفاة قال لبنيه :  
« أوصيكم بالناس شراً ، لا ترشحوا لهم عبدة ، ولا تقبلوهم عبدة <sup>(٢)</sup> ، قَصُرُوا  
الأعنة ، وطولوا الأسنّة ، واطمنوا شزراً <sup>(٣)</sup> ، واضربوا هَبْراً <sup>(٤)</sup> ، وإذا أردتم  
المحاجة ، فقبل المناجزة ، والمرء يصجز لا المحالة ، بالجد <sup>(٥)</sup> لا بالكد ، التجلّد  
ولا التبلّد ، والمنية ولا الدنية ، ولا تأسوا على فائت وإن عزّ فقدّه ، ولا تمحّثوا  
إلى ظاين وإن ألفت قربه ، ولا تطعموا قطعاً ، ولا تمنّوا فتخزّعوا <sup>(٦)</sup> ، ولا  
يكونن لكم المثل السوء « إن الموصين بنو سهوان <sup>(٧)</sup> » إذا مِتُّ فَأَرْجُوا <sup>(٨)</sup>

- 
- [١] القامة بالفتح وكسر ، والقعة : الهدء والكفالة ، والحق ، والحرمة . [٢] اليد العليا :  
المعطية ، والسفلى : السائلة ، وفي الحديث : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، وهو حث على الصدقة .  
[٣] القود : القصاص . [٤] هو دويد بن زيد بن نهد الجبلى ، وكان من المبرزين . قول طاش  
أرسلته وستاً وخمسين سنة ، ( قلوا : ولا يهد الرب ممرراً إلا من طاش مائة وعشرين سنة فصاعداً ) .  
[٥] أهل الله عبته : رضى من سقوته . [٦] الطعن فى الجواب ميناً وشمالاً .  
[٧] هبر الهم : قطعه قطعاً كبيراً ، والمهيرة ( بالفتح ) القطعة المجنحة منه وضرب هبر وهجير هابر :  
أى يقطع الهم . [٨] البليج بحركة : الدنس . [٩] الوهن : النقص ، والمراعاة : ( كناية )  
اللين والرخاوة خرج : ككرم ، وخرج كفرج شنف ، فهو خرج ، وخرج ، وانكسر .  
[١٠] قال الميداني في معجم الأمتال ١ : ٦ : « ههنا مثل تخبط فى هديره كثير من الناس ، قال بعضهم :  
إنما يحتاج إلى الوصية من يسو ويقل ، فلما أنت خير عتاج إليها لألك لانسو ، وقال بعضهم : يريد  
يقوله بنو سهوان جيع الناس لأن كلهم يسو ، والأصوب فى سناه أن قال : إن الذين يوصون بالثب  
يسئول عليهم السوء حتى كأنه موكل بهم ، يضرب لمن يسو عن طلب شيء أسره ، والسوان : السوء ،  
ويجوز أن يكون صفة أى بنو رجل سهوان ، وهو آدم عليه السلام حين عهد إليه فسأ ونس ، قال رجل  
سهوان وساء أى إذ الذين يوصون لابد أن يسو والأهم بنو آدم عليه السلام . [١١] أرجه : وسه .

خَطَّ مَضْجَتِي ، وَلَا تَضِثُوا عَلَيَّ بِرُحْبٍ <sup>(١)</sup> الْأَرْضِ ، وَمَا ذَلِكَ بِمُؤَدٍّ إِلَيَّ رَوْحًا <sup>(٢)</sup> ، وَلَكِنْ حَاجَةٌ قَسَّ خَلَّتْهَا الْإِشْفَاقُ » .

قال أبو بكر بن دُرَيْدٍ فِي حَدِيثٍ آخِرُهُ قَالَ :

الْيَوْمَ يُنْفَى لِلنُّوَيْدِ يَنْتَهُ يَارُبَّ نَهَبٍ صَالِحِ حَوَيْتَهُ  
وَرَبِّ قِرْنٍ بَطِلٍ أَرْدَيْتَهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنِ لَوَيْتَهُ <sup>(٣)</sup>  
وَمِصْصَمٍ مَغْضَبٍ ثَنَيْتَهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَمَلَيْتَهُ <sup>(٤)</sup>  
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتَهُ

(أملأ السيد المرتضى ١ : ١٧١)

٣١٠ - وصية زهير بن جناب الكلبي

وأوصى زُهير بن جناب الكلبي <sup>(٥)</sup> بنيه فقال :

« يَا بَنِيَّ : قَدْ كَبُرَتْ سِنِّي ، وَبَلَغَتْ حَرَسًا <sup>(٦)</sup> مِنْ دَهْرِي ، فَأَحْكُمْتِي  
التَّجَارِبَ ، وَالْأُمُورَ تَجْرِبَةً وَاخْتِبَارًا ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أَقُولُ وَعَوُّهُ ، يَا كُمْ وَالْخَوَرُ  
عِنْدَ الْمَصَائِبِ ، وَالتَّوَاكُلُ عِنْدَ النَّوَائِبِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ لِلْغَمِّ ، وَشِمَاتَةٌ لِلْعَدُوِّ ،  
وَسَوْءٌ ظَنٌّ بِالرَّبِّ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا بِالْأَحْدَاثِ مَمْتَرِينَ ، وَلَهَا آمَنِينَ ، وَمِنْهَا  
سَاخِرِينَ ، فَإِنَّهُ مَا سَخِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا ابْتُلُوا ، وَلَكِنْ تَوَقَّعُوا ، فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ فِي  
الدُّنْيَا غَرَضٌ <sup>(٧)</sup> تَمَازَرُهُ الرُّثْمَةُ ، فَقَصَّرْ دُونَهُ ، وَجَاوِزْ لِمَوْضِعِهِ ، وَوَاقِعٌ عَنْ يَمِينِهِ  
وَشِمَالِهِ ، ثُمَّ لَا يَدُ أَنَّهُ مُصِيبُهُ » .

(أملأ السيد المرتضى ١ : ١٧٢)

[١] الرُحْبُ : بِالْفَخْمِ مُصْغَرٌ ، وَيُقَالُ لِمَنْ وَصَفَ . - [٢] أَي رَاحَةٌ ، أَوْ هُوَ بِالْفَخْمِ أَي وَمَا ذَلِكَ  
بِمَرْجِعٍ إِلَى رَوْحِي . - [٣] الْإِنْبِلُ : السَّاعِدُ الرِّيَاحُ الْمُنْتَلِئُ . - [٤] الْمَصَمُ : مَوْضِعُ السَّوَارِ أَوِ الْيَدِ ،  
وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا . - [٥] هُوَ زُهَيْرُ بْنُ جَنَابِ بْنِ هِجَلِ الْكَلْبِيِّ ، قِيلَ لَهُ مَاتَ بَيْنَ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ  
مَاتَ بَيْنَ عَشْرِينَ ، وَقِيلَ أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ ، وَكَانَ يَدْعِي الْكَاهِنَ لِمَعْمَةِ رَأْيِهِ . - [٦] الْمَرْسُ مِنَ الدَّهْرِ :  
الطَّوِيلُ ، وَحَرَسٌ : كَسَحَ عَاشَ زَمَانًا طَوِيلًا . - [٧] الْفَرَضُ : الْمَقْدَرُ ، وَتَمَازَرَهُ ( تَتَوَارَدَ )  
أَي تَتَوَارَدُ .

### ٣١١ - وصية النعمان بن ثواب العبدى لبيته

كَانَ لِلنَّعْمَانِ بْنِ ثَوَابِ الْعَبْدِيِّ بَنُونَ ثَلَاثَةٌ : سَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَسَاعِدَةٌ ، وَكَانَ أَبُوهُمُ ذَا شَرَفٍ وَحِكْمَةٍ ، وَكَانَ يُوصِي بَيْنَهُ ، وَيَحْتَلِمُ عَلَى أَدْبِهِ ، أَمَّا ابْنُهُ سَعْدٌ فَكَانَ شَجَاعًا بَطْلًا مِنْ شَيَاطِينِ الْعَرَبِ ، لَا يَقَامُ لِسَبِيلِهِ ، وَلَمْ تَقْتَهُ طَلَبَتُهُ قَطُّ ، وَلَمْ يَغْرُ عَنْ قِرْنٍ ؛ وَأَمَّا سَعِيدٌ فَكَانَ يُشَبِّهُ أَبَاهُ فِي شَرَفِهِ وَسُودَدِهِ ؛ وَأَمَّا سَاعِدَةٌ فَكَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ وَنَدَائِيٍّ وَإِخْوَانٍ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ حَالَ بَنِيهِ دَعَا سَعْدًا ، وَكَانَ صَاحِبَ حَرْبٍ ، فَقَالَ :

« يَا بُنَيَّ إِنْ الصَّارِمَ يَنْبُو ، وَالْجَوَادَ يَكْبُو ، وَالْأَثَرَ يَمُوقُ <sup>(١)</sup> ، فَإِذَا شَهِدْتَ حَرْبًا ، فَارَأَيْتَ نَارَهَا تَسْتَمِرُّ ، وَبَطْلُهَا يَخْطُرُ ، وَبِحَرْهَا يَزْخَرُ ، وَضَيْفُهَا يُنْصَرُ ، وَجَبَانُهَا يَحْمَرُّ ، فَأَقْلِلِ الْمَكْتُ وَالْإِتْظَارَ ، فَإِنَّ الْفِرَارَ غَيْرُ عَارٍ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ طَالِبَ نَارٍ ، فَإِنَّمَا يُنْصَرُونَ مِنْ <sup>(٢)</sup> ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ صَيْدَ رِمَاحِهَا ، وَنَظِيجَ نِطَاحِهَا . وَقَالَ لِابْنِهِ سَعِيدٍ ، وَكَانَ جَوَادًا : « يَا بُنَيَّ لَا يَنْخُلُ الْجَوَادُ ، فَبَدِّلِ الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ <sup>(٣)</sup> ، وَأَقْلِلِ التَّلَاحَ <sup>(٤)</sup> ، تُذَكِّرُ عِنْدَ السَّمَاحِ ، وَابْنُ <sup>(٥)</sup> إِخْوَانِكَ ، فَإِنْ وَفَيْهِمْ قَلِيلٌ ، وَاصْنَعِ الْمُرُوفَ عِنْدَ مَحْتَلِمِهِ » .

وَقَالَ لِابْنِهِ سَاعِدَةٍ ، وَكَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ : « يَا بُنَيَّ إِنْ كَثُرَ الشَّرَابُ ، تُفْسِدَ الْقَلْبَ ، وَتَقْلُلَ الْكَسْبَ ، وَتُجِدَّ اللَّعِبَ <sup>(٦)</sup> ، فَأَبْصُرْ نَدِيْعَكَ ، وَاحْمِرْ حَرِيْعَكَ ، وَأَعِزَّنْ غَرِيْعَكَ <sup>(٧)</sup> وَاعْلَمْ أَنَّ الظُّمَأَ الْقَامِحَ <sup>(٨)</sup> ، خَيْرٌ مِنَ الرَّيِّ الْقَاضِحِ ، وَعَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فَإِنْ فِيهِ بَلَاغًا » .

( يجمع الأمثال ١ : ٤٨ )

[١] عفا الأثر : درس ونسى . [٢] أى طلاب النار . [٣] الطاروف والطاريف : اللال للتعبد ، والتألف ، والتلبد ، والتلاد ، والتلاد : اللال القديم الأصلى الذى ولد عنده .  
[٤] التلاحى : التنازع ، ولاجه ملاحاة ولقاء فخرته . [٥] أخير . [٦] أى تجمعه جداً ، والجيد (بالكسر) ضد النازل . [٧] النزع : اللذين (وهو اللذان أيضا) . [٨] مناه العطش الشاق خير من رى يفضح صاحبه ، وقع البئر قوفاً : رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو طامع ، وقع البئر : اشتد عطشه حتى قر شديداً .

### ٣١٢ - وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط

جاور قيس بن زهير العبسي<sup>(١)</sup> بمد يوم الحباة النمر بن قاسط ، وتزوج منهم ، وأقام فيهم حتى ولد له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال :

« يا معشر النمر : إن لكم عليّ حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم ، فأمرُكم بخصال ، وأنها كم عن خصال ، عليكم بالأناة ، فإن بها تُدرك الحاجة ، وتُنال الفرصة ، وتسويّد من لا تُمايون بتسويده ، وعليكم بالوفاء ، فإن به يعيش الناس ، وإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وإجارة الجار على الدهر ، وتغيبس المنازل عن ميوت اليتامى ، وخطط الضيف بالعيال .

وأنها كم عن النذر ، فإنّه عار الدهر ، وعن الزّهان ، فإنّي به تُسكّلت مالكا أخى ، وعن البنى ، فإنّه قتل زهيراً أبى<sup>(٢)</sup> ، وعن الإعطاء فى الفضول ، فتمجّزوا

[١] هو صاحب حرب داحس والغبراء ، وكان من قصته أنه تراءى هو وحذيفة بن بدر سيد بني ديان على فرسهما داحس ( فرس قيس ) والغبراء ( فرس حذيفة ) - وقيل إنهما تراءى على داحس والغبراء فرس قيس ، والخطار والحفاء فرس حذيفة - وتواضعا الزعان على مائة بئر ، ثم قادوهما إلى رأس الميدان ، وفى طرف الناية شجاب كثيرة ، فأكن حل بن بدر فى ذلك الشجاب فتياها على طريق الفرسين ، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الناية ، فأرسلوها فأخضرا ، فلما شارب داحس الناية ودعا من الفتية ، وثبوا فى وجهه فردوه عنها ، وعلم قيس بذلك ، وبث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى قيس يطلب منه حق السبق ، فقال قيس كلا لأمطلك به ، فتناول ابن حذيفة من عرش قيس وشقه وأغلظ له ، وكان إلى جنب قيس ربح فطشه به ففقد صلبه ، واجتمع الميدان وأدوا دية القتل ، وأخذنا حذيفة دنا للفرس ، ثم إن قومه يعموه فنادى الفر بينهم ، وقامت الفتن بين الميدين ، وعدنا حذيفة على مالك بن زهير أخى قيس قتله ، وكان الريح بين زياد عموها بمنزل الحرب ، فلما سمع يقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه وقتل بني ديان ، ثم تراك أيام الحروب بينهم ، وكان أعظمها يوم الحباة حتى أصلح بينهم الحرب بن عوف وهرم بن سنان اللريان ، وحلاديات القتل ثلاثة آلاف بئر .

[٢] وسبب مقتل زهير بن جذيمة العبسي أبى قيس ، أن هوازن بن منصور كانت تؤرق الإتاوة زهير ابن جذيمة - ولم تكثر طهر بن صمعة بمد - فأنت مجوز من هوازن إلى زهير بسن فى نعى ( التمسى كحل الرق ، أو ما كان للسنان خاصة ) فاعتذرت إليه ، وشكك السنان الاوائل تاهين على الناس ، فذاته فلم يرض طبعه ، ففتمها أبى دحما بجوس فى يده فشققت فبعت عورتها ، فنضيت من ذلك هوازن وحدها إلى ما كان فى صدرها من التيط ، وكانت يومئذ قد كثرت بنو عامر بن صمعة تلتوا إلى قتالهم حتى قتلوه .

عن الحقيق ، وعن المرف في الماء ، فإن يوم المباءة <sup>(١)</sup> أزمى العار ، ومنع الحرم الأيمن الأكفاء ، فإن لم تصيبوا لمن الأكفاء ، فإن خير منا كمن القبور ، (أو خير منازلها) ، واعلموا أنى كنت ظالماً مظلوماً ، ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكاً أخى ، وظلمتهم بأن قتلتم من لا ذنب له .

( البغ الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وأمالى السيد المرتضى ١ : ١٤٦ ، وشرح البيون ص ٩٠ )

٣١٣ نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد

كان قيس بن زهير العبتي قد اشترى من مكة درعاً حسنة ، تسمى ذات الفضول ، وورد بها إلى قومه ، فرأها عمه الربيع بن زياد ، وكان سيد بني عبس ، فأخذها منه غصباً ، فقالت الجمانة بنت قيس لأبيها : دعنى أناظر جدى ، فإن سلح الأمر يئسكا ، وإلا كنت من وراء رأيك ، فأذن لها ، فأتت الربيع فقالت :

« إذا كان قيس أبى ، فإنك يا ربيع جدى ، وما يجب له من حق الأبوّة علىّ ، إلا كالذى يجب عليك من حق البنوّة لى ، والرأى الصحيح تبعه العناية ، وتجلى عن تحضيه النصيحة ، إنك قد ظلمت قيساً بأخذ درعه ، وأجذ مكافأته إياك سوء عزمه ، والمعارض متصّر ، والبأدي أظلم ، وليس قيس بمن يخوف بالوعيد ، ولا يردعه التهديد ، فلا تركن إلى متابذته ، فالخرم في متاركته ،

[١] وكان حذيفة بن بدر وأخوه نزلاً مع أصحابها في جفر المباءة ، فأتهم قيس ومن معه حتى أدرهم فيه ، وقد أرسلوا خيولهم وترعوا سلاحهم ( وكان حذيفة قد أخذ غلامين من بني عبس ، فقتلهم ، وهما يستبنيان يا أيتاه حتى ماتا ) فقد قيس والربيع ومن معهما طليم ، وهم ينادون ليكم ليكم ، ينى أنهم يعميون نداء الصبية لما تكلوا ينادون يا أيتاه ، فاشدوم الله والرحم ، فلم يقلوا منهم ، وقتلوا حذيفة وحلوا أخاه ، ومثلوا بحذيفة فطروا من أكبه وجعلوا في فيه وجعلوا لسانه في أسنه ، وأسرف قيس في النكابة والقتل ، وكانت فراوة تسمى هذه الواقعة البوار ، ولكن قيساً ثم بعد ذلك ورى حل بن بدر ، وهو أول من رقى مقوله .

والحربُ متلفَةٌ للمباد ، ذهابُ بالطَّارف والتَّلاذ ، والسَّلمُ أرخى للبال ، وأبقى  
لأنفسِ الرجال ، وبحقِّ أقول : لقد صدَّعتُ بحُكمي ، وما يدفعُ قولي إلا غيرُ  
ذِي فَمِّم ، ثم أنشأتُ تقول :

أبي لا يَرَى أن يتركَ الدهرَ دِرْعَهُ      وَجَدَى يَرَى أن يأخذَ الدَّرْعَ من أبي  
فَرَأَى أبي رأى البخیلَ بماله      وَشِمَّةُ جَدَى شِمَّةُ الخائفِ الأبي  
( بلاغات النساء ص ١٢٥ )

### ٣١٤ - وصية حصن بن حذيفة لبيه

وأوصى حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بنى بدر فقال :

« اسمعوا مني ما أوصيكم به : لا يَسْكِلْ آخِرُكم على أولكم ، فإنما يدرك  
الآخرُ ما أدركه الأول ، وأنكِحُوا الكُفَّ الغريبَ ، فإنه عزَّ حادث ، وإذا  
حضركم أمران ، فخذوا بخيرهما صدراً <sup>(١)</sup> ، فإن كل مؤرِدٍ مَعْرُوفٍ ، وأصحبوا  
قومكم بأجل أخلاقكم ، ولا تُخَافُوا فيما اجتمعوا عليه ، فإن الخلاف يُرْزَى بالرئيس  
المطاع ، وإذا حادَّتهم فَارْبِعُوا <sup>(٢)</sup> ، ثم قولوا الصدق ، فإنه لا خير في الكذب ،  
وصونوا الخيل فإنها حُصُونُ الرجال ، وأطيلوا الرماح فإنها قُرُونُ الخيل ، وأعزُّوا  
الكبيرَ بالكبير ، فإنني بذلك كنتُ أغلبُ الناسَ ، ولا تَعَزُّوا إلا بالعيون <sup>(٣)</sup> ،  
ولا تَسْرَحُوا حتى تأمنُوا الصَّبَاحَ <sup>(٤)</sup> ، وأعطوا على حَسَبِ المال ، وأعجلوا  
الضيفَ بالقرى <sup>(٥)</sup> ، فإن خيرَه أعجلُه ، واتقوا فضيحاتِ البنى ، وفَلَنَاتِ المَزَاجِ ،

[١] الصدر تارة الجوع . [٢] وج : كنع انتظر ونحس ، ووج الميل : فقه من أربع طاقات ،

ولمعي إذا حلدتم فتأثروا وتعلموا ، لو فأحكوا القول . [٣] العيون : جمع عين وهي أخبار كل شيء .

[٤] الصباغ النارة : أي ولا تسرحوا مفاطعكم حتى تأمنوا النارة .

[٥] قرى الضيف يخره قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضاً ما قرى به الضيف .

ولا تُجِيرُوا عَلَى الْمُلُوكِ ، فَإِنْ أَيْدِيهِمْ أَطُولَ مِنْ أَيْدِيكُمْ .

(أُمَلِّ السِّيدَ الرَّقْمِيَّ ٢ : ١٦٨)

٣١٥ - وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني

لما بلغ الحارث بن عمرو ملك كِنْدَةَ جمالاً أُمُّ إِيَّاسِ بنت عوف بن مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِي، وَكِبَالُهَا وَقُوَّةُ عَقْلِهَا ، أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، فَدَعَا امْرَأَةً مِنْ كِنْدَةَ ، يَقَالُ لَهَا عِصْمٌ ، ذَاتَ عَقْلٍ وَلِسَانٍ ، وَأَدَبٍ وَبَيَانٍ ، وَقَالَ لَهَا : اذْهَبِي حَتَّى تَمْلِكِي لِي عِلْمَ ابْنَةِ عَوْفٍ ، فَضُضْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أَنَّهَا أُمَامَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، فَأَعْلَمْتُهَا مَا قَدِمْتُ لَهُ ، فَأَرْسَلَتْ أُمَامَةُ إِلَى ابْنَتِهَا وَقَالَتْ : أَيُّ بُنْيَةٍ ، هَذِهِ خَالَاتُكَ أُمْتُ إِلَيْكَ لَتَنْظُرَ إِلَى بَعْضِ شَأْنِكَ ، فَلَا تَسْتُرِي عَنْهَا شَيْئاً أَرَادَتْ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، مِنْ وَجْهِهِ وَخَلْقِهِ ، وَنَاطِقِيهَا فِيمَا اسْتَنْطَقَتْكَ فِيهِ ، فَدَخَلَتْ عِصْمٌ عَلَيْهَا ، فَظَنَرَتْ إِلَى مَا لَمْ تَرَ عَنْهَا مِثْلَهُ قَطُّ بِهَجَةٍ وَحَسَنَةٍ وَجَمَالٍ ، فَإِذَا هِيَ أَكَلُ النَّاسِ عَقْلاً ، وَأَفْصَحُهُمْ لِسَانًا ، فَفَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهَا وَهِيَ تَقُولُ : ( تَرَكْتُ لِنِدَاعٍ مَنْ كَشَفَ الْقِنَاعَ ) فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، ثُمَّ أَقْبَاتَ إِلَى الْحَارِثِ فَقَالَ لَهَا : ( مَا وَرَاءَكِ يَا عِصْمُ ) ؟ فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ، قَالَتْ : ( صَرَّحَ الْمَخْضُ عَنْ الزُّبْدِ <sup>(١)</sup> ) ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا . قَالَ أَخْبِرْنِي ، قَالَتْ : أَخْبِرْكَ صَدَقًا وَحَقًّا :

« رَأَيْتُ جَنَّةً كَالْمَرَاةِ الصَّقِيلَةِ ، يَزِينُهَا شَعْرٌ خَالِكٌ ، كَأَذْنَابِ الْحَيْلِ الْمَضْفُورَةِ <sup>(٢)</sup> ، إِنْ أَرْسَلْتَهُ خِلَتِ السَّلَاسِلَ ، وَإِنْ مَكَّطْتَهُ قَلَّتْ عَنَاقِيدُ كَرَمٍ جَلَاهَا الْوَابِلُ <sup>(٣)</sup> ، وَحَاجِبِينَ كَأَنَّهَا خُطَأٌ بِقَلَمٍ ، أَوْ سُودًا بِمِحْمَمٍ <sup>(٤)</sup> قَدْ تَقَوَّسًا عَلَى

[١] مخض اللبن : أخذ زبده ، والصريح : تبيين الأمر ، وهو مثل يضرب للأمر إذا اكتنف وتبين

[٢] في الأصل « للصفورة » وهو تحريف وصوابه « للصفورة » . [٣] اللز الشديد الضخم

الظفر . [٤] الحُم : القمم .

عيني الطيبة العبرة<sup>(١)</sup>، التي لم يرُ عنها قانص، ولم يُدعِرها قسورة<sup>(٢)</sup>، بينهما أنف كحد السيف المصقول<sup>(٣)</sup>، لم يخنس<sup>(٤)</sup> به قصر، ولم يخنس<sup>(٥)</sup> به طول، خفت به وخستان كالأرجوان<sup>(٦)</sup>، في ياضي نخس كالجمان<sup>(٧)</sup>، شق فيه فم كالخاتم، لذيد المبتسم، فيه ثيابا غر<sup>(٨)</sup>، ذوات أشير<sup>(٩)</sup>، وأسنان تبدو كاللورد، وريق كالخمر له نشر الروض بالسحر، يتقلب فيه لسان، ذو فصاحة ويان، يحركه عقل وافر، وجواب حاضر، تلتق دونه شفتان حراوان كالورد، يحلبان ريقا كالشهد، تحت ذلك عنق كالريق الفضة، ركب في صدر كصدر تمثال دمية<sup>(١٠)</sup>، يتصل بها عضدان ممتلئان لحا، مكتران<sup>(١١)</sup> شحما، وذراوان ليس فيهما عظم يُحس، ولا عرق يُحس، ركبت فيهما كفان، دقيق قصبهما، لين عصبهما، تُقد إن شئت منهما الأنامل، وتركب الفصوص في خفر المفصل، وقد تربع في صدرها حقان، كأنهما زمانان، يخرقان عليها ثيابها، تحت ذلك بطن ملوى كعلق القباطي<sup>(١٢)</sup> المذمجة، كسي عكنا<sup>(١٣)</sup> كالقراطيس المذمجة<sup>(١٤)</sup> تحيط تلك المكنيسة كذهن<sup>(١٥)</sup> الماج المجلو، خلف ذلك ظهر كالجدول، ينتهي إلى خصر، لولا رحمة الله لأبتر، تحته كفل<sup>(١٦)</sup>

[١] العبرة والعبر: الرقعة البشرة الناعسة للياض، والسينة الملتفة الجسم.

[٢] القسورة: الرماة من الصيادين، الواحد قسور.

[٣] في مجمع الأمثال «المنج» وهو السيف السليل المجرى. [٤] خنس عنه كعرب وكرم: تأخر «والخنس: بحركة تأخر الألف من الوجه مع ارتفاع قليل في الأربعة، خنس كشرح فخر أخنس وهي خنساء». [٥] وفي جملة الأمثال «ولم يخنس». [٦] الأرجوان: صبح أحر.

[٧] الجمان: الأول، أو حنوت أشكال الأول من فنة. [٨] أشير الأسنان: النجيز الذي فيها.

[٩] الفمية: الصورة للفتنة من الرغام أو طم. [١٠] اكتر: اجتمع وامتلا.

[١١] القباطي (بضم الأول مع تعدد الآخر) وقباطي (بفتح الأول مع تخفيف الآخر) جمع قطبية (بالضم على غير قياس وقد تكسر): ثياب كتان بيض رقيق كانت تملق في مصر.

[١٢] اليكن: جمع عكنة (كفرصة) وهي ما ملوى وتلغى من لحم البطن صمنا. [١٣] اللطوة.

[١٤] للدمع: تلورة الدمع. [١٥] عجز.

يُقْعِدُهَا إِذَا نَهَضَتْ ، وَيَنْهَضُهَا إِذَا قَامَتْ ، كَأَنَّهُ دِعْصٌ <sup>(١)</sup> وَمَلٍ ، لِبَدَّةٍ سَقُوطِ  
الطَّلِّ ، يَحْمِلُهُ فَيَذَانُ لِقَاوَانٍ <sup>(٢)</sup> ، كَأَنَّهُمَا تَضِيدُ الْجُمَانُ ، تَحْتُمُهُمَا سَاكِنُ ، خَذَلْتَانِ <sup>(٣)</sup>  
كَالْبَرْدِيِّ ، وَشَيْتَانَا بِشَرِّ أَسْوَدَ ، كَأَنَّهُ حَلَقَى الزَّرْدَ ، يَحْمِلُ ذَلِكَ قَدَمَانُ ، كَحَذَوِ  
اللسانِ ، فَبَارِكُ اللَّهِ ، مَعَ صَغَرِهَا كَيْفَ تَطْبِقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَا سَوَى  
ذَلِكَ . فَتَرَكْتُ أَنْ أَصِفَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ مَا وَصَفُهُ وَأَصْفَ بِنَظْمٍ أَوْ ثَرٍ ، فَأَرْسَلَ  
الملك إلى أبيها فخطبها ، فزوجة إياها <sup>(٤)</sup> .

(الفرد ٣ : ٢٣٥ ، ونجم الأمثال ٧ : ١٤٣ ، وجمهرة الأمثال ٢ : ٢٧)

### ٣١٦ - وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إلياس

فلما حُلِّمَتْ إلى زوجها قالت لها أمها أمامة بنت الحارث .

« أَيْ بِنِيَّةُ : إِنْ الْوَصِيَّةُ لَوْ تَرَكْتُ لِفَضْلِ أَدَبٍ ، تَرَكْتُ لِنُفُكٍ مِنْكَ ،  
وَلَكِنِّي تَذَكُّرَةً لِلنَّافِلِ ، وَمُؤْنَةً لِلْمَاقِلِ ، وَلَوْ أَنَّ أُمْرَأَةً اسْتَعْنَتْ عَنِ الزَّوْجِ  
لِغَنَى أَبْوَيْهَا ، وَشِدَّةِ حَاجَتِهَا إِلَيْهَا ، كُنْتُ أَغْنَى النَّاسَ عَنْهُ ، وَلَكِنِ النَّسَاءُ  
لِلرِّجَالِ خُلِقْنَ ، وَلِهِنَّ خُلِقَ الرِّجَالُ :

أَيْ بِنِيَّةُ : إِنَّكَ فَارَقْتِ الْجَوْ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتَ ، وَخَلَقْتَ الْمَشَّ الَّذِي فِيهِ  
دَرَجْتَ ، إِلَى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ ، وَقَرِينَ لَمْ تَأْلَفِيهِ ، فَأَصْبِحِي بِمِلْكِهِ <sup>(١)</sup> عَلَيْكَ رَقِيبًا  
وَمِلِيكًا ، فَكُونِي لَهُ أُمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا وَشَيْكًا <sup>(٢)</sup> . يَا بِنِيَّةُ : احْمِلِي عَنِّي عَشْرَ

[١] الدِص : الكعب من الرمل المتجمع . [٢] اللقاء : التفخذ النخبة ( والفضحة الفضلين ) .

[٣] ساق خلة : ممتلئة خنقة ( والخلة المرأة الخليفة الساق للتدبيرتها وفي القيد : « خذلجان » )

( يَتَخُ الحاء والبال وتشديد الهم ) والمخيلة : المرأة المتلفة التواضع والساجدة .

[٤] في نجم الأمثال وجمهرة الأمثال ، أَنَّ الْقِيَّ تَزَوَّجَ أُمَ إِلْيَاسَ هِيَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو ، وَالْحَارِثُ هَذَا  
هُوَ جَدُّ لِمَرْيُ الْقَيْسِ ، وَذَكَرَ صَاحِبُ الْقَدِّ أَنَّ الْقِيَّ تَزَوَّجَهَا هُوَ عَمْرٍو بْنُ حَبْرٍ ، وَأَنَّهُمَا وَلَقِيَ لَهُ الْحَارِثُ  
ابْنُ عَمْرٍو جَدُّ لِمَرْيُ الْقَيْسِ غَيْرَ أَنَّا نَظَاهُ أَنَّهُ قَالَ فِي مُقَدِّمَةِ هَذَا الْوَصْفِ : « ثُمَّ أَتَيْتُكَ عَصَامَ إِلَى الْحَارِثِ  
فَقَالَ لَهَا مَا وَارَدَكَ بِإِصْلَاحِ ؟ ..... الخ » . [٥] أَمْلِكُهَا إِيَّاهَا : زَوْجَهُ ، فَلِكُلِّهَا مِلْكًا مِثْلَ الْمِلِكِ .

[٦] الْوَشِيكُ : السَّرِيحُ ، أَيْ يَكُنْ عَبْدًا سَرِيحًا لَا جَائِبَةً .

خصال تكن لك ذخراً وذكراً ، الصجبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتمهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أقره ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يئتم منك إلا أطيب ربح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتمهد لوقت طعامه ، والمهدؤ عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع مكنهة ، وتنقيص النوم مفضبة ، والاحتفاظ ببيتة وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمة وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تقش له سرّاً ، ولا تمص له أمراً ، فإنك إن أفشيت سرّه ، لم تأمن غدره ، وإن عصيت أمره ، أو غرت صدره ، ثم اتقى ذلك الفرح إن كان ترّحاً ، والا كتاب عنه إن كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له إعظماً ، يكن أشد ما يكون لك إكراماً ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مُرافقة ، واعلم أنك لا تصلين إلى ما تحبين ، حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يخبرك .

( مجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، والقد النريد ٣ : ٢٢٣ )

### ٣١٧ — لييد بن ربيعة يصف بقلة

وفد على النعمان بن المنذر طامراً بن مالك ملاعب الأسنة في رهط من بني جعفر بن كلاب ، فيهم لييد بن ربيعة ، فطمع فيهم الربيع بن زياد البنسي ، وذكر معايبهم — وكان نديماً للنعمان ، وكانت بنو جعفر لهم أعداء — فلم يزل بالنعمان حتى صدّه عنهم ، فدخلوا عليه يوماً ، فأروا منه جفاء — وقد كان يكرمهم وقربهم — فخرجوا غضاباً ، وليد متخلف في رحالهم ، يحفظ متاعهم ، ويتدو يلبسهم كل صباح يراها — وكان أحدثهم سنّاً — فأقام ذات ليلة وهم يتذاكرون

أمر الربيع ، فسألهم عنه فكنموه ، فقال : والله لا حَفِظْتُ لَكُمْ مَنَاعاً ، ولا سَرَّحْتُ لَكُمْ بَعيراً ، أو تخبروني فيم أنتم ؟ وكانت أم لبيد يتيمة في حجر الربيع ، فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك ، وصَدَّ عَنَّا وجهه ، فقال لبيد : هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه ، فأزجره عنكم بقول مُبْحَضٍ مؤلم ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً ؟ قالوا : وهل عندك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنا تبْلُوك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : نَشْتُم هذه البقلة ... وَقَدَّامَهُمْ بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ الْقَضْبَانِ ، قَلِيلَةُ الْأَوْرَاقِ ، لاصقة بالأرض ، تدعى التَّريبة . فقال :

« هذه التَّريبة التي لا تُذَكِّي <sup>(١)</sup> نَاراً ، ولا تُؤْهِل <sup>(٢)</sup> داراً ، ولا تَسْرُ جاراً ، عودها صَنِيل ، وفَرْعها كَلِيل <sup>(٣)</sup> ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مَرَعَى ، وأقصرها فَرْعاً ، وأشدها قَلَمًا ، فَمَتَسًا لها وَجَدَعا <sup>(٤)</sup> ، بلهها شاسع <sup>(٥)</sup> ، وَنَبْتها خَلِيع ، وَآكِلُها جَانِع ، والمقيم عليها قَانِع <sup>(٦)</sup> ، فالتقوا بي أنا بني عبس ، أَرَدُّه عنكم بِنَفْسٍ <sup>(٧)</sup> وَنَكْسٍ ، وأتركه من أمره في لَبَسٍ » .

فلما أصبحوا غَدَوْا به معهم إلى النعمان ، فذكروا حاجتهم ، فاعترض الربيع ، فرجز به لبيد وَجَزَأ ما لَبِثَ معه النعمان أن تَقَرَّزَ منه ، وأمره بالانصراف إلى أهله . ( مجمع الأمثال ٢ : ٢٣ ، جهرة الأمثال ٢ : ١١٦ ، الأغاني ١٤ : ٩١ ،

أبناء نجيده الأبناء ص ١٧١ ، ولسان السيد المرتضى ١ : ١٣٥ )

٣١٨ — محالس بن مزاحم وقاصبر بن سلبة عند النعمان بن المنذر  
كان مُحَالِسُ بْنُ مُزَاحِمِ الْكَلْبِيِّ ، وَقَاصِرُ بْنُ سَلْبَةَ الْجُدَيْيِّ . يباب النعمان

[١] تذكى : تامل . [٢] أي ولا يؤدم أهل دار من الإمالة ( ككتابة ) وهو كل ما يؤتم به ، ويقال ثريدة مأهولة : أي فيها إمالة . [٣] ضيف . [٤] قطعاً . [٥] بيد . [٦] أي سائل . [٧] النفس : الملاك .

ابن المنذر، وكان بينهما عداوة، فأتى قاصراً إلى ابن فَرْتَنَى وهو عمرو بن هند أخو النعمان بن المنذر، وقال: إن غالساً هبأك، وأنشد في ذلك أياتاً، فلما سمع عمرو ذلك أتى النعمان، فشكا غالساً وأنشد الأيات، فأرسل النعمان إلى غالس، فلما دخل عليه قال: « لا أم لك! أتتهجو امرأ هو ميتاً خير منك حياً، وهو سقيماً خير منك صحيحاً. وهو قائماً خير منك شاهداً؟ فيجرمة ماء المزن<sup>(١)</sup>، وحقُّ باني قابوس<sup>(٢)</sup>، لئن لاح لي أن ذلك كان منك، لأترعن غلصمتك من قفاك، ولأطميتك لحك ».

قال غالس: « أبيت اللعن؟ كلا، والذي وضع ذروتك بأعمادها، وأمات حسادك بأكبادها، ما بلغت غير أقاويل الوشاة، وغائم النصاة، وما هجوت أحداً، ولا أهجو امرأ ذكرت أبداً، وإني أعوذ بجدك الكريم، وعزيتك القديم، أن ينالني منك عقاب، أو يفاجئني منك عذاب، قبل الفحص والبيان، عن أساطير أهل البهتان ».

فدعا النعمان قاصراً فسأله، فقال قاصر: « أبيت اللعن! وحقك لقد هجاه وما أروانيها سواء » فقال غالس: « لا يأخذنَّ أيها الملك منك قولاً امرئ آفك<sup>(٣)</sup>، ولا تورذنني سبيل المهالك، واستدل على كذبه بقوله: إني أرويته مع ما تعرف من عداوته »، فصرف النعمان صدقه فأخرجهما.

فلما خرجا، قال غالس لقاصر: « شقي جدك، وسفل خدك، وبطل كيدك، ولاح للقوم جرؤمك، وطاش عني سهمك، ولأنت أضيق حجراً من

[١] المزن: السحاب أو أبيضه أو ذو اللاء، جمع مزنة. [٢] بنى عنه وأبو قابوس كنيته.

[٣] كذاب.

فَدَرَفْتُ<sup>(١)</sup>، إِنَّ أُمَامِي تَمَالَا أَسَامِي<sup>(٢)</sup>. رُبَّ سَامِعٍ يَخْبَرِي لَمْ يَسْمَعْ بِمُذْرِي.  
 كُلُّ زَمَانٍ لَمْ فِيهِ. فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا يُكْرَهُ. كُلُّ ذِي نُفْصَةٍ سَيُغْذَلُ. تَبَارُوا  
 فَإِنَّ الْبَرَّ يَنْبِي<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ الْمَدَدُ. وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فِكَيْهِ.  
 إِنَّ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي صَدِيقًا. لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَزَعِ التَّقَى. وَلَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ  
 وَاقِعُ التَّوَقُّ. سَتُسَاقُ، إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ. فِي طَلَبِ الْمَالِ يَكُونُ الْفَنَاءُ. الْاِقْتِصَادُ  
 فِي السَّمَى أَتَى الْجَبَامَ<sup>(٤)</sup>. مَنْ لَمْ يَأْسَ<sup>(٥)</sup> عَلَى مَا قَاتَهُ وَدَّعَ بَدَنَهُ، وَمَنْ قَنِمَ بِمَا  
 هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ. التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ<sup>(٦)</sup>. أَصْبَحُ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ  
 أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ. لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظْتَكَ. وَيُلْ لِمَالِ أَمْرٍ مِنْ جَاهِلِهِ.  
 يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ، فَإِذَا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الْكَيْسُ وَالْأَحْقُ. الْوَحْشَةُ ذَاهِبُ  
 الْأَعْلَامِ<sup>(٧)</sup>. الْبَطَرُ عِنْدَ الرِّئَاءِ مُحَقَّقٌ وَالْمَجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفْقٌ<sup>(٨)</sup>. لَا تَقْضَبُوا مِنْ  
 الْيَسِيرِ، فَرُبَّمَا جَنَى الْكَثِيرِ. لَا تُجَبِّيُوا فِيمَا لَمْ تُسْأَلُوا عَنْهُ. وَلَا تَضْحَكُوا مِمَّا  
 لَا يُضْحِكُ مِنْهُ. حِيلَةٌ مِنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ. كُونُوا جَمِيعًا فَإِنَّ الْجَمْعَ غَالِبٌ،  
 تَتَّبِعُوا. وَلَا تَسَارِعُوا فَإِنَّ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِينُ. رَبُّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا. ادْرِعُوا  
 اللَّيْلَ وَاتَّخِذُوا جَمَلًا. فَإِنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ. وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ. تَنَاءُ وَافِي  
 الدِّيارِ وَلَا تَبَاغَضُوا. فَإِنَّهُ مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَقَّحُ<sup>(٩)</sup> عَمْدُهُ. أَلْزَمُوا النِّسَاءَ الْمَهَابَةَ<sup>(١٠)</sup>

[١] ذرفت حينه كضرب : سال دعها ، ودفرت حين دعها اسائه ، وهو مثل يضرب لمن رأى الأمر  
 ضرف حقيقته . [٢] سلامه : براهه في السمو . [٣] يزيد وفي مجمع الأمثال « يتي » .  
 [٤] أي أتق القدرة ، من جم الفرس جملًا ( بالفتح ) ترك القفراب فتجع . وقه ، وجه الماء يجم بضم  
 اليم وكسرهما جوما كثر واجتمع ، والبر تراجع ماؤها ، والجلم بالفتح أيضاً : الراحة . [٥] يحزن .  
 [٦] أي ففكر في التقدم قبل أن تدم . [٧] الأعلام جمع علم وهو سيد النجوم .  
 [٨] تفتق : اضطررب . وفي الأصل أمن وهو تحريف . [٩] تفتق : اضطررب .  
 [١٠] وفي الأصل « يلبس » وهو تحريف ، وهذا مثل منته لا يد من الاقتراق بعد الاجتماع ،  
 وتبادروا وقع بينهم للفر فخرقوا ، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو  
 يعجز الزوال والاعتراض . [١٠] أي أن يهاوكم ويقرركم ، وفي الأصل « الهابة » وهو تصغير .

نِعْمَ لَهُوَ الْقُرَّةُ <sup>(١)</sup> الْفَزْل . إِنْ تَمِشْ تَرَّ مَا لَمْ تَرَهُ . قَدْ أَقْرَّ صَامِتٍ . الْكَتَار  
كَحَاطِبٍ <sup>(٢)</sup> لَيْلٍ . مِنْ أَكْثَرِ اسْقَط <sup>(٣)</sup> . لَا تَجْعَلُوا مِرَا إِلَى أُمَّةٍ . لَا تَقْرُقُوا فِي  
الْقَبَائِلَ ، فَإِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ مَكَانٍ مَظْلُومٌ ، عَاقِدُوا التَّرْوَةَ <sup>(٤)</sup> . وَإِذَا كَمْ  
وَالْوَشَائِظَ <sup>(٥)</sup> ، فَإِنَّ مَعَ الْفِقْلِ الْإِدَّةَ : لَوْ شِئْتِ الْعَارِيَةُ قَالَتْ أَبْنِي لِأَهْلِي ذُلًّا .  
الرَّسُولُ مُبْلَغٌ غَيْرُ مَلُومٍ . مِنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ غَضِبَ بِالْمَاءِ . أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ  
جَانِبَهُ <sup>(٦)</sup> . الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعُهُ . إِنْ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَوْعَفِ الْمَسْكَنَةِ . قَدْ تَجَمَّعَ  
الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلْ بِشَدِيدِهَا <sup>(٧)</sup> . لَمْ يَحْزُرْ سَاكِلُ الْقَصْدِ ، وَلَمْ يَنْعَمْ قَاصِدُ الْحَقِّ . مِنْ

[١] القرية . [٢] الحاطب : الذي يجمع الحطب ، وهو حطب ليل : أى يخلط فى كلامه .

[٣] اسقط كلمة ، واستط فى كلمة أى أخطأ .

[٤] عاقدوا : حاققوا ، والقروة : كثرة العدد من الناس . [٥] يقال م وشيطة فى قومهم أى  
حشوفهم . [٦] جاية بمعنى إجابة ، اسم وضع موضع الصدر ، ومنها الطاعة والطاعة والفتارة والفتارة ،  
قال الفضل : أول من قال ذلك سبيل بن عمرو ، وكان تزوج صبية بنت أبي جهل بن أبي هشام ، فوفيت  
له أنس بن سبيل ، فخرج معه ذات يوم ، فوقف بمزورة مكة ( والمزورة كقوسورة : الزاية الصغيرة )  
فأقبل الأخنس بن شريق التثني ، فقال : من هذا ؟ قال سبيل : ابنى ، قال الأخنس : حيّاك الله يا بنى !  
قال : لا ، والله ما بنى فى البيت ، انطلقت إلى أم حنظلة : نحن دقيقاً ، فقال أبوه : أساء سمعاً فأساء جاية  
فأرسلها مثلاً . [٧] أى لا تمشى بسبب ثديها وبما يتلذذ عليها من أجرة الإرضاع ، يشرب فى  
صيانة الرجل نفسه عن خيس الكاسب ، وذكروا أن أول من قاله الحارث بن سليل الأسدى ، وكان شيئاً  
كثيراً وكان حليفاً لطفة بن خصفة الطائي ، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أجل أمل دهرها  
فأعجب بها ، فقال له : أتيتك خاطباً ، وقد يشكح الحاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنع الزاغب ، فقال له  
علامة : أنت كعبه كرم يجل منك العفر ، ويؤخذ منك الفغو ، فأتم شطر فى أمرك ، ثم انكفأ إلى أمها  
فقال إن الحارث بن سليل سيد قومه حباً وحنناً وبيناً ، وقد خطب إلينا الزباء ، فلا يصرفنى إلا بمحاجته  
فقال أمرأته لايتها : أى الرجال أحب إليك ؟ الكهل المجهج ( أى السيد ) ، أو الواسل للنجاح ، أم اتقى  
الوضاح ؟ قالت : لا ، بل اتقى الوضاح ، قالت : إن اتقى نبيك ، وإن الشيخ عيرك ، وليس الكهل  
الفاضل ، الكثير الثنا ، كالمعتد للسن ، الكثير للنسب ، قالت : يا أمته ، إن الفتاة تحب اتقى كعب  
الزباء أتبع الكلام ، قالت : أى بنية ، إن اتقى شديد المحباب ، كثير المتنب ، قالت إن الشيخ يبلى شبابه  
ويدنس ثيابه ، ويشرب بى أنرابى ، فلم ترل أمها بها حتى قلبتها على رأيها ، فزوجها الحارث على مئة وخمسين  
من الإبل وخذلها ألف درهم ، فابتنى بها ثم رسل بها إلى قومه ، فبينما هو ذات يوم جالس فتاة قومه وحى  
إلى جانبها إذ أقبل إليه شباب من بني أسد يستلبون ، ( أى يصادرون ويتنازلون ) فتغست الصماء ، ثم  
أرخت عينيها بالبياء ، فقال لها : مايكيك ؟ قالت : حالى والشيخ والفتاهين كالفرخ ، فقال لها :  
تكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بشديها ، الحق بأهلك فلا حاجة لى فيك .

شَدَّدَ قَرَّ ، ومن تراخى تَأَلَّف . الشرف التناقل . أَوْفَى القول أَوْجَزُهُ . أصوب الأمور رَثْكُ الفضول . التفرير مِفْتَاحُ البؤس . التواني والعجز ينتجان المهلكة . لكل شئ صَرَاوَةٌ <sup>(١)</sup> . أحوج الناس إلى الغنى من لا يُصْلِحُهُ إِلَّا الغنى ، وم الملوكة . حُبُّ المدح رأسُ الضياع . رِصَا الناس فَايَةٌ لَا تُبْلَغُ . لَا تَكْرَهُ سُخْطَ مَنْ رِضَاهُ الْجَوْرُ . معالجة العفاف مَشَقَّةٌ قَمُودٌ بالصبر . اقصر لسانك على الخير وأخر الغضب ، فَإِنَّ القُدْرَةَ مِنْ وِرَائِكَ . مَنْ قَدَّرَ أَزْمَعَ . أَمْرُ أَهْمَالِ الْمُقْتَدِرِينَ الْإِنْتِقَامُ . جَازٍ بِالْحَسَنَةِ وَلَا تَكْفِي بِالسَّيِّئَةِ . أَغْنَى النَّاسَ عَنِ الْحِقْدِ مَنْ عَظَّمَ عَنِ الْمَجَازَاةِ . مَنْ حَسَدَ مَنْ دُونَهُ قَلَّ عُذْرُهُ . مَنْ جَعَلَ لِحُسْنِ الظَّنِّ نَصِيحًا رَوَّحَ عَنْ قَلْبِهِ . عِيَّ الصَّمْتُ أَحْمَدُ مِنْ عِيِ الْمُنْطَقِ . النَّاسُ رِجْلَانِ عَتْرَسٍ وَخَيْرُ مَنْ مِنْهُ . كَثِيرُ النَّصِيحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ <sup>(٢)</sup> . مَنْ أَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ أَزْرَمَ <sup>(٣)</sup> . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . الصَّمْتُ يَكْسِبُ الْحُبَّ . لَنْ يَغْلِبَ الْكَذِبُ شَيْئًا إِلَّا غَلَبَ عَلَيْهِ الصِّدْقُ . الْقَلْبُ قَدْ يُتَمُّ وَإِنْ صَدَقَ اللِّسَانُ . الْإِقْبَاضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعِدَاوَةِ ، وَتَقْرِيبُهُمْ مَكْسَبَةٌ لِقَرِينِ السُّوءِ . فَكُنْ مِنَ النَّاسِ بَيْنَ الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ . فَإِنْ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا . فُسُؤْلَةٌ <sup>(٤)</sup> الْوُزَرَاءُ أَضَرُّ مِنْ بَغْضِ الْأَعْدَاءِ . خَيْرُ الْقُرَرَاءِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَعِنْدَ الْخَوْفِ حُسْنُ الْعَمَلِ . مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ وَاعِظٌ . وَتَمَكَّنَ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى أَسْوَأِ عَمَلِهِ . لَنْ يَهْلِكَ أَمْرٌ حَتَّى يَمْلَأَ <sup>(٥)</sup> النَّاسَ عَتِيدَ فِعْلِهِ . وَيَشْتَدُّ عَلَى قَوْمِهِ . وَيُعْجَبُ بِمَا ظَهَرَ مِنْ

[١] يقال: ضرى الكلب بالصيد (كفرح) ضراوة أى قمود ، وكتب ضار ، واضراء صاحبه قوده واضراء به : أغراء ، وضراء أيضاً قفيرة . [٢] التهمة . [٣] أبرمه : أضجره وأله . [٤] فسل فسولة فهو فسل أى ذلك لأمروءة له ، والوزراء ، جمع وزير وهو النصير والظهير . [٥] في الأصل « يملأ » وأرى سواه يمل .

مروءته . ويمتد بقومته . والأمر يأتيه من فوقه . ليس للمخال في حسن الثناء نصيب . لا تنكأ مع المذم . إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . النبي أن تتكلم فوق ما تسد به حاجتك . لا ينبغي لماعل أن يتق بإخاء من تضطره إلى إخوانه حاجة . أقل الناس راحة الحقوق . من تعمّد الذنب لا تحمل رحمته دون عقوبته ، فإن الأدب رفق ، والرفق يُمن .

( جوهرة الأمثال ١ : ٣٧٠ ، ومعجم الأمثال ٢ : ١٤٥ )

### ٣٢١ - وصية أكرم بن صيفي لطفي

وقال أكرم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طفي :

« أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم . وإياكم ونكاح الحنفاء ، فإن نكاحها غرر <sup>(١)</sup> ، وولدها ضياع . وعليكم بالخيل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها . فإن فيها ثمن الكريمة <sup>(٢)</sup> ، ورفقوة الدم <sup>(٣)</sup> ، وبألبانها يتخف الكبير <sup>(٤)</sup> ، ويُغذى الصغير ، ولو أن الإبل كُلفت الطحن لطحنت . ولن يهلك امرؤ عرف قدره . والمذم <sup>(٥)</sup> عذم العقل ، لا عذم المال . ولرجل خير من ألف رجل . ومن عتب على الدهر طالت معتبته . ومن رضى بالقسم <sup>(٦)</sup> طابت معيشته . وآفة الرأي الهوى . والمادة أملاك <sup>(٧)</sup> . والحاجة مع المحبة خير من البُخس مع التقى . والدنيا دُول ، فما كان لك أذاك على ضحكك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك . والحسد داء ليس له دواء . والشامة تُعقِب . ومن ير يوماً

[١] الفرر : الخطر ، غرر نفسه تفريراً : عرضها للهلكة والاسم الفرر . [٢] يريد مهرها .  
[٣] رقا الدم : جف وسكن ، والرفوة كعبور ما يوضع على الدم ليرتبه ، والمعنى أنها تطلى في البياض  
تخضر بها السماء . [٤] التخفة : البر والطف والطفرة ، وقد أعنته تخفة . [٥] الدم بالضم  
وبضمين وبالحريك التفتان وتقلب على قضبان الليل . [٦] أقسم : القدر .  
[٧] وفي رواية : « المادة أملاك من الأدب » .

يُرَبِّهِ . قبل الرِّمَاءِ مُعْلَأُ الْكَفَّائِنِ <sup>(١)</sup> . النَّدَامَةُ مع السَّفَاهَةِ . دِعَامَةُ الْعَقْلِ الْحَلْمُ .  
خَيْرُ الْأُمُورِ مَغَبَّةُ الصَّبْرِ . بَقَاءُ الْمَوَدَّةِ عَذْلٌ <sup>(٢)</sup> التَّعَاهُدُ . من يَزُرُّ غِيَابًا يَزِدُّ حَبَا .  
التَّغْرِيرُ مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ . من التَّوَانِي وَالْعِزِّ تُنَجِّتِ <sup>(٣)</sup> الْهَلَكَةَ . لكلِّ شَيْءٍ  
ضَرَاوَةٌ . فَضْرٌ لِسَانَكَ بِالْخَيْرِ . عَنِ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنْ عَنِ النُّطْقِ . الْحَزْمُ حِفْظُ  
مَا كُتِّفَ وَتَرْكُ مَا كَفِيتَ . كثيرُ النَّصْحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ . من الْخَفِّ فِي  
الْمَسْأَلَةِ ثَقُلُ . من سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الْحَرَمَانَ . الرَّفْقُ يُنَمِّنُ ، وَالْخُرْفُ شُوْمُ .  
خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . خَيْرُ الْغَفْوِ مَا كَانَ بِعَدِّ الْقُدْرَةِ « (بمع الأمثال ٢ : ٨٧)

### ٣٢٢ - أمثال أكرم بن صيفي (وَبَزُرْجَهْرُ) الْفَارْسِي <sup>(١)</sup>

« الْعَقْلُ بِالتَّجَارِبِ . الصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ <sup>(٢)</sup> . الصَّدِيقُ مَنْ صَدَّقَ غِيَّةً <sup>(٣)</sup> .  
الْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيِّبٌ . رَبٌّ بَسِيدٌ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ . الْقَرِيبُ مَنْ قَرُبَ  
قَعْمُهُ . لَوْ تَكَشَّفْتُمْ مَا تَدَاقَمْتُمْ . خَيْرُ أَهْلِكَ مِنْ كِفَاكَ ، خَيْرُ سِلَاحِكَ مَا وَفَاكَ . خَيْرُ  
إِخْوَانِكَ مَنْ لَمْ تَخْبِرْهُ . رَبٌّ غَرِيبٌ نَاصِحٌ الْجَنِّبِ <sup>(٤)</sup> ، وَابْنُ أَبِي مَتَّهِمٍ الْغَيْبِ ، أَخْوَكُ

[١] الرِّمَاءُ مصدر وسمى كل الرماة ، والكتائن جمع كناية وهي جبة السهام ، وهو مثل منته : تؤخذ للأمر  
أدبه قيل وتوجه منه قولهم « قبل الذي يرأس السهم » أي يوضع له الرئش . [٢] العدل : الاستقامة  
أي بقاء المودة في استقامة التعاهد والمحرص على سلامة شروطه . [٣] ويرى تحت لفظة .  
[٤] حكنا في القدر الفريد ، وليس من الميسور تمييز أمثال أحدهما من أمثال الآخر إلا في القليل ، على  
أنه قد ورد بينهما أمثال لنير أكرم ، ( والله تعالى بها ) وأخرى له قد وردت في تاليف كلامه الذي أوردته  
آخراً ، ولكني آثرت إيراد القليل برمته كإجاء في القيد ، وبزرجهر : مركب من بزرج مغرب بزر  
أي الكبير ، ومهر أي الروح وهو بزرجهر بن البختكان وزير كسرى أنوشروان ملك الفرس ، وكان  
سديد الفكر ، حبيب الرأي . [٥] للنسب والنسب : الغريب ، من النسبة ( بالكسر والضم )  
وهي : القرابة ، وبينهما مناسبة أي مشكلة ، هذا يناسب ذاك أي يقاربه شيئاً .

[٦] في الأصل « من صدق عليه » وهو محرف ، وأراه من صدق فيه أو غيظه أي من صدق في  
مودته ، وحفظ الأخاء ، في النية لا في الحضر غلب . [٧] حبيب الغيب طوقة ، وهو ناصح الحبيب  
أي القلب كتابة عن أنه خالص الطوية لا غش فيه .

مَنْ صَدَقَكَ ، الْأَخْ مَرَأة أَخِيهِ . إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهَنْ<sup>(١)</sup> . مُكْرَهَ أَخِيكَ لَا بَطْلَ<sup>(٢)</sup> .  
تَبَاعَدُوا فِي الدَّيَارِ وَتَقَارَبُوا فِي الْحُبِّ . أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ<sup>(٣)</sup> ؟ مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ  
كَلَهَ . إِنَّكَ إِنْ قَرِحْتَ لَاقَ قَرَحًا . أَحْسِنَ فَيُحْسِنَ إِلَيْكَ . أَرْحَمَ تُرْحَمَ . كَمَا  
تَدِينُ تُدَانُ<sup>(٤)</sup> . مَنْ يَرَى يَوْمًا يُرَى بِهِ ، وَالنَّهْرَ لَا يُفْتَرُ بِهِ ، عَيْنُ عَرَفَتْ  
فَقَدَرَتْ<sup>(٥)</sup> . فِي كُلِّ خَبْرَةٍ عِبْرَةٌ ، مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْحَذَرُ . لَا يَتَدَوُّ الْمَرْءُ رِزْقَهُ  
وَإِنْ حَرِمَ . إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ عَمِيَ الْبَصَرُ ، وَإِذَا نَزَلَ الْحَيْنُ نَزَلَ بَيْنَ الْأَذْنِ  
وَالْعَيْنِ<sup>(٦)</sup> . الْحَرَمُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . الْفِتْنَةُ رُفِيَّةُ الزَّيْنِ<sup>(٧)</sup> . الْقِنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْقَدُ .  
خَيْرُ الْغَنَى غِنَى النَّفْسِ . مَنْ سَأَلَ إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . خِذْ مِنَ الْعَافِيَةِ مَا أُعْطِيَ .  
مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ . إِنْ عَمَلْتَ مَا أَمْضَيْتَ . لَا تَكُلِّفْ مَا كُفَيْتَ .  
الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ . قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ ، وَبِمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بَاثْنَيْنِ . لَنْ

[١] فِي اللَّيَالِي : هَذَا لِلثَّلِّ لَهْزِيلِ بْنِ هَيْمَةَ النَّظْلِيِّ ، وَكَذَلِكَ ظَارَ عَلَى بَنِي ضَبَّةٍ فَتَمَّ فَأَقْبَلَ بِالنَّتَامِ . قَالَ لَهُ  
أَصْحَابُهُ فَبَدَأَ بِهَا ، فَقَالَ إِنِّي أَهْلُكَ إِنْ تَشَاقَقْتُمْ بِالْإِقْدَامِ أَنْ يَدْرِكَكُمْ الطَّلِبَاءُ وَأَوْ ، فَتَدَعَاهَا قَالَ : « إِذَا عَزَّ  
أَخُوكَ فَهَنْ » ثُمَّ نَزَلَ قَسَمَ بَيْنَهُمُ النَّتَامَ ، وَمِمَّا : مِيَا سَرَكَ صَدِيقُكَ لَيْسَتْ بَيْنَهُمْ يَرْكَبُكَ مِنْهُ فَتَدَخُّكَ الْحَيَّةُ  
بِهِ ، إِنْ عَمَلْتَ مَا حَسَنَ خَلَقَ وَتَحَضَّلَ ، فَإِذَا طَاسَرَكَ قِيَاسُهُ .

[٢] قَالَ أَبُو حَنِشٍ : وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي خَزْرَةَ قَالَ لَهُ يَبِيسُ أَخْبِرْ أَنْتَ نَاسًا مِنْ أَشْجَعٍ فِي عَزِّ  
يَسْرِيُونَ فِيهِ . وَكَانُوا قَدْ قَطَرُوا إِخْوَتَهُ السَّنَةَ - فَأَطْلَقَ بِحَالِهِ يَمْسِي أَبَا حَنِشٍ ، فَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ فِي  
عَازٍ فِيهِ غِلَاءٌ لَنَا نَصِيبُ مِنْهَا . وَيُرْوَى : هَلْ لَكَ فِي غَنِيَّةٍ بَارِدَةٍ - ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ حَتَّى أَطْعَمَهُ عَلَى فَمِ النَّارِ ،  
وَدَفَعَهُ فِيهِ فَقَالَ : خَيْرًا أَبَا حَنِشٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ أَبَا حَنِشٍ لَيْطَلُ ، فَقَالَ أَبُو حَنِشٍ : مَكْرَهُ أَخِيكَ لَا بَطْلَ ،  
فَارْسَلَهَا مِثْلًا . [٣] فِي اللَّيَالِي : أَوَّلُ مَنْ قَالَ لِلنَّابِغَةِ الْقِيَامِي حَيْثُ قَالَ :

وَلَسْتُ بِمَسْبُوقٍ أَخًا لَا لَعْنَهُ عَلَى شَعْتٍ : أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ ؟

[٤] الدِّينُ بِالْكَسْرِ : الْجَزَاءُ دَانَهُ يَدِينُهُ دِينًا بِالْفَتْحِ وَيَكْسِرُ ، وَمَعْنَى الثَّلِّ كَمَا تَجَازَى تَجَازَى : أَيُّ كَمَا  
تَسْلُكُ تَجَازَى ، إِنْ حَسَنًا لِحَسَنٍ ، وَإِنْ سَيِّئًا لِسَيِّئٍ ، وَقَوْلُهُ تَدِينُ : أَرَادَ تَكْمِلَ قِسْمِ الْإِدْبَاعِ . جَزَاءُ  
لِلطَّائِفَةِ وَالْمَوَاقِفَةِ ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَالِي : « فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا أَعْتَدُوا عَلَيْكُمْ » .  
وَيُجِزُّ أَنْ يَجْرِيَ كَلَامُهُ عَلَى الْجَزَاءِ أَيُّ كَمَا تَجَازَى أَنْتَ النَّاسَ عَلَى مِثْلِهِمْ كَذَلِكَ تَجَازَى عَلَى صَدِيقِكَ .

[٥] فِي الْأَصْلِ « عَيْنُ رَفَتْ » وَهُوَ لَشَوْهٌ ، وَصَوَابُهُ « عَيْنُ عَرَفَتْ فَفَرَفَتْ » .

[٦] الْحَيْنُ : الْحَالُ ، وَقَوْلُهُ : نَزَلَ بَيْنَ الْأَذْنِ وَالْعَيْنِ أَيُّ يَسْمَعُ وَرَأَى مِنْ نَزَلَ بِهِ لَا تَخْفِئُ عَنْهُ .

[٧] زَيْ يَزِي زَيْ وَزَيْلَهُ .

تَعَدَّمُ الحَسَنَاءَ دَامًا <sup>(١)</sup> . لَمْ يَتَدَمَّ النَّاوِيُّ لَأَمَّا . لَا تَكُ فِي أَمَلِكِ كَالْجِنَازَةِ <sup>(٢)</sup> .  
لَا تَسْخَرُ مِنْ شَيْءٍ فَيَجُوزُ بِكَ ، أَخْرَ الشَّرَّ فَإِذَا شَدَّتْ تَعَجَّلَتْهُ . صَغِيرُ الشَّرِّ  
يُوشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . يُنْصِرِ الْقَلْبَ مَا يَمْسِي عَنْهُ الْبَصَرُ . الْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ الضَّرُّ .  
الْعَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ سَاعَدَهُ جَدُّ <sup>(٣)</sup> . مِنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتَبَانَ أَمْرَهُ . مِنْ سَرَّهُ بَنُوهُ  
سَاءَتْهُ نَفْسُهُ . مِنْ تَعَطَّمَ عَلَى الزَّمَانِ أَهَانَهُ . مِنْ تَعَرَّضَ لِلْطَّيْشِ آذَاهُ ، وَمِنْ  
تَطَامَنَ لَهُ تَخَطَّاهُ . مِنْ خَطَا يَخْطُو <sup>(٤)</sup> . كُلُّ مَبْذُولٍ تَمْلُولُ . كُلُّ مَمْنُونٍ مَرِغُوبٌ  
فِيهِ . كُلُّ عَزِيزٍ تَحْتَ الْقُدْرَةِ ذَلِيلٌ . لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ . لِكُلِّ زَمَانٍ رَجَالٌ .  
لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ . لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ . لِكُلِّ سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ .  
قِيَمَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ بِمَا يُحْسِنُ . اطْلُبْ لِكُلِّ غَلَقٍ <sup>(٥)</sup> مُفْتَاحًا . أَكْثَرُ فِي الْبَاطِلِ  
يَكُنْ حَقًّا . عِنْدَ الْقَطْعِ <sup>(٦)</sup> يَأْتِي الْفَرْجُ . عِنْدَ الصَّبَاحِ يُجْتَمِعُ السُّرَى <sup>(٧)</sup> .

[١] اقام : واقم العيب ، قال الميداني : « وأول من تكلم بهذا اللث فيا زعم أهل الأخبار حي بنت ملك بن عمرو السدواني ( وحى : بضم الحاء ، وتشديد الياء المفتوحة ) وكانت من أجل النساء ، فسمع بجبالها ملك غسان خطبها إلى أبيها ، وحكمه في مهرها ، وسأله تسميتها ، فلما عزم الأمر ، قالت لها لبتاعها : إن لنا عند اللامسة رشة فيها حنة ، فإذا أردت إدخالها على زوجها ، فطيني بها فإسداهاها فلما كان الوقت أجمعين زوجها ، فأغلظن تطييبها ، فلما أصبح قيل له : كيف وجدت أمك : طروقتك ، البالوعة ؟ فقال ما رأيت كالبالوعة قط لولا روية أنكرتها ، فالت من خلف الستر » لا تصم الحسنة داما « فأرسلتها مثلا .

[٢] الجنازة بالكسر : الميت ، ويضج ، أو بالكسر الميت ، وافتتح السرير ، أو عكسه ، أو بالكسر السرير مع الميت ، والمراد هنا الميت ، وهذا المثل والمثال قبله في الأصل متومة مخططة هكذا : « لن تصم الحسنة ما لم يسم الناصي لا يملا بك في أمك كالجنازة » . [٣] المجد : الحظ .

[٤] يريد : من حلول الخطو وتجايله استناعه ومرت عليه ، أي أن من أراد أمراً وتحمل له وأخذ في حائله وعماسته ، ثم له ما يبي ، وهو كقولهم : إنما العلم بالنعم ، « ووض يخطو في المثل حسن لأن الشرط مانس » . [٥] النقي : القفل كالنفاق . [٦] القنط والقنوط : اللأس .

[٧] السرى : السير ليلا ، ويرى « عند الصبح يجمع القوم السرى » وهو مثل يضرب لرجل يتحمل المشقة وجاء الراحة ، في الميداني : « أن أول من قال ذلك علي بن الوليد لما بث إليه أبو بكر رضي الله عنها وهو بالجميلة أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك القفازة ، فقال له واقع الطائي : قد سلكتها في الجاهلية ، هي خمس للآيل الواردة ( فلاة خمس بكسر الحاء : بعد ورودها حتى يكون ورد النعم اليوم

الصدق مَنجاة ، والكذب مهواة . الاعتراف يهدم الاشراف . رب قول أنفذ  
من صول . رب ساعة ، ليس بها طاعة . رب هجلة تعقب ريثاً <sup>(١)</sup> . بعض الكلام  
أقطع من الحسام . بعض الجهل أبلغ من الحلم . ربيع القلب ما انتهى . الهوى  
شديد العمى . الهوى الإله المعبود . الرأى تأثم ، والهوى يقطان . غلب عليك من  
دعا إليك . لا راحة لحسود ولا وفاء . لاسرور كطيب النفس . العمر أقصر من أن  
يحتمل بالمهجر . أحق الناس بالمغو أقدم على العقوبة . خير العلم ما قنع . خير القول  
ما أثبع البطنة <sup>(٢)</sup> . تذهب البطنة . شر العمى عمى القلب . أوثق المرئ كلمة  
التقوى <sup>(٣)</sup> . النساء جائل الشيطان . الشباب شعبة من الجنون . الشق من شق  
في بطن أمه . السميد من وعظ بغيره . لكل امرئ في بدنه شغل . من يعرف  
البلاء يصبر عليه . المقادير تريك ما لا يخطر ببالك . أفضل الزاد ما تروّد للمعاد .

الراح سوى اليوم اقوى شربت فيه ) ولا أظنك تندر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فاشتري مائة شارف  
( الشارف الثافة السنة ) فطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم سلك المازعة ، حتى إذا مضى يومان  
وخاف السطر على الناس والحيل ، وغشى أن يذهب ما في بطون الإبل نحر الإبل ، واستخرج ما في  
بطونها من الماء ، فسقى الناس والحيل ومضى ، فلما كان في العجة للراية . قال واضح : انظروا حل تروؤ  
سدوا عظماً ( السدو بالكسر شجر التبق ) فإن وأيموها وإلا فهو الملائك ، فنظر الناس فرأوا السدو  
فأخبروه فكبر وكبر الناس ، ثم حبسوا على الماء فقال خالد جزأ منه « عند الصباح يحمى القوم السرى »  
[١] الرايت : الإبطاء ، ويروى تيب ريثاً ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك مالك بن عوف  
ابن أبي عمرو بن عوف بن علف الشيباني ، وكان ستان بن ملك بن أبي عمرو بن عوف بن علف شام فيها ،  
فأراد أن يرحل بمرأته وهي أخت مالك بن عوف ، فقال له مالك : أين تظن يا أخي ؟ قال : أطلب موقع  
هذه السجاية . قال : لا تحمل فإنه ربما خيلك ، وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك فأبى ، ومضى فمضى  
له مروان القرظ بن زبيح الجبسي ، فأعجبه عنها وانطلق بها ، وجعلها بين بناة وأخوته ولم يكشف لها سترها  
فقال مالك بن عوف لستان يسأ فليك أخي ؟ قال : هتني عنها الزماع ، فقال مالك : « رب هجلة تيب  
ريثاً . ورب فروة يدعي ليثاً ، ورب غيث لم يكن غيثاً » ، فأرسلها مثلاً ، يضرب الرجل يشد حرصه على  
حليته ، ويحرق فيها حتى تذهب كلها » .

[٢] البطنة : الانتلاء الشديد من الطعام . [٣] انظر خطبة عبد الله بن مسعود .

الفَحْلُ أَتَمَّى لِلشَّوْلِ <sup>(١)</sup> . صاحبُ الحُطوةِ غداً ، من بلغَ المَدَى . عواقبُ الصبرِ  
محمودة . لا تُبَلِّغُ النايَاتُ بالأَمَانِ . الصَّرْعَةُ <sup>(٢)</sup> على قدرِ العزيمة . الضيفُ يُثْنَى  
أَوْ يَذَمُّ . من تفكرَ اعتبر . كم شاهدٍ لك لا ينطق . ليس منك مَنْ عَشَّكَ .  
ما نظرَ لأمرٍ مثلُ نفسه . ما سدَّ قفركَ إلا ملكُ يمينك . ما على عاقلٍ ضيعةٌ .  
النَّيْ في الثُّرْبَةِ وَطَنَ . المُقِلُّ في أهله غريبٌ ، أولُ المعرفةِ الاختبارُ . يَدُكَ منك  
وإنْ كَانَتْ سَلَاءً . أَثَقَّكَ منك وإنْ كَانَ أَجْدَعُ <sup>(٣)</sup> . من عَرَفَ بالكذبِ جاز  
صدقه <sup>(٤)</sup> . الصَّحَّةُ دَاعِيَةُ السَّقَمِ . الشبابُ دَاعِيَةُ المَرَمِ . كثرةُ الصَّيَاحِ من  
الفَحْلِ . إذا قَدُمَتِ المصيبةُ تَرَكْتَ التَّزْيِيَةَ . إذا قَدُمَ الإخاءُ سَمَّجَ التَّناء . المادةُ  
أَمَّاك من الأدبِ . الرِّفْقُ يُغْنِي وَالتَّحَرُّقُ شَوْمٌ . المرأةُ رِيحانةٌ وليستَ بقَهْرَمَانَةٍ <sup>(٥)</sup> .

[١] القول : جمع شاةٍ وهي من الإبل ما آتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر نجف لبنا ،  
وأحمى : أنزل من الحاية . [٢] الصرعة : قطع الأمر ( والعزيمة ) .  
[٣] وبروي « منك أثق وإن كان أجده » ولي اللباني : « أول من قال ذلك قنفذ بن جونة  
للزاني الربيع بن كعب المزني ، وذلك أن الربيع دفع فرساً كان قد أبر على الحبل ( أي زاد ) كراماً  
وجودة إلى أخيه كيش ليأتي به أهله ، وكان كيش أنوك مشهوراً بالحق ، وكان رجل من بني مالك يقال  
له قراد بن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم غرة فيأخذها ، وكان داهية فكث فيه من لا يبرفون  
نبيه ولا يظفروه هو ، فلما نظر إلى كيش راكباً الفرس ركب ناقته ثم عارضه ، فقال يا كيش : هل لك  
في حاجة لم أر مثلها مثناً ولا عظماً ( العانة : القطيع من حمر الوحش ) وغير منها من ذهب ؟ فلما الآن  
( بسنتين جمع أمان ) تروح بها إلى أمك فعلاً قدورم ، وتروح صبورم ، وأما العير فلا انتقل يده ،  
قال له كيش : وكيف لنا به ؟ قال : أنا لك به ، وليس يدرك إلا على فرسك هنا ، ولا يرى إلا ببل ،  
ولا يراه تيرى ، فلما كيش : فدوتك ، قال : نعم وأمسك أنت واحسني ، فركب قراد الفرس وقال :  
انتظرنى في هذا المكان إلى هذه الساعة من غدا ، قال : نعم ونفى قراد : فلم يزل كيش ينتظره حتى أمسى  
من غده وياح ، فلما لم يره لم أرأ أنصرف إلى أهله وقال في نفسه : إن سألني أخى عن الفرس قلت تحول  
ناقة ، فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع عن الفرس ، فقال له : أين الفرس ؟ قال : تحول ناقة ، قال :  
فأعزل السرج ؟ قال : لم أذكر السرج فأطلب له ناقة ، فصره الربيع ليظهر . فقال له قنفذ بن جونة :  
أله مما فاتك ، فإن أثقك منك وإن كان أجده ، فذهبت مثلاً .

[٤] في مجمع الأمثال ( ٢ : ١٧٥ ) : « من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم  
يبرز صدقه » . [٥] القهرمك : هو كالمخزن والوكيل للمال . تحت يده ، والفاحم بأمر الرجل  
بلغة الفرس .

الدال على الخير كفاعله . المحاجزة قبل المناجزة . قبل الرماية تملأ الكنان . لكل ساقطة لافطة . مقتل الرجل بين فكَيْهِ . ترك الحركة غفلة . الصمت جُبُنة . مَنْ خَيْرَ خَيْرٍ . إِنْ تَسْمَعَ مُنْطَرٌ <sup>(١)</sup> . كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة . قِيدُوا النعم بالشكر . من يزرع المعروف يحصد الشكر . لا تنتر بمودة الأمير إذا غشك الوزير . أعظم من المصيبة سوء الخلف منها . من أراد البقاء فليوطن نفسه على المصائب . لقاء الأوبة مسئلة لهم . قطعة الجاهل كصلة الماقل . من رضى على نفسه كثر الساخط عليه . قتلت أرضُ جاهلها ، وقتل أرضاً مارقها . أدوا الباء الخلق الدني ، واللسان البذي . إذا جمك السلطان أخاً فاجمله رباً . احذر الأمين ولا تأمن الخائن . عند الناية يُعرف السبق . عند الرهان يُحمد المضار . السؤال وإن قل ، أكثر من النوال وإن جل . كافي المعروف بمثله أو انشره . لا خلة <sup>(٢)</sup> مع عيلة . لا مروءة مع ضرر ، ولا صبر مع شكوى . ليس من العدل ، سرعة العذل <sup>(٣)</sup> . عبدٌ غيرك حرٌ مثلك . لا يقدّم الخيَار ، من استشار . الوضع من وضع نفسه . المهين من نزل وحده . من أكثر أهجر <sup>(٤)</sup> . كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع .

(الفرد ١ : ٢٧٢)

\* \*

ومن أمثال أكنم بن صفي أيضاً :

« في الجريرة تشترك العشيرة <sup>(٥)</sup> . إذا قرع الفؤاد ذهب الرقاد . هل

[١] أى إن تسمع أظنك لأطول تمر وأبلا منها .

[٢] الخلة : المسافة المخصصة لا خال فيها ، واليلة القدر . [٣] اليوم .

[٤] الامهجار : الاغشاش وهو أن يأتي في كلامه بالتعش .

[٥] مثل يضرب في الحث على الملواسة .

يُحْكِنِي قَدْ مَا لَا يَمُودُ؟ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَرْمِيَنِي أَمْرٌ وَبَدَائِهِ . رَبُّ كَلَامٍ ، لَيْسَ فِيهِ  
 اكْتِسَامٌ . حَافِظٌ عَلَى الصَّدِيقِ ، وَلَوْ فِي الْحَرِيقِ . لَيْسَ يَسِيرُ ، تَقْوِيمُ الْمَسِيرِ .  
 إِذَا أُرِدْتَ النَّصِيحَةَ ، فَتَأَهَّبْ لِلطَّنَّةِ . مَتَى تَمَالَجَ مَالَ غَيْرِكَ تَسْأَمُ . غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ  
 صَمِينِ غَيْرِكَ . لَا تَنْطَحْ جَهَّاءَ<sup>(١)</sup> ذَاتَ قَرْنٍ . قَدْ يَبْلُغُ الْخَضَمُ بِالْقَضَمِ<sup>(٢)</sup> . قَدْ صَدَعَ  
 الْفِرَاقُ ، بَيْنَ الرَّفَاقِ . اسْتَأْنُوا<sup>(٣)</sup> أَخَاكُمْ ، فَإِنْ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا . الْخُرُوفُ<sup>(٤)</sup>  
 لَا تَطْمَعُ ، فِي كُلِّ مَا تَسْمَعُ . (جمرة الأنتال ٢ : ١٠٣)

### ٣٣٣ - كلمات هند بنت الحُصَيْنِ الأيَادِيَّةِ

أَتَى رَجُلٌ هِنْدَ بِنْتَ الْحُصَيْنِ الْإِيَادِيَّةِ يَسْتَشِيرُهَا فِي امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا ، فَقَالَتْ :  
 « انْظُرْ رَمَكَا<sup>(١)</sup> جَسِيمَةً ، أَوْ يِضَاءَ وَسِيمَةٍ ، فِي يَنْتِ جِدٍّ ، أَوْ يَنْتِ حَدٍّ ،  
 أَوْ يَنْتِ عَزٍّ » قَالَ : مَا تَرَكْتِ مِنَ النِّسَاءِ شَيْئًا ، قَالَتْ : « بَلَى ، شَرُّ النِّسَاءِ تَرَكْتُ ،  
 السُّوَيْدَاءُ الْمِمْرَاضُ<sup>(٢)</sup> ، وَالْحَمِيرَاءُ الْمِخْيَاضُ<sup>(٣)</sup> الْكَثِيرَةُ الْمِطَاطُ<sup>(٤)</sup> » .  
 وَقِيلَ لَهَا : أَيُّ النِّسَاءِ أَسْوَأُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي تَقْعُدُ بِالْفِتَاءِ ، وَتَعْمَلُ الْإِنَاءَ ،  
 وَتَعْدُقُ<sup>(٥)</sup> مَا فِي السَّقَاءِ » قِيلَ : فَأَيُّ النِّسَاءِ أَفْضَلُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي إِذَا مَشَتْ  
 أَغْبَرَتْ<sup>(٦)</sup> ، وَإِذَا نَطَقَتْ صَرَّصَرَتْ<sup>(٧)</sup> ، مُتَوَرِّكَةً جَارِيَةً<sup>(٨)</sup> ، فِي بَطْنِهَا  
 جَارِيَةً ، يَتْبَعُهَا جَارِيَةً<sup>(٩)</sup> » .

[١] الجاه : الثالثة بِلَا قَرْنٍ مَوْثُ الْأَجْمِ - [٢] النضم : الأكل بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ ، وَالخضم : الْأَكْلُ  
 بِأَقْصَى الْأُضْرَاسِ ، وَسَمَى الْمَثَلُ : قَدْ تَمَرَّدَ الْغَايَةُ الْجَبِيَّةُ بِالرَّقْصِ . [٣] انْظُرُوا .  
 [٤] مَنْ عَزَفَتْ قَهْ عَنْهُ إِذَا زَمِنَتْ فِيهِ وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ أَيُّ أَفٍّ رَافِعٍ عَنِ الدُّنْيَا .  
 [٥] الرَمَكَا : السَّرَّاءُ ، وَالرَّمَكَا كَمَرَةٌ لَوْنُ الرَّمَادِ . [٦] الْمَرَضُ : الْمَيْقَامُ .  
 [٧] الْكَثِيرَةُ الْمَخِضُ . [٨] الْمَطَاطُ : الْمُنَازَعَةُ وَالْمُخَارَاةُ . [٩] تَمْرُجُ .  
 [١٠] أَكْثَرَتْ الْغَلَاظُ فِي مَتْنِهَا . [١١] أَحَدَتْ صَوْتَهَا . [١٢] أَيُّ حَلَاةٍ لَهَا عَلَى وَرْكَهَا .  
 [١٣] أَيُّ عِيٍّ مَثَانٍ .

قيل : فأى النملان أفضل ؟ قالت : « الْأَسْوَقُ الْأَعْتَقُ »<sup>(١)</sup> ، الذى إن شَبَّ  
كَأَنَّهُ أَحْمَقُ . قيل : فأى النملان أَفْضَلُ<sup>(٢)</sup> ؟ قالت : « الْأَوْيَعُ »<sup>(٣)</sup> القصير  
العَصْدُ ، العظيم الحَاوِيَّةُ<sup>(٤)</sup> ، الْأَعْتَبِيرُ الْغَشَاءُ ، الذى يُطِيعُ أَمْرَهُ ، وَيَعْصِي عَمْرَهُ .  
(الأمل ٢ : ٢٦٠)

\* \*

وقيل لها : أى الرجال أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالت : السَّهْلُ النَجِيبُ ، السَّخَّعُ  
الْحَسِيدُ ، التَّنْذِبُ<sup>(٥)</sup> الْأَرِيبُ ، السيد المَهِيْبُ ، قيل لها : فهل بقى أحد من  
الرجال أفضل من هذا ؟ قالت : نعم ، الْأَهْيَفُ الْمَهْفَاهُ<sup>(٦)</sup> ، الْأَفَّ الْعَيَّافُ ،  
الْمُقِيدُ الْمُتَلَّافُ ، الذى يُخْيفُ ولا يَخَافُ ، قيل لها : فأى الرجال أَبْنَضُ إِلَيْكَ ؟  
قالت : الْأَوْرَهُ<sup>(٧)</sup> التَّثْوَمُ ، الْوَكَلُ السَّنُومُ ، الضَّعِيفُ الْحَزِيزُومُ ، اللِّثِمُ الْمَلُومُ ،  
قيل لها : فهل بقى أحد شر من هذا ؟ قالت : نعم ، الْأَحْمَقُ التَّرَّاعُ ، الضَّائِعُ  
الْمُضَاعُ ، الذى لَا يُمَاكِبُ ولا يُطَاعُ ، قالوا : فأى النساء أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالت :  
الْيَبِضَاءُ الْمَطْرَةُ ، كأنها ليلة قِرَّة<sup>(٨)</sup> ، قيل : فأى النساء أَبْنَضُ إِلَيْكَ ؟ قالت :  
الْمُنْفَعُ<sup>(٩)</sup> الْقَصِيرَةُ ، التى إن اسْتَنْطَقْتَهَا مَسَكْتَتْ ، وإن سَكَتَتْ عَنْهَا نَطَقَتْ .  
(ذيل الأمل ص ١٢٠)

[١] الْأَسْوَقُ : الطويل الساق ، والأَعْتَقُ : الطويل العنق .

[٢] أَفْضَلُ من فَضْلٍ : ككرم وعلم وعنى فاقة وفسوة فهو فسل أى وقلة لا مروءة له .

[٣] الْأَوْيَعُ : تمخير أوقى وهو الذى يدنو رأسه من صغره .

[٤] مَا تَحْوَى من الْأَسَاءِ أى استدار .

[٥] التَّنْذِبُ : الخفيف فى إلحاحه الطريف النجيب ، والأَرِيبُ : الماثل . [٦] الْأَهْيَفُ وصف من

المهيب بالتحريك ، وهو رقة الخامة ، والقميس المَهْفَاهُ ، أى الرقيق الضعيف . [٧] الْأَوْرَهُ :

الْأَحْمَقُ من ورده كالحرح . [٨] لَيْلَةُ قِرَّةٍ وقراء ومهزوة : فيها القمر . [٩] الْمُنْفَعُ : المرأة

البنية القليلة الحياء ، والقليلة الجسم الكبيرة الحركة .

وقال لها أبوها يوماً : أى المال خير؟ قالت : « النخل ، الراسخات في  
الوخل ، المطاعم في المخل <sup>(١)</sup> » قال : وأى شيء؟ قالت : « الضأن ، قرية  
لا وباء بها ، تنتجها رُخالا <sup>(٢)</sup> ، وتخلبها عِلَلا <sup>(٣)</sup> ، وتجزُّ لها جُفَلا <sup>(٤)</sup> ، ولا  
أرى مثلها مالا » قال : فلا بيل مالك تُؤخَرينها؟ قالت : « هي أذكَّار الرجال ،  
وإِرْقَاءُ النساء ، ومُهور النساء » قال : فأى الرجال خير؟ قالت :

خير الرِّجال المَرهقون كما خيرُ تِلَاعِ البلاد أوطاؤها <sup>(٥)</sup>

قال : أيهم؟ قالت الذي يُسأل ولا يُسأل ، ويُضيف ولا يُضَاف ، ويُصْلِح ولا يُصْلَح .  
قال : فأى الرجال شر؟ قالت : « الثُّطَيْطُ النُّطَيْطُ ، <sup>(٦)</sup> الذي مَمْسُوطٌ <sup>(٧)</sup> ، الذي  
يقول أذركوني من عبْدِ بَنِي فلان ، فَإِنِّي قَاتِلُهُ أَوْ هُوَ قَاتِلِي » . قال : فأى النساء  
خير؟ قالت : « التي في بطنها غلامٌ ، تحمل على وَرِكها غلامًا ، يَمْشِي وَرَاسِهَا  
غلامٌ » قال : فأى الجمال خير؟ قالت : « السَّبَحَلُ الرَّجَحْلُ <sup>(٨)</sup> ، الراحة الفُحْلُ » .  
قال : أَرَأَيْتَكَ الْجَذَعُ <sup>(٩)</sup> ، قالت : لا يَضْرِبُ ، ولا يَدْعُ ، قال : أَرَأَيْتَكَ الشَّيْ <sup>(١٠)</sup>  
قالت : يضرب ، وضِرَابُهُ وَفِي <sup>(١١)</sup> ، قال : أَرَأَيْتَكَ السَّدَسُ <sup>(١٢)</sup> ، قالت  
ذاك العَرَسُ <sup>(١٣)</sup> . ( ذيل الأمل من ١٠٨ )

[١] الحِل : الفدَّة والجلبب واختراع اللز . [٢] الرخل جمع رخل كحل وكلف وهو الأق من  
أولاد الضأن . [٣] يخال عالت الثاقبة ، وهو أن تحلب أوكه النهار ووسطه وآخره ، والاسم  
علا ككتاب . [٤] الجفلا : الكثير من الصوف .  
[٥] للرهن : من يشاء الناس والأضياف . [٦] النطيط : التي لا حلية له ، والنطيط :  
المفروين ( بكسر الميم والراء ) وهو الكثير الكلام يأتي بالخطأ والصواب من غير معرفة .  
[٧] تصغير سوط . [٨] السجل والرجل : البعير الضخم الكثير اللحم . [٩] أَرَأَيْتَكَ : كلمة  
تقولها العرب بمعنى أخبرني ، الجذع : البعير إذا كان في السنة الخامسة . [١٠] البعير إذا كان في السادسة  
وأتى بئيه . [١١] قال أبو علي : الصواب أنى أى بئيه . [١٢] السدس : البعير إذا كان في  
الثامنة . [١٣] العرس : الأسد .

وقيل لها : أى الخليل أحب إليك ؟ قالت : « ذو المِئعة الصنيع »<sup>(١)</sup> ،  
 السليط التليع<sup>(٢)</sup> ، الأيد الصليع<sup>(٣)</sup> ، الملهب<sup>(٤)</sup> السريع ، قيل لها : أى  
 القيوت أحب إليك ؟ قالت : « ذو الهَيْدَب المُنْبِقِ »<sup>(٥)</sup> ، الأضخم المؤتلق<sup>(٦)</sup>  
 البصْب المُنْبِقِ<sup>(٧)</sup> . وقيل لها : ما مائة من المعز ؟ قالت : مؤيل يشف الفقر  
 من ورثته ، مال الضعيف ، وحرفة العاجز . قيل : فما مائة من الضأن ؟ قالت  
 « قرية لا يحى بها » . قيل : فما مائة من الإبل ؟ قالت : « نجح »<sup>(٨)</sup> ، جمال ومال ،  
 ومئى الرجال . قيل : فما مائة من الخيل ؟ قالت : « طغى من كانت له ولا  
 يوجد » . قيل : فما مائة من الحمُر ؟ قالت : « عازية »<sup>(٩)</sup> الليل ، وخزى المجلس ، لا بئى  
 فيطلب ، ولا صوف فيجرب ، إن رُبطَ غيرها<sup>(١٠)</sup> أدلى ، وإن ترك ولّى ، وقيل  
 لها : من أعظم الناس فى عينك ؟ قالت : « من كانت لي إليه حاجة » .

( صرح البيهقي ص ١٨٤ )

[١] ماغ الفرس يبيع : جرى ، وصنة الفرس : حسن التيام عليه ، صنعت فرسى صنعا وصنة ( بفتح  
 الصاد فيها ) والصنيع ذلك الفرس . [٢] السليط : الشديد ، والحديد من كل شيء ، والطبع :  
 الطويل المتق من التلم يفتحون وهو طول المتق . [٣] الأيد ككيس : القوي ، من آد يشد أيدا  
 أى قوى واشتد ، والصليع وصف من ضلع كفتح ضلعة ، وهي القوة وشدة الأضلاع .

[٤] هو الذى يجتهد فى عباده حتى يثير النار ، من الهب . [٥] الهيدب : السحاب المتلبد ،  
 وللنجم : للنجم بالمر . [٦] الضخم : كشمس وسبب وأحد وغراب : العظيم من كل شيء ، واثنان  
 البرق وقائل : لمج . [٧] الصخب : وصف من الصخب كصيب وهو شدة الصوت ، وللمنبتق : للغير .

[٨] نجح كافر : أى عظم الأمر ونغم ، قتال وحدهما وتكرر ، نجح الأول متون مكور ، والثاني مسكن ،  
 ويقال فى الأفراد : نجح ساكنة الماء ، ونجح مكسورة ، ونجح مكسورة متونة ، ونجح متونة مضومة ، ويقال  
 نجح مسكين ، ونجح متوجع مكسور ، ونجح مكسورين مشددين متونين كقوله تعالى فتلذنا والإعجاب بالشيء .

[٩] يقال : جل حازب : أى لا يروح على الحى من الزوب وهو أنبية والتماع ، وقولها : خزى  
 المجلس ، أى بما تحته من التهيؤ للزعج والإدلاء . [١٠] البير : الحمار ( وغلب على الروحى ) ،

وأدلى : أى أخرج فضيه ليول أو يضرب .

وقالت: «أخبثُ الدُّنْيَا دُثْبُ النَّصَا<sup>(١)</sup>، وأخبثُ الأفاعي أفعى الجُدْبِ،  
وأسرعُ الطُّبَّاءِ طلباءُ الحُلْبِ<sup>(٢)</sup>، وأشدُّ الرجالِ الأعجَفُ<sup>(٣)</sup>، وأجلُّ النساءِ الفُخْمَةُ  
الأمِيلةُ<sup>(٤)</sup>، وأقبحُ النساءِ الجُمَّةُ القَفْرَةُ<sup>(٥)</sup>، وآكَلُ الدُّوَابِّ الرَّغُوثُ<sup>(٦)</sup>،  
وأطيبُ اللحمِ عُوْدُهُ<sup>(٧)</sup>، وأغلظُ المواطئِ الحَصَى على الصَّفَا، وشرُّ المالِ مالا  
يَزْكِي<sup>(٨)</sup> ولا يَذْكِي<sup>(٩)</sup>، وخيرُ المالِ سِكَّةٌ مأبورة<sup>(١٠)</sup>، أو مُهْرَةٌ مأمورة<sup>(١١)</sup>»  
(مع الأمثال ١ : ١٧٤)

## خطب الكهان

٣٢٤ - الكاهن الخزاعي يُنْقِرُ هاشم بن عبد مناف  
على أمية بن عبد شمس

وَلِي هاشم بعد أبيه عبد مناف ، ما كَانَ إليه من السقاية والرَّفاة<sup>(١٢)</sup>

[١] النضا : شجر له جري يقى طويلا . [٢] الحلب : نبت ، قال حمزة : « العرب تسمى ضروباً  
من البهائم بضروب من الرامي تضربها إليها ، فيقولون : ظبي الحلب ، وتيس الربة ( والربى شجرة نبات  
شديد الحفرة ) ، وشيطان الحراطة ( والحراطة كساية : شجر شبيه بالبن ، أحب شجر للحيات ) . الخ  
وذلك كله على قدر طبايع الأكنة والأغذية المأكلة في طباع الميوان . [٣] من العجب بالتحريك وهو  
نضاب السن . [٤] الطوية للقرصة . [٥] الجبهة : مؤنث الجهم وهو الوجه التليظ المتجمع  
السج ، والقفرة : القليلة القفر بالتحريك أى الشعر . [٦] الرغوث : كل مرضعة كالرغث .  
[٧] ما طاذ بالظم من اللحم . [٨] ذكي كرضي نما وزاد كزكا يزكو . [٩] ذكي تذكى :  
ممن ويدد ( بضم الدال ) . [١٠] السكة : السطر من النخل ، وللمأبورة : للصلبة ، من أبرت النخل  
آبره إذا فتحته وأصلحته . [١١] مأبورة : أى كثيرة الولد ، من آمرها الله أى كثرها ، وكان  
يفنى أن يقال مؤمرة ، ولكنه أتبع مأبورة - اقرأ في كتاب بلاغات النساء ص ٨٠ فضلاً طويلاً في كلام  
هند بنت الحس واختها جمة .

[١٢] السقاية : هى إسقاء الحبيج للماء العذب ، والرفاة : خرج كانت يخرجها قريش في كل موسم من  
أموالها ، فتدفعه إليه ، فيصنع به طعاماً يسلط يأكله من لم يكن له سنة ولا زاد .

فخسده أُمَيَّةُ بن عبد شمس بن عبد مناف على رياسته وإطعامه ، وكان ذا مال ، فَكَلَّفَ أَنْ يَصْنَعَ صَنِيعَ هَاشِمٍ ، ففَجَزَعْنُهُ ، فَشَبَّتْ بِهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَغَضِبَ وَتَالَ مِنْ هَاشِمٍ ، وَدَعَاهُ إِلَى الْمَنَافِرَةِ ، فَكَرِهَ هَاشِمٌ ذَلِكَ لِسِنَّتِهِ وَقَدَرِهِ ، فَلَمْ تَدْعُهُ قُرَيْشٌ حَتَّى نَافَرَهُ عَلَى خَمْسِينَ نَاقَةً سُودَ الْحَدَقِ يَنْحَرُهَا يَطْنُ مَكَّةَ ، وَالْجَلَاءُ عَنْ مَكَّةَ عَشْرَ سَنِينَ ، فَرَضَى بِذَلِكَ أُمَيَّةُ ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا الْكَاهِنَ الْخُزَاعِيَّ - وَهُوَ جَدُّ عَمْرِو بْنِ الْحَقِيقِ ، وَمَنْزِلُهُ بِسُفَّانٍ <sup>(١)</sup> ، وَكَانَ مَعَ أُمَيَّةَ تَهْمَةٌ بِنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ الْفِهْرِيِّ ، وَكَانَتْ ابْنَتُهُ عِنْدَ أُمَيَّةَ ، فَقَالَ الْكَاهِنُ :

« وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ ، وَالْكَوْكَبِ الزَّاهِرِ ، وَالنِّعَمِ الْمَاطِرِ ، وَمَا بِالْجَوِّ مِنْ طَائِرٍ ، وَمَا عِنْدِي بِعِلْمٍ <sup>(٢)</sup> مَسَافِرٍ ، مِنْ مُنْجِدٍ وَطَائِرٍ <sup>(٣)</sup> ، لَقَدْ سَبَقَ هَاشِمٌ أُمَيَّةَ إِلَى الْمَآثِرِ ، أَوَّلُ مِنْهُ وَآخِرُ ، وَأَبْوَهِمُهُ بِذَلِكَ خَائِرٌ » .

فَقَضَى لَهُاشِمٌ بِالْغَلَبَةِ ، وَأَخَذَ هَاشِمُ الْإِبِلَ ، فَنَحَرَهَا وَأَطْعَمَهَا ، وَغَابَ أُمَيَّةُ عَنْ مَكَّةَ بِالشَّامِ عَشْرَ سَنِينَ ، فَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلُ عِدَاوَةٍ وَقَسَتْ بَيْنَ هَاشِمٍ وَأُمَيَّةَ .  
( تلويح الكامل لابن الأثير ٦ : ٢ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤ ، وتلويح الطبري ٢ : ١٨٠ )

٣٢٥ - عَوْفُ بْنُ رَيْعَةَ الْأَسَدِيُّ يَتَكَهَنُ بِمَقْتَلِ حَجْرِ بْنِ الْحَارِثِ  
كَانَ حُجْرُ بْنُ الْحَارِثِ ( أَبُو إِمْرِيٍّ الْقَيْسِ ) مَلِكَ بَنِي أَسَدٍ ، وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ إِتَاوَةٌ <sup>(١)</sup> كُلَّ سَنَةٍ لَمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ : فَبَقِيَ كَذَلِكَ دَهْرًا ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يَحْيَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَخُضِرَ يَوْمَئِذٍ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَطَرَدُوا رُسُلَهُ وَضَرَبُوهُمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ

[١] عسقلان : موضع على مرحلتين من مكة . [٢] العلم : ما نصب في الطريق يهتدى به .

[٣] أنجد : أنى نجداً ، وظار وظار : أنى غوراً . [٤] خراج .

حجراً ، فسار إليهم ، فأخذ سرّوا<sup>(١)</sup>هم ، وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالمصا (فسمّوا عبيد المصا ) وأباح الأموال ، وصبرهم إلى تهامة ، وجلس جماعة من أشrafهم منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شمرأ يستطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت للملك عليهم وم العبيد إلى القيامة

فرق لهم وعفا عنهم ، وردم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكمن كأنهم وهو عوف بن ربيعة بن حامر الأسدى ، فقال لهم : يا عبادى ، قالوا : ليك ربنا ، فقال : « من الملك الصلّيب<sup>(٢)</sup> ، الغلاب غير المتلب<sup>(٣)</sup> » ، فى الإبل كأنها الريزب<sup>(٤)</sup> ، لا يخلق رأسه الصخب ، هذا دمه يتشعب<sup>(٥)</sup> ، وهو غداً أول من يستلب<sup>(٦)</sup> » قالوا : ومن هو ؟ ربنا . قال : « لولا تجيش<sup>(٧)</sup> نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حبر ضاحية<sup>(٨)</sup> » .

فركبوا كل صعب وذلول ، حتى بلغوا عسكر حجر ، فهجموا عليه فى قبته فقتلوه . (تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٢ ، والشعر والشراء من ٣١ ، والأغانى ٨ : ٦٣)

### ٣٣٦ - كاهن بنى الحارث بن كعب يحذرهم غزو بنى تميم

كان بنو تميم قد أغاروا على لطيمة<sup>(١)</sup> لكسرى ، فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ، فأوقع كسرى بهم ، وقتل المقاتلة ، وبقيت أموالهم وذراتهم فى مساكنهم لا مانع لها ، وبلغ ذلك بنى الحارث بن كعب من مدحج ، فثنى

[١] سروات جمع سرادة بالفتح ومع اسم جمع سرى كنى من سرو سروا وهو الرواة فى شرف .

[٢] حجر صلب : شديد صلب ، والمصليب أيضاً : الشديد من الإبل ، والرجل الطويل ، وفى الشعر والشراء والأغانى « الأصيب » ومن معانيه الأسد . [٣] اللطب : اللطوب مراراً ( وهو أيضاً المحكوم له باللبة . ضد ) . [٤] الررب : القطيع من بحر الوحش . [٥] يتشعب .

[٦] جاشت النفس وتحيوت ارتفعت من حزن أو فرح . [٧] حلاية ، يقال لها ضاحية : أى علانية .

[٨] اللطيمة : البير تحمل الطيب ويزن الثياب .

بعضهم إلى بعض ، وقالوا اغتصموا بنى تميم ، فاجتمعت بنو الحارث وأحلافها من  
بند وحزم بن زيان في عسكر عظيم ، وساروا يريدون بنى تميم ، فحذرهم كاهن  
كان مع بنى الحارث واسمه سلة بن المنفل ، وقال :

« إنكم تسيرون أعقاباً <sup>(١)</sup> ، وتغزون أحباباً <sup>(٢)</sup> ، سعداً ورباباً ، وتردون  
مياهاً جباباً <sup>(٣)</sup> ، فتلقون عليها ضراباً ، وتكون غنيمةكم تراباً <sup>(٤)</sup> ، فأطيعوا  
أمرى ولا تغزوا تميماء ، ولكنهم خالفوه وقاتلوا بنى تميم ، فهزموا هزيمة نكراء .  
( تلخ الكامل لابن الأثير ١ : ٢٢٧ ، والأغانى ١٥ : ٧٠ )

### ٣٢٧ - أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة

كان الفاكه بن المنيرة المخزومي أحد قتيان قريش ، وكان قد تزوج هند  
بنت عتبة ، وكان له بيت للضيافة يمشاه الناس فيه بلا إذن ، فقال <sup>(١)</sup> يوماً في  
ذلك البيت ، وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعض من كان يمشى  
البيت ، فلما وجد المرأة نائمة ولّى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المنيرة ، فدخل على  
هند وأنبهها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟ قالت : والله ما انتهيت حتى  
أنهتني ، وما رأيت أحداً قط ، قال : الحق بأبيك ، وخاض الناس في أمرهم ،  
فقال لها أبوها : يا بنية المار <sup>(٢)</sup> وإن كان كذبا ، يئبني شأنك ، فإن كان الرجل  
صادقاً دسنت عليه من يقتله ، فيقطع عنك المار ، وإن كان كاذباً ما كتمته إلى

[١] أى يسير بحكم هتب بعض ، فربما في إثر فريق ، وقد ذكر ابن الأثير أنهم كانوا نحو ثمانية  
آلاف ، ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بنى فارس ومن يوم بيلة ، وروى  
أبو الفرج الأصبهاني أنه أجمع من منسج ولها اثنا عشر ألفاً . [٢] هذه القاسلة والفاسلتان قبلها ،  
وردت في الأصل بحركة هكذا : « إنكم تسيرون أعقاباً ، وتغزون أحباباً ، سعداً ورباباً » .

[٣] الجباب والأجباب جمع جب وهو البئر الكثيرة الماء الجيدة الثمر . [٤] أورد صاحب الأغانى  
من هذه الفقرة الست ، الفقرة الأولى والرابعة والخامسة ، وعزاها إلى للأمر الحارثي وهو كاهن أيضاً .

[٥] قال فلا وثاقة وقيلولة وقيلولة ، فلم في الثالثة وهي نصف النهار . [٦] أى اتى المار .

بعض كهان المين ، قالت : والله يا أبت إنه لكاذب ، فخرج عتبة فقال : إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تُتيّن ما قلت ، وإلاّ فخا كِنتي إلى بعض كهان المين ، قال : ذلك لك ، فخرج القاكه في جماعة من رجال قریش ، ونسوة من بنى غزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بنى عبد مناف ، فلما شافوا بلاد الكاهن تديروجه هند ، وكسف بالها ، فقال لها أبوها : أى بنية ، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟ قالت : يا أبت والله ما ذلك لمكروه قبلى ، ولكنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ، ولعله أن يسعنى بِسْمَةِ تبق على ألسنة العرب ، فقال لها أبوها : صدقت ، ولكنى سأخبرُوكِ ، فصفر بفرسه ، فلما أدلى عمد إلى حبة بُرٍّ ، فأدخلها في إحليله ، ثم أوكى <sup>(١)</sup> عليها وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أينناك في أمر ، وقد خبنا لك خيئة ، فاهى ؟ قال : بُرة ، في كَمَرَةٍ <sup>(٢)</sup> ، قال : أريد أين من هذا ، قال : « حبة بُرٍّ » ، في إحليل هُزْ ، قال : صدقت ، فانظر في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنكِ ، حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها ، وقال : « انهضى غير رُقعاء <sup>(٣)</sup> ولا زانية ، وستلدين ملكاً يسمى معاوية » .

فلما خرجت أخذ القاكه يدها ، فنثرت يده من يدها ، وقالت : إليك عني ، والله لأخرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان ، فولدت له معاوية .

(القد الفرید ٣ : ٢٢٤ ، وصح الأعشى ١ : ٢٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١١١)

[١] الوكاه ككتاب : حبل يشد به رأس القربة ، ووكلما وأوكما وأدكي عليها شدتها بركاه .  
[٢] الكمرة : رأس الذكر . [٣] الرقعاء : البني التي تكلب بالقبور ، من الرقاعة كفضاعة وهي الكسب والتجارة ، هذا ما ورد في ابن أبي الحديد ، وفي غيره « رسقاء » والرسقاء : القبيحة ، والرسقاء أيضاً : القليلة لحم العجز والتعذير والأول أنسب .

٣٢٨ - خمسة نفر من طيٍّ يمتحنون سواد بن قارب اللوسى

خرج خمسة قَرٍ من طيٍّ من ذوى الحِجَا والرأى ، منهم بُزج بن مُسهر ، وهو أحد المُعَمَّرِينَ ، وأُتَيْف بن حارثة بن لَأَمٍ ، وعبد الله بن سعد بن الحَشْرَج أبو حاتم طيٍّ ، وطارف الشاعر ، ومُرَّة بن عَبْدِ رُضَى ، يريدون سَوَاد بن قارب الْقَوْمِى ، ليمتحنوا علمه ، فلما قَرُبُوا مِنَ السَّرَاة ، قالوا : لَيْخَبًا كُلُّ رَجُلٍ مَنَا خَيْبَتًا ، وَلَا يُخْبِرُهُ صَاحِبُهُ ، لِيَسْأَلَهُ عَنْهُ ، فَإِنْ أَصَابَ عَرَفْنَا عِلْمَهُ ، وَإِنْ أَخْطَأَ ارْتَحَلْنَا عَنْهُ ، نَحْبَأُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خَيْبَتًا ، ثُمَّ صَارُوا إِلَيْهِ ، فَأَهْدُوا لَهُ إِبِلًا وَطُرُقًا مِنْ طُرَفِ الْحَيَرَةِ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ قَبَةً ، وَنَحَرَ لَهُمْ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ دَعَا بِهِمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ .

فتكلم بُزج - وكان أَسَنُّهُمْ - فقال : « جَادَكَ السَّحَابُ ، وَأُثْرِعَكَ الْجَنَابُ <sup>(١)</sup> ، وَصَفَّتْ عَلَيْكَ النِّعَمُ الرَّغَابُ <sup>(٢)</sup> ، نَحْنُ أَوْلُوا الْآكَالِ <sup>(٣)</sup> ، وَالْحَدَاقُ وَالْأَغْيَالِ <sup>(٤)</sup> ، وَالنِّعَمُ الْجَفَالِ <sup>(٥)</sup> ، وَنَحْنُ أَصْهَارُ الْأَمْلاَكِ ، وَفُرْسَانُ الْعِرَاكِ - يُودَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ بَكْرَيْنِ وَاقِلٍ - » .

فقال سواد : « وَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَالْفَعْرُ وَالْبَرْصُ <sup>(٦)</sup> ، وَالْقَرَضُ

[١] لمرع : أنصب ، والجَنَاب : ماحول الدار - [٢] الضائق : السابغ الكثير ، يقال : خبر فلان صاف على قومه : أى سابغ عليهم ، والرقاية : الواسعة الكثيرة جمع رقية - [٣] الآكال : جمع أكل ( كقفل وعق ) الرزق والمأخذ من الدنيا - [٤] الأغيال جمع غيل كشس : وهو الماء الجارى على وجه الأرض - [٥] الجفال : الكثيرة - [٦] الضر : الماء الكثير ، ويقال : رجل نمر الحقيق إذا كان واسع الخلق سخيا ، والبرص : الماء القليل ، ويقال : فلان يبرص حقه : أى يأخذه قلبا قليلا .

والفَرْضُ<sup>(١)</sup> ، إنكم لأهلُ الحَضَابِ الشَّمِ<sup>(٢)</sup> ، والنخيلِ النَّمِ<sup>(٣)</sup> ، والصَّخُورِ الصَّمِ<sup>(٤)</sup> من أَجَا المَيْطَاءِ ، وَسَلَى ذَاتِ الرِّقَبَةِ السَّطَمَاءِ<sup>(٥)</sup>

قالوا : إنا كذلك ، وقد خَبَأَ لك كل رجل منا خَيْثًا ، لتخبرنا باسمه وخَيْثُه ، فقال لبرج : « أَقْسَمُ بِالضِّيَاءِ وَالْحَلَاكِ<sup>(٦)</sup> ، والنجومِ وَالْفَلَكَ ، والشروقِ وَالنَّالِكَ<sup>(٧)</sup> ، لقد خَبَأَتْ بُرْتُنُ فَرْخِ<sup>(٨)</sup> ، في إَعْلِيْطِ مَرْخِ<sup>(٩)</sup> ، تحتِ آسِرَةِ الشَّرْخِ<sup>(١٠)</sup> » ، قال : ما أَخْطَأْتُ شَيْئًا ، فن أنا ؟ قال : أنت بُرْجُ بنِ مُسْهِرٍ ، عَصْرَةُ الْمُصْبِرِ<sup>(١١)</sup> ، وَنَمَالُ الْمُحْصِرِ<sup>(١٢)</sup> .

ثم قَامَ أُتَيْفُ بنِ حَارِثَةَ ، فقال : ما خَيْثِي وما اسمِي ؟ فقال : « والسحابِ والترابِ ، والأَصْبَابِ والأَحْدَابِ<sup>(١٣)</sup> والنَّمِ الكُتَابِ<sup>(١٤)</sup> » ، لقد خَبَأَتْ قُطَامَةُ قَسِيْطُ<sup>(١٥)</sup> ، وَقُدَّةَ مَرِيْطِ<sup>(١٦)</sup> ، في مَدْرَةِ من مَكِيٍّ مَطِيْطِ<sup>(١٧)</sup> » ، قال : ما أَخْطَأْتُ شَيْئًا ، فن أنا ؟ قال : « أنت أُتَيْفُ ، قَارِي الضَّيْفِ ، وَمُعْمَلُ السَّيْفِ ، وَخَالِطُ الشِّتَاءِ بِالصَّيْفِ » .

[١] الفرض : ما تشبهه لتفضاه ، والفرض : ما فرضته على نفسك فوجبه أوجبته به لتبخر ثواب .  
[٢] النَم : الطوال ، وكذا النَم . [٣] أَجَا وسَلَى : جَلَا طَيُّ ، والمَيْطَاء : الطويلة ، وكذا السَّطَمَاء . [٤] الحَلَاك : شدة السواد . [٥] دَلِكْتُ الشَّيْءَ دَلُوكًا : غَرِيتُ أَوْ اصْفَرْتُ ، والحَلَاك : وقت الغلوك . [٦] البُرْتُنُ : ظفر كل ما لا يصيد من البعاب والطيور مثل الحمام والضب والفأرة فإذا نَزَّما يصيد ، قبل انقترعه غلب . [٧] اللَرُخ : شجر تنفذ منه النار ، والإَعْلِيْط : وهاه ثمر اللَرُخ ، والرب تخبه به آذان الخيل . [٨] الآسِرَةُ والإِسَار : القيد الذي يشد به خشب الرجل ، وفرض الرجل جانباه . [٩] للمر : الذي ذهب منه ، والعَصْرَةُ : اللبأ والنبتة .  
[١٠] النَمَال : التيات التي يقوم بأمر قوم ، والمُحْصِر : لللبأ ( صيغة اسم الفاعل ) المضيق عليه .  
[١١] الأَصْبَاب : جمع صيب كصيب : وهو ما تنخفض من الأرض ، والأَحْدَاب : جمع حطب كحطب أيضاً : وهو ما علا . [١٢] الكَكِيْمَةُ : القطعة : ما قطعه بك ، والقَطْعُ : بأطراف الأسنان ، والقَطِيْط : قلامة الفتر . [١٣] القُدَّة : الزبدة ، والمَرِيْطُ من السهام : الذي قد تمرط ريشه أى تنف [١٤] المَدْرَةُ : قطعة طين يابسة ، والمَدَى : جدول صغير يسيل فيه ما يجرى من ماء البئر ، والمَطِيْطَةُ : الماء الحار في أسفل الحوض .

ثم قام عبد الله بن سعد . فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم  
لسوام العازب <sup>(١)</sup> ، والوقيير الكارب <sup>(٢)</sup> ، والمجدد الراكب ، والشحيح  
الحارب <sup>(٣)</sup> ، لقد خبأت ثقاتة قتن <sup>(٤)</sup> ، في قطعير قد مرّن <sup>(٥)</sup> ، أو أدبم قد  
جرّن . قال : ما أخطأت حرفاً ، فن أنا ؟ قال : أنت ابن سعد النّوال ، عطاوك  
سجّال <sup>(٦)</sup> ، وشركك عُضّال ، وعمدك طوال ، وبيتك لايتال .

ثم قام عارف ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بنقنف  
اللّوح <sup>(٧)</sup> ، والماء المسفوح <sup>(٨)</sup> ، والفضاء المنذوح <sup>(٩)</sup> ، لقد خبأت زمة طلاً  
أعمر <sup>(١٠)</sup> ، في زعنفة <sup>(١١)</sup> أدبم أحر ، تحت حلس نضو أدبر <sup>(١٢)</sup> . قال :  
ما أخطأت شيئاً ، فن أنا ؟ قال : « أنت عارف ذو اللسان المضب ، والقلب  
النذب <sup>(١٣)</sup> ، والمضاء الغرب <sup>(١٤)</sup> ، مناع السرب <sup>(١٥)</sup> ، ومبيح التهب .

ثم قام مرة بن عبد رضى ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد :  
« أقسم بالأرض والسماء ، والبروج والأنواء <sup>(١٦)</sup> ، والظلمة والضياء . لقد خبأت  
دمة <sup>(١٧)</sup> ، في رمة <sup>(١٨)</sup> ، تحت مشيطلة <sup>(١٩)</sup> . قال : ما أخطأت شيئاً ، فن أنا ؟

- 
- [١] السوام : المال الراعى من الإبل ، والعازب : البعيد . [٢] الوقيير : القطيع من الغنم ،  
والكارب : الغريب . [٣] الماشيح : الجاد ، في لغة هذيل ، وفي غيرها الحاضر ، والحارب : السالب ،  
حربه حرباً ككلبه طلباً : سلبه ماله . [٤] الثقاتة : ما تنفته من فيك ، والقتن : واحد أثنان  
الأشجار وهي أغصانها . [٥] القطيع : ما يقطع من الشجر ، ومرن وجرن : لان .  
[٦] أى يتداول بين الناس ، لكل فريق منه نصيب . [٧] النقنف واللوح واحد ، وهما الهواء  
وأما أضاف لما اختف الغفان ، فكأنه أضاف الذى إلى غيره . [٨] المصوب .  
[٩] الواسع . [١٠] الطلا : ولد الظلي ساعة يولد ، والصغير من كل شيء ، والأدبر من الظاء :  
ما يلو ياضه حرة ، والزمة : الثمرات المتدليات في رجل الأرنب . [١١] زعنف الأدب : أطرافه  
مثل اليدين والرجلين ، ومالا خير فيه جمع زعنفة بكسر الزاى والنون ، ومنه قيل لزال الناس الرطاف .  
[١٢] الحلس فيجر كالبرذعة للظفر ، والنضو : للهبزول من الإبل وغيرها ، والأدبر : الذى أمامه  
الدبر (بالتحريك) وهو قرعة العاجبة . [١٣] الدكى : الحد . [١٤] السرب بالفتح :  
للماشية كلها ، وبالكسر القطيع من الظباء والنساء وغيرها . [١٥] الأنواء : جمع نوء (كسم)  
النجم : ما لا يغروب . [١٦] الهمة : القصة . [١٧] الربة : العظام البالية .  
[١٨] القمة : الشعر الجاوز شعبة الأذن ، وللشيط : المسقوط .

قال : « أنت مُرّة ، السريع الكُرّة ، البطيء الفرّة ، الشديد للِرّة <sup>(١)</sup> » .

قالوا : فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك ، فقال : « والنّاظر من حيث لا يُرى ، والسّامع قبل أن يُتكلّم ، والعالم بما لا يُدرى ، لقد عَنّت لكم عُقابٌ عَجَزاه <sup>(٢)</sup> ، في شَفايّبٍ <sup>(٣)</sup> دَوْحة جَزْءاء ، تحمل جَدلاً <sup>(٤)</sup> ، قماريتم <sup>(٥)</sup> إِمَائِدًا وإِمَارِجَلًا ، فقالوا : كذلك ، ثمّ مه؟ قال : « سَنَحَ لكم قبل طلوع الشّرق <sup>(٦)</sup> ، سَيْدُ أُمَقٍ <sup>(٧)</sup> ، على ماء طَرَقٍ <sup>(٨)</sup> » قالوا : ثمّ ماذا؟ قال : « ثمّ تيس أفرق <sup>(٩)</sup> ، سَنَدٌ في أبرقٍ <sup>(١٠)</sup> ، فرماه الغلام الأزرق ، فأصاب بين الوابِلَةِ <sup>(١١)</sup> والِرِزْقِ » . قالوا : صدقت ، وأنت أعلم من تحمل الأرض ، ثم ارتحلوا عنه . (الأمل : ٧ : ٢١٧)

### ٣٢٩ — حديث مصاد بن مذعور القيني

كَانَ مَصَادُ بْنُ مَذْعُورٍ الْقَيْنِي رَئِيسًا ، قَدْ أَخَذَ مِرْبَاعَ <sup>(١)</sup> قَوْمِهِ دَهْرًا ، وَكَانَ ذَا مَالٍ ، فَتَدَّ ذَوْدُ <sup>(٢)</sup> مِنْ أَذْوَادِهِ ، فَخَرَجَ فِي بَنَاتِهَا <sup>(٣)</sup> ، قَالَ : فَإِنِّي لَنِي طَلَبُهَا ، إِذْ هَبَطْتُ وَإِدْبًا شَجِيرًا <sup>(٤)</sup> كَثِيفَ الظَّلَالِ ، وَقَدْ تَفَسَّخْتُ أَيْنًا <sup>(٥)</sup> ، فَأَتَخْتُ رَاحِلَتِي فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، وَحَطَطْتُ رَحْلِي ، وَرَسَفْتُ <sup>(٦)</sup> بَعِيرِي ، وَاضْطَجَعْتُ

[١] للرّة : اتمّة . [٢] الميزاء : القى ايض ذنبا ، (ولى غير هذا اللوح : القى كبرت عجيزتها) .

[٣] الشفايب : جمع شفتوب كصفور وهو النمن الناعم الرطب ، والذّوحة : الشجرة العظيمة .

[٤] الجدل : الضو وجهه جدول . [٥] تمادتم . [٦] الفرق : الشمس ، والرب تمول لا أفضل ذلك ماطلع شرق ، وشرقت الشمس : طلعت ، وأشرقت : أضاءت . [٧] السيد : القتب ، والأُمَق : الطويل . [٨] الطرق : الماء القوي يوت في الايل ، يقال : ماء طرق ومطروق .

[٩] الأفرق من الشاء : البعيد ما بين خصيه . [١٠] سند في الجبل : صد ، والأبرق والبرقاء والبرقة كقرصة : غلط من الأرض فيه حجارة ودمل ، وجبل أبرق : إذا كان فيه لوان .

[١١] الوابِلَة : رأس الضد القى على اللتكب .

[١٢] المرباع : دبح النتية ، وكان يخص به الرئيس في الجاهلية [١٣] تدّ : ترد ، والقنود :

ثلاثة أمهرة إلى المصرة ، أو خمسة عشر ، أو عشرون ، أو ثلاثون [١٤] طلبها

[١٥] كثير الشجر . [١٦] قبا وكلا . [١٧] شددت رسته

في بُرْدِي ، فإذا أَرَبَجُ جَوَارٍ ، كأنهن اللآلى ، يَرَعَيْنِ بَهْمًا لهنَّ ، فلما خالطت عيني السَّنةُ ، أقبلن حتى جلسن قريبا مني ، وفي كف كل واحدة منهن حَمِيكَاتٌ قَلْبَيْنِ ، نَخَطَتْ إحداهن ثم طَرَقَتْ <sup>(١)</sup> ، فقالت : « قلن يا بناتِ عَرَافٍ ، في صاحب الجبل التِّيف <sup>(٢)</sup> ، والْبُرْدُ الكُتَّاف <sup>(٣)</sup> ، والجِرِم <sup>(٤)</sup> لِحُجَّاف <sup>(٥)</sup> » ، ثم طَرَقَتْ الثانية ، فقالت : « مُضِلُّ أَدْوَادٍ عَلَاكِد <sup>(٦)</sup> ، كُومِ صَلَاحِهِ <sup>(٧)</sup> . منهن ثلاثٌ مَقَاحِد <sup>(٨)</sup> ، وأربعٌ جَدَاثِد <sup>(٩)</sup> ، شُفْتُ صَمَاد <sup>(١٠)</sup> » ، ثم طرقت الثالثة فقالت : « رَعَيْنِ الْفَرَع <sup>(١١)</sup> ، ثم هَبَطْنَ الْكَرْع <sup>(١٢)</sup> ، بين الْعَقِدَاتِ وَالْجَرَع <sup>(١٣)</sup> » فقالت الرابعة : « لِيَهْبِطِ الْغَائِطُ الْأَفْجَح <sup>(١٤)</sup> ، ثم ليظهرَ في اللَّلا الصَّخَصَح <sup>(١٥)</sup> ، بين سَدِيرٍ وَأَمْلَح <sup>(١٦)</sup> ، فهناك الدَّوْدُ رِثَاعٌ بِمُتَجَرِّجِ الْأَجْرَع <sup>(١٧)</sup> » قال : فقامت إلى جلي فشددت عليه رحله وركبت ، والله ما سألتن من من ولا يَمْنَن من ؟ فلما أدبرت ، قالت إحداهن : « أَبْرَحُ <sup>(١٨)</sup> قَتَى إن جَدَّ في طلب ، فإله غيرهن نَشَب <sup>(١٩)</sup> ، وسيُثَوَّبُ عن كُتَب <sup>(٢٠)</sup> » ،

[١] الطرق : ضرب الكامن بالمضى . [٢] جل نواف ككتاب وشداد : طويل في ارتفاع .  
[٣] الكثيف . [٤] الجسد . [٥] الخفيف . [٦] أنزل دابته : قدما ، والملاك : الصلاب الشداد جمع علكد ( بكسر وزجر وقفذ ) . [٧] بئر آكوم ، وثاقه كوما : عظمة السنام والجمع كوم ، والصلاخد : العظام الشداد ، واحدا صلاخد بفتح . [٨] الفاحد جمع مقفاد ، وهي الخليفة السنام (والفصد كربة : السنام أو أمه ) . [٩] الجدائد جمع جدود كصبور : وهي التي انقطع لبنها [١٠] شفت جمع شاسف : وهو اليابس ضرا وهزلا ، واليهاد جمع صبرد كزبرج : القلية العين [١١] الفرع جمع فرعة وهي أعلى الجبل . [١٢] الكرع : ماء السماء ينزل فينتقع ، وسمى كرعا لأن للشيء تكرع فيه . [١٣] العقيدات جمع عقدة : وهي مالمقد من الرمل ، والجرع جمع جرعة بالكون وبمرك : للرملة للابية للثبت لاوعوة فيها ، أو الأرض ذات المزوة تتاكل الرمل أو الحص لا يثبت ، أو الكتيب جانب منه رمل وجانب حبلوة كالأجرع والجرماء . [١٤] الغائط : المطش من الأرض ، والأفجح : الواسع . [١٥] الللا : الفضاء ، والصصح والصصح : لمصمحلان : ماستوى من الأرض . [١٦] سدير وأملح : موضحان . [١٧] أشد . [١٨] المال الأسيل من الناطق والمعت . [١٩] يثوب : يرجع ، والكتب : القرب .

فَفَزَعَ قَلْبِي وَاقَهُ قَوْلُهَا ، قُلْتُ : وَكَيْفَ هَذَا ، وَقَدْ خُفَّتْ بِوَادِيَّ عَرْجًا ،  
عُكَامِسًا <sup>(١)</sup> ؟ فَرَكِبْتُ السَّمْتَ <sup>(٢)</sup> الَّذِي وُصِفَ لِي ، حَتَّى اتَّهَيْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ ،  
فَإِذَا ذَوْدِي رَوَاتِعُ ، فَضَرَبْتُ أَعْجَازَهُنَّ ، حَتَّى أَشْرَفْتُ عَلَى الْوَادِي الَّذِي فِيهِ إِلِي ،  
فَإِذَا الرَّعَاءُ تَدْعُو بِالْوَيْلِ ، قُلْتُ مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : أَغَارَتْ بَهْرَاءُ عَلَى إِبْلِكَ ،  
فَأَسْحَقَتْهَا <sup>(٣)</sup> ، فَأَمْسَيْتُ وَاقَهُ مَالِي مَالٍ غَيْرِ النَّوْدِ ، فَرَمَى اللَّهُ فِي نَوَاصِيهِنَّ  
بِالرَّغْسِ <sup>(٤)</sup> ، وَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَكْثُرُ بَنِي الْتَيْنِ مَالًا . (الأنبياء : ١٤٢) .

٣٣٠ - حديث خنافر بن التوم الحميري مع رثيّه شصار

كَانَ خُنَافِرُ بْنُ التَّوَمِ الْحَمِيرِيُّ كَاهِنًا ، وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ بِسَطَئَةٍ فِي الْجَسْمِ ،  
وَسَعَةً فِي الْمَالِ ، وَكَانَ عَاتِيًا ، فَلَمَّا وَقَدَّتْ وَفُودُ الْيَمَنِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَوُظِرَ الْإِسْلَامُ ، أَغَارَ عَلَى إِبْلِ لِمُرَادٍ فَكَتَسَحَمَا ، وَخَرَجَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَلَحِقَ  
بِالشَّخْرِ ، فَخَالَفَ جَوْذَانَ بْنَ يَحْيَى الْفِرَاضِيَّ ، وَكَانَ سَيِّدًا مُتَنِيًّا ، وَتَزَلَّ بِوَادٍ مِنْ  
أَوْدِيَةِ الشَّخْرِ ، مُخَصَّبًا كَثِيرَ الشَّجَرِ مِنَ الْأَيْلِكِ وَالْعَرِينِ <sup>(٥)</sup> ، قَالَ خُنَافَرُ : وَكَانَ  
رَثِيِّي <sup>(٦)</sup> فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَكَادُ يَتَغَيَّبُ غَنًى ، فَلَمَّا شَاعَ الْإِسْلَامُ فَقَدْتُهُ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ ،  
وَسَاءَنِي ذَلِكَ ، فَيَنَآ أَنَا لَيْلَةً بِذَلِكَ الْوَادِي نَائِمًا ، إِذْ هَوَى هُوِيَّ الْمُقَابِ ، فَقَالَ :  
خُنَافَرُ ؟ قُلْتُ : شِصَارُ ؟ فَقَالَ : ائْتَمِعْ أَقْلُ ، قُلْتُ : قُلْ ائْتَمِعْ ، فَقَالَ : «عِنْدَ تَمَتُّمِ ،  
لِكُلِّ مَدَّةٍ نِهَآيَةٌ ، وَكُلُّ ذِي أَمَدٍ إِلَى غَايَةٍ ، قُلْتُ : أَجَلٌ ، فَقَالَ : كُلُّ دَوْلَةٍ إِلَى

[١] المَرَجُ : نَحْوُ خَشَاةٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْمَكْسِ وَالْمَكَابِسِ : الْكَثِيرُ . [٢] الطَّرِيقُ .

[٣] اسْتَأْصَلَهَا . [٤] الرَّغْسُ : الْبَرْكَ وَالْمَنَاءُ .

[٥] الْأَيْلِكُ : الشَّجَرُ لِلْفُلُكِيِّ الْكَثِيرِ ، وَالنِّبْخَةُ تَبِتُ الدُّمُ وَالْأَرَاكُ ، أَوْ الْجَمْعَةُ مِنَ كُلِّ الشَّجَرِ ،

وَالْعَرِينُ : جَاعَةُ الشَّجَرِ . [٦] الرَّثِيُّ : مَا يَتَرَادَى لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْبَيْنِ فَيَحِبُّ .

أجل ، ثم يُتَّاحُ لَهَا حَوْلٌ<sup>(١)</sup> ، اُنْتُسَخَتِ النَّحْلُ ، وَرَجَعَتْ إِلَى حَقَائِقِهَا الْمَلِكُ ،  
إِنَّكَ سَجِيرٌ<sup>(٢)</sup> مَوْصُولٌ ، وَالتَّضَعُ لَكَ مَبْدُولٌ ، وَإِنِّي آتَيْتُ<sup>(٣)</sup> بِأَرْضِ الشَّامِ  
قَرَأَ مِنْ آلِ الْعُدَامِ<sup>(٤)</sup> ، حُكَّامًا عَلَى الْحُكَّامِ ، يَذُبُّونَ<sup>(٥)</sup> ذَارُونَ<sup>(٦)</sup> مِنْ الْكَلَامِ ،  
لَيْسَ بِالشَّعْرِ الْمُؤَلَّفُ ، وَلَا السَّجْعِ الْمُتَكَلَّفُ ، فَأَصْنَيْتُ فَوْجِي رُتُ ، فَعَاوَدْتُ  
خُطْبَيْتُ<sup>(٧)</sup> ، قُلْتُ : بِمِ تَهْنِئُونَ<sup>(٨)</sup> ، وَالْأَمَّ تَعْتَرُونَ<sup>(٩)</sup> ؟ قَالُوا : « خِطَابُ  
كِبَاوَةِ<sup>(١٠)</sup> ، جَاءَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، فَاسْمِعْ يَا شِصَارُ ، عَنْ أَصْدَقِ الْأَخْبَارِ ،  
وَاسْمُكَ أَوْضَحُ الْآثَارِ ، تَنْجِ مِنْ أَوَارِ<sup>(١١)</sup> النَّارِ » ، قُلْتُ : وَمَا هَذَا الْكَلَامُ ، قَالُوا :  
« قُرْآنُ بَيْنِ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ ، رَسُولٌ مِنْ مُضَرَ ، مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ ، ابْتِغَتْ فَظْهَرُ ،  
جَاءَ بِقَوْلٍ قَدْ بَهَرَ ، وَأَوْضَحَ نَهْجًا قَدْ دَنَرَ ، فِيهِ مَوَاعِظُ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَمَعَاذُ لِمَنْ  
ازْدَجَرَ ، أَلْفَ بِالْأَيِّ الْكَبِيرِ » ، قُلْتُ : وَمِنْ هَذَا الْمَبْعُوثِ مِنْ مُضَرَ ؟ قَالَ :  
« أَحْمَدُ خَيْرِ الْبَشَرِ ، فَإِنْ آمَنْتُ أُعْطِيتَ الشَّيْرُ<sup>(١٢)</sup> ، وَإِنْ خَالَفتُ أُصْلِيَتْ سَمَرُ ،  
فَأَمَنْتُ يَا خَنَافَرُ ، وَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ أَبْلَدُ ، جَانِبُ كُلِّ كَافِرٍ ، وَشَايِعُ كُلِّ مُؤْمِنٍ  
طَافَرُ ، وَالْأَفْهُوَ الْفِرَاقُ ، لَا عَنْ تَلَاقٍ » ، قُلْتُ : مِنْ أَيْنَ أَنْبِئِي هَذَا الدِّينَ ؟ قَالَ :  
مِنْ ذَاتِ الْأَحْرَبَيْنِ<sup>(١٣)</sup> وَالنَّعْرِ الْيَمَانَيْنِ ، أَهْلُ الْمَاءِ وَالطِّينِ » قُلْتُ : أَوْضِئِ ،  
قَالَ : « الْحَقُّ يَنْتَرِبُ ذَاتِ النَّحْلِ ، وَالْحَرَّةُ ذَاتِ النَّحْلِ<sup>(١٤)</sup> ، فَهَنَّاكَ أَهْلُ الطُّوَلِ

[١] الحول : التحول . [٢] السجير : الصديق ، والشجير : الغريب ، وقيل يقال السجير  
والشجير لصديق . [٣] أهرت . [٤] الغمام : قبيلة من الجن ، وكذا قيل .  
[٥] ذبرت الكتاب : قرأته (وذبرته أيضا : كتبه كزبرته) . [٦] منعت .  
[٧] الهينة : الصوت الخفي . [٨] تنديون . [٩] كبر . [١٠] الأوار : حر النار .  
[١١] بالهجر بالكون : الخبر وحرك الحج . [١٢] الحرّة : الأرض ذات حجارة نخرة سود  
وتجمع على حررات وحرار وحررين وأحررين . [١٣] النحل : للكان الطيظ من الحرّة .

والفضل ، والمواساة والبذل ، ثم امسك<sup>(١)</sup> عنى ، فبت مذعوراً أراعى الصلح ، فلما برق لى النور ، امتطيت راحتي ، وآذنت<sup>(٢)</sup> أعينى ، واحتملت بأهلى ، حتى وردت الجوف ، فرددت الإبل على أربابها ، بمحولها وسقاها<sup>(٣)</sup> ، وأقبلت أريد صنعاء ، فأصبت بها معاذ بن جبل أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايعته على الإسلام ، وعظمتى سوراً من القرآن ، فن الله على بالهدى بعد الضلالة ، واللم بعد الجمالة .

( الأمل : ١ : ١٤٣ )

٣٣١ — شافع بن كليب الصدقي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم  
قديم على تبع الآخر ملك اليمن ، قبل خروجه لقتال المدينة<sup>(١)</sup> ، شافع بن  
كليب الصدقي<sup>(٢)</sup> ، وكان كاهناً ، فقال له تبع : هل تجد لقوم ملكا يوازي  
ملكى ؟ قال : لا ، إلا ملك غسان ، قال : فهل تجد ملكا يريد عليه ؟ قال :  
« أجده لبار مبرور ، ورائد<sup>(٣)</sup> بالقهور<sup>(٤)</sup> ، ووصف في الزبور ، فضلت

[١] أظن . [٢] أظن . [٣] المولود جمع مائل ومع الأتي من أولاد الإبل ، والغاب جمع  
سقب كشس وهو الذكر .

[٤] قال ابن إسحق : « كان تبع الآخر حين أقبل من للعرق بعد أن ملك البلاد جبل طرعه على  
على المدينة ، وكان حين سربها في بدايته لم يبع أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابناً له ، قتل غيلة ، فقدمها  
وهو يجمع على تخريبها واستئصال أهلها ، فجعل له الأضمار حين سموا ذلك وخربوا لقتاله ، فزعم الأضمار  
أنهم كانوا يقاتونه بالهراة وقرونة باليل ، فيمجه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قرنا لكرام ، فبينما هو  
على ذلك إذ جاءه جران من أجار اليهود من بني قريظة عالمان واسطان في العلم ، فقالا له : قد سمنا  
ما تريد أن تفعل ، وإنك إن آيت إلا ذلك ، حيل بينك وبينه ، ولم تأمن عليك طبل العقوبة ، فقال :  
ولم ذلك ؟ قال : إنها ساهير ( يفتح الجيم ) نبي يخرج من هذا الحرم من قريش تكون دأوه وقراره ،  
فأتى مما كان يريد ، وأجبه ما سمع منها ، وأتبعها على دينها ، وكان هو وقومه أصحاب أولئك ، وخرج  
متوجاً إلى اليمن ، فعدا قومه إلى اليهودية فأبوا عليه ، ثم أطلقوا على دينه ، فن هلك وعن ذلك كان  
أسل اليهودية باليمن ( سيرة ابن هشام ١ : ١١ ، والكمال لأبن الأثير ١ : ١٤٦ ) .

[٥] الصدقي لبة إلى صف ككثف : بطن من كثفة . [٦] الرائد في الأصل : المرسل في طلب  
الكلام من الرود وهو الطلب ، يعني به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، قد كان راداً لأخته يرتاد لها الخير  
قال عليه الصلاة والسلام في أول خطبة خطبها مكة حين دعا قومه : « إن الرائد لا يكذب أمله » .

[٧] جاء في مسند البهاني : « القهر ( كشس ) أسافل المعجاز مما على نجا من قبل الطائف ،

أُمِّهِ فِي السُّقُور<sup>(١)</sup> ، يَفْرِجُ الظُّلْمَ بِالنُّورِ ، أَحْمَدُ النَّبِيِّ ، طَوَّبَ لَأَمَّتِهِ حِينَ يَجِي ،  
أَجْدُ بَنِي لُؤَيٍّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي قُصَيٍّ .

فَنَظَرَ تَبَعٌ فِي الزُّبُورِ ، فَإِذَا هُوَ يَحْدُ صِفَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

( تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦ )

٣٣٢ — سَطِيحُ الذَّنْبِيِّ<sup>(٢)</sup> يَعْبُرُ رُؤْيَا رَيْعَةَ بْنِ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ

وَرَأَى رَيْعَةَ بْنَ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ مَلِكَ الْيَمَنِ - وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ تَبَعِ الْآخِرِ - رُؤْيَا  
هَالِكَةً ، فَلَمْ يَدْعُ كَاهِنًا ، وَلَا سَاحِرًا ، وَلَا مَائِنًا ، وَلَا مَنْجِمًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إِلَّا  
جَمَعَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالِكَةً وَقَطَعْتُ<sup>(٣)</sup> بِهَا ، فَأَخْبِرُونِي  
بِهَا وَتَأْوِيلَهَا ، قَالُوا لَهُ : اقْصُصْهَا عَلَيْنَا نَخْبِرَكَ بِتَأْوِيلِهَا ، قَالَ : إِنِّي إِذَا أَخْبَرْتُكُمْ  
بِهَا لَمْ أَطْمَئِنِّ إِلَى خَبَرِكُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ

وَأَنشد لخُشَّاشُ بْنُ زُمَيْرٍ :

دَعَا جَانِي ، إِنِّي سَأَزِلُ جَانِبًا لَكُمْ وَاسًا يَنْ الْهَيْلَةَ وَالنَّهْرَ

وَأَقُولُ : هَذَا الْوَصْفُ يَنْطَبِقُ عَلَى مَكَّةَ فَهِيَ رَاقِعَةٌ جَنُوبِي الْمَجِيزِ .... الخ فالتعني : « أَجْدُ مَلِكًا يَزِيدُ عَلَى  
مَلِكِهِ لَرَأْدٍ يَطْهَرُ بِكَ الْبَقَاعَ » أَمَا كَلِمَةُ التَّهْوِيرِ فَلَمْ أَجِدْهَا فِي مَعْنَى ، وَلَوْلَا الْكَاهِنُ جَمَعَ « لِلتَّهْوِيرِ »  
عَلَى تَهْوِيرِ ، لِإِقَامَةِ الْفَاصِلَةِ ، أَوْ هُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِ لَمْرُؤٍ الْقَتِيسِ :

يَزِلُ النَّارَ الْخَفِ عَنْ صِهْوَانِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاهُ بِالْمُنْزَلِ

[١] السفر ( تكمل ) الكتاب الكبير ، أَوْ جِزَاءٌ مِنْ أَجْزَاءِ التَّوْرَةِ ، وَفِي كُتُبِ الْاِثْنَةِ أَنَّهُمَا تَجْمَعُ عَلَى  
أَسْفَارَ ، وَلَهُ جَمْعُهَا عَلَى سُفُورٍ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى السَّجْعِ أَيْضًا .

[٢] اسْمُهُ رَيْعُ بْنُ رَيْعَةَ بْنِ مَسُودَ بْنِ مَازِنَ بْنِ ذَيْبِ بْنِ عَدَى بْنِ مَلَزَنَ غَسَّالٍ ، وَكَانَ يَقَالُ لَهُ الْقَتِيبِيُّ  
نِسْبَةً إِلَى ذَيْبِ بْنِ عَدَى ، وَكَانَ مِنَ الْمَسْرِينِ قِيلَ طُلُوعُ ثَلَاثَةِ سَنَةٍ وَقِيلَ سَبْعُمِائَةٍ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ  
رَأْسٌ وَلَا عُنُقٌ ، وَأَنَّهُ وَجْهُهُ كَانَ فِي صَدْرِهِ ، وَإِنَّهُ كَانَ جَسَدًا طَلْقًا لَا جَوَارِحَ لَهُ ، وَكَانَ لَا يَغْدُرُ عَلَى  
الْجُلُوسِ إِلَّا إِذَا غَضِبَ ، فَإِنَّهُ يَنْفُخُ فَيُجِلِسُ ، وَكَانَ لَهُ سُرُورٌ مِنَ الْبُرْدِ وَالْحَرَسِ ، إِذَا أُرِيدَ عَلَيْهِ إِلَى مَكَانٍ  
يَطُورُ مِنْ رَجُلِيهِ إِلَى حِجَابِهِ كَمَا يَطُورُ الثَّوْبُ فَيُوضَعُ عَلَى ذَلِكَ السَّرِيرِ ، وَإِذَا أُرِيدَ اسْتِخْبَارُهُ لِيَخْبِرَ عَنْ  
الْقَضِيَّاتِ يَحْرُكُ كَمَا يَحْرُكُ سَاءُ الْفَهْنِ فَيَنْفُخُ وَيَعْنِي وَيَطُورُ النَّفْسَ فَيَسْأَلُ فَيَخْبِرُ مَا يَسْأَلُ دَهْ ، ( كَذَا )  
وَأَنَّ كَاهِنَةَ بَنِي سَعْدِ بْنِ هَذِيمٍ وَكَانَتْ بِأَعْمَالِ الشَّامِ لَمَّا حَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ طَلَبَتْ سَطِيحًا وَشَفَا ( وَسَبَاقِي ذِكْرِهِ )  
وَحَلَّتْ فِي فُجَاهِهَا ، وَذَكَرْتُ أَنَّ سَطِيحًا يَخْلُفُ فِي كَاهِنَتِهَا ، ثُمَّ مَاتَتْ فِي يَوْمِهَا ذَلِكَ .

[٣] فَطَعَ بِالْأَسْرِ كَنَحَرَ خَطَامَةً : إِذَا مَالَهُ وَغَلِبَهُ .

أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فَإِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ يَرِيدُ هَذَا ، فَلْيَبْعَثْ إِلَى سَطِيعٍ وَشِيقٍ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْهُمَا فِيهَا ، يُخْبِرَانِهِ بِمَا سَأَلَ عَنْهُ ، فَبِعَثَ إِلَيْهَا ، فَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ سَطِيعٌ قَبْلَ شِيقٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَاتَيْنِ وَقَطَعْتُهُمَا ، فَأَخْبِرْنِي بِهِمَا ، فَإِنَّكَ إِنْ أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا . قَالَ : أَفْضَلُ « رَأَيْتُ مَحْمَةً <sup>(١)</sup> ، خَرَجَتْ مِنْ ظِلِّمَةٍ <sup>(٢)</sup> ، فَوَقَعَتْ بِأَرْضِ نَهْمَةٍ <sup>(٣)</sup> ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلَّ ذَلِكَ مُجْجِمَةً <sup>(٤)</sup> » ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا أَخْطَأْتَ مِنْهَا شَيْئًا يَا سَطِيعُ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟ فَقَالَ : « أَحْلِفْ بِمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ <sup>(٥)</sup> مِنْ حَقِّشٍ ، لِيَهْبِطَنَّ أَرْضَكُمْ الْحَبَشُ ، فَلْيَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ أُبَيْنَ <sup>(٦)</sup> إِلَى جُرَشٍ <sup>(٧)</sup> » ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَأَيُّكَ يَا سَطِيعُ . إِنْ هَذَا لَنَا لِنَاقِظٍ مُوجِعٍ ، فَتَى هُوَ كَأَنَّ ، أَفَى زِمَانِي هَذَا أَمْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ : « لَا ، بَلْ بَعْدَهُ بَحِينٌ ، أَكْثَرُ مِنْ سِتِينَ أَوْ سَبْعِينَ ، يَعْضِينَ مِنَ السِّنِينَ » . قَالَ : أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ مَلِكِهِمْ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : « لَا ، بَلْ يَنْقَطِعُ لِيَضِجَ وَسَبْعِينَ مِنَ السِّنِينَ ، ثُمَّ يَقْتُلُونَ بِهَا أَجْمِينَ ، وَيُخْرِجُونَ مِنْهَا هَارِينَ » . قَالَ : وَمِنْ يَلِي ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ ؟ قَالَ : « يَلِيهِ إِزْمٌ <sup>(٨)</sup> ذِي يَزَنَ ، يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ ، فَلَا يَتْرُكُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ » . قَالَ : أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ سُلْطَانِهِ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : بَلْ يَنْقَطِعُ ، قَالَ : وَمَنْ يَقْطَعُهُ ؟ قَالَ نَبِيُّ زَكَّى ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيِّ .

[١] الحمة وتجمع على حم : النحلة والرماد وكل ما يحرق من النار ، وتطلق الحمة على البحر مجازاً لاحتراق ما يؤول إليه وهو الراد منا . [٢] الظلمة : الظلام ، وسرى في تمييز الروايات إشارة إلى الأجبال السود . [٣] التهمة بالتحريك : الأرض المنصورة إلى البحر ، كالهم بحركة أيضاً كأنها صمدون من تهمة ، لأن التهام منصوبة إلى البحر ( ويقال أيضاً : أرض تهمة كفرجة أي شعبة الحر ، من التهم بالتحريك وهو شعبة الحر ) وفي ابن الأثير « بهمة » بالباء يقال : أرض بهمة كفرجة أي كثيرة البهسى ، والبهسى بالضم اسم نبت ، والغبط الأول عندى أريج . [٤] أي كل عس . [٥] المرة : أرض ذات حجارة سود نخرة ، [٦] غلاف باليمن به مدينة عدن . [٧] غلاف باليمن من جهة مكة . [٨] الإزم ككتب وكشف : العلم ( بالتحريك ) أو غس بماد ، والهم سيد القوم ، أي جولاه سيد بني ذى يزن ، وهو سيف بن ذى يزن .

قال : « ومن هذا النبي ؟ قال : « رجل من ولد غالب بن فهر ، بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر » قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : « نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يستعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه السيئون » . قال : « أحقُّ ما تُخبرنا يا سطيج ؟ قال : « نعم ، والشَّقَقِ ، والنَّسَقِ <sup>(١)</sup> ، والْفَلَقِ <sup>(٢)</sup> إذا انشقَّ ، إن ما أنباتك به لحقَّ » .

٣٣٣ — شق أنمار <sup>(٣)</sup> يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضاً

ثم قدم عليه شقُّ ، فقال له كموله لسطيج ، وكنتمه ما قال سطيج ، لينظر أيتفقان أم يختلفان ، قال : « نعم ، رأيتُ حُمَةً ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين رَوْضَةٍ وأَكَمَةٍ ، فأكلت منها كلَّ ذات نَسَمَةٍ » . فلما سمع الملك ذلك قال : « ما أخطأت يا شقُّ منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : « أحلفُ بما بين الحرَّتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليملين على كل طفلة <sup>(٤)</sup> البنان ، وليملكن ما بين أبتين إلى نجران <sup>(٥)</sup> » فقال له الملك : وأيك يا شقُّ ، إن هذا لنا لفاظ مؤجِّع ، فتى هو كائن : أفى زمانى أم بعده ؟ قال : « لا ، بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشدَّ الهوان » قال : « ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : « غلام لبس بدني ولا مدَّن <sup>(٦)</sup> ، يخرج عليهم من

[١] الشَّقَقِ : الخثرة في الأفق من الغروب إلى قريب الصبح ، والنَّسَقِ : ظلمة أول الليل .  
[٢] الفَلَقِ : الصبح أو ما انفلق من غموده . [٣] هو شق بن مصعب بن بشكر بن رهم بن أنزل بن عيسى بن عكر بن أعمار بن مزل ، وزعموا أنه كان شقَّ إنسان ( أى نفسه ) له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة . [٤] مؤت طقل : وهو الرخمى التاعم من شيء . [٥] غلاف شمال اليمن . [٦] اللق : سهل من دق . والللق : للتصر عما ينبغي له أن يفعله ، وفي ابن الأثير « وزن » جازى والوزن : التهم ، من أنزته بكنا أى أهنته به .

يَتَذِي يَزَن<sup>(١)</sup> » قَالَ أَفِيدُومَ سُلْطَانَهُ أَمْ يَنْقُطِعُ ؟ قَالَ : بَلْ يَنْقُطِعُ بِرَسُولِ  
مُرْسَلٍ ، يَأْتِي بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، يَبْنِي أَهْلَ الدِّينِ وَالْفَضْلِ ، يَكُونُ الْمَلِكُ فِي قَوْمِهِ  
إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ . قَالَ : وَمَا يَوْمُ الْفَصْلِ ؟ قَالَ : « يَوْمُ تُجْزَى فِيهِ الْوَلَاةُ ، يَدْعَى  
فِيهِ مِنَ السَّمَاءِ بِدَعَوَاتٍ ، يَسْمَعُ مِنْهَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ ، وَيُجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ  
لِلْمِيقَاتِ ، يَكُونُ فِيهِ لِمَنْ اتَّقَى الْفَوْزُ وَالْخَيْرَاتُ » قَالَ : أَحَقُّ مَا تَقُولُ ؟  
قَالَ : « إِي وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ رَفَعٍ وَخَفَضٍ ، إِنْ  
مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لِحَقٍّ مَا فِيهِ أَمُضٌ<sup>(٢)</sup> »

فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَيْمَةَ بْنِ نَصْرٍ مَا قَالَا ، فَجَهَّزَ بَنِيَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إِلَى الْعِرَاقِ بِمَا  
يُصْلِحُهُمْ ، وَكَتَبَ لَهُمْ إِلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ ، يَقَالُ لَهُ سَابُورُ قَاسِكُنْهُمْ  
الْحَيَّةَ ، فَفِي بَقِيَّةِ وَلَدِهِ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذَرِ مَلِكُ الْحَيَّةِ ، وَهُوَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذَرِ بْنِ  
النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ نَصْرٍ .  
( سيرة ابن هشام ١ : ٨ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦ )

### ٣٣٤ - وفود عبد المسيح بن بقليلة على سطیح

عن ابن عباس رضي الله عنه قال :

« لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ وَلَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَرْجَحَ إِيَّانَ كَسْرَى ، فَسَقَطَتْ

[١] وخبر ذلك أن زُرْعَةَ بْنَ كَبِّ الْمَلَبِ بْنِ تَوَاسٍ أَحَدَ مُلُوكِ التَّبَاسَةِ الْيَمَنِ ( وَكَانَ قَدِ تَهَوَّدَ وَتَنَصَّبَ الْيَهُودِيَّةَ وَحُلَّ عَلَيْهِ بِقَاتِلِ الْيَمَنِ ) اضْطَهَدَ نَحَارِيَّ نَحْرَانَ لِأَنَّهُ يَهُودِيٌّ يَنْتَرِانَ عَمَّا أَهْلُهَا عَلَى ابْنَيْهِ لَمْ يَقْتُلُوهُمَا ظُلْمًا ، فَتَوَسَّلَ إِلَى ذِي نَوَاسٍ الْيَهُودِيَّةَ ، وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِمْ ، فَخِيْلَ لَهُ وَلَدَيْهِ وَغَرَامٌ ، وَيَقَالُ إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ نَحْرَانَ أَتَى مِنَ الْقَتْلِ ، وَسَارَ إِلَى قِصْرِ الرُّومِ يَسْتَجِدُّ عَلَى ذِي نَوَاسٍ ، فَبِمَثِّ قِصْرِ إِلَى نَحَارِيٍّ الْمُهَيْتَةِ بِأَمْرِ بَصْرَةَ النَّصَارَى ، فَجَهَّزَ خَيْشًا إِلَى الْيَمَنِ ، فَكَبَّرُوا الْبَرَّ إِلَيْهَا ، وَهَقِيمَ ذُو نَوَاسٍ فِيمَنْ مَعَ فَدَوَاتِ الدَّائِرَةِ عَلَيْهِ ، وَمَلَكَتِ الْمُهَيْتَةُ الْيَمَنِ ، وَلَمَّا طَالَ الْبَلَاءُ مِنَ الْمُهَيْتَةِ عَلَى أَهْلِهَا خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ الْحَمِيرِيُّ وَقَدِمَ عَلَى قِصْرِ يَوْسُفَيْنَ يَسْتَجِدُّ عَلَى الْمُهَيْتَةِ فَأَبَى ، وَقَالَ : « الْمُهَيْتَةُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى ، فَارْجِعْ إِلَى كَسْرَى أَوْشُرَوَانَ وَاسْتَأْذِنْهُ ، فَأَمَدَهُ بِجَيْشٍ مِنْ كَاتَوَانَ فِي سَجُونِهِ ، فَظَلَمُوا الْأَجَاشَ وَهَزَمُوهُمْ ، وَاسْتَرَدَّ سَيْفُ عَرْشَ آبَائِهِ عَلَى فَرَسَةٍ يُؤَدِّيهِ كُلُّ طَلَمٍ فَهَرَسَ غَتِي قَتْلٍ ، فَأَرْسَلَ كَسْرَى طَائِلًا عَلَى الْيَمَنِ وَاسْتَحْرَتْ عَمَلَهُ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُهَا يَأْذَنُ أَنْ يَسْلَمَ ، وَصَارَتْ الْيَمَنِ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي تَحْمِيدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . [٢] أَيْ شَكٌّ أَوْ بَاطِلٌ .

منه أربع عشرة شُرْفَة ، فظم ذلك على أهل مملكته ، فما كَانَ أَوْشَكَ أَنْ كُتِبَ  
إِلَيْهِ صَاحِبُ الْيَمَنِ يُخْبِرُهُ أَنَّ بِحِيرَةَ سَاوَةَ <sup>(١)</sup> فَاضَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ  
صَاحِبُ السَّمَاوَةِ يُخْبِرُهُ أَنَّ وَادِيَ السَّمَاوَةِ <sup>(٢)</sup> انْقَطَعَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ  
صَاحِبُ طَبَرِيَّةَ أَنَّ الْمَاءَ لَمْ يَجْرُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي بِحِيرَةِ طَبَرِيَّةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ  
فَارِسَ يُخْبِرُهُ أَنَّ بَيُوتَ النِّيرَانِ تَحَدَّتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَلَمْ تَخْتَمِدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ سَنَةٍ ،  
فَلَمَّا تَوَاتَرَتْ الْكُتُبُ أُبْرَزَ سِرُّهُ وَظَهَرَ لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ فَأَخْبِرَهُمُ الْخَبْرَ ، فَقَالَ  
الْمُؤَبَّدَانِ <sup>(٣)</sup> : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي رَأَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا هَالِكُنِي ، قَالَ لَهُ : وَمَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ :  
رَأَيْتُ إِبِلًا صَغَابًا ، تَقُودُ خَيْلًا عَرَابًا ، قَدْ اقْتَحَمَتْ دَرَجَةً وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِنَا ،  
قَالَ : رَأَيْتَ عَظِيمًا ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟ قَالَ : مَا عِنْدِي فِيهَا وَلَا فِي تَأْوِيلِهَا  
شَيْءٌ ، وَلَكِنْ أُرْسِلْ إِلَى حَامِلِكِ بِالْبَحِيرَةِ يُوَجِّهْ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ  
أَصْحَابُ عِلْمٍ بِالْحَدِثَانِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدَ الْمَسِيحِ بْنِ مُبَقِيلَةَ النَّفْسَانِي ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَخْبَرَهُ  
كُسْرَى الْخَبْرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَاللَّهِ مَا عِنْدِي فِيهَا وَلَا فِي تَأْوِيلِهَا شَيْءٌ ،  
وَلَكِنْ جَهِّزْنِي إِلَى خَالِ لِي بِالشَّامِ يُقَالُ لَهُ سَطِيطُج . قَالَ : جَهِّزْهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ إِلَى  
سَطِيطُجَ وَجَدَهُ قَدْ اخْتَصِرَ ، فَتَدَاوَاهُ فَلَمْ يَجِبْهُ ، وَكَلِمَةً فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَسِيحِ :  
أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ يَا فَاضِلَ الْخُطَّةِ أُغَيَّتْ مَنْ وَمَنْ <sup>(٤)</sup>  
أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَتَنْ أَيْضَ قَضْفَاضِ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنْ <sup>(٥)</sup>

[١] مَكْنَا فِي الْقَدِّ الْفَرِيدِ ، وَفِي الْبَحْرِ الْمَلِيَّةِ . وَوُورِدَ عَلَيْهِ كِتَابُ مَنْ صَاحِبِ إِيْلَا ( بِالْثَامِ ) يُخْبِرُهُ  
أَنَّ بِحِيرَةَ سَاوَةَ فَاضَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ « وَفِي مَجْمَعِ الْبِهْلَانِ : « سَاوَةُ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ بَيْنَ الرُّيِّ وَهَمْدَانَ فِي  
وَسَطِ ، بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَمْدَانَ وَالرُّيِّ ثَلَاثُونَ فَرَسًا » وَفِي حَدِيثِ سَطِيطُجَ فِي أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ :  
« وَخَلَّتْ نَارُ فَارِسَ ، وَظَلَمَتْ بِحِيرَةَ سَاوَةَ . . . الخ » وَهِيَ يَسْتَعَادُّ أَنَّهَا فِي طَرَسِ .  
[٢] مَوْجِعُ بَيْنِ الْكُفَّةِ وَالثَّامِ . [٣] الْمُوَبَّدَانِ وَالْمُؤَبَّدَانِ : قَبِيْلَةُ الْفَرَسِ وَهَاجَرِ الْبَرْسِ .  
[٤] الْفَطْرِيفُ : الْبَيْدُ الْفَرِيفُ . [٥] الْقَضْفَاضُ : الرَّاسُ .

رسول قيل المُنَجِّمُ يَتَوَى لِقَوْنَهُ لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَنْبَ الزَّمَنِ<sup>(١)</sup>  
 فرفع إليه رأسه وقال : « عبد المسيح ، على جل مُشِيح<sup>(٢)</sup> ، إلى سَطِيح ، وقد  
 أوفى على الصَّرِيح<sup>(٣)</sup> ، بعتك ملك بنى ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وغود  
 النيران ، ورؤيا الموبذنان ، رأى إبلا صعباً ، تقود خَيْلاً عِراباً ، قد اقتحمت في  
 الواد ، وانتشرت في البلاد . يا عبد المسيح : إذا كثرت التَّلَاوة<sup>(٤)</sup> ، وظهر  
 صاحب المِراوة<sup>(٥)</sup> ، وقاض وادى السماوة ، وَغَاضَتْ بِحِيرة ساوة ، وخدمت  
 نار فارس ، فليست بابل للفرس مُقَاماً ، ولا الشام لسطيح شاكماً ، يملك منهم  
 ملوك وَمِلِكَات<sup>(٦)</sup> ، عدد سقوط الشُّرُفَات ، وكل ما هو آتٍ آت » ثم قال :  
 إِنْ كَانَ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنَّ ذَا النُّعْرَ أَطْوَاراً دَهَارِيْرُ<sup>(٧)</sup>  
 منهم بنو الصَّرِيحِ بهرام وإخوته      والهَرُزْمَانِ وَسَابُورُ وسابور  
 فربما أَصْبَحُوا يوماً بَعِزْلَةً      تهابُ صَوْنَهُمُ الْأَسَدُ الْمَهَاصِرُ<sup>(٨)</sup>  
 حَتَّى الْمَطْلَى وَجَدُوا فِي رِحَالِهِمْ      فما يقوم لهم سَرَجٌ وَلَا كُورُ<sup>(٩)</sup>  
 والناس أولاد عَلَاتٍ فَنَ عَلِمُوا      أَنْ قَدْ أَقْلَ فَحَقُّورُ وَمَهْجُورُ<sup>(١٠)</sup>  
 والخير والشرَّ مقرونان في قَرْنٍ      فالخَيْرُ مُتَّبِعٌ وَالشَّرُّ عَظُورُ

[١] القيل : الملك ، أو هو دون ذلك الأعلى . [٢] جَلَّ سَرِيح . [٣] أى القبر ، والمراد الموت . [٤] أى تلاوة القرآن . [٥] المِراوة : السما الخضرة ، وصلحها هو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يملك السما كثيراً عند مشيه . [٦] قال صاحب البيرة الحلبية : « لم ألق على أنه ملك منهم من النساء إلا واحدة وحى جوران ، ملكت ستة ثم هلكت » .  
 [٧] أفرطهم : تركهم وزال عنهم ، قال تعالى : « لَا تَجْرَمُ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ، وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ » أى مفتركون فيها ، ودمر دهارير : أى شديد ( كلية ليلاء ويوم أيوم . [٨] المهامير جمع همير أو همير وهو الأسد من الممر وهو الكسر والجلب والإملاء . [٩] الكور : الرجل بأداته . [١٠] أولاد اللات : أولاد لمبات شقي من رجل واحد .

ثم أتى كسرى فأخبره بما قاله سطيح فغضب فقتله ، ثم تمرى ، فقال : إلى أن يمك  
منا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان ، فهلكوا كلهم في أربعين سنة ، وكان آخر  
من هلك منهم في أول خلافة عثمان رضى الله عنه .

(القد الفردي ١ : ١٠٨ ، والسيرة الحلية ١ : ٧٠ ، والمختصر في أخبار البصر لأبي الفداء ١ : ١١٠)

### ٣٣٥ - شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف

عن ابن الكلبي قال : « كَانَ قَسِيٌّ - وهو ثَقِيفٌ <sup>(١)</sup> - مَقِيماً بِالْمِثْنِ ، فَضَاقَ  
عَلَيْهِ مَوْضِعُهُ وَنَبَأَ <sup>(٢)</sup> بِهِ ، فَأَتَى الطَّائِفَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مَنَازِلَ فَهْمٍ وَعَدَوَاتٍ بَنَى  
عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ بْنُ عَيْلَانَ ، فَأَتَعَى إِلَى الطَّرِبِ الْعَدَوَاتِي ، فَوَجَدَهُ نَائِماً تَحْتَ  
شَجَرَةٍ فَأَيَّقَهُ ، وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الطَّرِبُ ، قَالَ : عَلَى أَلِيَّةٍ <sup>(٣)</sup> ، إِنْ  
لَمْ أَتُكِّمْ ، أَوْ تَحْلِفَ لِي لَتَزَوِّجَنِي ابْنَتَكَ ، فَحَمَلَ ، وَانصَرَفَ الطَّرِبُ وَقَسِيٌّ مَعَهُ ،  
فَلَقِيَهُ ابْنُهُ عَامِرُ بْنُ الطَّرِبِ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا مَعَكَ يَا أَبَتِ ؟ فَقَصَّ قِصَّتَهُ ، قَالَ  
عَامِرُ : اللَّهُ أَبُوهَ ! أَقْدَقَ ثَقِيفٌ <sup>(٤)</sup> أَمْرَهُ ، فَسَمِيَ يَوْمُئِذٍ ثَقِيفًا ، وَغَيَّرَ الطَّرِبُ بِتَرْوِيحِهِ  
قَسِيًّا ، وَقِيلَ زَوْجَتُ عَبْدِ ، فَسَارَ إِلَى الْكُهَّانِ يَسْأَلُهُمْ ، فَأَتَعَى إِلَى شِقِّ بْنِ  
مُضَنَّبِ الْبَجَلِيِّ ، وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْهُ ، فَلَمَّا أَتَعَى إِلَيْهِ قَالَ : إِنَا قَدْ جِئْنَاكَ فِي أَمْرٍ  
فَإِذَا هُوَ ؟ قَالَ : « جِئْتُ فِي قَسِيٍّ ، وَقَسِيٌّ عَبْدٌ لِإِيَادَ ، أَبْنَى <sup>(٥)</sup> لَيْلَةَ الْوَادِ ، فِي وَجْجٍ <sup>(٦)</sup> »

[١] هو أبو الفيلة للضهرة ، وهو ثقيف بن مثنى بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة  
ابن قيس بن عيلان بن مضر ، وقد اختلف النسابون في نسب ثقيف ، فقال قوم : إنهم من هوازن ، وهو  
القول الذي يزعمه الثقفون ، وعليه جمهور النسابين ، ويذهب آخرون أن ثقيفاً من إِيَادَ بْنِ زُرَّارَ بْنِ مَدْيَنَ  
عَدَنَانَ ، وَأَنَّ النَّسَبَ أَخُوهُ لِأَيِّهِ وَأُمُّهُ ، ثُمَّ اقْتَرَفَا ، فَصَارَ أَحَدُهُمَا فِي عِدَادِ هَوَازِنَ وَالْآخَرُ فِي عِدَادِ مَذْحِجَ ،  
وَقَالَ قَوْمٌ آخَرُونَ إِنَّ ثَقِيفًا مِنْ بَنِي إِيمُودَ بْنِ الرَّبِيعِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي بَادَتْ وَاعْتَرَضَتْ . فَالْمَجْبُوعُ عَلَى الْمَنْبَرِ :  
يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ بَنِي إِيمُودَ فَهَذَا كَذِبُهُمُ اللَّهُ يَقُولُ : « وَكَوْثُودَ فَصَا أَبْنَى » وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى : وَلَقَدْ  
كُنَّا مِنْ بَنِي إِيمُودَ لَمَّا تَجَامَعُ صُلَحُ الْإِخْيَارِمْ - اقْرَأْ كَلِمَةً مِنْ نَسَبِ ثَقِيفٍ فِي شَرْحِ ابْنِ أَبِي الْمَعْدِيِّمْ ٢  
ص ٣٩٢ ، وَالْقَدُّ الْفَرْدِيُّ ٣ : ٨ ، وَالْأَنْثَاءُ ٤ : ٧٤ ، وَمَرْجُوعُ الْقَطَبِ ٢ : ٦٨ . وَتَلَرِجُ الطَّبَرِيِّ  
٧ : ٢٣٢ ص [٢] نَبَاهُ مَنْزِلُهُ : لَمْ يَوَاضِعْهُ . [٣] الْأَلِيَّةُ : الْمِثْنُ . [٤] ثَقِفٌ كَكُفٍّ وَفَرَحٍ  
صَارَ لَحْظًا خَفِيفًا فَطَنًا وَثَقِفَ النَّاسُ كَفَرَحٍ : ظَنَرَهُ . [٥] هَرَبَ . [٦] وَجْجٌ : اسْمُ وَادٍ بِالطَّائِفِ .

ذات الأنداد ، فوالى سعداً ليُقاد ، ثم لوى بغير معاد « يعنى سعد بن قيس ابن عيلان بن مضر ، ثم توجه إلى سطيج الذئبي حتى من غسان - ويقال إنهم حى من قضاة ثُرول فى غسان - فقالوا : إنا جئناك فى أمر فاهو ؟ قال : « جئتم فى قضى ، وقضى من ولد ثمود القديم ، ولدت أمه بصحراء تريم<sup>(١)</sup> ، فالتقطه إباد وهو عديم ، فاستعبده وهو ملهم<sup>(٢)</sup> ، فرجع الطرب وهو لا يدري ما يصنع فى أمره ، وقد وكّد عليه فى الحلف والتزويج ، وكانوا على كفرهم يؤفون بالقول ، فلهذا يقول من قال إن تقيفاً من ثمود ، لأن إباداً من ثمود .  
(الأغانى ٤ : ٧٥)

٣٣٦ - تنافر عبد المطلب بن هاشم والتقفيين إلى عزى سلمة الكاهن كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يقال له : ذو الهرم<sup>(٣)</sup> ، فقلبه عليه خندف بن الحارث التقي ، فنافر عبد المطلب إلى عزى سلمة الكاهن - أو إلى نُفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب<sup>(٤)</sup> - فخرج عبد المطلب مع ابنه الحرث ، وليس له يومئذ غيره ، وخرج التقفيون مع صاحبهم ، وحرب بن أمية معهم على عبد المطلب ، فتقدّم ماء عبد المطلب ، فطلب إليهم أن يسقوه ، فأبوا ، فبلغ العطش منه كل مبلغ ، وأشرف على الهلاك ، فبينما عبد المطلب يُشير ببيره ليركب ، إذ فجّر الله له عيناً من تحت جرائه ، فحمد الله وعلم أن ذلك منه ، فشرب وشرب أصحابه ريّهم ، وتردوا منه حاجتهم ، وتقدّم ماء التقفيين ، فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فأنعم عليهم ، فقال له ابنه الحارث لا تخنين

[١] وام تريم رياً : تباعد . [٢] الام هو ملهم : أى ما يلهم عنه

[٣] ضبطه فى القاموس المحيط بفتح فكوك ، والصحيح أنه بالتحريك كما يدل على ذلك الأسجاع الآتية

[٤] وصارته سمياً ياقوت : « فنافر عبد المطلب إلى الكاهن القاضي وهو سلمة بن أبي حبة : فخرجوا إليه إلى الشام » .

على سيفي حتى يخرج من ظهري ، فقال عبد المطلب : لا ستقيهم فلا تفعل ذلك بنفسك فسقام ، ثم انطلقوا ، حتى أتوا الكاهن ، وقد خَبَنُوا له رأس جرادة ، في خُرْزَةِ مَزَادَةٍ <sup>(١)</sup> ، وجماعه في قِلَادَةِ كلب لهم يقال له سَوَّار ، فلما أتوا الكاهن إذا هم بيقرتين تسوقان بينهما بَحْرَجًا <sup>(٢)</sup> كلتاها ترعم أنه ولدها ، وَلَدَتَا في ليلة واحدة ، فأكل النمرُ أحد البُخْرَجَيْن ، فهما ترَأمَان <sup>(٣)</sup> الباقي ، فلما وقفا بين يديه . قال الكاهن : هل تدرون ما تريد هاتان البقرتان ؟ قالوا : لا . قال الكاهن : « ذهب به ذو جَسَدٍ أَرْبَدٍ <sup>(٤)</sup> ، وَشِدْقٍ مُرْمَعٍ <sup>(٥)</sup> ، وناب مُثْلِقٍ <sup>(٦)</sup> ، ما للصغرى في ولد الكبرى حقٌ » فقضى به للكبرى ، ثم قال ما حاجتكم ؟ قالوا : قد خَبَنَا لك خَبْنًا ، فَأَنْبَتْنَا عَنْهُ ، ثم نخبرك بمحاجتنا ، قال : « خَبَأْتُمْ لِي شَيْئًا طَارَ فسطع ، فتصوب فوق ، في الأرض منه بَقْعٌ ، فقالوا : لَادَهُ ، أَى يَنْتَه . قال : « هو شئ طار ، فاستطار ، فوَذَنْبُ جَرَّارٍ ، وساق كَالْمِنْشَارِ ، ورأس كَالْمِنْجَارِ » فقالوا : لَادَهُ ، قال : « إِنْ لَادَهُ فَلَادَهُ <sup>(٧)</sup> ، هو

[١] المرادة : الراوية ، والحُرْزَةُ : السِر يخرزه .

[٢] البخرج : ولد البقرة . [٣] رُمْتُ ولها : عطف عليه ولزمته . [٤] من الريدة ( كهف ) : لون إلى النيرة . [٥] رمع كنع ومانا ( بالتحريك ) وترمع : تحرك واضطرب ، وقوله مرمع : اسم فاعل من رمع المضعف ، يشير إلى أنه مقترس كاسر . [٦] من أعلق الصائد إذا علق الصيد في جالته أى نسب . [٧] روى ابن الأعرابي إلهاده قلاذه ساكن الماء ، ويرد إلهاده قلاذه مكسور الماء متونة ، قال ياقوت في معجمه : « يقول إن لم يكن قولي بياناً فلا بيان » وقال الزنجشري في المستقصى : « إِنْ لَادَهُ قِلَادَهُ بفتح الدال ويكسر ، وهي كلمة فارسية معناها الضرب قد استعملها العرب في كلامها ، وأصله أن الموتر كان يلقى واثره فلا يضره له فيقال له ذلك ، والمعنى إليك إن لم تضربه الآن فلا تضربه أبداً ، والتقدير إن لا يكون ده فلا يكون ده أى إن لا يوجد ضرب الساعة ، فلا يوجد ضرب أبداً ثم اتسموا فيه ، فضره يرمع مثلاً في كل شيء لا يقدم عليه الرجل ، وقد حلف حينه ووجب إحداه من قضاء دين قد حل أو حاجة طلبت ، أو ما أشبه ذلك من الأمور التي لا يسوغ تأخيرها » . وقال المنذرى : « قالوا معناه إلهاده فلا هذه ، يعنى أن الأصل إلهاده فلاذه بأقل المبالغة ، ضربت بالمال خير المبالغة كما قالوا يهود ثم عرب فقليل يروا .

رَأْسِ جَرَادَةٍ ، فِي خُرْزَرَادَةٍ ، فِي عُتُقِ سَوَارِ ذِي الْقِلَادَةِ ، تَقَالُوا : صَدَقْتَ ،  
فَأَخْبَرْنَا فِيمَ اخْتَصَمْنَا إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « أَحْكُمُ بِالضِيَاءِ وَالظُّلَمِ ، وَالْبَيْتِ وَالْحَرَمِ ،  
أَنْ الْمَالُ ذَا الْحَرَمِ ، لِلْفَرَشِيِّ ذِي الْكَرَمِ » ، فَقَضَى بَيْنَهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ  
عَلَى حُكْمِهِ . ( مجمع الأمثال ١ : ٣٠ ، ومجمع البيان ٨ : ٤٦٠ )



وَرَوَى الْجَاهِظُ لِعَزَى سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ :  
« وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْعُقَابِ وَالصَّقَمَاءِ <sup>(١)</sup> ، وَاقِمَةَ يَتَقَمَاءِ <sup>(٢)</sup> ، لَقَدْ نَفَرَ  
الْمَجْدُ بَنَى الشُّرَاءِ <sup>(٣)</sup> ، لِلْمَجْدِ وَالسَّنَاءِ <sup>(٤)</sup> » . ( البيان والتبيين ١ : ١٠٩ )

٣٣٧ - مَا أَمْرُ بِهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ فِي مَنَامِهِ مِنْ حَفْرِ زَمْزَمَ  
وَلِيِّ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمِ السَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ بِعَدَمِهِ الْمَطْلَبِ ، وَشَرَفَ فِي  
قَوْمِهِ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ حَفَرَ زَمْزَمَ ، وَهِيَ بئرُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا  
السَّلَامُ ، الَّتِي أَسْقَاهُ اللَّهُ مِنْهَا ، وَكَانَتْ جُرْهُهُمْ قَدْ دَفَّتْهَا <sup>(١)</sup> ، وَكَانَ سَبَبُ حَفْرِهِ  
إِيَّاهَا أَنَّهُ قَالَ :

« يَبْنَا أَنَا نَأْتِمُ بِالْخَجَرِ إِذَا تَأَنَّى آتٍ فَقَالَ : أَحْفِرْ طَيْبَةً ، قُلْتُ : وَمَا طَيْبَةٌ ؟  
فَذَهَبَ وَتَرَكَنِي ، فَلَمَّا كَانَ الْقَدْرُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ :

[١] الصفة بالضم : يَأْسُ فِي وَسْطِ رِءُوسِ الطَّيْرِ وَغَيْرِهَا ، وَهُوَ أَمْتَعُ ، وَهِيَ صَقَمَاءُ ( وَالصَّقَمَاءُ أَيْضاً  
النَّمْسُ ) . [٢] الصَّقَمَاءُ : اسْمُ مَاءٍ . [٣] الشُّرَاءُ : قَوْمٌ مِنْ قُرَاةٍ ، وَغَرَهُ عَلَيْهِ : قَضَى لَهُ  
عَلَيْهِ بِالْغَلَبَةِ . [٤] السَّنَاءُ : الرِّضَا .

[٥] وَذَلِكَ أَنَّ جَرَهَ مَا اسْتَحَقَّتْ بِأَمْرِ الْبَيْتِ الْحَرَمِ ، وَادْرَكَبُوا الْأُمُورَ الْبِظَالِمَ ، تَمَّ فِيمَهُمْ رَيْسُهُمْ  
مُضَانِسُ بْنُ عَمْرِو خَطِيبٍ ، وَعَظُمَ فَلَمْ يَرْجِعُوا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ عَمِدَ إِلَى غَزَالَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ كَانَا فِي الْكَمِيَةِ  
وَمَا وَجَدَ فِيهَا مِنْ الْأَمْوَالِ أَى السُّيُوفِ وَالنُّدُوحِ الَّتِي كَانَتْ تَهْدِي إِلَيْهَا ، وَدَفَّنَهَا فِي بئرِ زَمْزَمَ ، وَكَانَتْ قَدْ  
نُفِثَ مَلَأُهَا بِغَرِهَا مُضَانِسُ بِاللَّيْلِ وَأَمَقَّ الْمَغْرَ وَدَفَنَ فِيهَا ذَلِكَ وَطَمَ الْبِئْرَ ، وَمَا زَالَتْ مَطْمُوحَةٌ لِي زَمَنَ  
عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

احفر برة ، قلت : وما برة ؟ فذهب وتركنى ، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعى ، فسمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر المضنونة ، قلت : وما المضنونة ؟<sup>(١)</sup> فذهب عنى ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فسمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لا تتقدم ، قلت : وما زمزم ؟ قال : « ترأت من أهلك الأعظم ، لا تُنزف أبداً ولا تُدَمِّمُ »<sup>(٢)</sup> ، تدنى الحبيب الأعظم ، مثل نعم جافل لم يقسم<sup>(٣)</sup> ، يتدرفها نادر المنعم ، تكون ميراثاً وعقد محكم ، ليس كبعض ما قد تعلم ، وهى بين الفرث والدم<sup>(٤)</sup> ، عند ثرة الغراب الأعصم<sup>(٥)</sup> ، عند قرية النمل .

فلما بين له شأنها ، ودله على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غدا بمقوله ومعه ابنة الحارث ليس له ولد غيره ، فخر بين أساف وثائلة ، فى الموضع الذى تنحرف فيه قريش لأصنامها ، وقد رأى الغراب ينقر هناك ، فلما بدا له الطوى<sup>(٦)</sup> كبر ، فمرت قريش أنه قد أدرك حاجته .

( تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٣١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٩٠ )

## خطب الكواهن

### ٣٣٨ - الشعثاء الكاهنة تصف سبعة إخوة

كانت عثمة بنت مطرود البجليّة ذات عقل ورأى مُستمع فى قومها ، وكانت

[١] طيبة ، وبرة ، والمضنونة : أسماء لزمزم . [٢] نرفت البئر : نزلت كثرت بالماء ، وبثرة بالفتح وضميم وذنية قليلة الماء لأنها تدَمِّمُ . [٣] جفل النعام : أسرع وذهب فى الأرض ، ولم يقسم : لم يفرق . [٤] أى فى عملها ، والفرث : الرجين فى الكرش ، وذلك بين أساف وثائلة ، (وأساف ككتاب وسحاب : منه وضعه عمرو بن لحي على الصفا ، وثائلة على المروة تجاه الكعبة) ، وكانت قريش تهتج عندهما ذبايحها التى تتحرب بها . [٥] الأعصم : قيل أحر المقار والرجلين ، وقيل أبيض البطن ، وقيل أبيض الجانبين ، وقيل أبيض إحدى الرجلين . [٦] الطوى : البئر .

لها أخت يقال لها خَوْذ، وكانت ذات جمال وميسم<sup>(١)</sup> وعقل، فخطب سبعة إخوة غلّة من بطن الأزد خودا إلى أبيها، فأتوه وعليهم الحلل اليمانية، وتحتمهم النجائب القُرّة<sup>(٢)</sup>، فقالوا: نحن بنو مالك بن عُفَيْلَةَ ذِي النُّحَيْنِ، فقال لهم: انزلوا على الماء، فزولوا ليبتهم، ثم أصبحوا قَادِينَ فِي الْحَلَلِ وَالْهَيْئَةِ، ومعهم رَيْبَةُ<sup>(٣)</sup> لهم يقال لها الشَّعَاءُ: كَأَمْنَةُ، قَرُّوا بِوَصِيدِهَا<sup>(٤)</sup> يَتَمَرِّضُونَ لها، وكلهم وسيم جميل، وخرج أبوها، فجلسوا إليه، فرحّب بهم، فقالوا: بلتنا أن لك بنتا، ونحن كما ترى شَبَاب، وكلنا يَتَمَتَّعُ الْجَانِبَ، وَيَتَمَتَّعُ الرَّائِبَ، فقال أبوها: كلّم خيار، فأقيموا نرى رأينا، ثم دخل على ابنته، فقال: ما تَرَيْنَ، قَدْ أَتَاكِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ فقالت: «أُنْكِحْنِي عَلَى قَدْرِي، وَلَا تَشْطُطْ فِي مَهْرِي، فَإِنْ تُخْطِئِي أَحْلَامُهُمْ، لَا تُخْطِئِي أَجْسَامَهُمْ، لَعَلِّي أُصِيبُ وَلَدًا، وَأَكْثَرُ عَدَدًا» فخرج أبوها، فقال: أخبروني عن أفضلكم.

قالت ريبتهم الشَّعَاءُ الكأمنة: «أَتَمَتَّعُ أَخْبَرَكَ عَنْهُمْ: مِمَّا إِخْوَةُ، وكلهم أَسْوَةٌ<sup>(٥)</sup>». أما الْكَبِيرُ فَالْكُفْرُ، جَرَى فَاثِكُ، يُعِيبُ السَّنَابِكُ<sup>(٦)</sup>، وَيَسْتَصْنِفُ الْمَهَالِكُ. وأما الذِي يَلِيهِ فَالْقَمَرُ، بِحَرِّ نَعْمَرُ<sup>(٧)</sup>، يَقْصُرُ دُونَهُ الْفَخْرُ، نَهْدُ<sup>(٨)</sup>، صَقَرُ. وأما الذِي يَلِيهِ فَعَلْقَمَةُ، صَلِيبُ الْمَنْجَمَةِ<sup>(٩)</sup>، مَنِيْعُ الْمَشْتَمَةِ<sup>(١٠)</sup>، قَلِيلُ الْجَمْعَةِ<sup>(١١)</sup>.

[١] اللبسم والوسامة: أثر الحسن. [٢] النجائب جمع نجيب: وهو البير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين، والفره: (كقفل وركع وكتب) جمع فره، وهو من الدواب المييد السير النشط الحفيف. [٣] الرَيْبَةُ: الحاضنة. [٤] الوصيد: الفناء (بالكسر) والنجبة. [٥] الأسوة: القدوة. [٦] السَّنَابِكُ جمع سَنَابِكُ كَقَفْذ: وهو طرف الحافر، أي أنه يجهد الحيل في حومة الوغى. [٧] الغمر: معطم البحر، والكريم الواسع الحلق. [٨] النهْد: الأسد والكريم. [٩] من نجم البود إذا هسه ليرف صلاحه من خوره. [١٠] المشتمة: مصدر شتم، والشيء: أنه في حرز من أن يشتم ويبس عرسته، لحسن فلو وكرم خلقه. [١١] المجعة: إخفاء الشيء في الصدر.

وأما الذى يليه فاصم ، سَيِّدُ نَاعِمٍ <sup>(١)</sup> ، جَلْدُ صَارِمٍ ، أَبِي حَازِمٍ ، جِيْشُهُ غَانِمٌ ، وَجَارُهُ سَالِمٌ . وأما الذى يليه فتّواب ، سَرِيْعُ الْجَوَابِ ، عَيْدُ الصَّوَابِ <sup>(٢)</sup> ، كَرَمُ النَّصَابِ <sup>(٣)</sup> ، كَلَيْتِ النَّابِ . وأما الذى يليه فُدْرِك ، بِدُوْلُ لَمَّا يَمْلِكُ ، عَزُوبٌ <sup>(٤)</sup> عما يترك ، يُغْنِي وَيُهْنِكُ . وأما الذى يليه فَجَنْدَل ، لِقَرْنِهِ مُجْدَلٌ <sup>(٥)</sup> ، مُقَلٌّ <sup>(٦)</sup> لما يُحْمَلُ ، يُعْطَى وَيُذَلُّ ، وعن عدوه لَا يَنْكُلُ <sup>(٧)</sup> .

فساورت أختها فيهم ، فقالت أختها عثمة : « ترى الفتيتان كالتنخل ، وما يُذْرِكُ مَا اللَّخْلُ ؟ » <sup>(٨)</sup> اسمى منى كلمة ، إن شَرَّ العَرِيَةِ يُنَلِّنُ ، وخيرها يُذَفِّنُ ، أنكحى فى قومك ولا تفرُّزك الأجسام ، فلم تقبل منها ، وبعثت إلى أيها : أنكحنى مدركا ، فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورُفَاتِهَا ، وحملها مدرك ، فلم تلبث عنده إلا قليلا ، حتى صَبَّحَهُمْ فَوَارِسٌ من بنى مالك بن كِنَانَةَ ، فاقتلوا ساعة ، ثم إن زوجها وإخوته وبنى عامر انكشفوا ، فَسَبَّوْهَا فِيمَنْ سَبَّوْا ، فِينَاهِى تَسِيرَ بَكَت ، فقالوا : مَا يُشْكِيكَ ، أَعْلَى فِرَاقِ زَوْجِكَ ؟ قالت : قَبْحَةُ اللَّهِ ، قالوا : لَقَدْ كَانَ جَيِّلا ! قالت : قَبَّحَ اللَّهُ جَالَا لَا نَفَعَ مَعَهُ ، إِنَّمَا أَبْكَى عَلَى عَصِيَانِي أُخْتِي ، وقولها : « ترى الفتيتان كالتنخل ، وما يدرىك ما الدخل » وأخبرتهم كيف خطبوا ، فقال لها رجل منهم يُكْنَى أَبَا نَوَاسٍ شاب أسود أفوه <sup>(٩)</sup> مضطرب الخلْق : أَتَرْضَيْنِ بِي ، على أن أمنحك من ذئاب العرب ؟ فقالت لأصحابه : أكَذَلِكَ هُوَ ؟ قالوا : نعم ، إنه مع مَاتَرَيْنِ لَيَمْنَعُ الْحَلِيلَةَ <sup>(١٠)</sup> ،

[١] نعم كسع ونصر وضرب فهو ناعم : أى ذو تسه وتسه . [٢] العيد : المفاخر للبلد .  
[٣] النصاب : الأصل . [٤] بعيد . [٥] جدله : صرعه على الجفالة ( كسابة ) وهى الأرض .  
[٦] حامل . [٧] تكل يشه كعرب ونصر وعلم : تكلم وجين . [٨] الدخل : ما يطين فى  
الذى ، وهو مثل يضرب الرجل له منظر ولا يخبر له . [٩] الأفوه : وصف من الفوه بالتحريك  
وهو سمة الفم . [١٠] الزوجة .

وَتَقِيهِ الْقَيْلَةَ ، قالت : هذا أجل جمال ، وأكمل كمال ، قد رضيت به ،  
فزوجوها منه . (مع الأمثال للبدائي ١ : ٩١)

### ٣٣٩ - طريقة الخير تتكهن بسيل التيم وخراب سد مأرب

قال عبد الملك بن عبد الله بن بَدْرُون في شرح قصيدة الوزير عبد المجيد  
ابن عَبْدُون ، التي قالها في رثاء دولة بني الأفطس بالأندلس :

كَانَ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ فِي أَوَّلِ تَمْزِيْقِهِمْ ، تَمَرُونٌ حَامِرٌ مُزَيَّيَاءُ<sup>(١)</sup> ،  
وَكُنَّ سَبَبَ خُرُوجِهِ ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ كَاهِنَةٌ ، يُقَالُ لَهَا « طَرِيفَةُ الْخَيْرِ » ،  
وَكَانَتْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ سَحَابَةً غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ فَأَوْعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، ثُمَّ صَعَقَتْ ،  
فَأَحْرَقَتْ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ ، فَفَزِعَتْ طَرِيفَةُ لِذَلِكَ فَرَمًا شَدِيدًا ، وَأَتَتْ الْمَلِكَ  
تَحْمَرًا ، وَهِيَ تَقُولُ : « مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ ، أَزَالُ عَنِ النَّوْمِ ، رَأَيْتُ غَيْمًا رَعَدَ  
وَبَرَقَ<sup>(٢)</sup> ، طَوِيلًا ثُمَّ صَعَقَ ، فَمَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا احْتَرَقَ » ، فَلَمَّا رَأَى مَا دَاخَلَهَا  
مِنَ الْفَزَعِ سَكَنَهَا ، ثُمَّ إِنَّ عَمْرًا دَخَلَ حَدِيقَةَ لَهُ ، وَمَعَهُ جَارِيتَانِ مِنْ جَوَارِيهِ ،  
فَبَلَغَ ذَلِكَ طَرِيفَةَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَخَرَجَ مَعَهَا وَصِيفُ<sup>(٣)</sup> ، لَهَا اسْمُهُ سِنَانٌ ، فَلَمَّا  
بَرَزَتْ مِنْ بَيْتِهَا عَرَضَ لَهَا ثَلَاثُ مَنَاجِدَ مُتَّصِبَاتٍ عَلَى أَرْجُلِهِنَّ ، وَاضْمَاتِ  
أَيْدِيَهُنَّ عَلَى عَيْنَيْهِنَّ - وَهِيَ دَوَابٌّ تُشَبِّهُ الْبَرَايِعَ<sup>(٤)</sup> - فَصَعَدَتْ إِلَى الْأَرْضِ وَاضْمَةً  
بِيَدَيْهَا عَلَى عَيْنَيْهَا ، وَقَالَتْ لَوْصِيفُهَا : إِذَا ذَهَبْتَ هَذِهِ الْمَنَاجِدَ فَأَخْبِرْنِي ، فَلَمَّا  
ذَهَبَتْ أَعْلَمَهَا ، فَانْطَلَقَتْ مَسْرَعَةً ، فَلَمَّا عَارَضَهَا خَلِيجُ الْحَدِيقَةِ الَّتِي فِيهَا عَمْرُو ،

[١] لقب بذلك ، لأنه كان يلبس كل يوم حلتين ، ويجزّهما بالعتي ، يكره العود فيها ، ويأت أن  
يلبسها غيره . [٢] وعدت السماء ورفقت ( كسرت ) ، وأعدت السماء وأبرقت ، وأنكر الأصمعي  
الراي فيها . [٣] الوصيف : الخادم والمخوومة . [٤] البرايوع : دويبة نحر القارعة لكن ذب  
وأذناه أطول منها ، ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة .

وثبت من الماء سُلْحَفَاةً ، فوقعت في الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم  
 الانقلاب فلا تستطيع ، وتستعين بذنبها ، فَتَحَثُّ التراب على بطنها من جَنَبَايَها ،  
 وتَقْدِفُ بِالْبَوْلِ قَذْفًا ، فلما رأتها طرفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة  
 إلى الماء ، مضت إلى أن دخلت على عمرو ، وذلك حين اتصف النهار في ساعة  
 شديدة الحر ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فلما رآها عمرو استجيا منها ، وأمر  
 الجاريتين بالتنحي ، ثم قال لها يا طريفة : فكفنت وقالت : « والثور والظلماء ،  
 والأرض والسماء ، إن الشجر لهالك ، ولعمودن الماء كما كان في الزمان السالك » .  
 قال عمرو : ومن خبرك بهذا ؟ قالت : « أخبرني المناجد ، بسنين شدائد ، يقطع  
 فيها الولد الوالد » قال : ما تقولين ؟ قالت : « أقول قول التذمان لهفًا ، لقد رأيت  
 سُلْحَفَاةً <sup>(١)</sup> ، تمجرف التراب جرفًا ، وتقدف بالبول قذفًا ، فدخلت الحديقة ، فإذا  
 الشجر من غير ريح يتكفأ » قال عمرو : وما ترين ؟ قالت : « داهية دهياء ،  
 من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة » قال : وما هو ؟ ويليكَ ! قالت : « أجل ،  
 إن فيه الويل ، ومالك فيه من قيل <sup>(٢)</sup> ، وإن الويل فيما يحيى به السيل » فأتى  
 عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : « هو خطب جليل ،  
 وحزن طويل ، وخلف قليل » . قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت : « اذهب  
 إلى السد ، فإذا رأيت جُرْدًا يُكثِرُ يديه في السد الحفر ، ويقلب برجليه من  
 أجل الصخر ، فاعلم أن تمر النمر <sup>(٣)</sup> ، وأن قد وقع الأمر » . قال : وما هذا  
 الذي تذكرين ؟ قالت : « وعد من الله تزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نكل ،

[١] يقال : سلحفاة وسلحفاء وسلحفا ، ويقال أيضًا سلحفا ساكنة اللام مفتوحة الماء .

[٢] ظر قولا : نام في القاعة وهي نصف النهار ، والمراد هنا الإيالة والنكت .

[٣] النمر : اللاء الكثير .

فَينْبِرِكْ يا عَمْرُو فليَكُنْ التَّسْكُلُ <sup>(١)</sup> ، فانطلق عمرو فإذا الجرذ يقرب برجليه  
صخرة ما يقبلها خمسون رجلاً ، (كذا) فرجع إلى طرفة فأخبرها الخبر وهو يقول :  
أَبْصُرْتُ أَمْرًا طَادَنِي مِنْهُ أَلَمٌ وَهَاجَ لِي مِنْ هَوْلِهِ بَرْحُ السَّقَمِ <sup>(٢)</sup>  
مِنْ جُرْذٍ كَفَخَلَ خِزِيرِ الْأَجَمِ أَوْ كَبَشٍ صِرْمٍ مِنْ أَفَارِيقِ الْغَنَمِ <sup>(٣)</sup>  
يَسْحَبُ صَخْرًا مِنْ جِلَامِيدِ الْعَرَمِ لَهُ غَالِبٌ وَأَيَابٌ قُضْمٌ <sup>(٤)</sup>  
مَا قَاتَهُ سَخْلًا مِنَ الصَّخْرِ قَصَمِ <sup>(٥)</sup>

قالت طرفة : وإن من علامات ما ذكرت لك أن تجلس فأمر بزجاجة  
فتوضع بين يديك ، فإن الريح تملؤها من تراب البطحاء <sup>(٦)</sup> ، من سهلة <sup>(٧)</sup>  
الوادي ورملة ، وقد علمت أن الجنان مظلمة لا يدخلها شمس ولا ريح ، فأمر  
عمرو بزجاجة فوضهما بين يديه ، ولم يمكث إلا قليلا حتى امتلأت من تراب  
البطحاء ، فأخبر عمرو طرفة بذلك وقال لها : متى يكون هلاك السد ؟ قالت  
له : فيما بينك وبين سبع سنين . قال : فني أيها يكون ؟ قالت : « لا يعلم بذلك  
إلا الله ، ولو علمه أحد لعلته ، ولا تأتي على ليلة فيما بيني وبين سبع السنين إلا  
ظننت الهلاك في غدها ، أوفى مسألتها ، ثم رأى عمرو في نومه سيل العرم ،  
وقيل له : آية ذلك أن ترى الحصباء في سَفَفِ النخل ، فنظر إليها ، فوجد  
الحصباء فيها قد ظهرت ، فلم أن ذلك واقع ، وأن بلادهم مستخرب ، فحكم ذلك

[١] التكل كيب وقتل : للوث والهلاك . [٢] البرح : السدة . [٣] الأجهم جمع أجمة وهي  
التجر الكثير للنفث ، والصرم : الجلعة ، والفرقة تجمع على فرق ، وجمع الجمع أفراف ، وجمع جمع الجمع  
أفاريق ، والجلاميد جمع جلود كصغور : للصخر . [٤] العرم : السد يفترض به الوادي (ومن معانيه  
أيضا لظفر الحديد ، والجرذ ، ووادع السيل من قبله ) [٥] سح كنع : قنصره ونحته ، وقصمه كسره  
[٦] البطحاء والأبطح : سبيل واسع فيه دقاق الحصى . [٧] السهة بالكسر : تراب كالرمل  
يحمى به للداء ، ولرؤس سهة كفرجه : كتيبتها .

وأخفاه ، وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب<sup>(١)</sup> وأن يخرج منها هو وولده<sup>(٢)</sup> ، فخرج ثم أرسل الله تعالى على السد<sup>(٣)</sup> السيل فهدمه .

( شرح نصيفة ابن عبدون لابن بطون ص ٩٨ )



### وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني :

• • • وسارت القبائل من أهل مأرب حين خافوا سيل الهم ، وعليهم مزيقياء ،  
ومعهم طريفة الكاهنة ، فقالت لهم :

[١] مأرب : مدينة باليمن ، وكانت في الزمان الأول قاعدة التباة ، وهي مدينة بقرين ، بينها وبين صنعاء نحو أربع مراحل ، وتسمى سبأ باسم بابنها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

[٢] وقد خشي أن يستكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذا دعاه لما يدعو إليه أن يتأني عليه ، وأن يفعل ذلك به في اللأ من الناس ، وإذا فعله ، برغ هو يده ويطلبه ، ثم صنع طاماً ويث إلى أهل مأرب أن عمراً صنع يوم مجد وذكر ، فاحضروا فطلبه ، فلما جلس الناس فطام جلس عنده ابنه الذي أمره بما أمر ، فقبل أمره بأمر فيتأني عليه وينهاه فلا يتعشى ، فرفع عمرو يده فطلبه على وجهه فطلبه ابنه ، وكان اسمه ملكاً ، ضاح عمرو واذلاء يوم غر عمرو يبيته صبي وضرب وجهه ، وحلف ليقتله ، فلم يزالوا يسرو يرغبون إليه حتى تركه ، فقال : والله لا أقيم بموضع صنع في فيه هذا ، ولأيمين أموال حتى لا يرت منها بسعي شيئاً ، فقال الناس بعضهم لبعض : اجتمعوا غضب عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرعى ، فابتاع الناس منه كل أمواله التي بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فيها بانته من شأن سيل الهم ، فقام ناس من الأزدي فباعوا أموالهم ، فلما أكتفوا البيع استكر الناس ذلك فأمسكوا أيديهم من الضراء ، ولما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل الهم ، ولما خرج عمرو من اليمن خرج لحروجه منها بفر كثير ، فزولوا أرض عك فخرتهم عك ، فارتحلوا منها ، ثم اصطلموا وبقوا بها حتى مات عمرو بن طسر ، وذهروا على البلاد ، فنهض من صار إلى الشام ، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن طسر ، ومنهم من صار إلى يرب ، وهم أبناء قيلة الأوس والخزرج ، وأبوهم حلوة بن ثعلبة بن عمرو بن طسر ، وصارت أزد الصرارة إلى أرض السراة ، وأزد عمان إلى عمان ، وصار ملك ابن فهم إلى العراق ، ثم خرجت بد عمرو يسير من أرض اليمن طي فزلت جيلي طي أباً وسلمى ، ونزلت ربيعة ابن حلوة بن عمرو بن طسر تيلة ، وصحوا خزاعة لا تخزاهم من إخوانهم وذهروا في البلاد كل بمزق .

[٣] كان السد فيما يذكر قد بناه قحطان الأكبر بن عاد ، وكان وصفه لحجارة السد بالراسخ والحديد ، ويقال إن الذي بناه كان من ملوك خيبر ، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشحر وأودية اليمن ، فردوا ردماً بين يمين وحسبوا الماء ، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يقولون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأغضبوا وكثرت أموالهم ، فلما كذبوا رسولهم أرسل الله عليهم سيل الهم .

« لَا تَوْتُمُوا مَكَّةَ حَتَّى أَقُولَ ، وَمَا عَلَّمَنِي مَا أَقُولُ إِلَّا الْحَكِيمُ الْحَكَمُ ، رَبُّ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ » قَالُوا لَهَا : مَا شَأْنُكَ يَا طَرِيفَةُ ؟ قَالَتْ : خَذُوا الْبَيْرَ الشَّدَقَمَ <sup>(١)</sup> ، نَغْضِبُوهُ بِاللِّمِّ ، تَكُنْ لَكُمْ أَرْضٌ جَزُهُمْ <sup>(٢)</sup> ، جِيرَانُ بَيْتِهِ الْمَحْرَمِ . (الأنفال ١٣ : ١٠٠)

\* \*

وروى الیبدانی فی مجمع الأمثال قال :

« أَتَقْتِ طَرِيفَةَ الْكَاهِنَةِ إِلَى عَمْرِو بْنِ حَاصِرٍ الَّذِي يَقَالُ لَهُ مَرْيَقِيَا بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ، وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي كَهَاتِمَا <sup>(٣)</sup> أَنْ سَدَّ مَآرِبَ سَيْفِ عَرَبٍ ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِي سَبِيلَ الْعَرَمِ ، فَيَخْرُبُ الْجَبَتَيْنِ <sup>(٤)</sup> ، فَبَاعَ عَمْرِو بْنُ حَاصِرٍ أَمْوَالَهُ ، وَسَارَ هُوَ وَقَوْمُهُ حَتَّى اتَّهَوْا إِلَى مَكَّةَ ، فَأَقَامُوا بِمَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا ، فَأَصَابَتْهُمْ الْحُمَّى ، وَكَانُوا يَبْلُدُ لَا يَدْرُونَ فِيهِ مَا الْحُمَّى ، فَدَعَوْا طَرِيفَةَ فَشَكُّوا إِلَيْهَا الَّذِي أَصَابَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : قَدْ أَصَابَنِي الَّذِي تَشْكُونَ ، وَهُوَ مُفَرَّقٌ بَيْنَنَا . قَالُوا : فَمَا تَأْمُرِينَ ؟ قَالَتْ :

« مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا هَمٍّ بَعِيدٍ ، وَجَمَلٍ شَدِيدٍ ، وَتَزَادَ <sup>(٥)</sup> جَدِيدٍ ، فَلْيَلْتَحِقْ بِقَصْرِ عُثْمَانَ الْمَشِيدِ <sup>(٦)</sup> ، فَكَانَتْ أَرْدُؤُهُمَا ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا جِلْدٍ

[١] الواسع الشدق . [٢] وكانوا يسكنون مكة ، فأرسل إليهم عمرو أن أنسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نسترزح ونرسل رواداً إلى الشام وإلى الفرس ، فغلبنا بلننا أنه أمثل لحقتنا . ، فأبى ذلك جرم إياه شديداً ، وقالوا : لا والله ما نحب أن ينزلوا فيضيحوا علينا مراتبنا ومواردنا ، وكانت الحرب بين الفريقين ، وانتهزت جرم فلم يلبث منهم إلا القليل .

[٣] كمن كهانة بالفتح فهو كاهن ، وحرته الكهانة بالكسر .

[٤] قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَيْنَ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ » .

[٥] التزاد والمزاید جمع مزادة وهي الزاوية . [٦] للشيد : للفرع ، قال مسلم بن الوليد في رواه : أما حدث لمرصه تزار ؟ بلى ، وهو من الجد للشيد .

وَقَمَرٌ<sup>(١)</sup> ، وَصَبْرٌ عَلَى أَزْمَاتِ الدَّهْرِ ، فَلَيْلُهُ بِالْأَرَاكِ<sup>(٢)</sup> مِنْ بَطْنِ مَرْ<sup>(٣)</sup> ، فَكَانَتْ خُرَازْمٌ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الرَّاسِيَاتِ فِي الْوَحْلِ ، الْمُطْعِمَاتِ فِي الْمَحَلِّ<sup>(٤)</sup> ، فَلْيَلْحَقْ يَنْتَرِبْ ذَاتَ النَّخْلِ ، فَكَانَتِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الْخَمَرَ الْخَمِيرَ ، وَالْمَلِكَ وَالْتَأْمِيرَ ، وَيَلْبَسُ الدِّيَابِجَ وَالْجَرِيرَ ، فَلْيَلْحَقْ يَنْصُرَى وَغَوِيرَ ، (وَهُمَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ) ، فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوهَا مِنْ آلِ جَفْنَةَ مِنْ غَسَّانَ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الثِّيَابَ الرَّاقِ ، وَالْخَلِيلَ الْيَتَاقَ ، وَكَنْوَزَ الْأَرْزَاقِ ، وَالْدَّمَ الْمَهْرَاقَ ، فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ ، فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوهَا آلَ جَذِيعَةَ الْأَبْرِشِ ، وَمَنْ كَانَ بِالْحَيْرَةِ وَآلَ مُحَرَّقٍ<sup>(٥)</sup> .  
(عجم الأشد : ١ : ١٨٦)

٣٤٠ - حديث زبراء الكاهنة مع بني رثام من قضاة

كَانَ ثَلَاثَةُ أَبْطَنٍ مِنْ قُضَاةٍ مُجْتَوِرِينَ<sup>(١)</sup> بَيْنَ الشَّحْرِ وَحَضْرَمَوْتَ : بَنُو نَاعِبٍ ، وَبَنُو دَاهِنٍ ، وَبَنُو رِثَامٍ ، وَكَانَتْ بَنُو رِثَامٍ أَقْلَمَ عَدْدَاءَ ، وَأَشَجَّعَهُمْ لِقَاءَ . وَكَانَتْ لِبْنَى رِثَامٍ عَجُوزٌ تَسْمَى خُوَيْلَةَ ، وَكَانَتْ لَهَا أُمَةٌ مِنْ مُوَلَّدَاتِ الْعَرَبِ تَسْمَى زَبْرَاءَ ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى خُوَيْلَةَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، كُلُّهُمْ لَهَا مَحْرَمٌ ، بَنُو إِخْوَةٍ وَبَنُو أَخَوَاتٍ ، وَكَانَتْ خُوَيْلَةُ عَقِيمًا ، وَكَانَ بَنُو نَاعِبٍ ، وَبَنُو دَاهِنٍ مُتَظَاهِرِينَ عَلَى بَنِي رِثَامٍ ، فَاجْتَمَعَ بَنُو رِثَامِ ذَاتَ يَوْمٍ فِي عُرْسٍ لَهُمْ ، وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا ، كُلُّهُمْ شَجَاعٌ بَيْسٌ<sup>(٢)</sup> ، فَطَلَمُوا وَأَقْبَلُوا عَلَى شَرَابِهِمْ ، وَكَانَتْ زَبْرَاءُ كَاهِنَةً فَقَالَتْ لَخُوَيْلَةَ : ابْطَلِي بَنِي قَوْمِكَ أَنْذِرَهُمْ ، فَأَقْبَلَتْ خُوَيْلَةُ تَتَوَكَّأُ عَلَى زَبْرَاءَ

[١] قمره على الأمر : قمره . [٢] الأراك : القطة من الأرض ، وموضع بركات ، وجبل يذبل .  
[٣] مري بن أذن طاعة . [٤] المحل : القعدة والجذب . [٥] هو ممر بين هند لأمة حرق مائة من بني تميم . [٦] متجاورين . [٧] البيس : الشجاع ، من يؤس ككرم بأسا .

فلما أبصرها القوم ، قاموا لإجلالها . فقالت : « يَا نَحْرَ الْأَكْبَادِ ، وَأَنْدَادَ <sup>(١)</sup> الأولاد ، وَشَجَا <sup>(٢)</sup> الحُصَادِ ، هَذِهِ زَبْرَاءُ ، تُخْبِرُكُمْ عَنْ أَنْبَاءِ ، قَبْلَ انْخِسَارِ الظُّلُمَاءِ ، بِالْوَيْدِ <sup>(٣)</sup> الشَّيْءِ ، فَاصْمُوا مَا تَقُولُ » . قَالُوا : وَمَا تَقُولِينَ يَا زَبْرَاءُ ؟ قَالَتْ :

« وَاللُّوحِ <sup>(٤)</sup> الْخَافِقِ ، وَاللَّيْلِ التَّالِسِقِ <sup>(٥)</sup> ، وَالصَّبَاحِ الشَّارِقِ ، وَالنَّجْمِ الطَّارِقِ <sup>(٦)</sup> ، وَالْمُزْنَ الْوَادِقِ <sup>(٧)</sup> ، إِنَّ شَجَرَ الْوَادِي لَيَأْدُو خِتْلًا <sup>(٨)</sup> ، وَيَحْرُقُ أَنْيَابًا عَصَلًا <sup>(٩)</sup> ، وَإِنْ صَخْرَ الطُّودِ لَيَنْدِرُ كُكْلًا <sup>(١٠)</sup> ، لَا تَجِدُونَ عَنْهُ مَعْلًا <sup>(١١)</sup> »

فَوَاقَتْ قَوْمًا أَشَارَى <sup>(١٢)</sup> سُكَارَى ، فَقَالُوا : « رِيحٌ خَجُوجٌ <sup>(١٣)</sup> ، بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْفُرُوجِ ، أَتَيْتِ زَبْرَاءُ بِالْأَبْلَقِ الشُّوجِ <sup>(١٤)</sup> » .

فَقَالَتْ زَبْرَاءُ : « مَهَلًا يَا بَنِي الْأَعْرَةِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَشْمُ ذَفَرٌ <sup>(١٥)</sup> الرِّجَالِ تَحْتَ الْحَدِيدِ » فَقَالَ لَهَا فِي مَنَهِمْ يَقَالُ لَهُ هَذِيلُ بْنُ مُنْقَذٍ : « يَا خَذَاقِ <sup>(١٦)</sup> ، وَاللَّهِ

[١] أُنَادَ : جَمْعُ نَادٍ كَالْكُفْرِ وَهُوَ اللَّيْلُ وَالنَّظِيرُ . [٢] الشَّجَا : مَا عَرِضَ فِي الْمَقَامِ مِنْ عَظْمٍ وَنَحْوِهِ . [٣] الْوَيْدِ : الْعَامِيَّةُ وَالْأَمْرُ الْعَظِيمُ . [٤] الْلُوحُ بِالْفَمِ وَالْفَتْحِ ( وَالْفَمُ أَعْلَى ) : الْهَوَاءُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . [٥] غَشِيَ اللَّيْلُ يَكْسِلُ : اسْتَشْتَمَتْ ظِلْفَهُ . [٦] الطَّارِقُ : فِي الْأَسَلِ ، كُلٌّ مِنْ أُنَى لَيْلًا ، ثُمَّ اسْتَصَلَّ فِي النُّجُومِ لَطْوَعَهَا لَيْلًا . [٧] الْمُزْنَ : السَّحَابُ أَوْ أَيْفُهُ أَوْ فَوْ لُحَاءِ ، وَالْوَادِقُ : مَنْ وَدَقَ الطَّرِيقَ كَوَدَعَ . فُطِرَ . [٨] أَدْوَتْ لَهُ أَدْوَا أَدْوَا إِذَا خَطَّتْهُ وَخَدَعَتْهُ ( وَدَأَيْتُ لَهُ ، وَدَأَتْ لَهُ أَيْضًا ) وَالْحَتْلُ : الْحَدِيدُ . [٩] حَرَقَ أَنْيَابًا : إِذَا خَلَّكَ بِضْفًا يَبْسُخُ ، وَالرَّبُّ يَقُولُ عِنْدَ الْغَضَبِ يَضْبُهُ الرِّجْلُ عَلَى صَاحِبِهِ : « هُوَ يَحْرُقُ عَلَى الْأَرَمِ » وَالْأَرَمُ كَسَكَرَ : الْأَضْرَاسُ ، وَالصَّلُ : لِلْمَرْجَةِ جَمْعُ أَصْلٍ . [١٠] الطُّودُ : الْجَبَلُ ، وَالشُّكْلُ : الْقَفْدُ . [١١] اللَّيْلُ : الْمَتْنُ .

[١٢] الْأَشْرَعُ حَرَكَةُ الْمَرْحِ . [١٣] الْحَجُوجُ : السَّرِيعةُ الْمَرْحُ . [١٤] الْأَبْلَقُ : وَصْفٌ مِنَ الْبَلَقِ حَرَكَةُ وَهُوَ ارْتِهَاجُ الْيَاسَنِ فِي قَوَائِمِ الْقُرْسِ إِلَى الْفَتَنِ ، وَالْأَبْلَقُ لَا يَكُونُ تَوَجُّعًا ، وَالرَّبُّ يَقْرُبُ هَذَا مَثَلًا لِمَنْ أَتَى لَيْتَالًا ، يَقُولُ « طَلَبَ الْأَبْلَقُ الْغَوْقَ ، فَلَمَّا فَتَاهُ لَرَادَ يَبْسُ الْأَتُوقِ » وَالْغَوْقُ كَسْبُورُ : الْحَامِلُ ، وَالْأَتُوقُ كَسْبُورُ أَيْضًا : التَّذَكُّرُ مِنَ الرِّغْمِ وَلَا يَبْسُ لَهُ ، هَذَا قَوْلُ بَعْضِ الْقَوِيَّةِ . ظَلَمْتُ أَنَّهُ طَلَبُ مَا لَا يَكُونُ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ طَلَبَ أَيْضًا مَا لَا يَكُونُ وَلَا يُوْجِدُ ، وَطَائِفُهُمْ يَقُولُونَ : الْأَتُوقُ الرَّغْبَةُ وَهِيَ تَبْسُ فِي مَكَانٍ لَا يُوْجِدُ لَهَا يَبْسُ إِلَّا بِدَعَاءٍ ، ظَلَمْتُ أَنَّهُ طَلَبُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، ظَلَمْتُ أَنَّهُ طَلَبُ مَا يَجُوزُ أَنْ يَنَالَهُ . [١٥] الْقَفَرُ : حِدَّةُ الرَّجَمِ ، يَكُونُ فِي التَّنِيقِ وَالطَّبِيبِ ( وَالْمَعْرِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي التَّنِيقِ ) .

[١٦] خَذَاقِي : كِتَابَةٌ عَمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْأَمَانِ ، يَقَالُ : خَذَقَ وَحَزَقَ وَزَرَقَ .

ما تَشَمَّينَ إِلَّا ذَفَرَ إِبْطِيكَ » فانصرفت عنهم ، وارتاب قوم من ذوى أسنانهم ، فانصرف منهم أربعون رجلاً ، وبقي ثلاثون ، فَرَقَدُوا فِي مَشْرِبِهِمْ ، وَطَرَقَهُمْ بنو داهن وبنو ناعب ، فقتلوا أجمعين ، وأقبلت خُوَيْلَة مع الصباح ، فوقفت على مصارعهم ، ثم تهمت إلى خناصرم ، ققطعتها واقطعت منها قِلَادَةً ، وألقتهَا فِي عُتْقَهَا ، وخرجت حتى لَحِقَتْ بِمَرْصَاوِي بْنِ سَعْوَةَ الْمَهْرِيِّ ، وهو ابن أختها فَأَنَاحَتْ ، بِفَنَائِهِ ، فاستعذته على بنى داهن وبنى ناعب ، فخرج في مَنْسَرٍ<sup>(١)</sup> من قومه ، فطرقتهم فأوجع فيهم . ( الأملك ١ : ١٢٦ )

٣٤١ - كَاهِنَةُ ذِي الْخُلَصَةِ تَكْنِي بِمَا فِي بَطْنِ رَقِيَّةَ بِنْتِ جِشْمِ زَعَمُوا أَنَّ رُقِيَّةَ بِنْتَ جِشْمِ بْنِ مِصَاوِيَةَ وَلِدَتْ مُتَمَيِّزًا وَمِثْلًا وَسَوَاءً ، ثُمَّ اعْتَاطَتْ<sup>(٢)</sup> ، فَأَتَتْ كَاهِنَةَ بَنِي الْخُلَصَةِ<sup>(٣)</sup> ، فَأَرْتَهَا بِبَطْنِهَا ، وَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ وَلِدْتُ ثُمَّ أَهْتَضْتُ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا وَمَسَّتْ بِبَطْنِهَا ، وَقَالَتْ :

« رَبِّ قَبَائِلَ فِرْقِي ، وَبِجَالِسِ حِلْقِي ، وَظَفْنُ<sup>(٤)</sup> حُرْقُ<sup>(٥)</sup> » ، فِي بَطْنِكَ زُقُ<sup>(٦)</sup> »

[١] المنسر من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو من الأربعين إلى الخمسين ، أو إلى الستين ، أو المائة إلى المائتين ، وقطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .

[٢] اعتاطت للمرأة : لم تحمل سنين من غير طهر . [٣] ذو الخلصة عركة وبضين : بيت كان يدي الكعبة الجمانية لحشم ، كان فيه صنم اسمه الخلصة . [٤] الظن والثمان جمع ظينة : وهي المردج سواء كان فيه امرأة أم لا ، والمرأة ما دخلت في المودج ، وقال : الظينة في الأصل وصف للمرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها ، لأنها تصير مظنونة ( أي يظن بها زوجها ، نعمي فميلة بمعنى مفعولة ) . [٥] الحزق والحزقة ( بكسر الحاء ) والحزقة والحزيق والحزقة والحزاة ( بالفتح ) الجماعة ، والجمع حزائقي وحزقي وحزق ( بضمين ) . [٦] أي وضع وأصل الزق : رمى الطائر يذوقه ، والمهني : رب جنين تشعب منه قبائل متفرقة ، ويتناسل منه ذكرا ن يحملون في الجبال والأودية وجاعات من اللوعة ، قد أودع بطك .

فلما تخضعت <sup>(١)</sup> بريمة بن عامر <sup>(٢)</sup> ، قالت : إني أعرف ضَرِيحِي بهلال ،  
« أى هو غلام ، كما أن هلالا كان غلاماً » . (مجم الأمثال : ١ : ٢٢١)

### ٣٤٢ — رأى سلمي الهمدانية في حريم المرادى

أغار رجل من « مُرادٍ » يقال له « حَرِيم » على إبل عمرو بن بَرّاقة  
الهمداني وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو سُلَبي الهمدانية ، وكانت بنت  
سَيِّدٍم ، وعن رأيها كانوا يصدُّرون ، فأخبرها أن حريمًا المرادى أغار على إبله  
وخيله ، فقالت : « والمخفوق والرميض <sup>(٣)</sup> ، والشقق كالأخريض <sup>(٤)</sup> ، والقلة  
والحفيف <sup>(٥)</sup> ، إن حريمًا لتبيع الحيز <sup>(٦)</sup> ، سيّد مَزِير <sup>(٧)</sup> ذو مقيل حَرِيز ، غير  
أنى أرى الحمة <sup>(٨)</sup> ستظفر منه بِمَثَرَةٍ ، بطيئة الجيرة ، فأغز ولا تُسكع <sup>(٩)</sup> ،  
فأغار عمرو ، فاستاق كل شيء له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن  
يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع وَرَجَعَ حريم . (الأمثال : ٢ : ١٢٢)

### ٣٤٣ — تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية

روى أن العجفاء بنت علقمة السعدية ، وثلاث نسوة من قومها ، خرجن  
فأتكن بروضة يتحدثن فيها ، فوافقن بها ليلاً في قر زاهر ، وليلة طَلقة ساكنة ،  
وروضة مُعشبة خصبّة ، فلما جلسن قلن : ما رأينا كالأيلة ليلة ، ولا كهذه

- [١] تخضعت كسبح ومنع وعنى : أخذنا الطلق .  
[٢] هو ربيعة بن عامر بن مصعب بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ومن له بنو كلاب بن ربيعة بن عامر وبنو جفر بن كلاب بن ربيعة .  
[٣] المخفوق : الضيف ، والرميض : أشد من الخفوق . [٤] الأخريض : الضفدع .  
[٥] القلة : أعلى الرأس والجبل وكل شيء . والحفيف : التراب من الأرض عند سقوط الجبل .  
[٦] الناحية . [٧] حَرِيز : قمل ، من قولهم هذا أمر من هذا أى أفضل منه .  
[٨] الحمة : محرّكة ، وقيل هى واحد الحمام (بالكسر) .  
[٩] نكحه عن الأمر (كنه) رده ورفضه .

الروضة روضةً أطيبَ ريحاً ولا أنضر ، ثم أَقْصَنَ في الحديث ، قتلن : أى النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الحرود <sup>(١)</sup> الودود الودود . قالت الأخرى : خيرهن ذات النماء <sup>(٢)</sup> ، وطيب النماء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السَّمُوعُ الجمُوع ، السَّمُوعُ غير المنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لأهلها الوادعة الرافعة ، لا الواضحة . قلن : فأى الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : خيرهم الحظي <sup>(٣)</sup> الرضي ، غير الحظي <sup>(٤)</sup> البطي . قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ، ذو الحسب الميم ، والمجد القديم . قالت الثالثة : خيرهم السخي ، الوفي الرضي ، الذي لا يغير <sup>(٥)</sup> الحرّة ، ولا يتخذ الضرة . قالت الرابعة : وأيكن ، إن في أبي لنتسكن ، كرم الأخلاق ، والصدق عند التلاق ، والفالج <sup>(٦)</sup> عند السباق ، ويحمده أهل الرفاق . قالت المجفأة عند ذلك : كل فتاة بأبيها مفضية .

وفي بعض الروايات أن إحداهن قالت : إن أبي يكرم الجار ، ويُمظِم الخطار <sup>(٧)</sup> ، وينحر المِشَار <sup>(٨)</sup> ، بعد الحوَار <sup>(٩)</sup> ، ويحمِلُ الأمور الكبار ، ويأنف من الصغار ، فقالت الثانية : إن أبي عظيم الخطر ، منيع الوزر <sup>(١٠)</sup> ، عزيز الثمر ، يُحمَدُ منه الوزر والصدر ، فقالت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حديد الجنان ،

[١] الحرود والحريد والحريفة : الحية الطويلة الكوت الحافضة الصوت للسنفرة .

[٢] الكفاية والنتفة . [٣] الحظي : ذو الحظوة والمكافة عند زوجه ، والمظية كنفك .

[٤] رجل حظل ككتف وشداد وصبور : مقتر عكاسب أهل بما ينطق طيم ، وفي جمع الأتال « غير

الخطال » ولا التبال « والتبال بالتشديد من التبل ( يفتح فسكون ) وهو المقدر .

[٥] أغار امرأته : تزوج عنها . [٦] الفوز والغفر .

[٧] الخطار جمع خطر كسب وهو الذي يتراهن عليه . [٨] المثار جمع عثراء كغشاء وهي من

النوق التي مضي لجلها هنرة أصغر أو مخمانية . [٩] الموار بالهم وقد يكر : ولد الناقة ساعة نفضه

أولم أن يفضل عن أمه . [١٠] الوزر : اللبأ .

وَذُومٌ <sup>(١)</sup> الحِجَان ، كثير الأعوان ، يُرْوَى السَّنَان ، عند الطَّعَان . قَالَتِ الرَّابِعَةُ :  
 إِنَّ أَبِي كَرِيمَ النَّزَالِ ، مُنِيفُ الْمَقَالِ ، كَثِيرُ النَّوَالِ ، قَلِيلُ السُّؤَالِ ، كَرِيمُ الْفِعَالِ .  
 ثُمَّ تَنَافَرْنَ إِلَى كَاهِنَةٍ مَعَهُنَّ فِي الْحَيِّ ، قَقَلْنَ لَهَا : اِسْمِي مَا قَلْنَا ، وَاحْكُمِي  
 بَيْنَنَا وَاعْدِلِي ، ثُمَّ أَعَدَّنَ عَلَيْهَا قَوْلَهُنَّ ، فَقَالَتْ لَهُنَّ : « كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ  
 مَارِدَةٌ <sup>(٢)</sup> بِأَيِّهَا وَاجِدَةٌ <sup>(٣)</sup> ، عَلَى الْإِحْسَانِ جَاهِدَةٌ ، لِصَوْلِحِيَّاتِهَا حَاسِدَةٌ ، وَلَكِنْ  
 اِسْمُنَّ قَوْلِي : خَيْرُ النِّسَاءِ الْبَقِيَّةُ عَلَى بَعْلِهَا ، الصَّابِرَةُ عَلَى الصَّرَاءِ خَافَةٌ أَنْ تَرْجِعَ  
 إِلَى أَهْلِهَا مُطْلَقَةً ، فَهِيَ تُؤْثِرُ حَظَّ زَوْجِهَا عَلَى حَظِّ نَفْسِهَا ، فَتَكُ الْكَرَمَةُ  
 الْكَامِلَةُ ، وَخَيْرُ الرِّجَالِ الْجَوَادُ الْبَطَلُ ، الْقَلِيلُ الْفَشَلُ ، إِذَا سَأَلَهُ الرَّجُلُ ، أَفَاءَهُ  
 قَلِيلَ الْبِلَالِ ، كَثِيرَ النَّفْلِ <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ قَالَتْ : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ .

(مجمع الأمثال ٢ : ٥٤ ، وجمهرة الأمثال ٢ : ١٣٣)

### ٣٤٤ - عَفِيرَاءُ الْكَاهِنَةِ تَعْبِرُ رُؤْيَا مَرْتَدِّ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ

رَوَى أَنَّ مَرْتَدَّ بْنَ عَبْدِ كَلَالٍ قَقَلَ مِنْ غَزَاةٍ غَزَاهَا بَنُو نَائِمٍ عَظِيمَةٍ ، فَوَقَدَ  
 عَلَيْهِ زَعَمَاءُ الْعَرَبِ وَشُعْرَاؤُهَا وَخُطَبَاؤُهَا يَهْتَوْنَهُ ، فَرَفَعَ الْحِجَابَ عَنِ الْوَافِدِينَ .  
 وَأَوْسَمَهُمْ قَطَاءً ، وَاشْتَدَّ سُرُورُهُ بِهِمْ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَامَ يَوْمًا فَرَأَى رُؤْيَا فِيهِ  
 الْمَنَامُ أَخَافَهُ وَأَذْعَرَتْهُ وَهَالَتْهُ فِي حَالِ مَنَامِهِ ، فَلَمَّا انْتَبَهَ أَنْسَبَهَا حَتَّى لَمْ يَذْكُرْ مِنْهُ  
 شَيْئًا ، وَثَبَتَ ارْتِيَاعُهُ فِي نَفْسِهِ بِهَا ، فَانْقَلَبَ سُرُورُهُ حُزْنًا ، وَاحْتَجَبَ عَنِ الْوَفْدِ  
 حَتَّى أَسَاءُوا بِهِ الظَّنَّ ، ثُمَّ إِذْ هُوَ حَشَرَ الْكُفَّانَ فَجَلَّ يَخْلُو بِكَاهِنٍ كَاهِنٍ ، ثُمَّ يَقُو  
 لَهُ : أَخْبِرْنِي عَمَّا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ ، فَيُجِيبُهُ الْكَاهِنُ بِأَنْ لَا عِلْمَ عِنْدِي ، حَتَّى  
 يَدْعُ كَاهِنًا عِلْمُهُ إِلَّا كَانَ إِلَيْهِ مِنْهُ ذَلِكَ ، فَتَضَاعَفَ قَلْقَعُهُ ، وَطَالَ أَرْقُهُ ، وَكَأَنَّ

[١] الرذوم : القصة للثقة تصيب جوانبها . [٢] أى تد بلفت الناية .

[٣] وجد به (بالسر) أجه . [٤] الظل : الهبة .

أمه قد تكهنت ، فقالت له : أَيْتَ اللَّعْنِ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنْ الْكَوَاهِنَ أَهْدَى إِلَى مَا تَسْأَلُ عَنْهُ ، لَأَنْ أَتْبَاعَ الْكَوَاهِنَ مِنَ الْجَانِ ، أَطُفَ وَأُظْرَفَ مِنْ أَتْبَاعِ الْكُهَّانِ ، فَأَمْرٌ بِمُحْشَرِ الْكَوَاهِنَ إِلَيْهِ ، وَسَأَلَهُمْ كَمَا سَأَلَ الْكُهَّانَ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ عِلْمًا بِمَا أَرَادَ عَلَيْهِ ، وَلَمَّا يَسَّ مِنْ طَلَبَتِهِ سَلَا عَنْهَا ، ثُمَّ إِنَّهُ بِمِثْلِكَ ذَهَبَ بِتَصِيدٍ فَأَوْغَلَ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ ، وَاقْتَرَدَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَرُقِصَتْ لَهُ آيَاتٌ مِنْ ذَرَا<sup>(١)</sup> جَبَلٍ ، وَكَانَ تَدَلَّفُحَةُ الْمَحْيَرِ ، فَعَدَلَ إِلَى الْآيَاتِ ، وَقَصَدَ يَتَنَا مِنْهَا كَأَنَّهُ مُتَقَرِّدٌ عَنْهَا ، فَهَرَزَتْ إِلَيْهِ مِذَّةُ عَجُوزٍ ، فَقَالَتْ لَهُ : أَنْزِلْ بِالرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ، وَالْأَمْنِ وَالِدَاعَةِ ، وَالْجَفْنَةِ الْمُدْعَدَةِ<sup>(٢)</sup> ، وَالْعُلْبَةِ الْمُتَرَعَّةِ<sup>(٣)</sup> ، فَزَلَّ عَنْ جَوَادِهِ ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ ، فَلَمَّا احْتَجَبَ عَنِ الشَّمْسِ ، وَخَفَقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْوَاحُ<sup>(٤)</sup> ، نَامَ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ حَتَّى تَصَرَّمَ الْمَحْيَرِ ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَاةٌ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا قَوْمًا وَلَا جَمَالًا ، فَقَالَتْ : « أَيْتَ اللَّعْنِ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ ! هَلْ لَكَ فِي الطَّعَامِ ؟ » فَاشْتَدَّ إِشْفَاؤُهُ وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ لَمَّا رَأَى أَنَّهَا عَرَفَتْهُ ، وَتَصَامَّ عَنْ كَلِمَتِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : « لَا حَذَرَ ، فِذَلِكَ الْبَشَرِ ، فَجَذُّكَ الْأَكْبَرُ ، وَحِظْنَا بِكَ الْأَوْفَرُ » . ثُمَّ قَرَّبَتْ إِلَيْهِ ثَرِيدًا وَقَدِيدًا وَحَيْسًا<sup>(٥)</sup> ، وَقَامَتْ تَذُبُّ عَنْهُ ، حَتَّى أَتَمَّ أَكْلَهُ ، ثُمَّ سَقَتْهُ لَبَنًا صَرِيفًا وَضَرِيرًا<sup>(٦)</sup> ، فَشَرِبَ مَا شَاءَ ، وَجَعَلَ يَتَأَمَّلُهَا مُقْبِلَةً وَمُذْبِرَةً ، فَلَاَتَ عَيْنِي حَسَنًا ، وَقَلْبَهُ هَوًى ، فَقَالَ لَهَا : مَا اسْمُكَ يَا جَارِيَةُ ؟ قَالَتْ : اسْمِي عُفَيْرَاءُ ،

[١] لَمَّا كَانَ فِي كَفِّهِ وَسْتَرَهُ . [٢] الْجَفْنَةُ : الْقَصَّةُ ، وَالْمُدْعَدَةُ : الَّتِي مَلَأَتْ بِمِزْجَةٍ ثُمَّ حَرَكَتْ حَتَّى تَرَامَ مَا فِيهَا ، ثُمَّ مَلَأَتْ بِمِثْلِكَ . [٣] الْعُلْبَةُ : قَدَحٌ ضَخْمٌ مِنْ جِلْدِ الْإِبِلِ أَوْ مِنْ خَشَبٍ يَحْمَلُ فِيهَا ، وَالْمُتَرَعَّةُ : الْمَلُوءَةُ . [٤] الْأَرْوَاحُ : وَالرِّيحُ جَمْعُ رِيحٍ . [٥] الْقَدِيدُ : الْحَمُّ الْقَدِيدُ ، أَوْ مَا قُطِعَ مِنْهُ طَوِيلًا ، وَالْحَيْسُ : تَمْرٌ يَخْلُطُ بِسَنٍّ وَأَقْطَ ، فَيَسْجَنُ شَدِيدًا ثُمَّ يَدْرَسُهُ نَوَاهُ (وَالْأَقْطُ شَيْءٌ يَخْتِذُ مِنَ الْخَيْضِ النَّعْمَى) . [٦] الصَّرِيفُ : الْبَيْنُ سَاعَةً حَلَبَ ، وَالضَّرِيرُ : الْبَيْنُ يَحْمَلُ مِنْ مَدَّةٍ لِقَاحٍ فِي إِتَاءٍ .



آثام « فقال الملك : يا عبيراء ، إذا ذبح قومك فن أعضاده <sup>(١)</sup> ؟ قالت : أعضاده  
عطاريف <sup>(٢)</sup> يَأْتُونَ ، طائرهم به ميمون ، يُفْزِهِم فَيَقْزُونَ ، وَيُدْمِث <sup>(٣)</sup> بِهِم  
الْحَزُونَ ، وإلى نصره يَعْزُونَ . فأطرق الملك يُوَاسِر <sup>(٤)</sup> نفسه في خِطْبَتِهَا ،  
فَقَالَتْ : « أَيْتَ اللّٰمَنَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنْ تَابَعِي غَيُورٌ ، وَلَأْمَرِي صَبُورٌ ، وَنَاكِحِي  
مَنْبُورٌ ، وَالْكَالِفُ بِي ثُبُورٌ <sup>(٥)</sup> » . فنهض الملك وجال في صَهْوَةٍ <sup>(٦)</sup> جَوَادِهِ ،  
وَانْطَلَقَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا بِمَائَةِ نَاقَةٍ كَوْمَاءَ <sup>(٧)</sup> . ( بروج الأرب ٤ : ٢٩٦ )

[١] الأعضاد : الأسلح جمع سعد ، والذبح معروف ، والمراد هنا إذا قطعوه وتركوا نصرته .  
[٢] العطاريف جمع عطاريف وهو اليد الشريف . [٣] يدمث ، والمزون جمع وزن كشمس  
وهو ما غلظ من الأرض . [٤] يئاور . [٥] الثبور : الملاك . [٦] الصهوة : مقعد  
الفارس من ظهر فرسه . [٧] الكوماء : الناقة الطيبة النام .

## اتهى الجزء الاول

ويليه

الجزء الثانى وأوله : الباب الثالث فى خطب ووصايا

## العصر الأموى

فهرس

# الخطب الأول

من جهرة خطب العرب

## الباب الأول

الخطب والوصايا في العصر الجاهلي

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم المسألة
إصلاح مرثد الخير بين سبيع بن الحارث وبين ميثم بن ثوب	١	١
مقال مرثد الخير	١	٢
مقال سبيع بن الحرث	٢	٧
مقال ميثم بن ثوب	٣	٣
مقال مرثد الخير	٤	٤
طريف بن العاصي والحرث بن ذبيان يتفاخران عند بعض مقاول حمير	٥	٥
منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين	٦	٨
أشراف العرب بين يدي كسرى		١١
مقال حذيفة بن بدر الفزاري	٧	١٢
مقال الأشعث الكندي	٨	١٢
مقال بسطام الشيباني	٩	١٣
مقال حاجب بن زورارة	١٠	١٣
مقال قيس بن علمى السدي	١١	١٥

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وفود العرب على كسرى		١٥
خطبة النعمان بن النضر	١٢	١٦
» أكرم بن صفي التميمي	١٣	٢١
» حاجب بن زرة التميمي	١٤	٢٢
» خطبة الحارث بن عباد البكري	١٥	٢٣
» عمرو بن الشريد السلمي	١٦	٢٤
» خالد بن جعفر الكلابي	١٧	٢٥
» علقمة بن علاثة العامري	١٨	٢٥
» قيس بن مسعود الشيباني	١٩	٢٦
» عامر بن الطفيل العامري	٢٠	٢٧
» عمرو بن معديكرب الزبيدي	٢١	٢٨
» الحارث بن ظالم المري	٢٢	٢٨
وفود العرب يعززون سلامة ذا فائق بابنه		٣٠
خطبة الملبب بن عوف	٢٣	٣٠
خطبة جمادة بن أفلح	٢٤	٣٠
تمزية أكرم بن صفي لسرو بن هند عن أخيه	٢٥	٣١
خطبة عبد للطلب بن هاتم	٢٦	٣١
خطبة هاتم بن عبد مناف	٢٧	٣٢
خطبة كعب بن لؤي	٢٨	٣٣
تساول عامر بن الظرب وحمة بن رافع عند أحد ملوك حمير	٢٩	٣٤
خطبة قس بن ساعدة الأيادي	٣٠	٣٥
خطبة المأمون الحارثي	٣١	٣٦
خطبة هاني بن قبيصة الشيباني	٣٢	٣٧

رقم المقدمة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٣٧	٣٣	خطبة عمرو بن كلثوم
٣٨	٣٤	خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة
٣٨	٣٥	حديث بعض مقاول مبر مع ابنه
٤٣	٣٦	قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طي
٤٥	٣٧	وصية أوس بن حارثة لابنه مالك
٤٦	٣٨	» ذى الاصبع المدواني لابنه أسيد
٤٦	٣٩	» أكرم بن صيفى لبنيه ورعطه
٤٧	٤٠	نصيحة أكرم بن صيفى لقومه
٤٨	٤١	وصية عمرو بن كلثوم لبنيه
٤٩	٤٢	وصية الحرث بن كعب لبنيه

[ تنبيه ] بية خطب العمر المجلد ستأتي بيد من صفحة ٢٧٢ إلى الآخر .

## الباب الثاني

### الخطب والوصايا في عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم

أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه ٥١ ٤٣

خطبته يوم فتح مكة ٥٢ ٤٤

خطبة له عليه الصلاة والسلام ٥٣ ٤٥

» » » » ٥٣ ٤٦

» » » » ٥٣ ٤٧

» » » » ٥٤ ٤٨

خطبته بالخيف ٥٤ ٤٩

خطبة له عليه الصلاة والسلام ٥٥ ٥٠

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

رقم  
الخطبة

أول خطبة خطبها بالمدينة

٥١

٥٥

خطبته في أول جمعة جمعا بالمدينة

٥٢

٥٦

خطبته في حجة الوداع

٥٣

٥٧

خطبته في مرض موته

٥٤

٦٠

خطب يوم السقيفة

خطبة سعد بن عبادة

٥٥

٦١

خطبة أبي بكر رضى الله عنه

٥٦

٦٢

نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة

٥٧

٦٣

خطبة الحباب بن المنذر

٥٨

٦٤

» عمر بن الخطاب رضى الله عنه

٥٩

٦٤

» أخرى للحباب بن المنذر

٦٠

٦٤

» بشير بن سعد

٦١

٦٥

خطب أبي بكر رضى الله عنه

خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم

٦٢

٦٦

خطبته بعد البيعة

٦٣

٦٧

خطبة أخرى له بعد البيعة

٦٤

٦٧

» »

٦٥

٦٩

» »

٦٦

٧٠

» »

٦٧

٧١

» »

٦٨

٧٢

خطبة له في نذب الناس لفتح الشام

٦٩

٧٣

خطبة له في الأنصار

٧٠

٧٣

الخطبة أو الوصية

رقم  
الخطبة

رقم  
الصفحة

وصايا

وصيته لأسامة بن زيد	٧١	٧٤
وصيته لمعرو بن العاص والوليد بن عقبة	٧٢	٧٥
وصيته لخالد بن الوليد	٧٣	٧٥
وصيته ليزيد بن أبي سفيان	٧٤	٧٥
كلامه لبعد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها	٧٥	٧٧
خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه		
خطبته حين ولي الخلافة	٧٧	٧٩
خطبة أخرى	٧٨	٧٩
خطبة له	٧٩	٨٠
خطبة له	٨٠	٨٠
خطبة أخرى	٨١	٨١
خطبة له	٨٢	٨٢
خطبة له	٨٣	٨٣
خطبة له	٨٤	٨٥
خطبة له	٨٥	٨٦
خطبة له	٨٦	٨٦
خطبته عام الرمادة	٨٧	٨٧

ندب الناس لقتال فارس

خطبة للمثنى بن حارثة الشيباني	٨٨	٨٨
عمر رضي الله عنه	٨٩	٨٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص	٩٠	٨٩
خطبته وقد بان له أن قوماً يفضلونه على الصديق	٩١	٩٠
<b>وصايا</b>		
وصيته للمجاهدين	٩٢	٩١
» لسعد بن أبي وقاص	٩٣	٩١
» لسعد بن أبي وقاص أيضاً	٩٤	٩٣
» أخرى كتبها لسعد بن أبي وقاص	٩٥	٩٣
» للخليفة من بعده	٩٦	٩٥
<b>خطب يوم الشورى</b>		
خطبة عبد الرحمن بن عوف	٩٧	٩٧
» عثمان بن عفان	٩٨	٩٨
» الزبير بن العوام	٩٩	٩٨
» سعد بن أبي وقاص	١٠٠	٩٩
» علي بن أبي طالب	١٠١	٩٩
<b>خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه</b>		
خطبته حين يامه أهل الشورى	١٠٢	١٠٠
خطبته بعد البسة	١٠٣	١٠١
خطبة أخرى	١٠٤	١٠١
خطبته حين هم عليه الناس	١٠٥	١٠٢
خطبته التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة	١٠٦	١٠٢
خطبته في الرد على التوار	١٠٧	١٠٣

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

رقم  
الخطبة

خطبته وقد اشتد عليه الحصار

١٠٨ ١٠٤

آخر خطبة خطبها عثمان

١٠٩ ١٠٤

خطب الوفود

خطبة عطار بن حاجب بن زراره بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

١١٠ ١٠٥

خطبة ثابت بن قيس بن الشماس

١١١ ١٠٦

عمرو بن الاهتم والبرقان بن بدر بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم

١١٢ ١٠٦

خطبة طهفة بن أبي زهير الهدي

١١٣ ١٠٧

ردّه صلى الله عليه وسلم

١١٤ ١٠٨

خطبة غليان بن حداد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

١١٥ ١٠٩

خطب الوفود بين يدي عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

خطبة هلال بن بشر

١١٦ ١١١

» زيد بن جبلة

١١٧ ١١١

» الأحنف بن قيس

١١٨ ١١٢

» الأحنف بن قيس

١١٩ ١١٢

خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزيد جرد ملك القرم

خطبة النعمان بن مقرن

١٢٠ ١١٤

» للغيرة بن زراره

١٢١ ١١٥

مقال ربي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس

١٢٢ ١١٦

خطبة للغيرة بن شعبة في حضرة رستم

١٢٣ ١١٧

» خالد بن الوليد في وقعة اليرموك

١٢٤ ١١٧

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة عتبة بن غزوان بعد فتح الأبله	١٢٥	١١٩
» سعيد بن الناص حين قدم الكوفة والياً عليها	١٢٦	١٢٠
الخنساء تحرض أولادها على القتال	١٢٧	١٢٠
خطبة عبد الله بن الزبير حين قلم بفتح أفريقية	١٢٨	١٢١
» السيدة عائشة في الانتصار لأبيها	١٢٩	١٢٣
رثاؤها لأبيها	١٣٠	١٢٥
خطبتها حين أنبت بقتل عثمان	١٣١	١٢٦

## فتة أصحاب الجمل

خطبة طلحة	١٣٢	١٢٧
» السيدة عائشة بالمرید	١٣٣	١٢٧
» عدی بن حاتم يستنفر قومه لنصرة الإمام على رضي الله عنه	١٣٤	١٢٨
» زفر بن زيد يستنفر قومه لنصرة الإمام على رضي الله عنه	١٣٥	١٢٩
» سعيد بن عبيد الطائي	١٣٦	١٣٠
» أبي موسى الأشعري	١٣٧	١٣٠
» أخرى له	١٣٨	١٣١
» زيد بن صوحان	١٣٩	١٣٢
» القعقاع بن عمرو	١٤٠	١٣٢
» سبطان بن صوحان	١٤١	١٣٣
» الحسن بن علي رضي الله عنه	١٤٢	١٣٣
وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل	١٤٣	١٣٤
خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه	١٤٤	١٣٦
» السيدة عائشة يوم الجمل	١٤٥	١٣٦
» زفر بن قيس	١٤٦	١٣٨

رقم المصنف	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
١٣٨	١٤٧	خطبة جرير بن عبد الله البجلي
١٣٩	١٤٨	» زياد بن كعب
١٣٩	١٤٩	» الأشعث بن قيس
فتنة معاوية		
استطلاع الإمام عليّ كرم الله وجهه آراء أصحابه		
وقد أراد المسير إلى الشام		
١٤٠	١٥٠	خطبة الإمام عليّ
١٤٠	١٥١	» هاشم بن عتبة
١٤١	١٥٢	» عمار بن ياسر
١٤١	١٥٣	» قيس بن سعد بن عبادة
١٤٣	١٥٤	» سهل بن حنيف
١٤٢	١٥٥	» الإمام عليّ
١٤٣	١٥٦	» الأشتر النخعي
١٤٤	١٥٧	مقال من ثبطوه عن السير
١٤٤	١٥٨	رد الإمام عليهم
١٤٥	١٥٩	خطبة عيسى بن حاتم الطائي
١٤٦	١٦٠	» زيد بن حصين الطائي
١٤٦	١٦١	» أبي زينب بن عوف
١٤٧	١٦٢	» يزيد بن قيس الأرجي
١٤٧	١٦٣	» زياد بن النضر
١٤٧	١٦٤	» عبد الله بن يزيد الخزازي
١٤٩	١٦٥	أدب الإمام عليّ كرم الله وجهه

الخطبة أو الوصية

رقم  
الخطبة

رقم  
المنفعة

١٦٦ ١٢٩ مقال عمرو بن الحق

١٦٧ ١٥٠ » حجر بن عدى

١٦٨ ١٥٠ » هاشم بن عتبة

١٦٩ ١٥٢ خطبة الامام على

١٧٠ ١٥٣ » الحسن بن على

١٧١ ١٥٣ » الحسين بن على

وفد على - إلى معاوية

١٧٢ ١٥٤ خطبة بشير بن عمرو

١٧٣ ١٥٥ » شبيب بن ربي

١٧٤ ١٥٥ » معاوية

وفد على الى معاوية أيضا

١٧٥ ١٥٦ خطبة عدى بن حاتم

١٧٦ ١٥٦ جواب معاوية

١٧٧ ١٥٧ خطبة يزيد بن قيس

١٧٨ ١٥٧ » معاوية

وفد معاوية الى على

١٧٩ ١٦٠ خطبة حبيب بن مسلمة

١٨٠ ١٦١ » على بن أبي طالب

التحريض على القتال من قبل معاوية

١٨١ ١٦٢ خطبة عمرو بن العاص

١٨٢ ١٦٣ » أخرى لعمرو بن العاص

١٨٣ ١٦٣ » معاوية بن أبي سفيان يحرض أهل الشام

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة ذى الكلاع الحيرى	١٨٤	١٦٤
» يزيد بن أسد البجلي	١٨٥	١٦٧
التحريض على القتال من قبل الامام على		
خطبة الامام على	١٨٦	١٦٩
» أخرى له	١٨٧	١٧٠
من كلام له كرم الله وجهه كان يقوله لأصحابه فى بعض أيام صغره	١٨٨	١٧١
خطبة أخرى للامام	١٨٩	١٧٢
» للامام على	١٩٠	١٧٣
» أخرى له	١٩١	١٧٤
» عبد الله بن عباس	١٩٢	١٧٤
» عبد الله بن بديل الخزاعى	١٩٣	١٧٦
» أبى الهيثم بن التيهان	١٩٤	١٧٦
» للامام على	١٩٥	١٧٧
» سعيد بن قيس	١٩٦	١٧٨
» يزيد بن قيس الأرحبى	١٩٧	١٧٩
» هاشم بن عتبة للرقال	١٩٨	١٨٠
» عمار بن ياسر	١٩٩	١٨١
» الأشتر النخعى	٢٠٠	١٨٢
» الأشتر فى للنهزمين من اليمنة	٢٠١	١٨٣
» أخرى له فيهم	٢٠٢	١٨٤
» على فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم	٢٠٣	١٨٥
» خطبة خالد بن مسمر	٢٠٤	١٨٦
» عتبة بن حديد التمرى	٢٠٥	١٨٨

المصنف	رقم الخطبة	المخطبة أو الوصية
١٨٧	٢٠٦	خطبة خنبر بن عبيدة بن خالد
١٨٨	٢٠٧	تحرى معاوية أيضاً
١٨٩	٢٠٨	ما خاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد في وقعة صفين
١٩٠	٢٠٩	جواب قيس بن سعد
١٩١		خطب الشيعة في وقعة صفين
١٩١	٢١٠	خطبة عكرشة بنت الأطلرش
١٩٣	٢١١	» أم الخير بنت الحريش
١٩٦	٢١٢	» الزرقاء بنت عدى الهدانية
١٩٨		اختلاف أهل العراق في المواعدة
١٩٨	٢١٣	خطبة الإمام عليّ - كرم الله وجهه
١٩٩	٢١٤	» كردوس بن هاني
١٩٩	٢١٥	» سفيان بن ثور
١٩٩	٢١٦	» حريث بن جابر
٢٠٠	٢١٧	» خالد بن معمر
٢٠٠	٢١٨	» الحصين بن المنذر
٢٠٠	٢١٩	» عثمان بن حنيف
٢٠٢	٢٢٠	» عدى بن حاتم
٢٠٣	٢٢١	» عبد الله بن حجل
٢٠٣	٢٢٢	» سمصة بن صوحان
٢٠٤	٢٢٣	» للتدوين جارود
٢٠٤	٢٢٤	» للأخنف بن قيس
٢٠٥	٢٢٥	» حمير بن عطار
٢٠٥	٢٢٦	» عليّ بن أبي طالب

الخطبة أو الوصية

رقم الخطبة	رقم الصفحة
٢٢٧ مقال عدى بن حاتم	٢٠٥
» الأشتر النخعي ٢٢٨	٢٠٦
» عمرو بن الحلق ٢٢٩	٢٠٦
» الأشعث بن قيس ٢٣٠	٢٠٦
» عبد الرحمن بن الحارث ٢٣١	٢٠٧
» عمار بن ياسر ٢٣٢	٢٠٧

التحكيم بين عليّ ومعاوية

٢٣٣ كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري	٢٠٨
» » » وصية شريح بن هانئ ٢٣٤	٢٠٩
» » » الأحنف بن قيس ٢٣٥	٢١٠
» معاوية لمعرو بن العاص ٢٣٦	٢١١
رد عمرو بن العاص عليه ٢٣٧	٢١٢
مقال شرحبيل بن السمط لمعرو ٢٣٨	٢١٢
خطبة أبي موسى الأشعري ٢٣٩	٢١٢
» عمرو بن العاص ٢٤٠	٢١٢
» الإمام عبد التحكيم ٢٤١	٢١٣
» الحسن بن عليّ ٢٤٢	٢١٤
» عبد الله بن عباس ٢٤٣	٢١٤
» عبد الله بن جعفر ٢٤٤	٢١٥

فتنة الخوارج

٢٤٥ مناظرة ابن عباس لهم	٢١٥
» الإمام لهم ٢٤٦	٢١٧

10. 29.

المخطبة أو الوصية	رقم المخطبة	رقم الصفحة
خطبة للحسن بن عليّ في يوم جمة	٢٦٩	٢٤٣
» معاوية وقد بلغه هلاك الأشر	٢٧٠	٢٤٣
فتنة البصرة		٢٤٤
تسير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله		٢٤٤
خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي	٢٧١	٢٤٤
» الضحاك بن عبد الله الهلالي	٢٧٢	٢٤٥
» عبد الرحمن بن عمير القرشي	٢٧٣	٢٤٦
» زياد بن أبيه	٢٧٤	٢٤٧
» شيان الأزدي	٢٧٥	٢٤٧
» صبرة بن شيان	٢٧٦	٢٤٧
» الامام عليّ	٢٧٧	٢٤٨
» أعين بن ضبيعة	٢٧٨	٢٤٩
» جارية بن قدامة	٢٧٩	٢٥٠
» زياد	٢٨٠	٢٥٠
» أبي صبرة شيان	٢٨١	٢٥١
» صبرة بن شيان	٢٨٢	٢٥١
» خنفر الحافاني	٢٨٣	٢٥٢
صصمة بن صوحان ومعاوية	٢٨٤	٢٥٣
خطبة عبد الله بن مسعود	٢٨٥	٢٥٧
وصية دريد بن الصة	٢٨٦	٢٥٨
» عمير بن حبيب الصحابي لبنيه	٢٨٧	٢٥٩
» قيس بن عامر المقرئ لبنيه	٢٨٨	٢٥٩
» العباس بن عبد الطالب لابنه عبد الله	٢٨٩	٢٦٠

الخطبة أو الوصية

رقم  
الخطبة

رقم  
المصنف

خطبة أكرم بن صفي يدعو قومه إلى الاسلام	٢٩٠	٢٦٠
وصية أبي طالب لوجه قريش عند موته	٢٩١	٢٦٢
خطبة مالك بن نط بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٩٢	٢٦٣
سفانة بنت حاتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٩٣	٢٦٤
خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء	٢٩٤	٢٦٥
أبو زيد الطائي يصف الأسد	٢٩٥	٢٦٦
تمة في الحكم	٢٩٦	٢٦٩

بقية العصر الجاهلي

خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة	٢٩٧	٢٧٢
منافرة عبد الطلب بن هاشم وحرب بن أمية	٢٩٨	٢٧٣
مقال قيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر	٢٩٩	٢٧٤
رد امرئ القيس عليه	٣٠٠	٢٧٥
بين مهلهل بن ربيعة ، ومرتة بن ذهل الشيباني	٣٠١	٢٧٦
مدار من الحديث بين للنضر بن النعمان الأكبر وبين عامر بن جوين الطائي	٣٠٢	٢٧٨
قيس بن رفاعه والحارث بن أبي ثمر النسائي	٣٠٣	٢٨٢
قس بن ساعدة عند قيصر	٣٠٤	٢٨٣
رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من الراعي	٣٠٥	٢٨٣
إحدى ملكات اليمن وخطبوها	٣٠٦	٢٨٥
خطبة عامر بن الظرب المدواني وقد خطبت ابنته	٣٠٧	٢٨٦
وصية عامر بن الظرب المدواني	٣٠٨	٢٨٧
• حويد بن زيد لبنيه	٣٠٩	٢٨٨
• زهير بن جناب الكلبي	٣١٠	٢٨٩
• النعمان بن ثواب العبدي لبنيه	٣١١	٢٩٠

رقم المقدمة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
٢٩١	٣١٢	وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط
٢٩٢	٣١٣	نصيحة الجانة بنت قيس بن زهير لجدّها الربيع بن زياد
٢٩٣	٣١٤	وصية حصن بن حذيفة لبنيه
٢٩٤	٣١٥	وصف عصام الكنديّة أم إلياس بنت عوف بن محمّد الشيباني
٢٩٦	٣١٦	وصية أمّلة بنت الحارث لابنتها أم إلياس
٢٩٧	٣١٧	ليد بن ربيعة يصف بقله
٢٩٨	٣١٨	مخالس بن مزاحم ، وقاصر بن سلة عند النعمان بن المنذر
٣٠٠	٣١٩	ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر
٣٠١	٣٢٠	وصية لأكرم بن صيفي
٣٠٥	٣٢١	« أكرم بن صيفي لطيف »
٣٠٦	٣٢٢	أشبال أكرم بن صيفي وبزر جهم الفارسي
٣١٢	٣٢٣	كلمات هند بنت الحس الأيادية

### خطب الكهان

٣١٦	٣٢٤	الكاهن المزاعمي بنفر هاشم بن عبد مناف طي أمية بن عبد شمس
٣١٧	٣٢٥	عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث
٣١٨	٣٢٦	كاهن بني الحارث بن كعب يحذروهم غزو بني تميم
٣١٩	٣٢٧	أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة
٣٢٠	٣٢٨	خمسة نفر من طي يتحننون سواد بن قارب النوسى
٣٢٤	٣٢٩	حديث مصاد بن مذعور القيني
٣٢٦	٣٣٠	« خنافر بن التروم الحيرى مع رثيه شصار
٣٢٨	٣٣١	شافع بن كليب الصلفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
٣٢٩	٣٣٢	سطيح الذنبي يبرر رؤيا ربيعة بن نصر النخعي
٣٣١	٣٣٣	شق أعمار يبرر رؤيا ربيعة بن نصر أيضاً

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وفود عبد المسيح بن بقليلة على سطيج	٣٣٤	٣٣٢
شق وسطيج ينيشان بأصل شيف	٣٣٥	٣٣٥
تنافر عبد المطلب بن هاشم والتقنين إلى عزي سلمة الكاهن	٣٣٦	٣٣٦
ما أمر به عبد المطلب بن هاشم في منامه من حفر زمزم	٣٣٧	٣٣٨
<b>خطب الكواهن</b>		
الشعنا الكاهنة تصف سبعة إخوة	٣٣٨	٣٣٩
طريقة الخير تتكهن بسيل العرم ، وخراب سد مأرب	٣٣٩	٣٤٢
حديث زبراء الكاهنة مع بني رثام	٣٤٠	٣٤٧
كاهنة ذى الخليفة تتكهن بما في بطن رقية بنت جشم	٣٤١	٣٤٩
رأى سلى المدانية في حريم المرادى	٣٤٢	٣٥٠
تنافر المبحاء بنت علقمة وصواحبها إلى الكاهنة السعدية	٣٤٣	٣٥٠
عفراء الكاهنة تمبر رؤيا مرثد بن عبد كلال	٣٤٤	٣٥٢



# فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إبتاع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

أمرؤ القيس ٢٧٥	- أ -
أوس بن حارثة ٤٥	أبو أيوب الأنصاري ص ٢٣٦
- ب -	أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٦٢ - ٦٣ -
بسطام الشيباني ١٢	٦٦ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ -
بشير بن سعد ٦٥	٧٤ - ٧٥ - ٧٧ - ٧٨ - ٢٦٩
بشير بن عمرو ١٥٤	أبو زيد الطائي ٢٦٦
- ث -	أبو زينب بن عوف ١٤٦
ثابت بن قيس بن التماس ١٠٦	أبو طالب بن عبد للطلب ٣٨ - ٢٦٢
- ج -	أبو موسى الأشعري ١٣٠ - ١٣١ - ٢١٢
جارية بن قدامة ٢٥٠	أبو الهيثم بن التيهان ١٧٦
جيرير بن عبد الله البجلي ١٣٨	الأخنف بن قيس ١١٢ - ٢٠٤ - ٢١٠
جعدة بن أفلح ٣٠	الأشتر النخعي ١٤٣ - ١٨٢ - ١٨٣ -
الجماعة بنت قيس ٢٩٢	١٨٤ - ٢٠٦
- ح -	الأشعث بن قيس الكندي ١٢ - ١٣٩ -
حاجب بن زراراة ١٣ - ٢٢	٢٠٦ - ٢٣١
الحارث بن ذبيان ٥	أعين بن ضبيعة ٢٤٩
الحارث بن غلام للزى ٢٨	أكثم بن صيفي ٢١ - ٣١ - ٤٦ - ٤٧ -
الحارث بن عباد ٢٣	٣٦٠ - ٣٠١ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣١١
الحارث بن كعب ٤٩	أميمة بنت الحارث ٢٩٦
	أم الحارث بنت الحريش ١٩٣

- ذ -

ذو الأصبع المدناني ٤٦

ذو الكلاع الحيري ١٦٤

- ر -

ربي بن عامر ١١٦

- ز -

زبراء الكاهنة ٣٤٧

الزبير بن العوام ٩٨

الزرقاء بنت عدى ١٩٧

زفر بن قيس ١٣٨ - ١٢٩

زهير بن جناب الكلبي ٢٨٩

زياد بن أبيه ٢٤٧ - ٢٥٠

زياد بن كعب ١٣٩

زياد بن النضر ١٤٧

زيد بن جيلة ١١١

زيد بن حصين الطائي ١٤٦ - ٢٢٥

زيد بن صوحان ١٣٢

- س -

سبيع بن الحارث ٢

سطيح الدثني ٣٢٩ - ٣٣٢ - ٣٣٥

سعد بن أبي وقاص ٩٩

سعد بن عباد ٦١

سعيد بن العاص ١٢٠

الحباب بن النضر ٦٤

جيب بن مسلة ١٦٠

حجر بن عدى ١٥٠

حذيفة بن بدر الفزاري ١٢

حرقوص بن زهير ٢٢٤

حويث بن جابر ١٩٩

الحسن بن علي ١٢٣ - ١٥٣ - ٢١٤ - ٢٤٣

الحسين بن علي ١٥٣

حصن بن حذيفة ٢٩٢

الحصين بن النضر ٢٠٠

حمزة بن سنان ١٢٤

حمدة بن رافع التميمي ٣٤

- خ -

خالد بن جعفر الكلبي ٢٥

خالد بن معمر ١٨٦ - ٢٠٠

خالد بن الوليد ١١٧

خنس بن عبيدة ١٨٧

الخنساء ١٢٠

خنفر الحامي ٢٥٢

د

دريد بن الصمة ٢٥٨

دويد بن زيد ٢٨٨

- ط -

- طريف بن العاصي ٥  
طريقة الكاهنة ٣٤٢  
طلحة بن عبيد الله ١٢٧  
طهفة بن أبي زهير الهدي ١٠٧

- ظ -

- ظبيان بن حداد ١٠٩

- ع -

- عائشة رضي الله عنها ١٢٣ - ١٢٥ -  
١٢٦ - ١٢٧ - ١٣٦  
عامر بن جوين ٢٧٨  
عامر بن الطفيل ٨ - ٢٧  
عامر بن الظرب ٢٨٦ - ٢٨٧  
عبد الرحمن بن الحارث ٢٠٧  
عبد الرحمن بن عمير ٢٤٦  
عبد الرحمن بن عوف ٩٧  
عبد الله بن بديل بن ورقاء ١٤٨ - ١٧٦  
عبد الله بن جعفر ٢١٥  
عبد الله بن حجل ٢٠٣  
عبد الله بن الزبير ١٢١  
عبد الله بن عامر الحضرمي ٢٤٤  
عبد الله بن عباس ١٧٤ - ٢٠٨ -  
٢١٤ - ٢١٥ - ٢٢١ - ٢٣٠ - ٢٧١

- معبد بن عبيد الطائي ١٣٠  
مغانة بنت حاتم ٢٦٤  
مفاني بن ثور ١٩٩  
سلي الهمدانية ٣٥٠  
سهل بن حنيف ١٤٢  
سواد بن قارب ٣٢١  
سيطان بن صوحان ١٢٣

- ش -

- شافع بن كليب الصدق ٣٢٨  
شيث بن ربي ١٥٥  
شرحبيل بن السط ٢١٢  
شريح بن أوفى ٢٢٤  
شريح بن هاني ٢٠٩  
الشعناء الكاهنة ٣٣٩  
شق أنمار ٣٣١ - ٣٣٥  
شيان الأزدي ٢٤٧ - ٢٥١

- ص -

- صبرة بن شيان ٢٤٧ - ٢٥١  
صمصمة بن صوحان ٢٥٣ - ٢٠٣

- ض -

- الضحاك بن عبد الله الهلالي ٢٤٥  
ضمرة بن ضمرة ٣٠٠

٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩	٢٧٢ - ٢٥٧	عبد الله بن مسعود
٢٤٩ - ٢٣٩	٢٢٣	عبد الله بن وهب
٢٠٧ - ١٨١ - ١٤١	٣٣٨ - ٣١	عبد للطلب بن هاشم
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٦٤ - ٧٩	١١٩	عتبة بن غزوان
٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٥ - ٨٦	٢٠٠	عثمان بن حنيف
٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢	١٠٠ - ٩٨	عثمان بن عفان رضى الله عنه
٩٣ - ٩٥ - ٢٧٠	١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ٢٧١	عجفاء بنت علقمة
عمر بن الأهتم ١٠٦	٣٥٠	عدي بن حاتم
عمر بن الحق ١٤٩ - ٢٠٩	١٢٨ - ١٤٥ - ١٥٦ - ٢٠٢ - ٢٠٥	عزى سلمة
عمر بن الشريد ٢٤	٣٣٦	عصام الكندي
عمر بن العاص ١٦٢ - ١٦٣ - ٢١١ - ٢١٢	٢٩٤	عطارد بن حاجب بن زرارمة ١٠٥
عمر بن كلثوم ٣٧ - ٤٨	٣٥٢	عفراء الكاهنة
عمر بن مديكرب الزيدى ٢٨	١٨٧	عقبة بن حديد التمرى
عمر بن حبيب ٢٥٩	١٩١	عكرشة بنت الأطرش
عمر بن عطارد ٢٠٥	٢٥ - ٨	علقمة بن علاثة
عوف بن ربيعة الأسدي ٣١٧	على بن أبى طالب كرم الله وجهه	٩٩ - ١٣٦ - ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٤
— ق —	١٤٩ - ١٥٢ - ١٦١ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١	١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧
قاسم بن مسلمة ٢٩٨	١٨٥ - ١٩٨ - ٢٠٥ - ٢١٣ - ٢١٧	٢١٨ - ٢٢٨ - ٢٣١ - ٢٣٢
قيصة بن نعيم ٢٧٤		
قس بن ساعدة ٣٥ - ٢٨٣		
القنقاع بن عمرو ١٣٢ - ١٣٤		
قيس بن خفاف البرجمي ٤٣		
قيس بن رفاعة ٢٨٢		

مصاد بن مذكور القيني ٢٢٤	تميس بن زهير ٢٩١
مطوية بن أبي سفيان ١٥٥ - ١٥٦	قيس بن سعد بن عبادة ١٤١ - ١٩٠
١٥٧ - ١٦٣ - ١٨٨ - ٢١١ - ٢٤٣	قيس بن عاصم السعدي ١٤
للغيرة بن زراراة ١١٥	قيس بن عاصم القرقي ٢٥٩
للغيرة بن شعبة ١١٧	قيس بن مسعود الشيباني ٢٦
اللبب بن عوف ٣٠	- ك -
للنذر بن الجارود ٢٠٤	كاهن بني الحارث بن كعب ٣١٨
ميثم بن مثوب ٣	كاهنة ذى الخلصة ٣٤٩
- ن -	الكاهن الخزامي ٣١٦
النعمان بن بشير ١٨٩	الكاهن اليميني ٣١٩
النعمان بن ثواب السبدي ٢٩٠	كردوس بن هاني ١٩٩
النعمان بن مقرن ١١٤	كعب بن لؤي ٣٣
النعمان بن للنذر ٢٧٨ - ١٦	- ل -
قبيل بن عبد العزى ٢٧٣	ليبد بن ربيعة ٢٩٧
- ه -	- م -
هاشم بن عبد مناف ٣٢ - ٢٧٢	للأمون الحارثي ٣٦
هاشم بن عتبة ١٤٠ - ١٥٠ - ١٨٠	مالك بن الحط ٢٦٣
هاني بن قبيصة الشيباني ٣٧	المنى بن حارثة الشيباني ٨٨
هلال بن بشر ١١١	سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
هند بنت الحس الإيادية ٣١٢	٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥
- ي -	٥٦ - ٦٧ - ٦٠ - ١٠٨ - ٢٦٥
يزيد بن أسد البجلي ١٦٧	مخالس بن مزاحم ٢٩٨
يزيد بن عاصم الحارثي ٢٢٢	مرة بن ذهل ٢٧٦
يزيد بن قيس ١٤٧ - ١٥٧ - ١٧٩	مروث الخير ٥٢ - ٥٤
تم فهرس أعلام الخطباء	للسنورد بن علفة ٢٢٩

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
الرَّحَاب	الرَّحَاب	٧	٨
نَكَدْ	نَكَدْ	٩	١٢
رَجَالُهَا	رَجَالُهَا	١٢	٩
لَعِيَات	لَعِيَات	١٢	١٦
تَنَازَع	تَنَازَع	١٦	٦
أُمَّة	أُمَّة	١٦	٨
وَجَسْتَهُمْ ، وَعَدْتَهُمْ	وَجَسْتَهُمْ ، وَعَدْتَهُمْ	١٦	١٣
وَأَصُولُهَا	وَأَصُولُهَا	١٦	١٨
الزَّاقَةُ الْمُسْنَةَ	الزَّاقَةُ : الْمُسْنَةَ	١٧	١٠
تَحْقَرُ	تَحْقَرُ	١٨	٣
كَلْ	كَلْ	٢٠	١١
شَرٌّ	شَرٌّ	٢٢	٢
وَأَرْكُ	وَأَرْكُ	٢٤	٦
وَيَسْتَطَابُ	وَيَسْتَطَابُ	٢٤	١٦
يَمْرَضُ	يَمْرَضُ	٢٧	٥
تَقْعَجًا	تَقْعَجًا	٣٠	١٠
الْحَرِيصُ	الْحَرِيصُ	٣٤	١١
الْأَبْرُ	الْأَبْرُ	٣٧	١

مقنة	طر	الخطأ	الصواب
٣٧	٣	الناثرة	الناثرة
٥٠	٨	الدعة	الرعة <sup>(١)</sup>
٥٥	٣: ٣	الضعيف	الضعف
٦٨	٩	استعظمتم	استعظمتم
٨٧	٩	انقعه	انقعه
٩٤	٩	الطلائع	الطلائع
١٥٠	٨	وأهها	وأهلها
١٥٠	١٠	وأزمتنا	وأزمتنا
١٥٠	١٢	اكل	اكل
١٨٠	٩	عقبة	عقبة
١٩٧	١	حتم	حتم
١٩٨	٦	أعجب	أعجب
٢٠٤	١	فأير	فأير
٢٤٠	٢	على	على
٢٦٧	١٦	الغلل : العطش أوشده الخ	الغلل : الماء الذى يجرى بين الشجر

[١] يقال : هو حسن الرعة والتروع ، أى حسن الطريقة .













